

مِنْهَا مَجَالِسُ الْبِرِّ وَالْإِيمَةِ

فِي شَرْحِ نَجْمِ الْبِلَاقَةِ

لِأَوَّلِنَا

الْعِلْمِ وَالْحَقِّ وَالْحَقِّ وَالْحَقِّ وَالْحَقِّ

الْهَامِي الْخَوَافِي وَالْحَقِّ وَالْحَقِّ

مِنْ مَشُورَاتِ

مَدِينَةِ الْمَدِينَةِ





PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY



32101 012793517

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

H. Hāshimī al-Khū'ī تکملة

مِنْهَاجُ الْبِرِّ الرَّابِعُ

في شرح هنج البلاغة

لِوَلَفِيْرٍ

الْعَالِمُ الْمُحَقِّقُ الْحَاجُّ مِيْرَا حَبِيْبُ اللهِ الْهَاشِمِيُّ الْخَوْيُّ قَدْ سَرَى

صنفا

الفاضل البارع المحقق الشيخ حسن (حسن زاده) الأملی

الجزء السابع عشر

عني بتصحيحه و تهذيبه العالم الفاضل : السيد ابراهيم الميانجي

الناشر:

مَكْتَبَةُ الْاِسْلَامِيَّةِ بِطَهْرَانَ

طهران، شارع ۱۵ خردادشاهی

تلفن ۵۲۱۹۶۶

حق چاپ و عکسبرداری از این نسخه محفوظ است

(طبع في المطبعة الاسلامية بطهران)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

2264

.1067

.754

1985

Jun '17

الحمد لله الذي خلق الانسان ، وعلمه البيان ، وأكرمه بنورالعقل والعرفان
والصلاة والسلام على أفصح من نطق بالضاد ، و على آله مناهج الرشد .

أما بعد فيقول المفتاح إلى رحمة ربه نجم الدين الحسن بن عبدالله الطبري
الأملي أوتيا كتابهما يمينا ، وحوسبا حساباً يسيراً : قال الله عزّ من قائل « أنزل من
السماء ماءً فسالت أودية بقدرها » ، وقال تعالى « ومن الماء كل شيء حي » .

أما إن كلمات مولانا أمير المؤمنين عليه السلام مما فاض من سماء العلم ، وهي
للأرواح ماء الحياة ، وإن هذه الأسفار أودية سالت بقدر ماوسع لنا أن نستفيض
مما أفاضه المرتضى ، فكم أودع فيها من حقائق متقنة كلية حكمية ، ونفائس مبرمة
دقيقة عقلية ، ومباحث رصينة أخلاقية واجتماعية ، ومطالب أصيلة قيمة في أصول
العقائد الحقّة الإلهية وغيرها مما تلوح لمن أمعن النظر في الكتاب ، و نسأل الله
أن يزيد ما أنعم كما نرجوه لأن ينفعنا وجميع بغاة العلم بها فإنه قريب مجيب
لا يرد من سأل ، ولا يخيب من أمله .

وهذا هو السفر الثالث من «تكملة منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة» يرتقى
المنهاج به إلى سابع عشر فنقول مستعيناً بالله الوهاب :

نام كتاب : منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة

مؤلف : علامه محقق حاج ميرزا حبيب اله خوي

مصحح : فاضل محترم سيد ابراهيم ميانجي

ناشر : كتابفروشي اسلاميه

تعداد : ٢٥٥٥ جلد

نوبت چاپ : چهارم - ١٣٦٤ شمسی

چاپخانه : اسلاميه

[تَمْتَةُ الْمَخْتَارِ الْأَوَّلِ مِنْ كِتَابِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَسَائِلِهِ]

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : (واعلموا أن دار الهجرة قد قلعت بأهلها وقلعوا بها) أي أن مدينة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فارقت أهلها وخلت منهم وكذا أهلها فارقوها على ما بيننا في تفسير لغات الكتاب . وأما مراده عَلَيْهِ السَّلَامُ منه فقال بعضهم : إنه عَلَيْهِ السَّلَامُ يخبرهم من قوله واعلموا - إلى - على القطب، عن سبب حر كته و خروجه من المدينة أن المدينة قامت فيها رحي الفتنة واضطربت أحوال ساكنيها و أمورها و جاشت جيش المرجل من الهرج والمرج ، وانقلبت أحوال البلد وتبدلت بحيث ليس الملقام فيها للناس سيما للمؤمنين والخواص بميسور، ولذا خرج منها و جعل الكوفة مهاجرة ومقر خلافته . أقول : لا يخفى على أن هذا التفسير لا يناسب الملقام ولا يوافق قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ فأسرعوا إلى أميركم و بادروا جهاد عدوكم ، فإنه عَلَيْهِ السَّلَامُ كتب إليهم الكتاب ليستنفرهم إلى الجهاد كما صرح به في ذيل الكتاب ونفر من المدينة نحو البصرة لجهاد الناكثين ، لأنه يخبرهم عن صرف سبب خروجه منها ، وهذا ظاهر لا كلام فيه . و يقرب من هذا التفسير ما قيل : إنه عَلَيْهِ السَّلَامُ كنى بقلعها بأهلها و قلعهم بها عن اضطراب أمورها بها وعدم استقرار قلوبهم من ثوران هذه الفتنة .

أقول : الظاهر أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ لما أخبر أهل الكوفة عن أمر عثمان و عن سيرته معه وعمّا جرى عليه من طلحة والزبير و عائشة وعن بيعة الناس أعلمهم أن منهم من نكثوا البيعة و أثاروا الفتنة و نشطوا أقواماً على الحرب و هيجوا بين الناس الشر و العداوة و الشحناء حتى أقاموا الحرب ، فنهضوا أهل المدينة مجاهدين في سبيل الله أعداء الله لا لطفاء هذه النائرة و إزالة الفتنة نهضة خلعت المدينة من أهلها و فارقها ساكنوها ، سيما أنهم كانوا من أفعال عثمان وشيعته متألمين ، فلما رأوا أن آل عثمان تمسكوا بدم عثمان تفتيناً لم يلبثوا في المدينة خوفاً من أن تشيع الفتنة و يفسد المبطلون ، فبادروا إلى جهاد عدوهم فقلعوا بالمدينة مسرعين .

فهو عليه السلام أراد إعلام أهل الكوفة بنهوض أهل المدينة على ذلك الحد ليرغبوا في الجهاد و ينصروا دين الله و ينهضوا لقتال أصحاب الجمل معهم و يهتموا همتهم في إمامة الباطل و إزاحة أهله ، ولذا أمرهم عليه السلام بالسرعة إليه و المبادرة بالجهاد . قوله عليه السلام : (و جاشت جيش المرجل) أي غلت كغليان الماء في القدر . والمراد إخبار أهل الكوفة باضطراب أهل المدينة و ولعهم بالجهاد لما علموا بمسيرنا لكثين و أتباعهم إلى البصرة لإثارة الفتنة . و هذا أيضاً تحريض أهل الكوفة على النهضة و الجهاد .

قوله عليه السلام : (و قامت الفتنة على القطب) أي الفتنة التي أثارها الناكثون و أتباعهم قامت على القطب ، شبه الفتنة بالرحى بقرينة القطب ، أي أن رحي الفتنة دائرة و المراد أن الفتنة قائمة و نارها مشتعلة فاسرعوا إلى إطفائها ، ففيها أيضاً تحريض أهل الكوفة على الجهاد .

و قد ردّ بعض الشارحين الجملة بقوله : قامت الفتنة في المدينة على القطب حيث فسرها بأن رحي الفتنة في المدينة دائرة ؛ و لا يخفى أن ذلك التقدير غير مناسب للمقام لأن فتنة الحرب حين إرساله عليه السلام الكتاب إلى أهل الكوفة كانت في البصرة بين أصحاب الجمل و عامله عليه السلام عثمان بن حنيف قائمة كما سيوضح في شرح الكتاب الثاني إن شاء الله تعالى .

و هو عليه السلام كان ساعئذ في ذي قار كما دريت مما حققنا آنفاً ؛ و بالجملة أنه عليه السلام أعلم أهل الكوفة بأن الفتنة قائمة على القطب و لا حاجة إلى ذلك التقدير فكأنما اغترّ ذلك البعض من الجمل المتقدمة .

ثم يمكن أن يقال : إنه عليه السلام أراد بالقطب نفسه ، فإنه عليه السلام قطب الاسلام و المسلمين يقال : فلان قطب بني فلان أي سيدهم الذي يدور عليه أمرهم ، و كذا يقال لصاحب الجيش : قطب رحي الحرب تشبيهاً بالنقطة التي يدور عليها الفلك و يسمونها قطب الفلك ، فيكون المعنى أن تلك الفتنة أقبلت إليه و قامت و هجمت عليه فتكون كلمة على ، على هذا الوجه للضرر و على الوجه الأول للاستعلاء

ويمكن أن يكون على الوجهين للإستعلاء، فإذا كانت الفتنة قائمة على القطب بهذا المعنى فللرعية أن تعاونه باطفاؤها و نجاته منها لأنهم في الحقيقة ينجون أنفسهم منها وينصرون دين الله، ويطلبون بذلك رفعتهم ومنزلتهم، ونعم ما قال الشاعر:

لك العز إن مولاك عزٌّ وإن يهن فأنت لدى بحبوحة الهون كاهن!

و يمكن أن يجعل كلمة الأمير في قوله الآتي قرينة على إرادة هذا المعنى من القطب.

و بعد ما بادر ذهننا إلى هذا المعنى فرأينا أن المولى فتح الله القاساني فسّر القطب في شرحه الفارسي على النهج بهذا الوجه، فالحمد لله على الوفاق.

قوله (فأسرعوا إلى أميركم و بادروا جهاد عدوكم إن شاء الله تعالى) أي إذا سمعتم ما قلنا من عمل الناكثين و ما فعل أهل المدينة لا زهاق الباطل و نصره الدين، فأسرعوا إلى أميركم يعني بالأمر نفسه عليه السلام، و بادروا جهاد عدوكم يعني بالعدو أصحاب الجمل.

الترجمة

باب دوم از بابهای سه گانه نهج البلاغة: در نامهها و رساله های برگزیده امیر المؤمنین علی عليه السلام که بدشمنانش و امیران شهرهایش نوشته است، و در این باب نیز فرمانهای برگزیده ای که بعمّال خویش فرستاد، و وصیتهای و اندرزها که بدودمان و یارانش فرمود، نگاشته آمد.

این یکی از نامه های آن قطب اسلام و مسلمین است که هنگامی از مدینه بسوی بصره، برای خاموش کردن آتش فتنة أصحاب جمل رهسپار شد، درجایی بنام ذی قار رسید، آنرا بمردم کوفه نوشت و از ایشان یاری خواست و فرزندان امام حسن مجتبی و عمّار بن یاسر و قیس را بسوی کوفه گسیل داشت که نامه را بکوفیان رسانند و ایشان را بمدد و نصرت خوانند. و این نخستین کتاب این باب است:

این نامه ایست از بنده خدا علی امیر المؤمنین بمردم کوفه که پیشانی یاری

کنندگان دین و کوهان عربند (کنایه از اینکه آنان در شرف نسبت با نصار دین چون پیشانی نسبت به پیکرند و برافت در میان عرب همچون کوهان نسبت با شتر) شما را از امر عثمان خبر دهم چنانکه شنیدن آن همچون دیدن آن باشد :

همانا که مردم عثمان را بأفعال او عیب کردند و براو طعن و انکار نمودند من مردی از مهاجرین بودم که بسیار از او درخواست میکردم که مردم را خوشنود سازد، و همواره او را نصیحت میکردم و براه رستگاری دلالت مینمودم، و از سرزنش او خود داری مینمودم، و هیچ او را سرزنش نمیکردم (چه معنی «أقل عتابه» در اینجا بمعنی نفی عتاب است نه اینکه کمتر او را سرزنش میکردم چنانکه مترجمین با اشتباه رفته اند، و در شرح بیان کرده ایم که مردان خدا برفق و مدارا نهی از منکر میکنند و از درستی سر باز زنند، و ممکن است که معنی جمله چنین باشد که من همواره عثمان را نصیحت و دلالت میکردم و سرزنش او را بر خویشتن تحمیل میکردم و بتوبیخ او از ارشاد و هدایتش دریغ نداشتم، چه عثمان از اندرزهای امیر المؤمنین عليه السلام میرنجید و میگفت که ابوالحسن نمیخواهد دودمان مرا در نعمت آسایش ببیند، و این بنا بروجهی است که «أقل» را بمعنی بر میدارم و حمل میکنم، بگیریم، چنانکه در بحث لغوی این کتاب تحقیق کرده ایم که «أقل» هم برای نفی و هم برای جمل استعمال میشود).

و سست ترین رفتنشان در کشتن او رفتن بشتاب و اضطراب بود، و نرم ترین راندنشان راندن سخت (یعنی آندو در کشتن عثمان شتاب بسیار میکردند و مردم را بر آن بر میآنگیختند هنگامیکه عثمان در حصر بود و آب را برویش بستند از طلحه سبب خواست، و طلحه در جواب گفت: چون تو دین خدا را تبدیل کردی و تغییر داری؛ و آنگاه که تشنگی بر او چیره شد و ندا درداد که ای مردم ما را آب دهید و از آنچه خدا بر شما روزی کرد ما را بخوراند، زبیر بعثمان خطاب کرد و گفت: ای نعثل والله هر گز آب نخواهی چشید، و طلحه اول کسی بود که تیر بخانه عثمان رها کرد، و گفتار طلحه و زبیر در قتل عثمان و تحریض و ترغیب

آن دو مردم را بر آن بسیار است .

و از عائشه درباره او خشمی ناگهانی بود (سبب خشم وی بر عثمان این بود که میگفت عثمان اموال مسلمانان را طعمه خویش و خویشاوندانش گردانید و دودمان و پیروانش را بدان برگزید و دین خدا را تغییر داد و از سنت رسول اعراض کرد ، گاهی عثمان بر منبر بود که عائشه نعلین و پیراهن پیغمبر را در میان مجلس بمردم نموده و گفت : این نعلین و پیراهن رسول خدا هنوز کهنه نشده که فرعون این امت عثمان دین خدا را تبدیل کرده است . و میگفت : بکشید نعل را که او فاجر است ، و نیز میگفت : بکشید نعل را خدا نعل را بکشد . و نعل مردی یهود بود دراز ریش که عائشه عثمان را بدان تشبیه میکرده است ، و عائشه اول کسی بود که بر عثمان طعن کرده است و کارهای او را عیب گرفته و مردم را بر کشتن او برانگیخت) .

پس برایش گروهی مقدر شد که او را کشتند و مردم با من بیعت کردند بی آنکه بیعت با مرا ناخوش و ناپسند داشته باشند و کاره باشند ، و بی آنکه اجبار شده باشند بلکه بمیل و رغبت و اختیار بیعت کردند . بدانند که مدینه از اهلش خالی شد و مردم از آن برکنده شدند (یا اینکه مدینه با اهلش برکنده شد و اهل آن با مدینه ، که در دلالت مقصود آکداست ، و خلاصه اینکه مردم مدینه از آنجا بیرون آمدند بقصد یاری دین خدا و جهاد فی سبیل الله در رکاب امیر المؤمنین علیه السلام برای خاموش کردن آتش فتنه اصحاب جمل ، این گفتار حضرت برای ترغیب و تهییج اهل کوفه است که در جهاد و نصرت دین تاسی با اهل مدینه کنند) .

و مدینه چون دیگ بجوش آمده است (مراد این است که وقتی مردم دیدند گروهی بیبانه خون عثمان بیعت را شکستند و نقض عهد کردند و قصد تفتین دارند بخصوص که از افعال عثمان سخت رنج دیدند و دل آزرده بودند برای دفع آنان چنان نهضت و قیام کردند که از اضطراب و هیجان گویا چون دیگ بجوش آمدند)

فتنه بر قطب ایستاده است (کنایه از اینکه آسیای فتنه دور میزند یعنی آتش فتنه مشتعل است یا اینکه مراد امیرالمؤمنین عليه السلام از قطب خود آنحضرت باشد چه آن بزرگوار قطب اسلام و مسلمین و مدار ایمان و أهل آن است ، یعنی فتنه اصحاب جمل بر آن بزرگوار روی آورده است و بر آن قطب عالم امکان دور میزند) پس بشتابید بسوی امیر خود و پیشی گیرید بجهاد دشمن خود اگر خدا خواهد .

و من کتاب له عليه السلام اليهم بعد فتح البصرة و هو الكتاب الثاني من باب المختار من كتب أمير المؤمنين عليه السلام

وَجَزَاكُمْ اللهُ مِنْ أَهْلِ مِصْرٍ عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ أَحْسَنَ مَا يَجْزِي
الْعَامِلِينَ بِطَاعَتِهِ ، وَالشَّاكِرِينَ لِنِعْمَتِهِ ، فَقَدْ سَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ وَدُعِيتُمْ
فَأَجِبْتُمْ .

اللغة

(جزا کم) الجزاء یائی و هو ما فيه الكفاية من المقابلة إن خيراً فخير
وإن شراً فشر ، قال الله تعالى : «و جزاهم بما صبروا جنة وحريراً» وقال تعالى :
«و جزاء سيئة سيئة مثلها» يقال : جزاه كذا و بكذا و على كذا يجزيه جزاء من
باب ضرب .

(أهل) قال الخليل : أهل الرجل أخص الناس به ، أهل البلد و البيت
سكانه ، و أهل كل نبي أمته ، و أهل الأمر و ولاته ، و أهل الاسلام من يدين به .
و قوله عليه السلام : (أهل بيت نبيكم) إشارة إلى قوله تعالى : «إنما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس أهل البيت» ، فالمراد من قوله : أهل بيت نبيكم ، هو أهل
البيت في الآية .

الاعراب

(من أهل مصر) تميز لضمير المفعول أعني «كم» في «جزاكم» لأنه يجوز جرُّ التمييز بمن إذا لم يكن تميزاً لعدد وما كان فاعلاً في المعنى والتمييز المحول عن المفعول كقولهم رطل من زيت ونعم من رجل ، قال أبو بكر بن الأسود :

تخييره فلم تعدل سواه فنعم المرء من رجل تهامى
و قال آخر :

يا سيِّداً ما أنت من سيِّد موطأ الأكتاف رحب الذراع
واستثنى ابن مالك الأولين في الألفية وقال :

واجرر بمن إن شئت غير ذي العدد والفاعل المعنى كطب نفساً تقد
(عن أهل بيت نبيكم) تتعلّق بقوله جزاكم .

(أحسن ما يجزي) مفعول مطلق نوعي فتاب أحسن عن المصدر المحذوف في الانتصاب على المفعول المطلق ويدلُّ عليه وهو صفة له أي جزاكم الله الجزاء أحسن ما يجزي العاملين بطاعته كقولهم : سرت أحسن السير ، أي سرت السير أحسن السير .

والظاهر أن كلمة ما مصدرية أي أحسن جزاء العاملين بطاعته ، ويجوز أن تكون من الموصولات و حذف العائد إليها و التقدير : أحسن الذي يجزي به العاملين بطاعته .

(بطاعته) متعلّق للعاملين ، ولنعتمه للشاكرين يقال عمل بطاعته وشكر لنعتمه .

المعنى

ضمير (إليهم) في قول الرضى رضوان الله عليه يرجع إلى أهل الكوفة في الكتاب السابق ، فقوله صريح بأنه عليه السلام كتب إلى أهل الكوفة هذا الكتاب بعد فتح البصرة والعجب من الفاضل الشارح البحراني حيث قال في شرحه على النهج : يشبه أن يكون الخطاب لأهل الكوفة مع أنه نقل في عنوانه قول الرضى ومن كتاب له عليه السلام إليهم بعد فتح البصرة .

ثم إن هذا الكتاب لجزء الكتاب الذي كتب عليه السلام إليهم بعد فتح البصرة ولم يذكره الرضي رضي الله عنه بتمامه إما لعدم عثوره عليه ، أو لاختياره منه هذا القدر لبلاغته ، وهذا ليس بعزيم في النهج كما بينا في المباحث السالفة أن خطبة واحدة قطعت و جزئت في أربع مواضع من النهج و ذكر في كل موضع جزء منها ، أو أتى ببعض ما في الخطب والكتب وترك بعضها الآخر وستقف على أكثر ما قد منا في المباحث الآتية أيضاً .

ثم نقل هذا الكتاب والذي قبله في المجلد الثامن من البحار ص ٤٠٩ الطبع الكمباني ، و دونك الكتاب بالسند والتمام .

سند الكتاب ونقله بتمامه و نسخ اخرى منه

إن ما يهمننا في ذلك الشرح تحصيل سند ما في النهج ونقله من الجوامع و المجاميع التي ألفت قبل الرضي رضوان الله عليه كالجامع الكافي لثقة الاسلام الكليني المتوفى سنة ٣٢٨ هـ ، والبيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ ، و الكامل لأبي العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد المتوفى سنة ٢٨٥ هـ ، و الكتاب المعروف بالتاريخ اليعقوبي لأحمد بن أبي يعقوب الكاتب المتوفى حدود سنة ٢٩٢ هـ ، وفي الكنى والألقاب للمحدث القمي رحمه الله أنه توفى سنة ٢٤٦ هـ ، و تاريخ الأمم و الملوك المعروف بالتاريخ الطبري لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري الأملي المتوفى سنة ٣١٠ هـ ، و كتاب صفين للشيخ أبي الفضل نصر بن مزاحم المنقري التميمي الكوفي من جملة الرواة المتقدمين بل الواقعة في درجة التابعين كان من معاصري محمد بن علي بن الحسين عليه السلام باقر العلوم وكأنه كان من رجاله عليه السلام و أدرك علي بن موسى الرضا عليه السلام كما في الخرائج للراوندي ، و كتب الشيخ الأجل المفيد قدس سره المتوفى سنة ٤١٣ هـ ، لا سيما ما نقل في كتبه باسناده عن المورخ المشهور محمد بن عمر بن واقد الواقدي المدني المتوفى سنة ٢٠٧ هـ ، و كتاب الإمامة و السياسة المعروف بتاريخ الخلفاء

من مؤلفات عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ٢٧٦ هـ ، و مروح الذهب و معادن الجواهر في التاريخ لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦ هـ ، و كتب أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المشتهر بالشيخ الصدوق المتوفى سنة ٣٨١ هـ و غيرها من الكتب المشهورة للعلماء الأقدمين الذين كانوا قبل الرضي جامع النهج ببضع سنين إلى فوق مئتين و هو توفى سنة ٤٠٦ من هجرة خاتم النبيين .

و إنما حدانا على ذلك طعن بعض المخالفين من السابقين واللاحقين بل بعض المعاصرين على النهج بأنه ليس من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بل مما وضعه الرضي أو من جمعه ونسبه إليه عليه السلام .

وقد نقل القاضي نور الله رحمه الله في مجالس المؤمنين عند ترجمة الشريف المرتضى علم الهدى أخ الرضي من تاريخ الياضي أنه قال : وقد اختلف الناس في كتاب نهج البلاغة المجموع من كلام علي بن أبي طالب عليه السلام ، هل هو جمعه أو أخوه الرضي و قد قيل : إنه ليس من كلام علي بن أبي طالب و إنما أحدهما هو الذي وضعه و نسبه إليه ، انتهى ما أردنا من نقل القاضي كلام الياضي .

أقول : الظاهر أن الياضي أخذ هذا الطعن من القاضي ابن خلكان في وفيات الأعيان و نقله بألفاظه في تاريخه و القائل واحد ، و قد قاله القاضي عند ترجمة علم الهدى و هو مات سنة ٦٨١ هـ و الياضي سنة ٧٦٨ هـ ، إلا أن ابن خلكان قال بعد قوله في اختلاف الناس أنه ليس من كلامه عليه السلام و إنما الذي جمعه و نسبه إليه هو الذي وضعه . والفرق بينهما أن القائل بالوضع على عبارة الياضي هو علم الهدى أو أخوه الرضي ، و أمّا على ما في الوفيات فيمكن أن يكون غيرهما .

ثم إن تلك الشبهة الواهية إنما صدرت من معاند جاهل هتاك لم يتفحص في الكتب و لم يكن عارفاً بأحوال الكلام، و إلا فكيف يجتري العالم المتتبع الباحث عن فنون الكلام أن ينحل الكلام الذي هو فوق كلام المخلوق و دون كلام الخالق إلى من نسبة منشأته و أشعاره و سائر كلماته إلى ما في النهج كنسبة السهاء إلى

الشمس . على أن الألسن قد كَلَّتْ عن أن يتفوه . باتيان خطبة من خطبه لفظاً أو معنى، و الخطباء الذين تشار إليهم بالبنان و ثنى عليهم العناصر عياله عليه السلام و كلُّ أخذوا منه ، و قد قدّمنا بعض ما أشرنا إليه في شرح المختار ٢٣٧ .

و قد افترى بعض المخالفين على الرّضي بأنّ الخطبة الشقشقيّة التي تدلُّ على إثبات إمامة أمير المؤمنين عليه السلام و خلافته بعد رسول الله بلا فصل من مجموعاته نسبها إليه ، و أقول : إنّها من الخطب التي أعجزت العقلاء عن فهم معناها ، و أُعيّت الخطباء البلغاء عن أن يأتوا بمثلها فأنّى للرّضي و لغير الرّضي هذا النفس و هذا الأسلوب و ما جرى بين مصدّق بن شبيب و شيخه ابن الخشاب مشهور معروف قد نقله الشارحان المعتمذي و البحراني الأول في آخر شرحه عليها ، و الآخر في أوّله و نقلها ابن أبي جمهور الأحسائي في المجلي أيضاً (ص ٣٩٣ طبع طهران ١٣٢٩ هـ) و هي رويت على طرق كثيرة روتها الخاصّة و العامّة أتى بها المجلسي قدّس سرّه في المجلد الثامن من البحار (ص ١٦٠ من الطبع الكمباني) فلا حاجة إلى نقلها . و أمّا ما في الوفيات و تاريخ الياضي من أنّ الناس قد اختلفوا في النهج هل المرتضى جمعه أو الرّضي في دفعه ما قاله جامع النهج في مقدّمته عليه : فأنّي كنت في عمقوان السنّ و غضاضة الغصن ابتدأت بتأليف كتاب في خصائص الأئمة عليهم السلام «إلخ» ، و لا كلام في أنّ خصائص الأئمة من كتب الرّضي رحمه الله ، على أنّ جلّ الأمور خين و المحدثين من الشيعة بل كلّهم و كذلك من العامّة قالوا : إنّه ممّا جمعه الرّضي ، و ارتباب من لاخبرة له في ذلك لا يعاب به .

على أنّ كثيراً من المؤلّفين حتّى من كبار الصحابة و التابعين اعتنوا بجمع خطبه عليه السلام و كتبه و سائر كلماته ، و قد ذكر عدّة منها الاستاذ الشعراني في مقالته المفيدة القيّمة على شرحنا هذا في أوّل المجلد الأول من تكملة المنهاج ، و على شرح الملولى صالح القزويني على نهج البلاغة بالفارسيّة ، و كذا عدّة كثيرة منها عليّ بن عبد العظيم التبريزي الخياباني في ص ٣٤٩ من كتابه الموسوم بوقايح الأيام في أحوال شهر الصّيام طبع إيران .

و قد التمس مني غير واحد من أصدقائي الإهتمام كل الإهتمام بذكر مدارك ما في النهج من الكتب الأقدمين الذين جمع الرضوي كلماته عليه السلام منها وأوصاني بذلك مكرراً، وأرجو من الله أن أحيب التماسهم بقدر الوسع بل الطاقاة فاني لم آل جهداً إلى الآن في ما لا بد منه في تفسير كلماته عليه السلام وما يحتاج إليها من أراد أن يغوص في بحار معانيها لاقتناء دُررها من السند واللغة والاعراب و نقد المعاني و نضد الحقائق في كل باب ، و نقل الآيات والأخبار المناسبة في كل مقام بعون الله الفيض الوهاب .

و أما سند الكتاب المعنون و نقله بتمامه و نسخ أخرى منه :

فقال الشيخ الأجلُّ أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان المعروف بالمفيد المتوفى ٤١٣ هـ في كتاب الجمل (ص ٢٠١ طبع النجف) في رواية عمر بن سعد عن يزيد بن الصلت ، عن عامر الأسدي قال : إن علياً عليه السلام كتب بعد فتح البصرة مع عمر بن سلمة الأرحبي إلى أهل الكوفة : من عبد الله علي بن أبي طالب إلى قرظة بن كعب ومن قبله من المسلمين ، سلام عليكم ، فاني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو ، أما بعد فاننا لقينا القوم الناكثين لبيعتنا المفروقين لجماعتنا الباغين علينا من امتنا فحاجبنا هم إلى الله فنصرنا الله عليهم وقتل طلحة والرشيد وقد تقدمت إليهما بالنذر ، و أشهدت عليهما صلحاء الأمة و مكنتهما في البيعة فما أطاعا المرشدين و لا أجابا الناصحين ، و لاذ أهل البغي بعائشة فقتل حولها جمٌ لا يحصي عدد هم إلا الله ، ثم ضرب الله وجه بقيتهم فأدبروا ، فما كانت ناقة الحجر بأشأم منها على أهل ذلك المصر مع ما جاءت به من الحوب الكبير في معصيتها لربها و نبيتها من الحرب و اغترار من اغتر بها و ما صنعتها من التفرقة بين المؤمنين و سفك دماء المسلمين لا بيئنة و لا معذرة و لا حجة لها ، فلمأ هزمهم الله أمرت أن لا يقتل مدبر ، و لا يجزى على جريح ، و لا يهتك ستر ، و لا يدخل دار إلا باذن أهلها ، و قد آمنت الناس و استشهد منا رجال صالحون ، ضاعف الله لهم الحسنات و رفع درجاتهم ، و أثابهم ثواب الصابرين ، و جزاهم من أهل مصر عن أهل بيت

نبيهم أحسن ما يجزي العاملين بطاعته و الشاكرين لنعمته ، فقد سمعتم و أطعتم
و دعيتم فأجبتهم فنعم الاخوان و الأعداء على الحق أنتم ، و السلام عليكم و رحمة
الله و بركاته ؛ كتب عبد الله بن أبي رافع في رجب سنة ست و ثلاثين . انتهى .

بيان : عبد الله بن أبي رافع كان كاتبه عليه السلام .

ثم إن كتابه عليه السلام إليهم بعد فتح البصرة روي بوجه آخر أيضاً رواها علم
الهدى الشريف المرتضى في الشافي (ص ٢٨٧ ، الطبع الناصري ١٣٠٢) و الشيخ
الطوسي في تلخيصه ، و الشيخ المفيد في الجمل (ص ١٩٨) و في الارشاد (ص ١٢٣)
طبع طهران ١٣٧٧ هـ)

رووا عن الواقدي أنه عليه السلام كتب إلى أهل الكوفة بعد فتح البصرة :

بسم الله الرحمن الرحيم

من علي أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة ، سلام عليكم فاني أحمد الله إليكم
الذي لا إله إلا هو ، أما بعد فان الله حكم عدل لا يغير ما بقوم حتى يغيروا
ما بأنفسهم و إذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له وما لهم من دونه من وال ، و إنني
أخبركم عننا و عمّن سرنا إليه من جموع أهل البصرة و من سار إليه من قريش
و غيرهم مع طلحة و الزبير بعد نكثهما صفقة أيمانها ، فهضت من المدينة حين انتهى
إلي خبرهم و ما صنعوه بعاملي عثمان بن حنيف حتى قدمت ذا قار فبعثت ابني
الحسن و عماراً و قيساً ، فاستنفرتهم لحق الله و حق رسوله و حقنا فأجابني
أخوانكم سرعاً حتى قدموا علي فسرت بهم و بالمسارعة إلى طاعة الله حتى نزلت
ظهر البصرة فأعذرت بالدعاء و أقمت الحجّة و أقلت العثرة و الزلّة من أهل الردّة
من قريش و غيرهم ، و استتبتهم عن نكثهم بيعتي و عهد الله لي عليهم فأبوا إلا قتالي
و قتال من معي و التماذي في الغي ، فناهضتهم بالجهاد و قتل من قتل منهم و ولّي من
ولّي إلى مصرهم ، فسألوني ما دعوتهم إليه من كف القتال فقبلت منهم و أعمدت
السيوف عنهم و أخذت بالعفو فيهم و أجريت الحق و السنة بينهم و استعملت عليهم
عبد الله بن العباس على البصرة ، و أنا سائر إلى الكوفة إن شاء الله تعالى ، و قد

بعثت إليكم زجر بن قيس الجعفي لتسألوه يخبركم عننا و عنهم و ردّهم الحق علينا و ردّهم الله وهم كارهون ، والسلام عليكم ورحمة الله و بركاته ، و كتب عبدالله بن أبي رافع في جمادى الأولى سنة ست و ثلاثين .

ففي الارشاد : ثم كتب عليه السلام بالفتح إلى أهل الكوفة - إلى أن قال : من جموع أهل البصرة و من تأشّب إليهم من قريش (مكان و من سار إليه من قريش - كما في الجمل) - ثم نقل إلى قوله عليه السلام : و ولّى من ولّى إلى مصرهم ، مع اختلاف يسير في بعض العبارات ، و بعدد : و قتل طلحة و الزبير علي نكثهما و شقاقهما و كانت المرأة عليهم أشأم من ناقة الحجر فخذلوا و أدبروا و تقطعت بهم الأسباب ، فلما رأوا ما حلّ بهم سألوني العفو عنهم فقبلت منهم و غمدت - إلى آخره مع اختلاف قليل في بعض الألفاظ و الجمل .

و نقل الكتاب أبو جعفر الطبري في التاريخ (٥٤٥ ج ٣ طبع مصر ١٣٥٧ هـ) بالأجمال و الاختصار قال : ما كتب به علي بن أبي طالب من الفتح إلى عامله بالكوفة : كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد و طلحة قالا : و كتب علي بالفتح إلى عامله بالكوفة حين كتب في أمرها وهو يومئذ بمكة :

من عبد الله أمير المؤمنين أمّا بعد فاننا التقينا في النصف من جمادى الآخرة بالخریبة فناء من أفنية البصرة فأعطاهم الله عزّ و جلّ سنة المسلمين و قتل منا و منهم قتلى كثيرة و أصيب ممّن أصيب منا ثمامة بن المثنى و هند بن عمرو و علباء بن الهيثم و سيحان و زيد ابنا صوحان و محدوج ، و كتب عبدالله بن أبي رافع و كان الرسول زفر بن قيس إلى الكوفة بالبشارة في جمادى الآخرة .

أقول : الظاهر أنّ الكتاب واحد و إنما روي بطرق مختلفة بعضه نقل في طريق و بعضه الآخر في طريق آخر ، و روايته كذلك لا تدلّ على تعدّد الكتاب إليهم بعد الفتح و ما وجدنا في كتب الآثار بعد الفتح و التتبع ما يدلّ على تعدّده . ثم إنّ محاسن هذا الكتاب كثيرة بل كلّه حسن ، و اختيار بعضه و ترك الباقي

كما فعله السيد الرضي ليس بصواب والقول بعدم عثوره على الكتاب بتمامه لا يخلو من دغدغة .

(كتابان آخران له عليه السلام)

هذان الكتابان غير مذكورين في النهج وإنما نقلهما المفيد قدس سره في الجمل (ص ١٩٧) عن الواقدي أحدهما كتبه إلى أهل المدينة بعد فتح البصرة و ثانيهما إلى أمّ هاني بنت أبي طالب بعد الفتح أيضاً .

أما الأول فاستدعى كاتبه عبد الله بن أبي رافع وقال: اكتب إلى أهل المدينة :
بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عليّ بن أبي طالب : سلام عليكم فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو فان الله بمنه وفضله وحسن بلائه عندي وعندكم حكم عدل ، وقد قال سبحانه في كتابه وقوله الحق : «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وإذا أراد الله بقوم سوء فلا مردّ له وما لهم من دونه من وال » وإني مخبركم عنّا وعمّن سرنا إليه من جموع أهل البصرة ومن سار إليهم من قريش وغيرهم مع طلحة والزبير ونكثهما على ما قد علمتم من بيعتي وهما طائعان غير مكرهين فخرجت من عندكم بمن خرجت ممّن سارع إلي بيعتي وإلى الحق حتى نزلت ذاقار فنقر معي من نفر من أهل الكوفة وقدم طلحة والزبير البصرة وصنعا بعاملي عثمان بن حنيف ما صنعا ، فقدّمت إليهم الرّسل وأعدرت كلّ الاعذار ، ثمّ نزلت ظهر البصرة فأعدرت بالدعاء وقدّمت الحجّة وأقلت العثرة والزّلة واستبتهما ومن معهما من نكثهم بيعتي ونقضهما عهدي فأبوا إلا قتالي و قتال من معي والتمادي في الغي ، فلم أجد بداً في مناصفتهم لي فناصفتهم بالجهاد ، فقتل الله من قتل منهم ناكثاً ، وولّى من ولّى منهم ، وأعدمت السيوف عنهم وأخذت بالعمفو فيهم وأجريت الحقّ والسنة في حكمهم واخترت لهم عاملاً استعملته عليهم وهو عبد الله بن عباس ، وإني سائر إلى الكوفة إن شاء الله تعالى ، وكتب عبد الله بن أبي رافع في جمادى الأولى سنة ست وثلاثين من الهجرة .

وقال علم الهدى في الشافي : وروى الواقدي أيضاً كتاب أمير المؤمنين عليه السلام

إلى أهل المدينة يتضمّن مثل معاني كتابه إلى أهل الكوفة وقريباً من ألفاظه .
أقول : ولعلّ الوجه في عدم ذكر الرضي كتابه عليه السلام إلى أهل المدينة في النهج كان ذلك أعنى أن كتابه إلى أهل المدينة كان قريباً من كتابه إلى أهل الكوفة في ألفاظه و معانيه .

أما الكتاب الثاني : فكتب عليه السلام إلى أمّ هاني بنت أبي طالب :
سلام عليك أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد فإننا التقينا مع البغاة والظلمة في البصرة فأعطانا الله تعالى النصر عليهم بحوله وقوته ، و أعطاهم سنة الظالمين فقتل كل من طلحة والزبير و عبدالرحمن بن عتاب و جمع لا يحصى و قتل منا بنو مخدوع و ابنا صوحان و غلباء و هند و ثمامة فيمن يعدّ من المسلمين رحمهم الله - والسلام .

ولقد حان أن نرجع إلى تتميم واقعة الجمل وفاءً بالعهد الذي عهدناه في الكتاب المتقدم . وليعلم أولاً أن غرضنا كلّهُ أن نأتي بالكتب والخطب والأشعار والحكم التي صدرت منه عليه السلام على الترتيب الواقع في بدء واقعة الجمل إلى آخرها حتى نذكر سند ما في النهج على ما وجدنا طائفة منه في سالف الأيام ، وأخرى حين شرح الكتاب بالتتبّع و الفحص على قدر الوسع و الطائفة ، وكذا نذكر في ذكر نحو هذه الوقائع ما لم يأت به في النهج من كلماته عليه السلام كما فعلنا في نقل واقعة صفين على اسلوب بديع بين فيه كثير ما في النهج، وذكر طائفة من كلماته عليه السلام لم تذكر فيه مع فوائد غزيرة جلييلة قدّمناها في ذكر واقعة صفين ، فنقول :

لما أتى أمير المؤمنين علياً عليه السلام الخبر و هو بالمدينة بأمر عائشة و طلحة والزبير أنهم قد توجهوا نحو العراق . خرج يبادر وهو يرجو أن يدرّ كهّم ويردّهم فلما انتهى إلى الرّبذة أتاه عنهم أنهم قد أمعنوا ، فأقام بالرّبذة أياماً و أتاه عن القوم أنهم يريدون البصرة فسرى بذلك عنه ، وقال : إن أهل الكوفة أشدّ إليّ حباً وفيهم رؤوس العرب وأعلامهم ، ثمّ دعا هاشم بن عتبة المرقال و كتب معه كتاباً إلى أبي موسى الأشعري ، و كان بالكوفة من قبل عثمان أن يوصل الكتاب إليه

ليستتقر الناس منها إلى الجهاد معه .

روى أبو مخنف ، قال : حدثني الصعقب ، قال : سمعت عبد الله بن جنادة يحدث أن علياً عليه السلام لما نزل الرّبذة بعث هاشم بن عتبة بن أبي وقاص إلى أبي موسى الأشعري وهو الأمير يومئذ على الكوفة لينتقل إليه الناس ، وكتب إليه معه من عبد الله علياً أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس (هو أبو موسى الأشعري) أما بعد فإني قد بعثت إليك هاشم بن عتبة لتشخص إليّ من قبلك من المسلمين ليتوجهوا إلى قوم نكثوا بيعتي وقتلوا شيعتي وأحدثوا في الإسلام هذا الحدث العظيم ، فأشخص بالناس إليّ معه حين يقدم عليك فإني لم أولك المصير الذي أنت فيه ولم أقرّك عليه إلا لتكون من أعواني على الحق وأنصاري على هذا الأمر ، والسلام .

نقل هذا الكتاب أيضاً في جمل المفيد (ص ١١٥ طبع النجف) ، وتاريخ أبي جعفر الطبري (ص ٥١٢ ج ٣ طبع مصر ١٣٥٧ هـ) ، إلا أن المفيد ذهب إلى أنه عليه السلام أرسل هاشم بالكتاب إلى أبي موسى من ذي قار ، فأنه رحمه الله قال: لما بلغ الرّبذة وجد القوم قد فاتوا فنزل بها قليلاً ، ثم توجه نحو البصرة حتى نزل بذي قار فأقام بها ، ثم أرسل ذلك الكتاب مع هاشم ، الخ .
ولكن على رواية أبي مخنف و ابن إسحاق والطبري وغيرهم ما نقلناه ورثبناه .

فقدم هاشم بالكتاب على أبي موسى الأشعري ، فدعا أبو موسى السائب بن مالك الأشعري فأقرأه الكتاب ، وقال له : ما ترى ؟ فقال له أبو السائب : اتبع ما كتب به إليك ، فأبى ذلك وحبس الكتاب وبعث إلى هاشم يتوعده ويخوفه .

(كتاب هاشم بن عتبة الى أمير المؤمنين عليه السلام من الكوفة)

فقال السائب : فأتيت هاشم بن عتبة فأخبرته برأي أبي موسى فكتب هاشم إلى أمير المؤمنين عليه السلام : لعبد الله علياً أمير المؤمنين من هاشم بن عتبة : أما بعد

يا أمير المؤمنين وإني قدمت بكتابك على امرءٍ مُشاقٍّ عاق بعيد الرّحم ظاهر الغلّ والشّئان فتهدّدني بالسجن وخوفني بالقتل ، وقد كتبت إليك هذا الكتاب مع المحلّ بن خليفة أخي طيٍّ وهو من شيعتك وأنصارك وعنده علم ما قبلنا فأسأله عمّا بدالك واكتب إليّ برأيك ، والسلام .

فلما قدم المحلّ بكتاب هاشم على عليّ عليه السلام سلّم عليه ثمّ قال : الحمد لله الذي أدّى الحقّ إلى أهله و وضعه موضعه ، فكره ذلك قوم قد والله كرهوا نبوتة محمد صلى الله عليه وآله ثمّ بارزوه وجاهدوه ، فردّ الله عليهم كيدهم في نحورهم ، وجعل دائرة السوء عليهم ، والله يا أمير المؤمنين لنجاهدّهم معك في كلّ موطن حفظاً لرسول الله صلى الله عليه وآله في أهل بيته إذ صاروا أعداء لهم بعده ؛ فرحب به عليّ عليه السلام وقال له خيراً ، ثمّ أجلسه إلى جانبه وقرأ كتاب هاشم وسأله عن الناس وعن أبي موسى الأشعريّ ، فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أتق به ولا آمنه على خلافك إن وجد من يساعده على ذلك . فقال عليّ عليه السلام : والله ما كان عندي بمؤمن ولا ناصح ، ولقد أردت عزله فأتاني الأشر فسالني أن أقرّه و ذكر أن أهل الكوفة به راضون فأقرته .

(كتاب عليّ عليه السلام إلى أبي موسى الأشعري)

ثمّ دعا عليه السلام عبدالله بن عباس ومحمد بن أبي بكر وبعثهما إلى أبي موسى وكتب معهما :

من عبد الله عليّ أمير المؤمنين عليه السلام إلى عبد الله بن قيس : أمّا بعد يا ابن الحائك يا عاضّ إير أبيه ، فوالله إنني كنت لأرى أن بعدك من هذا الأمر الذي لم يجعلك الله له أهلاً ولا جعل لك فيه نصيباً سيمنعك من ردّ أمري والانتزاع عليّ ، وقد بعثت إليك ابن عباس و ابن أبي بكر فخلّهما والمصر وأهله واعتزل عملنا مذموماً مدجوراً ، فان فعلت ، وإلاّ فاني قد أمرتهما أن يناداك على سواء إن الله لا يهدي كيد الخائنين ، فاذا ظهرا عليك قطعك إرباً إرباً ، والسلام على من شكر النعمة ووفى بالبيعة وعمل برجاء العاقبة .

أقول : هذا الكتاب غير مذکور في النهج و إنما ذكر فيه كتاب آخر منه عليه السلام إليه وهو الكتاب ٦٣ منه وهو قوله عليه السلام : من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس ، أمّا بعد فقد بلغني عنك قول هو لك و عليك ، إلخ . قال أبو مخنف : فلما أبطأ ابن عباس و ابن أبي بكر عن عليّ عليه السلام و لم يدر ما صنعا رحل عن الرّبعة إلى ذي قار فنزلها ، فلما نزل ذاقار بعث إلى الكوفة الحسن ابنه عليه السلام و عمار بن ياسر و زيد بن صوحان و قيس بن سعد بن عبادة و معهم كتاب إلى الكوفة ، فأقبلوا حتّى كانوا بالقادسيّة ، فتلقاهم الناس ، فلما دخلوا الكوفة قرأوا كتاب عليّ عليه السلام وهو :

من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى من بالكوفة من المسلمين : أمّا بعد فأنّي خرجت مخرجي هذا إمّا ظالماً ، و إمّا مظلوماً ، و إمّا باغياً ، و إمّا مبغياً عليّ ، فأنشد الله رجلاً بلغ كتابي هذا إلاّ نفر إليّ ، فان كنت مظلوماً أعانني ، و إن كنت ظالماً استعيني ، والسلام .

أقول : أتى بهذا الكتاب الشريف الرضي في النهج مع اختلاف يسير و هو الكتاب ٥٧ منه قوله : و من كتاب له عليه السلام إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة ، أمّا بعد فأنّي خرجت من حبيّ هذا ، إلخ .

و كذا نقل هذا الكتاب أبو جعفر الطبري في التاريخ (ص ٥١٢ ج ٣ طبع مصر ١٣٥٧ هـ) و بين النسخ اختلاف في الجملة و نذكرها في شرح الكتاب بعون الله الملك الوهاب .

فلما دخل الحسن بن عليّ عليه السلام و عمار الكوفة اجتمع إليهما الناس ، فقام الحسن عليه السلام ، فاستنفر الناس و خطب خطبة رواها أبو مخنف على صورتين فاحداهما ما قال : حدّثني جابر بن يزيد قال : حدّثني تميم بن حذيم الناجي قال : قدم علينا الحسن بن عليّ عليه السلام و عمار بن ياسر يستنفران الناس إلى عليّ عليه السلام و معها كتابه ، فلما فرغا من قراءة كتابه قام الحسن عليه السلام و هو فتى حدث والله إنني لأرثي له من حدائته سنّه و صعوبة مقامه ، فرماه الناس بأبصارهم و هم يقولون : اللهم

سدّد منطق ابن بنت نبيّنا ، فوضع يده على عمود يتساند إليه وكان عليلاً من شكوى به فقال :

(خطبة الحسن بن علي عليهما السلام في الكوفة يستنفر الناس الى أبيه عليه السلام)

الحمد لله العزيز الجبار ، الواحد القهار ، الكبير المتعال ، سواء منكم من أسرّ القول ومن جهر به ومن هومستخف بالليل وسارب بالنهار ، أحمده على حسن البلاء ، وتظاهر النعماء ، وعلى ما أحببنا وكرهنا من شدّة ورخاء ، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، وأنّ محمداً عبده ورسوله ، امتنّ علينا بنبوّته ، واختصّه برسالته ، وأنزل عليه وحيه ، واصطفاه على جميع خلقه ، وأرسله إلى الإنس والجنّ حين عبدت الأوثان ، وأطبع الشيطان ، وجحد الرحمن ، فصلّى الله عليه وعلى آله ، وجزاه أفضل ما جزى المسلمين ؛

أمّا بعد فإني لا أقول لكم إلاّ ما تعرفون أنّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب أرشد الله أمره ، وأعزّ نصره ، بعثني إليكم يدعوكم إلى الصواب ، وإلى العمل بالكتاب ، والجهاد في سبيل الله ، وإن كان في عاجل ذلك ما تكرهون ، فإنّ في آجله ما تحبّون إن شاء الله ، ولقد علمتم أنّ عليّاً صلّى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وحده وأنّه يوم صدق به لفي عشرة من سنّته ، ثمّ شهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله جميع مشاهدته وكان من اجتهاده في مرضاة الله وطاعة رسوله وآثاره الحسنة في الاسلام ما قد بلغكم ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وآله راضياً عنه حتّى غمضه بيده ، وغسله وحده والملائكة أعوانه والفضل ابن عمّه ينقل إليه الماء ، ثمّ أدخله حفرتّه ، وأوصاه بقضاء دينه وعداته وغير ذلك من أموره ، كلّ ذلك من منّ الله عليه ؛ ثمّ والله ما دعا إلى نفسه ، ولقد تذاكّ الناس عليه تذاكّ الأبل الهيم العطاش ورودها ، فبايعوه طائعين ، ثمّ نكث منهم ناكثون بلا حدث أحدثه ، ولا خلاف أتاه ، حسداً له وبغياً عليه فعليكم عباد الله بتقوى الله وطاعته ، والجدّ والصبر والاستعانة بالله ، والخوف إلى مادعاكم إليه أمير المؤمنين عليه السلام عصمنا الله وإياكم بما عصم به أوليائه وأهل طاعته ، وألهمنا

وإيّاكم تقواه ، وأعاننا وإيّاكم على جهاد أعدائه ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ثم مضى إلى الرهبة فهياً منزلاً لا بيه أمير المؤمنين عليه السلام .

قال جابر : فقلت لتميم : كيف أطاق هذا الغلام ما قد قصصته من كلامه ؟ فقال : ولما سقط عني من قوله أكثر ولقد حفظت بعض ما سمعت .

وأما صورتها الأخرى فروي عن موسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أبيه أنه لما دخل الحسن عليه السلام وعمارة الكوفة اجتمع إليهما الناس فقام الحسن عليه السلام فاستنفر الناس ، فحمد الله و صلى على رسوله ثم قال :

أيها الناس إننا جئنا ندعوكم إلى الله و إلى كتابه و سنة رسوله و إلى أفعه من تفقه من المسلمين ، و أعدل من تعدّ لون ، و أفضل من تفضلون ، و أوفى من تبايعون ، من لم يعيه القرآن ، ولم تجهله السنّة ، ولم تتعد به السابقة ، إلى من قرّب به الله تعالى ورسوله قرابتين : قرابة الدّين ، و قرابة الرّحم ، إلى من سبق الناس إلى كلّ مآثرة ، إلى من كفى الله به رسوله والناس متخاذلون ، فقرّب منهم وهم متباعدون ، و صلى معه وهم مشركون ، و قاتل معه وهم منهزمون ، و بارز معه وهم محجّمون ، و صدّقه وهم يكذبون ؛ إلى من لم تردّ له راية ، و لا تكافأ له سابقة ، و هو يسألكم النصر ، و يدعوكم إلى الحقّ ، و يأمركم بالمسير إليه لتوازروه و تنصروه على قوم نكثوا بيعته و قتلوا أهل الصّلاح من أصحابه ، و مثلوا بعماله ، و اتتهبوا بيت ماله ، فاشخصوا إليه ، رحمكم الله ، فمروا بالمعروف و انهوا عن المنكر و احضروا بما يحضر به الصّالحون .

و نقل ابن قتيبة الدّينوري في الإمامة و السياسة خطبته عليه السلام بوجه آخر قال : (ص ٦٧ ج ١ طبع مصر ١٣٧٧ هـ .. ١٩٥٧ م) ثمّ قام الحسن بن علي عليهما السلام فقال : أيها الناس إنّه قد كان من مسير أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ما قد بلغكم ، و قد أتيناكم مستنفرين ، لأنّكم جبهة الأ نصار ، و رؤوس العرب ، و قد كان من نقض طلحة و الزبير بعد بيعتهما و خروجهما بعائشة ما بلغكم ، و تعلمون أنّ وهن النساء وضعف رأيهنّ إلى التلاشي ، و من أجل ذلك جعل الله الرّجال قوامين على النساء

وأيّم الله لو لم ينصره منكم أحد لرجوت أن يكون فيمن أقبل معه من المهاجرين والأَنْصار كفاية .

و نقل الخطبة في (جهل المفيد ص ١١٧ طبع نجف) أيضاً ونسخته قريبة من نسخة الامامة والسياسة .

وأقول : الظاهر أن تلك النسخ كلها كانت خطبة واحدة منه عليه السلام وهي كما قال تميم بن حذيم الناجي حفظ بعضها فريق ، وحفظ طائفة منها فريق آخر فنقلوا ما حفظوا ، أو اختار بعضهم بعضها اختصاراً وترك الآخر الآخر كذلك .

ولمّا فرغ الحسن بن علي عليه السلام من خطبته قام بعده عمّار فحمد الله و أشنى عليه و صلى على رسوله ثم قال :

يا أيّها الناس أخو نبيكم وابن عمّه يستنفركم لنصر دين الله ، وقد بلاكم الله بحقّ دينكم وحرمة أمّكم ، فحقّ دينكم أوجب ، وحرمة أعظم ، أيها الناس عليكم بامام لا يؤدّب ، وفقية لا يعلم ، وصاحب بأس لا ينكل ، وذو سابقة في الاسلام ليست لأحد ، وإنّكم لو قد حضرتموه بيّن لكم أمركم إن شاء الله .

أقول : لقد مضى وجه قول عمّار فيه عليه السلام عليكم بامام لا يؤدّب في شرح الخطبة ٢٣٦ ص ٢ ج ١٦ من تكملة المنهاج .

ثم إنّ المفيد قدّس سرّه نقل خطبة عمّار بن ياسر في الجمل (ص ١١٧ طبع النجف) تغاير الأولى ، ونقلها ابن قتيبة في الامامة والسياسة على وجه تغايرهما ، ولا بعد أن تكون خطبته أيضاً قطّعت وفرقت ، و ذكرت في كتاب طائفة منها وفي آخر أخرى منها .

ثمّ قام بعدهما قيس بن سعد فقال :

أيّها الناس إنّ هذا الأمر لو استقبلنا به الشورى لكان عليّ أحقّ الناس به لماكانه من رسول الله صلى الله عليه وآله وكان قتال من أبى ذلك حلالاً فكيف بالحجّة على طلحة والزبير وقد بايعاه طوعاً ثمّ خلعا حسداً و بغياً ، وقد جاءكم عليّ في المهاجرين والأَنْصار ، ثمّ أنشأ يقول :

رضينا بقسم الله إذ كان قسمنا
 وقلنا لهم أهلاً وسهلاً ومرحباً
 فما للزبير الناقض العهد حرمة
 أتاكم سليل المصطفى ووصيته
 فمن قائم يرجي بخيل إلى الوغى
 يسود من أدناه فغير مدلع
 فان يك ما نهوى فذاك نريده
 علياً و أبناء الرسول محمد
 نمدُّ يدينا من هدى و تودُّد
 ولا لأخيه طلحة فيه من يد
 و أنتم بحمد الله عارضه الندى
 وضمّ العوالي و الصفيح المهند
 و إن كان ما نفضيه غير مسود
 و إن تحط ما نهوى فغير تعمّد

تذكرة : قد ذكرنا في المجلد ١٦ من تكملة المنهاج من ص ١٩ إلى ص ٢٣ طائفة من أشعار الصحابة والتابعين في مدح أمير المؤمنين وتعريفه بأنه وصي رسول الله صلى الله عليه وآله ومنها بيتان من قيس بن سعد هذا وقد قدمنا هناك أن هذه الكلمة الصادرة من هؤلاء العظام مع قريبهم بزمان رسول الله صلى الله عليه وآله بل إدراك كثير منهم إياه مما يعتنى بها ويجهلها من يطلب الحق ويبحث عنه ، فراجع .

فلما فرغ القوم من كلامهم وسمع أبو موسى خطبتهم قام فصعد المنبر وقال : الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد فجمعنا .. إلى آخر ما نقلنا كلامه لأهل الكوفة وتبسيطه إياهم عن نصرته أمير المؤمنين علي عليه السلام في شرح الخطبة ٢٣٦ في ص ٦ من المجلد السادس عشر من تكملة المنهاج ، وكذا احتجاج عمار بن ياسر رحمة الله عليهما عليه من كلامه بالاحاجة إلى الإعادة - فراجع .

ثم قام زيد بن صوحان ، وبعده عبدالله بن عبد خير ، وبعده عبد خير ، ثم رجل آخر وخاصموا أبا موسى واحتجوا عليه ووبخوه بفعاله ولاموه بمقاله ونهوه عن تبسيطه للناس عن نصرته أمير المؤمنين علي عليه السلام ، نقل كلام كل واحد منهم المفيد رحمه الله في الجمل ، ثم قال : وبلغ أمير المؤمنين ما كان من أمر أبي موسى وتخذيذه الناس عن نصرته ، فقام إليه مالك الأشر «ره» فقال : يا أمير المؤمنين إنك قد بعثت إلى الكوفة رجلاً قيل من العنت الآن فلم أره حكماً شيئاً و هؤلاء اخلف من بعثت أن يستنيب لك الناس على ماتحب ، ولست أدري ما يكون ، فان رأيت جعلت فداك

أن تبعثني في إثرهم فإن أهل الكوفة أحسن لي طاعة ، و إن قدمت عليهم رجوت أن لا يخالفني أحد منهم .

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : الحق بهم على اسم الله ، فأقبل الأشر حتى دخل الكوفة وقد اجتمع الناس بالمسجد الأعظم ، فأخذ لا يمر بقبيلة فيها جماعة في مجلس أو مسجد إلا دعاهم وقال لهم : اتبعوني إلى القصر ، فانتهى إلى القصر في جماعة من الناس فاقتحم وأبو موسى قائم في المسجد الأعظم يخطب الناس ويشبطهم عن نصره علي عليه السلام والحسن عليه السلام وعمار وقيس يقولون له : اعتزل عملنا لا أم لك ، وتنح عن منبرنا .

فبيناهم في الكلام والمشاجرة إذ دخل غلمان أبي موسى ينادون يا أبا موسى هذا الأشر اخرج من في المسجد ، ودخل عليه أصحاب الأشر فقالوا له : اخرج من المسجد يا ويلك أخرج الله روحك إنك والله لمن المنافقين ، فخرج أبو موسى وأنفذ إلى الأشر أن أجلني هذه العشيّة ، قال : قد أجلتك وتبيت في القصر هذه الليلة واعتزل ناحية عنه ، ودخل الناس يستهبون متاع أبي موسى فأتبعهم الأشر بمن أخرجهم من القصر وقال لهم : إنني أجلته ، فكف الناس عنه .

قال أبو جعفر الطبري في التاريخ : وأتت الأخبار علياً عليه السلام باختلاف الناس بالكوفة ، فقال للأشر : أنت شفعت في أبي موسى أن أقره على الكوفة ، فاذهب فاصلح ما أفسدت ؛ فقام الأشر فشخص نحو الكوفة ، فأقبل حتى دخلها والناس في المسجد الأعظم ، فجعل لا يمر بقبيلة إلا دعاهم ، وقال : اتبعوني إلى القصر حتى وصل القصر فاقتحمه وأبو موسى يومئذ يخطب الناس على المنبر ويشبطهم وعمار يخاطبه والحسن عليه السلام يقول : اعتزل عملنا وتنح عن منبرنا لا أم لك .

ثم صعد الحسن بن علي عليه السلام ثانياً وبعده عمار بن ياسر (ره) وخطبا خطبة ثم صعد المنبر الأشر رضوان الله عليه وخطب خطبة ، ثم قام حجر بن عدي الكندي رحمه الله تعالى وخطب خطبة ، نقل خطبهم الشيخ الأجل المفيد (ره) في الجمل استنقر كل واحد منهم الناس إلى أمير المؤمنين عليه السلام والجهاد في سبيل الله ،

فأجابهم الناس بالسمع والطاعة .

قال المفيد في الجمل نقلاً عن الواقدي : وكان أمير المؤمنين عليه السلام كتب مع ابن عباس كتاباً إلى أبي موسى و غلظه فقال ابن عباس : قلت في نفسي أقدم على رجل وهو أمير بمثل هذا الكتاب أن لا ينظر في كتابي ونظرت أن أشقّ كتاب أمير المؤمنين عليه السلام ، و كتبت من عندي كتاباً عنه لأبي موسى : أمّا بعد فقد عرفت مودتك إيّانا أهل البيت و انقطاعك إلينا و إنّما نرغب إليك لما نعرف من حسن رأيك فينا ، فإذا أتاك كتابي فبايع لنا الناس والسلام . فدفعه إليه ، فلمّا قرأه أبو موسى قال لي : أنا الأمير بل و أنت قلت الأمير فدعا الناس إلى بيعة علي عليه السلام فلمّا بايع قمت وصعدت المنبر فرام ، انزالي منه فقلت : أنت تنزلني عن المنبر وأخذت بقائم سيفي فقلت : اثبت مكانك والله لأنزلت إليك هذبتك به ، فلم يبرح فبايعت الناس لعلي عليه السلام و خلعت أبا موسى في الحال و استعملت مكانه قرصة بن عبد الله الأنصاري ، و لم أبرح من الكوفة حتّى سیرت لعلي عليه السلام في البرّ و البحر من أهلها سبعة آلاف رجل ، ولجقته بذی قار قال : وقد سار معه من جبال طي وغيرها ألفا رجل .

(ظهور معجزة من أمير المؤمنين عليه السلام باخباره بالغيب)

قد تضافرت الأخبار و تناصرت الآثار من الفريقين أنّ أمير المؤمنين عليه السلام أخبر الناس في ذي قار بأنّ رجلاً من قبل الكوفة يأتيه لنعته و يبأيعونه على الموت ، و إنّما اختلفت تلك الروايات في العدد الذي أخبر عليه السلام به .

ففي الارشاد للمفيد قدس سره (ص ١٤٩ طبع طهران ١٣٧٧ هـ) : قال عليه السلام بذی قار و هو جالس لأخذ البيعة : يأتيكم من قبل الكوفة ألف رجل لا يزيدون رجلاً ولا ينقصون رجلاً يبأيعونني على الموت ؛ قال ابن عباس : فجزعت لذلك و خفت أن ينقص القوم عن العدد أو يزيدون عليه فيفسد الأمر علينا ولم أزل مهموماً دأبي إحصاء القوم حتّى ورد أوائلهم فجعلت أحصيهم فاستوفيت عددهم تسعمائة وتسعة

و تسعون رجلاً ، ثم انقطع مجيء القوم فقلت : إننا لله و إننا إليه راجعون ما ذا حملة على ما قال ، فبينما أنا مفكر في ذلك إذ رأيت شخصاً قد أقبل حتى إذا دنى وإذا هو رجل عليه قباء صوف معه سيفه وترسه وأدواته ، فقرب من أمير المؤمنين عليه السلام فقال له : امدد يدك أبايعك ، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : علي م تبايعني ؟ قال : علي السمع والطاعة والقتال بين يديك حتى أموت أو يفتح الله عليك ؛ فقال عليه السلام : ما اسمك ؟ قال : أويس ، قال : أنت أويس القرني ؟ قال : نعم ، قال : الله أكبر أخبرني حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله أنني أدرك رجلاً من أمتي يقال له : أويس القرني يكون من حزب الله ورسوله يموت علي الشهادة يدخل في شفاعته مثل ربعة و مضر قال ابن عباس : فسرني والله عنني .

وقال في الجمل : روى نصر بن عمرو بن سعد عن الأجلح ، عن زيد بن علي قال : لما أبطأ على علي عليه السلام خبر أهل البصرة ونحن في فلاة قال عبد الله بن عباس : فأخبرت علياً بذلك فقال لي : اسكت يا ابن عباس ، فوالله لتأتينا في هذين اليومين من الكوفة ستة آلاف وستمائة رجل وليغلبن أهل البصرة وليقتلن طلحة و الزبير فوالله إنني أستشرف الأخبار وأستقبلها حتى إذا أتى راكب فاستقبلته واستخبرته فأخبرني بالعدة التي سمعتها من علي عليه السلام لم تنقص رجلاً واحداً .

و قال أبو جعفر الطبري في التاريخ (ص ٥١٣ ج ٣ طبع مصر ١٣٥٧ هـ) : حدثني عمر قال : حدثنا أبو الحسن قال : حدثنا أبو مخنف ، عن جابر ، عن الشعبي عن أبي الطفيل قال : قال علي عليه السلام يأتيكم من الكوفة اثنا عشر ألف رجل و رجل فقعدت علي نجفة ذي قار فأحصيتهم ، فما زادوا رجلاً ولا نقصوا رجلاً .

ثم قال : حدثني عمر قال : حدثنا أبو الحسن ، عن بشير بن عاصم ، عن ابن أبي ليلي ، عن أبيه قال : خرج إلى علي عليه السلام اثنا عشر ألف رجل وهم أسباع علي قريش و كنانة و أسد الخ .

و روى أبو مخنف كما في شرح الفاضل الشارح المعتمزلي (ص ١٠٢ ج ١ طبع طهران ١٣٠٤ هـ الخطبة ٣٣) عن الكبي ، عن أبي صالح ، عن زيد بن علي بن عباس

قال : لما نزلنا مع علي عليه السلام ذا قار قلت : يا أمير المؤمنين ما أقل من يأتيك من أهل الكوفة فيما أظن ؟ فقال : و الله لياتيني منهم ستة آلاف وخمسة وستون رجلاً لا يزيدون ولا ينقصون ، قال ابن عباس : فدخلني والله من ذلك شك شديد في قوله وقلت في نفسي : والله إن قدموا لأعدتهم .

قال أبو مخنف : فحدث ابن إسحاق عن عمه عبد الرحمن بن يسار قال : نفر إلى علي عليه السلام إلى ذي قار من الكوفة في البحر والبر ستة آلاف وخمسمائة وستون رجلاً أقام علي عليه السلام بذئقار خمسة عشر يوماً حتى سمع صهيل الخيل وشحيج البغال حوله ، فلما سار بهم منقلة قال ابن عباس : والله لأعدتهم فإن كانوا كما قال وإلا أتممتهم من غيرهم فإن الناس قد كانوا سمعوا قوله ، فعرضتهم فوالله ما وجدتهم يزيدون رجلاً ولا ينقصون رجلاً ، فقلت : الله أكبر صدق الله ورسوله ، ثم سرنا .

وقال المسعودي في مروج الذهب : أتاه عليه السلام من أهل الكوفة نحو من سبعة آلاف وقيل ستة آلاف وخمسمائة وستون رجلاً ، وقال : قتل من أصحاب علي عليه السلام في وقعة الجمل خمسة آلاف

و الأخبار الواردة في العدة التي خرجوا مع علي عليه السلام من المدينة و في أنه عليه السلام سار من ذي قار قاصداً البصرة في اثني عشر ألف ، و في عدد القتلى من أصحابه عليه السلام وغيرها لا يناسب العدد الذي ذكره المفيد في الإرشاد ، ولم نر مع كثرة فحصنا في الآثار من يوافق في نقل ذلك المقدار .

(عدة خطب خطب بها أمير المؤمنين عليه السلام في ذي قار و تحقيق أنيق)

(في سند عدة خطب مذكورة في النهج و بيان أصلها و لم شعئها)

(١) قال المفيد في الإرشاد (ص ١١٩ طبع طهران ١٣٧٧ هـ) و لما نزل

بذئقار أخذ البيعة على من حضره ثم تكلم فأكثر من الحمد لله و الثناء عليه

و الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال :

قد جرت أمور صبرنا عليها وفي أعيننا القذى تسليماً لأمر الله تعالى فيما امتحننا به ، ورجاء الثواب على ذلك ، وكان الصبر عليها أمثل من أن يتفرق المسلمون و تسفك دماؤهم ، نحن أهل بيت النبوة و عترة الرسول و أحق الخلق بسطان الرسالة و معدن الكرامة التي ابتداء الله بها هذه الأمة ، وهذا طلحة والزبير ليسا من أهل النبوة و لا من ذرية الرسول حين رأيا أن الله قد رد علينا حقنا بعد أعصر ، فلم يصبرا حولاً واحداً ولا شهراً كاملاً ، حتى وثبا على دأب الماضين قبلهما ليذهبا بحقبي ويفرقا جماعة المسلمين عني ، ثم دعا عليهما .

(٢) قال أبو جعفر الطبري في التاريخ (ص ٥٠١ ج ٣ طبع مصر ١٣٥٧هـ):

كتب إلي السري عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو ، عن الشعبي قال : لما التقوا بذي قار تلقاهم علي في أناس فيهم ابن عباس فرحب بهم وقال :

يا أهل الكوفة أنتم ولئيم شوكة العجم وملوكهم وفضضتم جمعهم حتى صارت إليكم مواريتهم ، فأغنيتهم حوزتكم وأعنتم الناس على عدوهم ، وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة ، فان يرجعوا فذاك ما نريد ، وإن يلجوا داريناهم بالرقيق ، وبأيناهم حتى يبدأونا بظلم ، ولن ندع أمراً فيه صلاح إلا آثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله ، ولا قوة إلا بالله .

أقول : هذه الخطبة والتي قبلها ما ذكرتا في المهج و يمكن أن يكون جميعها خطبة واحدة فنفرقت باختلاف الروايات .

(٣) وقال الواقدي كما في جمل المفيد : لما صار أهل الكوفة إلى ذي قار

ولقوا علياً ﷺ بها رحبوا به وقالوا : الحمد لله الذي خصنا بمودتنا وأكرمنا بنصرتك ، فجزاهم خيراً ، ثم قام ﷺ وخطبهم فحمد الله وأثنى عليه و ذكر النبي ﷺ فصلّى عليه ثم قال :

يا أهل الكوفة إنكم من أكرم المسلمين وأعدلهم سنة ، وأفضلهم في الاسلام سهماً ، وأجودهم في العرب مراكباً و نصاباً ، حريكم بيوتات العرب و فرسانهم و مواليهم ، أنتم أشد العرب ودال للنبي ﷺ ، وإنما اخترتكم ثقة بعد الله لما

بذلتهم لي أنفوسكم عند نقض طلحة والزبير بيعتي وعهدي، وخلافهما طاعتي وإقبالهما بعائشة لمخالفتي ومبارزتي ، وإخراجهما لها من بيتها حتى أقدماها البصرة ، وقد بلغني أن أهل البصرة فرقتان : فرقة الخير والنضل والدين قد اعتزلوا وكرهوا ما فعل طلحة والزبير ، ثم سكبت عليه السلام فأجابه أهل الكوفة : نحن أنصارك وأعوانك على عدوك ولو دعوتنا إلى أضعافهم من الناس احتسبنا في ذلك الخير ورجوانه فردت عليهم خيراً .

أقول : هذه الخطبة ليست بذكورة في النهج وقد رواها المفيد قدس سره في الارشاد أيضاً (ص ١١٩ طبع طهران ١٣٧٧ هـ) وبين النسختين اختلاف في الجملة وكان ما في الارشاد أحكم وأقوم .

قال رحمه الله : وقد روى عبد الحميد بن عمران العجلي ، عن سلمة بن كهيل قال : لما التقى أهل الكوفة أمير المؤمنين عليه السلام بندي قاررحبوا به ثم قالوا : الحمد لله الذي خصنا بجوارك وأكرمنا بنصرتك ، فقام أمير المؤمنين عليه السلام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وقال :

يا أهل الكوفة إنكم من أكرم المسلمين ، وأقصدهم تقويماً ، وأعدلهم سنةً وأفضلهم سهماً في الاسلام ، وأجودهم في العرب مر كباً ونصاباً ، أنتم أشد العرب ودّاً للنبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته ، وإنما جئتمكم ثقة بعد الله بكم للذي بذلتهم من أنفوسكم عند نقض طلحة والزبير وخلفهما طاعتي ، وإقبالهما بعائشة للفتنة وإخراجهما إياها من بيتها حتى أقدماها البصرة فاستغوا طعامها وغوغاها ، مع أنه قد بلغني أن أهل الفضل منهم وخيارهم في الدين قد اعتزلوا وكرهوا ما صنع طلحة والزبير ثم سكبت عليه السلام ، فقال أهل الكوفة : نحن أنصارك وأعوانك على عدوك ، ولو دعوتنا إلى أضعافهم من الناس احتسبنا في ذلك الخير ورجوانه ، فدعا لهم أمير المؤمنين عليه السلام وأثنى عليهم ثم قال :

لقد علمتم معاشر المسلمين أن طلحة والزبير بايعاني طائعين غير مكرهين راغبين ثم استأذناني في العمرة فأذنت لهما فسارا إلى البصرة فقتلا المسلمين وفعلا

المنكر ، اللهم إنهما قطعاني وظلماني و نكثا بيعتي وألبأ الناس عليّ ، فاحلل ما عقدا ، و لا تحكم ما أبرما ، و أرهما المساءة فيما عملا .

(٤) قال المفيد ره في الجمل (ص ١٢٨ طبع النجف) نقلاً عن الواقدي أيضاً :

لمّا أراد ﷺ المسير من ذي قار تكلم فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال :
 إن الله عزّ وجلّ بعث محمداً ﷺ للناس كافةً ورحمة للعالمين. فصدع بما أمر به ، وبلغ رسالات ربّه ، فلمّا ألمّ به الصدع ، ورتق به الفتق ، و آمن به السبيل وحقن به الدماء ، و ألف بين ذوي الأحقاد والعداوة الواغرة في الصدور ، والضغائن الكامنة في القلوب فقبضه الله عزّ وجلّ إليه حميداً ، و قد أدت الرسالة ، و نصح للأمة ، فلمّا مضى ﷺ لسبيله دفعنا عن حقنا من دفعنا ، و ولوا من ولوا سوانا ثمّ وليها عثمان بن عفان فنال منكم و نلتم منه حتّى إذا كان من أمره ما كان أتيموني فقلتم : بايعنا ، فقلت لكم : لا أفعل ، فقلتم : بلى لا بدّ من ذلك ، فقبضتم يدي فبسطتموها ، و تدا ككتم عليّ تداك الإبل الهيم على حياضها يوم ورودها حتّى لقد خفت أنكم قاتلي أو بعضكم قاتل بعض ، فبايعتموني و أنا غير مسرور بذلك ولا جذل ، و قد علم الله سبحانه أنّي كنت كارهاً للحكومة بين أمة محمّد ، و لقد سمعته يقول : ما من وال يلي شيئاً من أمر أمتي إلاّ أتى الله يوم القيامة مغلوله يدها إلى عنقه على رؤوس الخلائق ، ثمّ ينشر كتابه : فان كان عادلاً نجاً ، و إن كان جائراً هوى .

ثمّ اجتمع عليّ ملامكم و بايعني طلحة والزبير و أنا أعرف الغدر في وجههما والنكث في عينيهما ثمّ استأذناني في العمرة فأعلمتهما أن ليس العمرة يريدان ، فسارا إلى مكة واستخفعا عائشة و خدعاها . و شخص معهما أبناء الطلقاء ، فقدموا بالبصرة هتكوا بها المسلمين و فعلوا المنكر ، و يا عجباً لاستقامتهما لأبي بكر و عمر و يغيبهما عليّ و هما يعلمان أنّي لست دون أحدهما ، ولو شئت أن أقول لقلت ، و لقد كان معاوية كتب إليهما من الشام كتاباً يخدعهما فيه ، فكتماه عني و خرجا يوهمان الطغام أنّهما يطلبان بدم عثمان ، والله ما أنكرا عليّ منكرأ ، ولا جعلنا بيني وبينهما نصفاً ، و أنّ دم

عثمان لمعصوب بهما و مطلوب فيهما ، يا خيبة الداعي إلى ما دعى ، وبما ذا احبب
والله إنهما لفي ضلالة صماء ، و جهالة عمياء ، و إن الشيطان قد دير لهما حزبه
واستجلب منهما خيله ورجله ، ليعيد الجوز إلى أوطانه ويرد الباطل إلى نصابه .
ثم رفع يديه وقال : اللهم إن طلحة والزبير قطعاني وظلماني ونكثا بيعتي
فاحلل ما عقدا ، وانكث ما أبرما ، ولا تغفر لهما أبداً ، و أرهما المساءة فيما
عملوا و أملا .

و قد نقل هذه الخطبة المفيد رحمه الله في الارشاد أيضاً ، والطبرسي رحمه الله
في الاحتجاج وبين النسخ اختلاف في الجملة وما في الارشاد أمتن و أتقن .
قال رحمه الله (١١٧ طبع طهران ١٣٧٧ هـ) : ومن كلامه عليه السلام عند نكث طلحة
والزبير بيعته و توجههما إلى مكة للاجتماع مع عائشة في التأليب عليه والتأليف
على خلافه ما حفظه العلماء عنه عليه السلام أنه بعد أن حمد الله وأثنى عليه قال :

أمّا بعد فإن الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله للناس كافة ، وجعله رحمة للعالمين ، فصدع
بما أمر به ، وبلغ رسالات ربه ، فلم يصدع ، ورتق به الفتق ، وآمن به السبيل
وحقق به الدماء ، وآلف به بين ذوي الأحن والعداوة والوغر في الصدور ، والضغائن
الراسخة في القلوب ، ثم قبضه الله إليه حميداً لم يقصر في الغاية التي إليها أدى
الرسالة ، ولا بلغ شيئاً كان في التقصير عنه القصد ، وكان من بعده ما كان من التنازع
في الامرة ، فتولّى أبو بكر و بعده عمر ، ثم تولّى عثمان ، فلما كان من أمره
ما عرفتموه أيتيموني فقلتم : بايعنا ، فقلت : لا أفعل ، فقلتم : بلي ، فقلت : لا
وقبضت يدي فبسطتموها ، ونازعتكم فجدبتموه ، وتدا ككنتم عليّ تذاك الأبله المهيم
على حياضها يوم ورودها حتى ظننت أنكم قاتلي ، وأن بعضكم قاتل بعضاً لديّ
فبسطت يدي فبايعتموني مختارين ، وبايعني في أول لكم طلحة والزبير طائعين غير
مكرهين ، ثم لم يلبثا أن استأذنا في العمرة ، والله يعلم أنهما أرادا الغدرة ، فجددت
عليهما العهد في الطاعة ، وأن لا يبغي الأمة الغوائل ، فعاهداني ثم لم يفيا لي . ونكثا

بيعتي ونقضا عهدي ، فعجباً لهما من انقيادهما لأبي بكر وعمر ، وخلافهما لي ، ولست بدون أحداً الرّجلين ، ولو شئت أن أقول لقلت اللهم احكم عليهما بما صنعنا في حقّي وصغرتا من أمرى وظفرتني بهما .

أقول : الخطبة ٢٢٧ من النهج كأنّها جزء هذه الخطبة حيث قال عليه السلام :
 وبسطم يدي فكففتها ، ومددتموها فقبضتها ، ثمّ تداككتم عليّ تداكّ الأبل الهيم
 على حياضها يوم ورودها . الخ . وانما تغايرها في قليل من العبارات . نعم الخطبة
 ٥٤ منه وهى قوله عليه السلام : فتداككوا عليّ تداكّ الأبل الهيم يوم ورودها قد أرسلها
 راعيها وخلعت مثنائها - الخ . يشبه أن تكون جزء خطبة أخرى وإن كانت تشابهها
 في بعض العبارات والجمل ، كما أنّ ذيل كلامه عليه السلام وهو الكلام ١٣٥ من باب
 الخطب أوّلّه : ما أنكروا عليّ منكرأ - الخ تشابه كثيراً من فقرات هذه الخطبة
 ولا يبعد أن تكونا جزئين من هذه الخطبة .

وليعلم أنا قد قدّمنا في شرح الخطبة ٢٢٩ وهى قوله عليه السلام : (فصدع بما
 أمر وبلغ رسالة ربه . فلم الله به الصدع ورتق به الفتق - الخ) أنها لجزء خطبة
 وحكمنا بذلك بالحدس والفراسة لما قلنا هنالك (ص ١٩ ج ١٥ تكملة المنهاج) أنا
 وإن فحصنا وتتبعنا في مظانّها لم نظفر بها وبحمد الله تعالى أصاب حدسنا حيث أصبناها
 في جمل المفيد وإرشاده واحتجاج الطبرسي ، ولا يخفى أنها لجزء من هذه الخطبة
 المنقولة عن الواقدي في جمل المفيد والارشاد وقد قال الرضي رحمه الله ثمّة : إنّ عليه السلام
 خطبها بندي قار وهو متوجه إلى البصرة ذكرها الواقدي في كتاب الجمل ولم
 يتعرّض أحد من الشراح لذلك مع أن من أهم ما يجب عليهم في شرح كلامه عليه السلام
 تحقيق أمثال هذه الأمور ، فتحصل مما ذكرنا أنّ الخطبة ٢٢٧ من النهج والخطبة ٢٢٩ منه
 جميعاً بعض هذه الخطبة خطب بها أمير المؤمنين عليه السلام في ذي قار ، وأنّ الخطبة ٥٤
 و١٣٥ أيضاً يمكن أن تكونا جزئين منها .

ثمّ اعلم أنّ ذيل الخطبة المذكورة نقله الطبرسي في التاريخ (ص ٤٩٥ ج ٣
 طبع مصر ١٣٥٧ هـ) عنه عليه السلام قاله لعثمان بن حنيف في الرّبذة ، وقد أتاه عثمان من

البصرة لما صنع الناكثون به ما صنعوا كما سنذكره بالاختصار .
 قال الطبري : حدثني عمر قال : حدثنا أبو الحسن عن أبي محمد عن عبد الله
 ابن عمير عن محمد بن الحنفية قال : قدم عثمان بن حنيف على علي عليه السلام بالرّبذة وقد
 نتفوا شعر رأسه ولحيته وحاجبيه فقال : يا أمير المؤمنين بعثني ذالحية وجئتك أمرد
 قال ، أصبت أجراً وخيراً إنّ الناس وليهم قبلي رجلان فعملا بالكتاب ، ثمّ وليهم
 ثالث فقالوا و فعلوا ، ثمّ بايعوني وبايعني طلحة والزبير ثمّ نكثا بيعتي وألبا الناس
 عليّ ، ومن العجب انقيادهما لأبي بكر وعمر وخلافهما عليّ ، والله إنهما ليعلمان أنّي
 لست بدون رجل ممن قدمضي ، اللهمّ فأحلل ما عقدا ، ولا تبرم ما قد أحكما في أنفسهما
 وأرهما المساءة فيما عملا .

(٥) الخطبة التي نقلناها في ذيل شرح الخطبة ٢٢٩ من النهج عن الكافي
 (ص ١٩ ج ١٥ ، تكملة المنهاج) وهي لم تذكر بتمامها في النهج كما قلنا ثمّ وهي
 الخطبة ١٤٥ من النهج أو لها : فبعث محمد عليه السلام بالحقّ ليخرج عباده من عبادة الأوثان
 إلى عبادته « الخ » وإن كان بين نسخة النهج وبين نسخة الكافي اختلاف في الجملة
 في بعض الكلمات والجمل ، ولكنهما خطبة واحدة بلا ارتياب كما يعلم بأدنى تأمل
 ونظرمتي قوبلت النسختان .

وكذا الخطبة ٢٣٧ من النهج يذكر عليه السلام فيها آل محمد عليهم السلام بقوله : هم
 عيش العلم وموت الجهل يخبركم حلمهم عن علمهم « الخ » هي ذيل الخطبة ١٤٥
 من النهج أعني ذيل تلك الخطبة المنقولة عن الكافي بلا كلام .
 فتحصل أنّ الخطبة ١٤٥ من النهج والخطبة ٢٣٧ منه واحدة والخطبة بتمامها
 وسندها هو الذي نقلناها عن الكافي ورواها غير الكليني بسند آخر أيضاً خطب بها عليه السلام في
 ذي قار كما قدّمنا .

ثمّ إنّ الرّضي رضوان الله عليه لم يتعرّض في كلالا الموضوعين من النهج لبیان
 الخطبة بأنّه عليه السلام أين خطبها أو لا ، وجعل الخطبة في موضع ثمّ ذيلها في موضع
 آخر ثانياً .

(٦) الخطبة ٣٣ التي ذكرها الرضي في النهج قال رحمه الله : ومن خطبة له عند خروجه لقتال أهل البصرة ، قال عبدالله بن عباس : دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام بذى قار وهو يخصف نعله « الخ » .

وهذه الخطبة نقلها المفيد رحمه الله في الارشاد (ص ١١٨ طبع طهران ١٣٧٧ هـ) وقال : إنه عليه السلام خطب القوم بها في الرّبذة لا في ذي قار كما في النهج ، على أن بين النسختين اختلاف في الجملة ، أما ما في النهج فلا حاجة الى تسويده ، وأما ما في الارشاد فقال :

ولما توجه أمير المؤمنين عليه السلام إلى البصرة نزل الرّبذة فلقيه بها آخر الحاج فاجتمعوا ليسمعوا من كلامه و هو في خبائه ، قال ابن عباس رضي الله عنه : فأتيته فوجدته بخصف نعلاً فقلت له : نحن إلى أن تصلح أمرنا أحوج منا إلى ما تصنع فلم يكلمني حتى فرغ من نعله ثم ضمها إلى صاحبها وقال لي : قوّمهما ، فقلت : ليس لهما قيمة ، قال : على ذاك قلت : كسر درهم قال : الله لهما أحب إليّ من أمركم هذا إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً ، قلت : إن الحاج قد اجتمعوا ليسمعوا من كلامك فتأذن لي ان أتكلّم فان كان حسناً كان منك وإن كان غير ذلك كان مني ؟ قال : لا أنا أتكلّم ثم وضع يده على صدري وكان شثن الكفين فألمني ، ثم قام فأخذت بثوبه وقلت : نشدتك الله والرّحم قال : لانشدني ثم خرج فاجتمعوا عليه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أما بعد ، فان الله تعالى بعث محمداً صلى الله عليه وآله وليس في العرب أحد يقرأ كتاباً ولا يدعي نبوة ، فساق الناس إلى منجاتهم ، أم والله ما زلت في ساقتها ما غيرت ولا بدلت ، ولا خنت حتى تولت بحدافيرها ، ما لي ولقريش ، أم والله لقد قاتلتهم كافرين ولا قاتلتهم مفتونين ، وأن مسيري هذا عن عهد إليّ فيه ، أم والله لأبقرن الباطل حتى يخرج الحق من خاصرته ، ما تنقم منا قريش إلا أن الله اختارنا عليهم فأدخلناهم في حيزنا وأنشد :

ذنب لعمرى شربك المحض خالصاً
وأكلك بالزبد المقشرة التمر

و نحنُ وهبناك العلاء ولم تكن
انتبهى ما في الإرشاد .

ثم إن الخطبة ١٠٢ من النهج لقريبة منها ، أو لها : فإن الله سبحانه بعث
محمداً عليه السلام وليس أحد من العرب يقرء كتاباً اه ، وقال الرضي رضي الله عنه : وقد
تقدم مختارها بخلاف هذه الرواية .

أقول : وأراد ما تقدم مختارها هو الخطبة ٣٣ التي نقلناها عنه و عن المفيد
فتحصل أن الخطبة ٣٣ والخطبة ١٠٢ من النهج واحدة وإنما الاختلاف في الرواية
وهي التي أتى بها المفيد في الارشاد ، والحمد لله على إنعامه وإفضاله .

وبالجملة لما فرغ عليه السلام من الخطبة قام الأشر رضي الله عنه فقال : خفض
عليك يا أمير المؤمنين ، فوالله ما أمر طلحة والزبير علينا بمحيل ، لقد دخلا في
هذا الأمر اختياراً ثم فارقانا على غير جور عملناه ، ولا حدث في الإسلام أحدثناه
ثم أقبلا يشيران القتنة علينا تائبين جائرين ليس معهما حجة ترى ، ولا أثر يعرف
لقد لبسا العار ، وتوجها نحو الديار ، فان زعما أن عثمان قتل مظلوماً فليستقد
آل عثمان منهما ، فأشهد أنهما قتلاه ، وأشهد الله يا أمير المؤمنين لئن لم يدخلا فيما
خرجا منه ولم يرجعا إلى طاعتك وما كانا عليه لنتحققهما با بن عفان .
وقام أبو الهيثم بن التيهان وكذا عدي بن حاتم وقالوا قريباً مما قال الأشر ،
نقل قونهما المفيد في الجمل .

وقام أبو زينب الأزدى فقال : والله إن كنا على الحق أنك لأهدانا سبيلاً
وأعظمتنا في الخير نصيباً ، وإن كنا على الضلالة - العياذ بالله أن نكون عليه - لأنك
أعظمتنا وزراً وأثقلنا ظهراً ، وقد أردنا المسير إلى هؤلاء القوم ، وقطعنا منهم الولاية
وأظهرنا منهم البراءة ، وظاهرناهم بالعداوة ، ونريد بذلك ما يعلمه الله عز وجل ،
وأنا نَشُدُّكَ اللهُ الَّذِي عَلَّمَكَ مَا لَمْ نَكُنْ نَعْلَمُ ، أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوْنَا عَلَى الضَّلَالِ ؟
فقال عليه السلام : أشهد لئن خرجت لدينك ناصراً صحيح النية قد قطعت منهم الولاية ،
وأظهرت منهم البراءة كما قلت إنك لفي رضوان الله ، فابشر يا أبا زينب فانك والله

على الحقّ فلا تشك ، فانك إنما تقاتل الأحزاب فأنشأ أبو زينب يقول :
 سيروا إلى الأحزاب أعداء النبيّ
 فإنّ خير الناس أتباع عليّ
 هذا أوان طاب سلّ المشرفيّ
 وقودنا الخيل وهزّ السمهر
 وفي جمل المفيد : لما استقرّ أمر أهل الكوفة على النهوض لأمر المؤمنين عليه السلام
 وخفّ بعضهم لذلك ، بادر ابن عباس ومن معه من الرسل فيمن اتبعهم من أهل
 الكوفة إلى ذي قار للاتحاق بأمر المؤمنين عليه السلام وإخباره بما عليه القوم من الجدلّ
 والاجتهاد في طاعته ، وأنهم لاحقون به غير متأخّرين عنه ، وإنما تقدّمهم ليستعدّ
 للسفر والحرب ، وقد كان استخلف فرضة بن كعب الأنصاري على الكوفة ، ويحثّ
 الناس على اللّحاق به .

فورد على أمير المؤمنين عليه السلام كتاباً قد كتب إليه من البصرة ما صنعه القوم
 بعامله عثمان بن حنيف رحمه الله وما استحلّوه من الدماء ونهب الأموال وقتل من
 قتلوه من شيعة وأنصاره وما أثاروه من الفتنة فيها فوجده ابن عباس وقد أحزنه
 ذلك وغمّه وأزعجه وأقلقه ، فأخبروه بطاعة أهل الكوفة ، ووعدهمهم بالنصرة ، فسرّ
 عند ذلك وأقام ينتظر أهل الكوفة والمدد الذي ينتصر بهم على عدوّه .

« دخول الناكثين البصرة والحرب بينهم وبين عثمان بن حنيف »

« عامل أمير المؤمنين عليه السلام »

قال الدينوريّ في الإمامة والسياسة : لما نزل طلحة والزبير وعائشه البصرة
 اصطفّ لها الناس في الطريق .. إلى أن قال : أتاهم رجل من أشراف البصرة بكتاب
 كان كتبه طلحة في التأييد على قتل عثمان ، فقال لطلحة : هل تعرف هذا الكتاب ؟
 قال : نعم . قال : فما ردك على ما كنت عليه ؟ و كنت أمس تكتب إلينا تؤلّبنا على
 قتل عثمان وأنت اليوم تدعوننا إلى الطلب بدمه ، وقد زعمتما أن علياً دعا كما إلى
 أن تكون البيعة لكما قبله إذ كنتما أسنّ منه ، فأبيتما إلا أن تقدّماه لقربته
 وسابقته ، فبايعتماه فكيف تنكثان بيعتكما بعد الذي عرض عليكمما ؟ .

قال طلحة : دعانا إلى البيعة بعد أن اغتصبها وبايعه الناس ، فعلمنا حين عرض

علينا أنه غير فاعل ، ولو فعل أبا ذلك المهاجرون والأَنْصار ، وخفنا أن نردَّ بيعته فنقتل ، فبايعناه كارهين .

قال : فما بدا لكما في عثمان ؟ قال : ذكرنا ما كان من طعننا عليه وخذلاننا إياه فلم نجد من ذلك مخرجاً إلاَّ الطلب بدمه . قال : ما تأمر انني به ؟ قال : بايعنا على قتال عليٍّ ونقض بيعته . قال : أرايتما إن أتانا بعدكما من يدعونا إلى ما تدعوان إليه ما نضع ؟ قالا : لا تبايعه ، قال : ما أنصفتما ، أتأمرانني أن أقاتل علياً ونقض بيعته وهي في أعناقكما وتنهيانني عن بيعة من لا بيعة له عليكما ؟ أما إننا قد بايعنا علياً فان شئتما بايعنا كما بيسار أيدينا .

ونذكر ما صنع القوم بعثمان بن حنيف وغيره من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام عن تاريخ أبي جعفر الطبري وجمل المفيد ومروج الذهب للمسعودي وغيرها من كتب نقلة السير والآثار على الاختصار بما اتفق عليه حاملو الأخبار . قال المفيد في الجمل : روى الواقدي و أبو مخنف عن أصحابهما والمدائني وابن دأب عن مشايخهما بالأسانيد التي اختصرنا القول باسقاطها ، واعتمدنا فيها على ثبوتها في مصنفات القوم وكتبهم فقالوا : إن عائشة وطلحة والزبير لما ساروا من مكة إلى البصرة أعدوا السير مع من اتبعهم من بني أمية وعمال عثمان وغيرهم من قريش ، حتى صاروا إلى البصرة ، فنزلوا حفر أبي موسى .

فبلغ عثمان بن حنيف وهو عامل البصرة يومئذ و خليفة أمير المؤمنين عليه السلام وكان عنده حكيم بن جبلة ، فقال له حكيم : ما الذي بلغك ؟ فقال : خبرت أن القوم قد نزلوا حفر أبي موسى ، فقال له حكيم : ائذن لي أن أسير إليهم فاني رجل في طاعة أمير المؤمنين عليه السلام فقال له عثمان : توقف عن ذلك حتى أرسلهم .

فأرسل إلى عمران بن حصين و أبي الأسود الدؤلي فذكر لهما قدوم القوم وسألهما المسير إليهم وخطابهم على ما قصدوا به وكفهم عن الفتنة فخرجوا حتى دخلا على عائشة فقالا لها : يا أم المؤمنين ما حملك على المسير ؟ فقالت : غضبت لكما من سوط عثمان وعصاه ولا أغضب أن يقتل ، فقالا لها : وما أنت من سوط عثمان

وعصاه إنما أنت حبيس رسول الله ﷺ ، وإنا نذكرك الله أن يهراق الدماء في سبيلك ، فقالت : وهل من أحد يقا تلني ؟ فقال لها أبو الأسود الدؤلي : نعم والله قتالاً أهونه شديد .

ثم خرجا من عندها فدخلا على الزبير وبعده على طلحة وجعلا يعددان لهما مناقب أمير المؤمنين ﷺ وفضائله ، فقالا لهما : نشدكما الله أن يهراق الدماء في سبيلكما ، فأبيا النصح والاعراض عن الفتنة فأيسا منهما فخرجا من عندهما حتى صارا إلى عثمان بن حنيف فأخبراه الخبر فأذن عثمان للناس بالحرب .

ولما بلغ عائشة رأي ابن حنيف في القتال ركبت الجمل وأحاطتها القوم وسارت حتى وقفت بالمربد واجتمع إليها الناس حتى امتلأ المربد بهم ، فتكلمت وكانت جهورية يعلو صوتها كثرة كأنه صوت امرأة جلييلة فحمدت الله عز وجل وأثنت عليه وقالت :

أما بعد فإن عثمان بن عفان قد كان غير وبدل فلم يزل يغسله بالتوبة حتى صار كالذهب المصفى ، فعدوا عليه وقتلوه في داره و قتل ناس معه في داره ظلماً وعدواناً ، ثم آثروا علياً فبايعوه من غير ملاء من الناس ولاشورى ولااختيار فابتزوا الله أمرهم وكان المبايعون له يقولون : خذها إليك واحذرنا أباحسن إننا غضبنا لكم على عثمان من السوط فكيف لانغضب لعثمان من السيف إن الأمر لا يصح حتى يرد الأمر إلى ما صنع عمر من الشورى فلا يدخل فيه أحد سفك دم عثمان .

فقال بعض الناس : صدقت ، وقال بعضهم : كذبت ، واضطربوا بالفعال وتركتهم وسارت حتى أتت الدباغين ، وقد تحيز الناس بعضهم مع طلحة والزبير وعائشة ، وبعضهم متمسك ببيعة أمير المؤمنين ﷺ والرضا به

فسارت من موضعها ومن معها واتبعها على رأيها ومعها طلحة والزبير ومروان ابن الحكم وعبدالله بن الزبير حتى أتوا دار الامارة ، فسألوا عثمان بن حنيف الخروج عنها ، فأبى عليهم ذلك ، واجتمع إليه أنصاره وزمرة من أهل البصرة فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى زالت الشمس ، وأصيب يومئذ من عبدالقيس خاصة خمسمائة شيخ

مخضوب من أصحاب عثمان بن حنيف و شعبة أمير المؤمنين عليه السلام سوى من أصيب من سائر الناس ، وبلغ الحرب بينهم التراحف إلى مقبرة بنى مازن ثم خرجوا على مسناة البصرة حتى انتهوا إلى الرابوقة و هي سلعة دار الرزق ، فاقتتلوا قتالا شديداً كثرفيه القتلى والجرحى من الفريقين .

ثم إنهم تداعوا إلى الصلح ودخل بينهم الناس لما رأوا من عظيم ما ابتلوا به فتصالحوا على أن لعثمان بن حنيف دار الامارة والمسجد وبيت المال ، و طلحة و الزبير وعائشة ما شاؤا من البصرة ولا يحاجوا حتى يقدم أمير المؤمنين عليه السلام فان أحبوا فعند ذلك الدخول في طاعته ، وإن أحبوا أن يقاتلوا ، وكتبوا بذلك كتاباً بينهم وأوثقوا فيه العهود وأكثروها وأشهدوا الناس على ذلك و وضع السلاح وأمن عثمان بن حنيف على نفسه وتفرقت الناس عنه ، ونقل الكتاب في تاريخ الطبري بتمامه ثم طلب طلحة والزبير أصحابهما في ليلة مظلمة باردة ذات رياح وندى حتى أتوا دار الامارة وعثمان بن حنيف غافل عنهم ، وعلى باب الدار السباجة يحرسون بيوت الأموال ، وكانوا قوماً من الزط من أربع جوانبهم ووضعوا فيهم السيف فقتلوا أربعين رجلاً منهم صبراً ، يتولّى منهم ذلك الزبير خاصه .

ثم هجموا على عثمان فأوثقوه رباطاً وعمدوا إلى لحيته وكان شيخاً كثر اللحية فمتفوها حتى لم يبق منها شيء ولا شعرة واحدة وقال طلحة : عذبوا الفاسق واتفوا شعر حاجبيه وأشفار عينيه وأوثقوه بالحديد .

وفي الإمامة والسياسة للدينوري : أن طلحة والزبير ومروان بن الحكم أتوه نصف الليل في جماعة معهم في ليلة مظلمة سوداء مطيرة ، وعثمان نائم ، فقتلوا أربعين رجلاً من الحرس ، فخرج عثمان فشد عليه مروان فأسره و قتل أصحابه فأخذه مروان فتنف لحيته ورأسه وحاجبيه ، فنظر عثمان بن حنيف إلى مروان فقال : إن فتني بها في الدنيا لم تفتني بها في الآخرة .

« تنازع طلحة والزبير لإمامتهما الناس في الصلاة »

فلما أصبحوا اجتمع الناس اليهم وأذن مؤذن المسجد لصلاة الغداة ، فرام

طلحة أن يتقدم للصلاة بهم ، فدفعه الزبير وأراد أن يصلي بهم ، فمنعه طلحة ، فما زالا يتدافعان حتى كادت الشمس أن تطلع ، فنادى أهل البصرة : الله الله يا أصحاب رسول الله عليه السلام في الصلاة نخاف فوتها ، ثم اتفقوا على أن يصلي بالناس عبد الله ابن الزبير يوماً ومحمد بن طلحة يوماً .

ثم بلغ حكيم بن جبلة العبدي رحمه الله ما صنع القوم بعثمان بن حنيف وشيعة أمير المؤمنين عليه السلام ، فنادى في قومه يا قوم انفروا إلى هؤلاء الضالين الظالمين الذين سفكوا الدّم الحرام ، وفعلوا بالعبد الصالح واستحلوا ما حرم الله عز وجل ، فأجابه سبعمائة رجل من عبد قيس ، وأقبل عليهم طلحة و الزبير و من معهما واقتتلوا قتالا شديداً حتى كثرت بينهم الجرحى والقتلى .

ثم إن القوم غلبوا على بيت المال فما نعيم الخزان والموكّلون به ، فقتل القوم سبعين رجلاً منهم ، وضربوا رقاب خمسين من السبعين صبراً من بعد الأسر وممن قتلوه حكيم بن جبلة العبدي رحمه الله وكان من سادات عبد القيس وزهاد ربيعة ونسّاكها ومن شيعة أمير المؤمنين عليه السلام .

وقال المسعودي في مروج الذهب : وهؤلاء أوّل من قتلوا ظلماً في الاسلام .

« تعجب أبي الاسود الدؤلي من طلحة والزبير لما دخلا بيت مال البصرة »

« ومن أمير المؤمنين عليه السلام لما دخله »

لما دخل طلحة والزبير بيت المال تأملا إلى ما فيه من الذهب و الفضة قالا : هذه الغنائم التي وعدنا الله بها وأخبرنا أنه يجعلها لنا ، قال أبو الاسود الدؤلي : وقد سمعت هذا منهما ورأيت علياً عليه السلام بعد ذلك و قد دخل بيت مال البصرة فلما رأى ما فيه قال : صفراء بيضاء غربي غيري المال يعسوب الظلمة ، وأنا يعسوب المؤمنين ، فلا والله ما التفت إلى ما فيه ولا أفكر فيما رآه منه ، وما وجدته عنده إلا كالتراب هوأنا فتعجبت من القوم ومنه عليه السلام .

أقول : سيأتي كلامه عليه السلام في باب المختار من حكمه : أنا يعسوب المؤمنين

والمال يعسوب الفجار (الحكمة ٣١٦) .

ثمّ الظاهر من مراد المسعودي بقوله : و هؤلاء أوّل من قتلوا ظلماً فى الاسلام أنّهم أوّل من قتلهم المسلمون ظلماً ، وإلاّ فقد قدّ منافي تكملة المنهاج (ص ٢٧٥ ، ج ١ ، ١٥ من المنهاج) أن يأسراً بأعمار رحمة الله وسميّة أمّه هما أوّل قتيلين فى الاسلام قتلها الكفار .

ثمّ لمّا أخذ القوم عثمان بن حنيف قال طلحة و الزبير لعائشة : ما تأمرين فى عثمان ؟ فقالت : اقتلوه قتله الله ، وكانت عندها امرأة من أهل البصرة فقالت لها : يا أمّاه أين يذهب بك ؟ أتأمرين بقتل عثمان بن حنيف و أخوه سهل خليفة على المدينة وله مكانة من الأوس و الخزرج ما قد علمت ، والله لئن فعلت ذلك لىكونن له صولة بالمدينة يقتل فيها ذراري قريش ، فأب إلى عائشة رأيها و قالت : لا تقتلوه ولكن احبسوه وضيّقوا عليه حتى أرى رأيي .

فحبس أيّاماً ثمّ بدالهم فى حبسه و خافوا من أخيه أن يحبس مشائخهم بالمدينة و يوقع بهم ، فتركوا حبسه فخرج حتى جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو بذى قار فلما نظر إليه أمير المؤمنين عليه السلام وقد نكل به القوم بكى . و قال : يا عثمان بعثتك شيخاً ملتحياً فرددت أمرد إلى ، اللهم إنّك تعلم أنّهم اجترأوا عليك و استحلّوا حرّ ماتك ، اللهمّ اقتلهم بمن قتلوا من شعيتي و عجلّ لهم النقمة بما صنعوا بخليفتي .

أقول : هذا ما نقلنا على ما ذكره المفيد فى الجمل عن الواقدي و أبي مخنف و المدائني و غيرهما ، وأمّا على ما قاله أبو جعفر الطبري فى التاريخ كما قدّمناه آنفاً باسناده عن محمد ابن الحنفية أن عثمان بن حنيف قدم على علي عليه السلام بالرّبذة و قد تنفّوا شعر رأسه و لحيته و حاجبيه ، فقال : يا أمير المؤمنين بعثتني ذالحية و جنك أمرد ، قال عليه السلام : أصبت أجراً و خيراً - الخ .

ثمّ إنّ قوله عليه السلام : اللهمّ إنّك تعلم أنّهم اجترأوا . ليس بمذكور فى النهج و لمّا بلغ أمير المؤمنين عليه السلام قبيح ما ارتكب القوم من قتل من قتلوا من المسلمين صبراً و ما صنعوا بصاحب رسول الله عليه السلام عثمان بن حنيف و تعبّتهم

للقتال ، عبى عليه السلام الناس للقتال وسار من ذي قار وقد صصعة بن صوحان بكتاب إلى طلحة والزبير وعائشة يعظم عليهم حرمة الإسلام ويخوفهم فيما صنعوه وقبيح ما ارتكبوه .

قال صصعة رحمه الله: فقدت عليهم فبدأت بطلحة و أعطيته الكتاب و أدت الرسالة فقال : الآن حين غضب ابن أبي طالب الحرب ترفق لنا ، ثم جئت إلى الزبير فوجدته ألين من طلحة ، ثم جئت إلى عائشة فوجدتها أسرع الناس إلى الشر ، فقالت : نعم ، قد خرجت للطلب بدم عثمان والله لا فعلن وأفعلن .

فعدت إلى أمير المؤمنين عليه السلام فلقيته قبل أن يدخل البصرة فقال عليه السلام : ما وراءك يا صصعة ؟ قلت : يا أمير المؤمنين رأيت قوماً ما يريدون إلا قتالك ، فقال عليه السلام : الله المستعان .

« كتاب أمير المؤمنين (ع) إلى طلحة والزبير وعائشة »

أقول : ما نقلناه هنا ذكره المفيد في الجمل ولم ينقل الكتاب الذي كتبه إلى طلحة والزبير وعائشة وأداه صصعة اليهم والظاهر أن هذا الكتاب هو الذي نقله الدينوري في الإمامة والسياسة (ص ٧٠ ج ١ طبع مصر ١٣٧٧ هـ) فإن الدينوري وإن لم يتعرض بأن الكتاب الذي كتبه اليهم كان صصعة حامله ، ولكن يلوح للمتتبع في الأخبار أن الكتاب هو ما في الإمامة والسياسة ، قال الدينوري :

لما بلغ علياً عليه السلام تعبئة القوم عبى الناس للقتال ثم كتب إلى طلحة والزبير أما بعد فقد علمتما أنني لم أرد الناس حتى أردوني ، ولم أبايعهم حتى بايعوني وإنكما لمتمن أرداد و بايع ، وإن العامة لم تبايعني لسultan خاص ، فإن كنتما بايعتماني كارهين فقد جعلتما لي عليكما السبيل باظهاركما الطاعة وإسراركما المعصية ، وإن كنتما بايعتماني طائعين فارجعا إلى الله من قريب ، إنك يا زبير لفارس رسول الله عليه السلام و حواريه ، و إنك يا طلحة لشيخ المهاجرين وإن دفاعكما هذا الأمر قبل أن تدخلوا فيه كان أوسع عليكما من خروجكما منه [بعد] إقراركما به وقد زعمتما أنني قتلت عثمان فبيني وبينكما فيه بعض من تخلف عني و عنكما من

أهل المدينة ، وزعمتما أنني آويت قتلة عثمان فهؤلاء بنو عثمان فليدخلوا في طاعتي
ثم يخاصموا إلي قتلة أبيهم ، وما أنتما وعثمان إن كان قتل ظالماً أو مظلوماً وقد
بايعتmani وأنتما بين خصلتين قبيحتين: نكث بيعتكما ، وإخراجكما أمكما .
وكتب إلى عائشة :

أما بعد فإنك خرجت غاضبة لله ولرسوله تطلين أمراً كان عنك موضوعاً ، ما
بال النساء والحرب والاصلاح بين الناس ، تطلين بدم عثمان ولعمري لمن عرضك
للبلاء وحملك على المعصية أعظم إليك ذنباً من قتلة عثمان ، وما غضبت حتى أغضبت
وما هجعت حتى هيجت ، فاتقي الله وارجعي إلى بيتك .

فأجابه طلحة والزبير : إنك سرت مسيراً له ما بعده ولست راجعاً وفي نفسك
منه حاجة ، فامض لأمرك ، أما أنت فلست راضياً دون دخولنا في طاعتك ، ولسنا
بداخلين فيها أبداً ، فاقض ما أنت قاض .

وكتبت عائشة: جل الأمر عن العتاب، والسلام .

أقول : هذان الكتابان منه عليه السلام إلى طلحة والزبير ، وعائشة غيرمذكورين

في النهج .

ثم دعا عليه السلام عبدالله بن عباس فقال له : انطلق إليهم فناشدهم وذكّرهم العهد
الذي لي في رقابهم ، فجاءهم ابن عباس فبدأ بطلحة فوقع بينهما كلام كثير فأبى طلحة
الإثارة الفتنة ، قال ابن عباس : فخرجت إلى علي عليه السلام وقد دخل البيوت بالبصرة ، فقال :
ما وراءك ؟ فأخبرته الخبر فقال عليه السلام : اللهم افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت
خير الفاتحين .

أقول : كذا نقله المفيد في الجمل والظاهر أنه عليه السلام بعث ابن عباس إلى الزبير

وأمره أن لايلقى طلحة وذلك لما مرّ في باب الخطب (الكلام ٣١ منه) قوله عليه السلام
لابن عباس لما أنفذه إلى الزبير يستفيئه إلى طاعته قبل حرب الجمل : لا تلقين
طلحة فانك إن تلقه تجده كالثور عاقصاً قرنه يركب الصعب ويقول هو الذلول ،
ولكن ألق الزبير فانه ألين عريكة فقل له يقول لك ابن خالك : عرفني بالحجاز

وأنكرتني بالعراق فماعدنا ممّا بدا .

ولما نقله المفيد في الجمل أيضاً ويوافق ما في النهج من أن ابن عباس قال :
وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام أوصاني أن ألقى الزبير (ص ١٥٣ طبع النجف) كما
سند كره ؛ فعلى هذا مع فرض صحة الأولى وعدم سهو الراوي باتيان طلحة مكان
الزبير يمكن أن يقال : إنه عليه السلام بعثه إليهم غير مرّة .

قال ابن عباس : قد كان أمير المؤمنين عليه السلام أوصاني أن ألقى الزبير وإن
قدرت أن أكلّمه وابنه ليس بحاضر ، فجئت مرّة أو مرّتين كل ذلك أجده عنده
ثم جئت مرّة أخرى فلم أجده عنده فدخلت عليه وأمر الزبير مولاه شرحساً أن
يجلس على الباب ويحبس عنا الناس ، فجعلت أكلّمه فقال : عصيتم أن خولقتم
والله لتعلمن عاقبة ابن عمك ، فعلمت أن الرجل مغضب ، فجعلت أألّينه فيلين
مرّة و يشتدّ أخرى ، فلما سمع شرحساً ذلك أنفذ إلى عبدالله بن الزبير وكان
عند طلحة فدعاه ، فأقبل سريعاً حتّى دخل علينا ، ثم جرى بينه وبين ابن الزبير
كلام كثير فأبى ابن الزبير إلا القتال والجدال .

أقول : إن عبدالله بن الزبير كان أشدّ عداوة من أبيه بأمير المؤمنين عليه السلام
وقال عليه السلام : ما زال الزبير رجلاً منا أهل البيت حتّى نشأ ابنه المشوم عبدالله
نقله الشارح المعتزلي في شرحه على النهج (ص ٤٧٤ ج ٢ طبع طهران ١٣٠٢ هـ)
وذكر هذا الكلام ابن عبدالبرّ في الاستيعاب عن أمير المؤمنين عليه السلام في عبدالله بن
الزبير إلا أنّه لم يذكر لفظة المشوم .

و بالجمله أنه عليه السلام أكثر إليهم الرسل فعادوا منهم إليه عليه السلام باصرارهم
على خلافه واستحلال دمه ودم شيعته ، فلما رأى عليه السلام أنّهم لا يتعظون بوعظ ولا
ينتهون عن الفساد وعبّوا للقتال كتب الكتاب ورتب العساكر فنفر من ذي قار
متوجّهاً الى البصرة .

« من كلامه (ع) لما نفر من ذي قار متوجّهاً الى البصرة »

في الارشاد للمفيد قدّس سرّه : ومن كلامه عليه السلام وقد نفر من ذي قار متوجّهاً

الى البصرة بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسول الله عليه السلام .
 أمّا بعد فإنّ الله تعالى فرض الجهاد وعظّمه وجعله نصرة له ، والله ما صلحت
 دنيا قط ولا دين إلاّ به ، وإنّ الشيطان قد جمع حزبه واستجلب خيله وشبهه في
 ذلك وخدع ، وقد بانّت الأمور وتمحصّت ، والله ما أنكروا عليّ منكرأ ولا جعلوا
 بيني وبينهم نصفا ، وأنّهم ليطلبون حقاً تر كوه ، ودماً سفكوه ، ولئن كنت شرّ كنتهم
 فيه إنّ لهم لنصيبهم منه ، وان كانوا ولّوه دوني فما تبعته إلاّ قبلهم ، وإنّ أعظم حجّتهم
 لعلّي أنفسم ، وإنّي لعلّي بصيرتي ما لبست عليّ ، وإنّها للفئة الباغية فيها اللحم «الحمخ»
 واللحمة «الحمةخ» قد طالت جلبتها ، وأمكنت درتها ، يرضعون ما فطمت ، ويحيون
 بيعة تر كت ، ليعود الضلال إلى نصابه ، ما أعتذر مما فعلت ، ولا أتبرأ مما صنعت ،
 فيا خيبة للدّاعي ومن دعى لوقيل له إلى من دعوتك ، وإلى من أحببت ومن إمامك
 وما سنّته إذا لزاح الباطل عن مقامه ، ولصمت لسانه فيما نطق ، وأيم الله لأفرطن
 لهم حوضاً أنا ماتحه ، لا يصدرون عنه ، ولا يلقون بعده ريباً أبداً ، وإنّي لراض
 بحجّة الله عليهم ، وعذره فيهم ، إذ أنا داعيهم فمعدّر إليهم ، فان تابوا وأقبلوا
 فلتوبة مبدولة ، والحق مقبول ، وليس على الله كفران ، وإن أبوا أعطيتهم حدّ السيف
 وكفى به شافياً من باطل ، وناصرأ لمؤمن .

أقول : كلامه هذا مذكور في النهج أيضاً إلاّ أنّه قطّعت في ثلاثة مواضع
 منه ، وذكر في كل موضع قطعة منه بل كرّر بعض جملة فيها .

الموضع الأوّل هو الخطبة العاشرة منه قال الرضي : ومن خطبة له عليه السلام :

ألا وإنّ الشيطان قد جمع حزبه واستجلب خيله اه .

الموضع الثاني هو الخطبة الثانية والعشرون منه قوله : ومن خطبة له عليه السلام :

ألا وإنّ الشيطان قد ذمّ حزبه واستجلب حبله ليعود الجور إلى أوطانه ، ويرجع
 الباطل إلى نصابه اه .

الموضع الثالث هو الخطبة الخامسة والثلاثون والمائة منه قوله : ومن كلامه عليه السلام

في معني طلحة والزبير : والله ما أنكروا عليّ منكرأ ولا جعلوا بيني وبينهم نصفا .

إلى قوله عليه السلام : وأيم الله لأفرطنّ لهم حوضاً أنا ماتحه لا يصدرون عنه بريّ ، ولا يعبون بعده في حسي . وأمّا بعده إلى آخرها وقد مرّ بيانه قبيل هذا .

واعلم أنّ ثقة الاسلام الكليني قدّس سرّه روى في الكافي خطبة منه عليه السلام خطبها يوم الجمل ، ونقلها الفيض قدّس سرّه في الوافي (ص ٢٧ ج ٩ من كتاب الجهاد) تشترك فيها الخطبة الثانية والعشرون المذكورة والخطبة الواحدة والعشرون والمائة .

أوّلها : وأيّ امرئ منكم أحسنّ من نفسه رباطة جاش - الخ . فالظاهر أيضاً أنّها خطبة واحدة تشتمت في الجوامع فما وجدها الرضيّ فيها أتى بها في النهج فدونها ما في الكافي على ما في الوافي :

عليّ عن أبيه ، عن السرّاد رفعه أنّ أمير المؤمنين عليه السلام خطب يوم الجمل فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيّها الناس إنّي أتيت هؤلاء القوم ودعوتهم واحتججت عليهم فدعوني إلى أن أصبر للجلاد ، وأبرز للطعان ، فلاّمهم الهبل قد كنت وما أهدّد بالحرب ، ولا أرتهب بالضرب ، أنصف القادة من راماها ، فلغيري فليبرقوا وليرعدوا ، فأنا أبو الحسن الذي فملت حدّهم ، وفرقت جماعتهم ، وبذلك القلب ألقى عدوّي ، وأنا على ما وعدني ربّي من النصر والتأييد والظفر ، وإنّي لعلّى يقين من ربّي وغير شبهة من أمرّي . أيّها الناس إنّ أمتوت لا يفوته المقيم ، ولا يعجزه الهارب ، ليس عن الموت محيص ، ومن لم يمت يقتل ، وإنّ أفضل الموت القتل ، والذي نفسي بيده لألف ضربة بالسيف أهون عليّ من ميتة على فراش . واعجبا لطلحة ألب الناس على ابن عفان حتّى إذا قتل أعطاني صفقة بيمينه طائعاً ، ثمّ نكث بيّعتي ، اللهمّ خذوه ولا تمهله وأنّ الزبير نكث بيّعتي وقطع رحمي وظاهر عليّ عدوّي فاكفنيه اليوم بما شئت . انتهى ما في الكافي .

ونقل بعض هذه الخطبة المفيد رحمه الله في الإرشاد (ص ١١٤ طبع طهران ١٣٧٧ هـ) ورواه في كتاب الجمل (النصر في حرب البصرة) مسنداً عن الواقدي ، ص ١٧٤

طبع النجف .

وبما حققنا علمت أن خطبة واحدة تفرقت في عدة مواضع من النهج وكم لها من نظير، وديدن الرضي رحمه الله في النهج كان اختيار محاسن كلامه عليه السلام فقط لا ذكر طرق الروايات واختلافها كما نص بذلك في خطبته في صدر الكتاب حيث قال :

وربما جاء في أثناء هذا الاختيار اللفظ المردد والمعنى المكرر، والعذر في ذلك أن روايات كلامه عليه السلام تختلف اختلافاً شديداً فربما اتفق الكلام المختار في رواية فنقل على وجهه ثم وجد بعد ذلك في رواية أخرى موضوعاً غير وضعه الأول إما بزيادة مختارٍ أو بلفظ أحسن عبارة فتقتضى الحال أن يعاد استظهاراً للاختيار وغيره على عقائل الكلام، وربما بعد العهد أيضاً بما اختير أو لا فأعيد بعضه سهواً ونسياناً لا قصداً واعتماداً . إلى آخر ما قال .

ثم انتهى عليه السلام إلى البصرة وراسل القوم وناشدهم الله فأبوا إلا قتاله ، وقال المسعودي في مروج الذهب : ذكر عن المنذر بن الجارود فيما حدث به أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي عن ابن عائشة عن معن بن عيسى عن المنذر بن جارود قال :

لما قدم علي عليه السلام البصرة دخل مما يلي الطف ، فأتى الزاوية فخرجت أنظر إليه فورد موكب نحو ألف فارس يقدمهم فارس على فرس أشهب عليه قلنسوة وثياب بيض متقلد سيفاً معه راية ، وإذا تيجان القوم الأغلب عليها البياض والصفرة مدججين في الحديد والسلاح فقلت : من هذا ؟ فقيل : أبو أيوب الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهؤلاء الأنصار وغيرهم .

ثم تلاهم فارس آخر عليه عمامة صفراء وثياب بيض متقلد سيفاً متنكب قوساً معه راية على فرس أشقر في نحو ألف فارس فقلت : من هذا ؟ فقيل : هذا خزيمة بن ثابت الأنصاري ذوالشهادتين .

ثم مر بنا فارس آخر على فرس كميت معتم بعمامة صفراء من تحتها قلنسوة

بيضاء وعليه قباء أبيض وعمامة سوداء قد سد لها بين يديه ومن خلفه شديد الأدمة عليه سكينه و وقار رافع صوته بقراءة القرآن متقلداً سيفاً متنكباً قوساً معه راية بيضاء في ألف من الناس مختلفي التيجان حوله مشيخة وكهول وشباب كان قد أوقفوا للحساب ، أثر السجود قد أثر في جباههم ، فقلت : من هذا ؟ قيل : عمّار بن ياسر في عدّة من الصحابة المهاجرين والأنصار وأبنائهم .

ثم مرّ بنا فارس على فرس أشقر عليه ثياب بيض وقلنسوة بيضاء وعمامة صفراء متنكباً قوساً متقلداً سيفاً تخطّ رجلاه في الأرض في ألف من الناس الغالب على تيجانهم الصّفرة والبياض معه راية صفراء قلت : من هذا ؟ قيل : هذا قيس بن سعد بن عبادة في الأنصار وأبنائهم وغيرهم من قحطان .

ثم مرّ بنا فارس على فرس أشهل ما رأينا أحسن منه عليه ثياب بيض وعمامة سوداء قد سد لها بين يديها بلواء قلت : من هذا ؟ قيل : هو عبد الله بن العباس في عدّة من أصحاب رسول الله ﷺ .

ثم تلا موكب آخر فيه فارس أشبه الناس بالأولين قلت : من هذا ؟ قيل : قثم بن العباس أو سعيد بن العاص .

ثم أقبلت المواكب والرايات يقدم بعضها بعضاً واشتبكت الرماح .

ثم ورد موكب فيه خلق من الناس عليهم السلاح والجديد مختلفو الرايات في أوّله راية كبيرة يقدمهم رجل كانما كسر وجبر « قال ابن عائشة : وهذه صفة رجل شديد الساعدين نظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى فوق ، كذلك تخبر العرب في وصفها إذا أخبرت عن الرجل أنه كسر وجبر » كأنما على رؤوسهم الطير وعن ميسرتهم شابٌ حسن الوجه قلت : من هؤلاء؟ قيل : هذا علي بن أبي طالب عليه السلام وهذا الحسن والحسين عن يمينه وشماله ، وهذا محمد ابن الحنفية بين يديه معه الراية العظمى ، وهذا الذي خلفه عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وهؤلاء ولد عقيل وغيرهم من فتيان بني هاشم وهؤلاء المشايخ أهل بدر من المهاجرين والأنصار فساروا حتى نزلوا الموضع المعروف بالزاوية ، فصلّى ﷺ أربع ركعات

وعقر خدييه على التربة وقد خالط ذلك دموعه ، ثم رفع يديه يدعو :

اللهم رب السماوات وما أظلت ، والأرضين وما أقلت ، ورب العرش العظيم هذه البصرة أسألك من خيرها وأعوذ بك من شرها ، اللهم أنزلنا فيها خير منزل وأنت خير المنزليين ، اللهم هؤلاء القوم قد خلعوا طاعتي وبعغوا عليّ ونكثوا بيعتي اللهم احقن دماء المسلمين .

أقول : كلامه هذا ليس بمذكور في النهج و لعل السر فيه أنه لم يكن منه عليه السلام حقيقة بل هو من رسول الله صلى الله عليه وآله فقاله اقتباساً منه وتأسياً به صلى الله عليه وآله قال ابن هشام في السيرة النبوية (ص ٣٢٩ ج ٢ طبع مصر ١٣٧٥ هـ و ١٩٥٥ م) في ذكر مسيره صلى الله عليه وآله إلى خيبر : قال ابن اسحاق : حدثني من لآتهم ، عن عطاء بن أبي مروان الأسلمي ، عن أبيه ، عن أبي معتب بن عمرو : أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما أشرف على خيبر ، قال لأصحابه وأنا فيهم : قفوا ، ثم قال :

اللهم رب السماوات وما أظللن ، ورب الأرضين وما أقللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما أذرين ، فإنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها . أقدموا باسم الله قال : وكان يقولها صلى الله عليه وآله لكل قرية دخلها .

ولما تقرّر أمر الكتائب في الفريقين فخرج كل فريق بقومه وقام خطبأؤهم بالتحريض على القتال ، فقام عبدالله بن الزبير في معسكرهم وحرّض الناس على القتال ومن جملة ما قال :

أيها الناس إن هذا الرعث و الوعث قتل عثمان بالمدينة ثم جاءكم بنشر أموركم بالبصرة أترضون أن يتوردكم أهل الكوفة في بلادكم اغضبوا فقد غضبتهم وقاتلوا فقد قوتلتم إن علياً لا يرى أن معه في هذا الأمر أحدسواه ، والله لئن أظفر بكم ليهلكن دينكم و دنياكم .

وأكثر من نحو هذا القول وشبهه ، فبلغ ذلك أمير المؤمنين علياً عليه السلام فقال لولده الحسن عليه السلام : قم يا بني فاخطب ، فقام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وقال :

أيها الناس قد بلغتنا مقالة ابن الزبير و قد كان والله يتجنّي على عثمان الذنوب ، و قد ضيق عليه البلاد حتى قتل ، وأنّ طلحة راكز رايته على بيت ماله وهو حيّ ، و أما قوله : إنّ علياً ابتزّ الناس أمرهم فإنّ أعظم الناس حجّة لأبيه زعم أنّه بايعه بيده ولم يبايعه بقلبه ، فقد أقرّ بالبيعة و ادّعى الوليعة ، فليأت على ما ادّعاها ببرهان و أنّى له ذلك ، و أمّا تعجّبهم من تورّد أهل الكوفة على أهل البصرة فما عجبهم من أهل حقّ تورّد و اعلى أهل الباطل ، و لعمرى والله ليعلمنّ أهل البصرة و ميعادما بيننا و بينهم ، اليوم نحاكمهم إلى الله تعالى ، فيقضي الله بالحقّ و هو خير الفاصلين . فلما فرغ الحسن عليه السلام من كلامه قام رجل يقال له : عمر بن محمود و أنشد شعراً يمدح الحسن عليه السلام .

فلما بلغ طلحة و الزبير خطبة الحسن عليه السلام و مدح المادح له قام طلحة خطيباً في أصحابه و حرّض الناس على إثارة الفتنة و ألّب و أجلب على أمير المؤمنين عليه السلام .

فقام إليه رجل يقال له : جبران بن عبد الله من أهل الحجاز كان قدم البصرة و هو غلام و اعترض على طلحة و احتجّ عليه بنكث البيعة فهمّ القوم به فخرج منهم إشفاقاً على دمه ، ثمّ كثر اللغط و التنازع .

ولما بلغ أمير المؤمنين عليه السلام لفظ القوم و اجتماعهم على حربته قام في الناس خطيباً .

« خطبة أمير المؤمنين (ع) في البصرة لما بلغه لفظ القوم و اجتماعهم على حربته »

فحمد الله و أثنى عليه و صلّى على النّبىّ صلى الله عليه و آله ثمّ قال :

أيها الناس إنّ طلحة و الزبير قدما البصرة و قد اجتمع أهلها على طاعة الله و بيعتي ، فدعواهم إلى معصية الله تعالى و خلافي ، فمن أطاعهما منهم فتنوه و من عصاهما قتلوه ، و قد كان من قتلها حكيمة بن جبلة ما بلغكم ، و قتلهم السبابعة و فعلها بعثمان بن حنيف ما لم يخف عليكم ، و قد كشفوا الان القناع و أذنوا بالحرب ، و قام طلحة بالشمّ و القدح في أديانكم ، و قد أرعد و صاحبه و أبرقاه و هذا

أمران معهما الفشل ، ولسنا نريد منكم أن تلقونهم بظنون ما في نفوسكم عليهم ، ولا ترون ما في أنفسكم لنا ، ولسنا نرعد حتى نوقع ، ولا نسيل حتى نمطر ، و قد خرجوا من هدى إلى ضلال ، ودعوناكم إلى الرضا ، ودعونا إلى السخط فحل لنا ولكم ردُّهم إلى الحقِّ والقتال ، وحلَّ لهم بقصاصهم القتل ، و قد والله مشوا إليكم ضراراً ، وأذاقوكم أمس من الجمر ، فإذا لقيتم القوم غداً فاعذروا في الدعاء واحسنوا في التقيّة ، واستعينوا بالله واصبروا إنَّ الله مع الصابرين .

أقول : نقلها المفيد قدس سره في الجمل (ص ١٦١ طبع النجف) وهي بتمامها ليست بمذكورة في النهج وأتى ببعضها فيه وهو : ومن كلام له عليه السلام : وقد أَرعدوا وأبرقوا ومع هذين الأمرين الفشل . ولسنا نرعد حتى نوقع ، ولا نسيل حتى نمطر . وهو الكلام التاسع من باب الخطب من النهج .

قال المفيد رحمه الله في الجمل نقلاً عن الواقدي : ثمَّ إنَّ أمير المؤمنين عليه السلام أنظرهم وأنذرهم ثلاثة أيام ليكفوا ويرعوا ، فلما علم إصرارهم على الخلاف قام في أصحابه وقال :

«خطبة اخرى له عليه السلام في ذلك المقام يحرض أصحابه على الجهاد»

عباد الله انهدوا إلى هؤلاء القوم منشحة صدوركم ، فانهم نكثوا بيعتي وقتلوا شيعتي ، ونكلوا بعاملي ، وأخرجوه من البصرة بعد أن ألّموه بالضرب المبرح والعقوبة الشديدة ، وهو شيخ من وجوه الأنصار والفضلاء ، ولم يرعوا له حرمة وقتلوا السبابة رجالاً صالحين ، و قتلوا حكيم بن جبلة ظلماً وعدواناً لغضبه الله تعالى ثمَّ تتبّعوا شيعتي بعد أن ضربوهم وأخذوهم في كلِّ غايية وتحت كلِّ رايية يضربون أعناقهم صبرا ، ما لهم قاتلهم الله أنسى يؤفكون ، فانهدوا إليهم عباد الله وكونوا اسوداً عليهم فانهم شرار ، و مساعدهم على الباطل شرار ، فالتقوهم صابرين محتسبين موطنين أنفسكم أنكم منازلون ومقاتلون ، قد وطمتم أنفسكم على الضرب والطعن ومنازلة الأقران ، فأيه امرءٍ أحسَّ من نفسه رباطة جاش عند الفرع وشجاعة عند اللقاء ورأى من أخيه فشلاً أو وهناً فليذب عنه كما يذب عن نفسه

فلو شاء الله لجعله مثله .

أقول : بعض هذه الخطبة مذكور في النهج الكلام ١٢١ من باب الخطب
أوله : وأي أمرىء منكم أحسن من نفسه - الخ ، ونقلها المفيد رحمه الله في الإرشاد
(ص ١١٥ طبع طهران ١٣٧٧ هـ) أيضاً و بين النسخ اختلاف يسير في بعض من
الكلمات والجمل .

وفي جمل المفيد : ثم إن أمير المؤمنين عليه السلام رحل بالناس إلى القوم غداة
الخميس لعشر مضي من جمادى الأولى ، وعلى ميمينته الأشر ، وعلى ميسرته
عمار بن ياسر ، وأعطى الراية محمد بن الحنفية ابنه ، و سار حتى وقف موقفاً ثم
نادى في الناس لاتعجلوا حتى أعذر إلى القوم .

أقول : مضى كلامه عليه السلام لابنه محمد ابن الحنفية لما أعطاه الراية يوم الجمل
تزول الجبال ولاتزل ، عض على ناجذك أعر الله جمجمتك ، تدفي الأرض قدمك
إرم ببصرك أقصى القوم ، و غض بصرك ، و اعلم أن النصر من عند الله سبحانه
الكلام العادي عشر من باب الخطب من النهج .

وقد مضى في ص ٢٤١ من المجلد الأول من تكملة المنهاج أن أمير المؤمنين
عليه السلام دفع يوم الجمل رايته إلى ابنه محمد ابن الحنفية وقد استوت الصفوف
وقال له : احمل ، فتوقف قليلا ، فقال له : احمل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أما ترى
السهام كأنها شآبيب المطر ، فدفع في صدره فقال : ادر كك عرق من أمك - الخ ،
نقله المسعودي في مروج الذهب .

فدعا عليه السلام : عبدالله بن عباس فأعطاه المصحف وقال : امض بهذا المصحف
إلى طلحة والزبير وعائشه وادعهم إلى ما فيه وقل لطلحة والزبير : ألم تبايعاني
مختارين ؟ فما الذي دعاكما إلى نكث بيعتي وهذا كتاب الله بيني وبينكما .

فذهب إليهم ابن عباس فبدأ بالزبير ثم انصرف عنه إلى طلحة ، ثم انصرف
عنه إلى عائشه ، وجرى بينه وبينهم كلام كثير فأبوا إلا طغياناً وبغياً والقتال وسفك
الدماء وإثارة التنة وإثارة الحرب ، فرجع إلى أمير المؤمنين عليه السلام فأخبره الخبر

وقال له عليه السلام : ما تنتظر ؟ والله لا يعطيك القوم إلاّ السيف فاحمل عليهم قبل أن يحملوا عليك ؛ فقال عليه السلام : نستظهر بالله عليهم ؛ قال ابن عباس : فوالله ما رمت من مكاني حتى طلع عليّ نسايبهم كأنه جرد منتشر فقلت : ما ترى يا أمير المؤمنين إلى ما يصنع القوم مرنا ندفعهم ، فقال عليه السلام : حتى أعذر اليهم ثانية .

فأخذ عليه السلام مصحفاً كما نقله الطبري مسنداً في التاريخ والمفيد في الجمل عن الواقدي ، فطاف به في أصحابه وقال : من يأخذ هذا المصحف فيدعوهم إليه وهو مقتول وأنا ضامن له على الله الجنة ؟ فقام فتى من أهل الكوفة حدث السنن من عبد القيس يقال له : مسلم بن عبدالله عليه قباء أبيض محشو فقال : أنا أعرضه يا أمير المؤمنين عليهم وقد احتسبت نفسي عند الله ، فأعرض عليه السلام عنه إشفافاً .
ونادى ثانية : من يأخذ هذا المصحف ويعرضه على القوم وليعلم أنه مقتول وله الجنة ؟ فقال الفتى أنا أعرضه .

ونادى ثالثة : من يأخذ المصحف ويدعوهم إلى ما فيه ؟ فقال الفتى : أنا فدفع المصحف إليه وقال : امض اليهم و اعرضه عليهم و ادعهم إلى ما فيه .
فأقبل الفتى حتى وقف بازاء الصفوف ونشر المصحف وقال : هذا كتاب الله وأمير المؤمنين يدعوكم إلى ما فيه ، فقالت عائشة : اشجروه بالرّماح فقبّحه الله ، فتبادروا إليه بالرّماح فطعنوه من كلّ جانب فقطعوا يده اليمنى ، فأخذه بيده اليسرى فدعاهم فقطعوا يده اليسرى ، فأخذه بصدرة والدّماء تسيل على قبائه ، فقتل رضوان الله عليه ، وكانت أمّه حاضرة فصاحت و طرحت نفسها عليه و جرتّه من موضعه ولحقها جماعة من عسكر أمير المؤمنين عليه السلام أعانوها على حمله حتى طرخته بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام وهي تبكي و تقول :

لاهمّ إن مسلماً دعاهم
فخضبوا من دمه قناهم
يتلو كتاب الله لا يخشاهم
وأمه قائمة تراهم
تأمرهم بالقتل لا تنهاهم

فلما رأى أمير المؤمنين عليه السلام ما قدم عليه القوم من العناد واستحلّوه من سفك

الدّم الحرام رفع يديه إلى السماء وقال :

اللهمّ اليك شخصت الأبصار وبسطت الأيدي وأقضت القلوب وتقرّبت إليك بالأعمال ، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحقّ وأنت خير الفاتحين .

أقول : قوله عليه السلام هذا نقلناه من جمل المفيد ونقله نصر بن مزاحم المتقري في صفين (ص ٢٥٦ طبع الطهران ١٣٠١ هـ) مع زيادة وأتى به الرضّي رحمه الله في النهج وهو الخامس عشر من باب الكتب والرسائل ، وقد مضى في ص ٣٢٦ من المجلد الأول من تكملة المنهاج كلا منا فيه وسيأتي طائفة أخرى في شرحه إنشاء الله تعالى .

قال الطبري بعد نقل شهادة الفتى : فقال علي عليه السلام : الآن حلّ قتالهم . وفي الامامة والسياسة للدينوري فلما توافقوا للقتال أمر علي عليه السلام مناديًا ينادي من أصحابه لا يرمين أحد سهماً ولا حجراً ولا يطعن برمح حتى أعذر إلى القوم فاتخذ عليهم الحجة البالغة .

فكلم عليه السلام طلحة و الزبير قبل القتال فقال لهما : استحللنا عائشة بحق الله وبحق رسول الله على أربع خصال أن تصدق فيها : هل تعلم رجلاً من قريش أولى مني بالله ورسوله ، وإسلامي قبل كافة الناس أجمعين ، وكفايتي رسول الله صلى الله عليه وآله كفار العرب بسيفي ورمحي ، وعلى براءتي من دم عثمان ، وعلى أني لم أستكره أحداً على بيعة ، وعلى أنني لم أكن أحسن قولاً في عثمان منكما ؟ فأجابه طلحة جواباً غليظاً ، ورق له الزبير .

ثم رجع علي عليه السلام إلى أصحابه فقالوا : يا أمير المؤمنين بم كلمت الرجلين؟ فقال علي عليه السلام إن شأنهما لمختلف أمّا الزبير فقاده اللجاج و لن يقاتلكم ، وأمّا طلحة فسألته عن الحقّ فأجابني بالباطل ، ولقيته باليقين ولقيني بالشكّ ، فوالله ما نفعه حقّي ولا ضرّني باطله ، وهو مقتول غداً في الرّعيّل الأوّل .

أقول : ما نقله الدينوري من كلامه عليه السلام ليس بمذكور في النهج . وفي احتجاج الطبرسي عن الأصعب بن نباتة قال : كنت واقفاً مع أمير المؤمنين

عليه السلام يوم الجمل فجاء رجل حتى وقف بين يديه فقال : يا أمير المؤمنين كبر القوم وكبرنا ، وهلك القوم وهلكنا ، وصلى القوم وصلينا ، فعلى ما نقاتلم ؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام : على ما أنزل الله في كتابه ، فقال : يا أمير المؤمنين ليس كل ما أنزل الله في كتابه أعلمه فعلمنيه ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : ما أنزل الله في سورة البقرة ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ليس كلما أنزل الله في سورة البقرة أعلمه فعلمنيه ، فقال عليه السلام : هذه الآية « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم فوق بعض درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد » فنحن الذين آمننا ، وهم الذين كفروا ، فقال الرجل : كفر القوم و رب الكعبة ، ثم حمل وقاتل حتى قتل رحمه الله . انتهى .

وفي تاريخ الطبري (ص ٧ ج ٤ طبع مصر ١٣٥٨ هـ ١٩٣٩ م) قال أبو مخنف : وحدثنني إسماعيل بن يزيد ، عن أبي صادق ، عن الحضرمي قال : سمعت علياً عليه السلام يجرّض الناس في ثلاثة مواطن : يجرّض الناس يوم الجمل ، ويوم صفين ، ويوم النهر : يقول : عباد الله اتقوا الله - إلى آخر ما نقلناه في ص ٢٣٨ من المجلد الأول من تكملة المنهاج . ونقله المفيد رحمه الله في الإرشاد أيضاً (ص ١٠٧ طبع طهران ١٣٧٧ هـ) إلا أنه ذكر في عنوانه يوم صفين فقط . ولكنه لا يفيد الاختصاص به وبين النسختين اختلاف يسير ، والظاهر أن الرضي رضوان الله عليه لم يعثر عليه وإلا لذكره في النهج لأن الكلام بليغ جداً وكان اهتمام الرضي اختيار البليغ من كلامه عليه السلام ودونك قوله هذا على ما في الإرشاد : قال :

ومن كلامه عليه السلام في تحضيضه على القتال يوم صفين بعد حمد الله والشاء عليه عباد الله اتقوا الله وعضوا الأبصار واخفصوا الأصوات ، وأقلوا الكلام ، ووطنوا أنفسكم على المنازلة ، والمجادلة ، والمبارزة ، والمبالطة ، والمبالدة ، والمعانقة ، والمكادمة ، واثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ، وأطيعوا الله ورسوله ولا

تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين ، اللهم ألهمهم الصبر وأنزل عليهم النصر ، وأعظم لهم الأجر .

وقد تظافت الأخبار أن أمير المؤمنين ﷺ أمر جنده أن لا يبدأوا القوم الناكثين بقتال ، ولا يرموهم بسهم ، ولا يضربوهم ولا يطعنوهم برمح ، حتى جاء عبدالله بن بديل بن ورقاء الخزاعي من المدينة بأخ له مقتول ، وجاء قوم من الميسرة برجل قد رمي بسهم فقتل ، فقال علي ﷺ : اللهم أشهد .

وفي جمل المفيد : ثم دعا ﷺ ابنه محمد بن الحنفية فأعطاه الراية وهي راية رسول الله ﷺ وقال : يا بني هذه راية لا ترد قط ولا ترد أبداً ، قال محمد : فأخذتها والريح تهب عليها فلما تمكنت من حملها صارت الريح على طلحة والزبير وأصحاب الجمل ، فأردت أن أمشي بها فقال أمير المؤمنين ﷺ : قف يا بني حتى آمرك . ثم نادى أيها الناس لا تقتلوا مدبراً ، ولا تجهزوا على جريح ، ولا تكشفوا عورة ، ولا تهبجوا امرأة ، ولا تمتلوا بقتيل .

فبينما هوي يوصي أصحابه إذ ظلنا نبل القوم فقتل رجل من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ، فلما رآه قتيلاً قال : اللهم أشهد ، ثم رمي ابن عبد الله بن بديل فقتل ، فحمل أبوه عبدالله ومعه عبدالله بن العباس حتى وضعاه بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال عبدالله بن بديل : حتى متى يا أمير المؤمنين ندلي نحورنا للقوم يقتلوننا رجلاً رجلاً قد والله أعذرت إن كنت تريد الاعتذار .

أقول : قال اليعقوبي في تاريخه : ثم رمى رجل آخر فأصاب عبدالله بن بديل بن ورقاء الخزاعي فقتله فأتى به أخوه عبدالرحمن يحمله فقال علي ﷺ : اللهم أشهد والله العالم .

وفي مروج الذهب للمسعودي : ثم قام عمّار بن ياسر بين الصفيين فقال : أيها الناس ما أنصفتم نبيكم حيث كففتم عتقاء تلك الخدور ، وأبرزتم عقيلته للسيوف ، وعائشة على الجمل المسمى عسكرياً في هودج من دفوف الخشب . قد ألبسوه المسوح وجلود البقر ، وجعلوا دونه اللبود قد غشى على ذلك بالدروع ، فدنا

عمار من موضعها ، فنادى : إلى ما ذاتدعيني ؟ قالت : إلى الطلب بدم عثمان ، فقال : قتل الله في هذا اليوم الباغي والطالب بغير الحق ، ثم قال : أيها الناس إنكم لتعلمون أينما الممالي في قتل عثمان ، ثم أنشأ يقول وقد رشقوه بالنبل :

فمنك البكاء و منك العويل ومنك الرياح و منك المطر
و أنت أمرت بقتل الإمام و قاتله عندنا من أمر

وتواتر عليه الرمي واتصل فحرّك فرسه و زال عن موضعه فقال : ما ذا تنتظر يا أمير المؤمنين وليس لك عند القوم إلا الحرب فقال علي عليه السلام : أيها الناس إذا هن متموهم فلا تجهّزوا على جريح ، ولا تقتلوا أسيراً ، ولا تتبعوا مولياً ، ولا تطلبوا مدبراً ، ولا تكشفوا عورة ، ولا تمثّلوا بقتيل ، ولا تهتكوا سترأ ، ولا تقرّبوا من أموالهم إلا ما تجدونه في عسكرهم من سلاح أو كراع أو عبد أو أمة ، وما سوى ذلك فهو ميراث لورثتهم على كتاب الله .

أقول : وقد مضى في ص ٢٢٢ من المجلّد الأول من تكملة المنهاج عن نصر في كتاب صفين باسناده عن عبدالرحمن بن جندب الأزدي عن أبيه أن علياً عليه السلام كان يأمرنا في كل موطن لقينا معه عدوّه يقول : لا تقاتلوا القوم حتى يبدأوكم - إلى آخره وسيأتي شرحه ونقل أقواله الأخر في الكتاب الخامس عشر إن شاء الله تعالى . ثم قد ذكرنا في شرح الكتاب الأوّل البيتين المذكورين وقائلهما فراجع . وقال المفيد في الجمل : روى عبدالله بن رياح مولى الأ نصاري عن عبدالله بن زياد مولى عثمان بن عفان قال : خرج عمار بن ياسر يوم الجمل إلينا فقال : يا هؤلاء على أي شيء تقاتلونا ؟ فقلنا : على أن عثمان قتل مؤمناً ، فقال عمار : نحن نقاتلكم على أنه قتل كافراً ؛ قال : وسمعت عماراً يقول : والله لو ضربتمونا حتى نبلغ سفجات هجر لعلمنا أننا على الحق و أنكم على الباطل ، قال : و سمعته والله يقول : ما نزل تأويل هذه الآية إلا اليوم « يا أيها الذين آمنوا من يرتد »

منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه » (المائدة : ٥٩) .
 و في احتجاج الطبرسي : روى الواقدي أنَّ عمار بن ياسر لما دخل على عائشة
 - بعد أن ظفر عليٌّ ﷺ و أصحابه على أصحاب الجمل - فقال لها : كيف رأيت
 ضرب بنيك على الحق؟ فقالت : استبصرت من أجل أنك غلبت ، فقال عمار : أنا
 أشدُّ استبصاراً من ذلك ، والله لو ضربتمونا حتى تبلغونا سعيقات هجر لعلمنا
 أنا على الحق وأنكم على الباطل ، فقالت عائشة : هكذا يخيل اليك اتق الله يا
 عمار أذهبت دينك لابن أبيطالب .

أقول: قد قال عمار في صفين أيضاً : إنني لأرى وجه قوم لا يزالون يقاتلون
 حتى يرتاب المبتلون ، والله لو هزمونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لكننا على الحق
 وكانوا على الباطل . وقد مرَّ بيانه في ص ٢٨٥ من المجلد الأوَّل من تكملة المنهاج
 واختلاف النسخ فيه فراجع .

روى الواقدي قال : حدَّثني عبدالله بن الفضيل عن أبيه عن محمد ابن الحنفية
 قال : لما نزلنا البصرة وعسكرنا بها وصفنا صفونا دفع أبي عليٍّ ﷺ إليَّ باللواء
 وقال : لا تجدنَّ شيئاً ثمَّ نام فنالنا نبل القوم فأفزعته ففرع وهو يمسح عينيه من
 النوم وأصحاب الجمل يصيحون : يا لثارات عثمان ، فبرز ﷺ و ليس عليه إلا قميص
 واحد ، ثمَّ قال : تقدّم باللواء ، فتقدّمت وقلت : يا أبة في مثل هذا اليوم بقميص
 واحد ، قال : أحرز امرء أجله والله قاتلت مع النبي ﷺ وأنا حاسر أكثر ممَّا
 قاتلت وأنا دارع ، ثمَّ دنا كل من طلحة والزبير فكلّمهما ورجع وهو يقول : يا أبا
 القوم إلا القتال ، فقاتلوهم فقد بغوا ، ودعا بدرعه البتراء ولم يلبسها بعد النبي ﷺ
 إلا يومئذ فكان بين كتفيه منها متوهياً .

قال : وجاء أمير المؤمنين ﷺ وفي يده شسع نعل فقال له ابن عباس : ما تريد
 بهذا الشسع يا أمير المؤمنين؟ فقال ﷺ : أربط بها ما قد توهى من هذا الدرع
 من خلقي ، فقال له ابن عباس : أفي مثل هذا اليوم تلبس مثل هذا؟ فقال ﷺ :
 لم؟ قال : أخاف عليك ، قال ﷺ : لا تخف أن أوتى من ورائي والله يا ابن عباس

ما وليت في زحف قطّ ثمّ قال له : البس يا ابن عباس ، فلبس درعاً سعدياً ثمّ تقدّم إلى الميمنة وقال: احملوا ، ثمّ إلى الميسرة وقال : احملوا ، وجعل يدفع في ظهري ويقول : تقدّم يا بنيّ فجعلت أتقدّم حتى انهزموا من كلّ وجه .

وروى الواقدي عن هشام بن سعد عن شيخ من مشايخ أهل البصرة قال : لما صفّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام صفوفه أطال الوقوف والناس ينتظرون أمره ، فاشتدّ عليهم ذلك ، فصاحوا حتّى متى ، فصفق باً إحدى يديه على الأخرى ثمّ قال : عباد الله لا تعجلوا فاني كنت أرى رسول الله صلى الله عليه وآله يستحبّ أن يحمل إذ اهبت الرياح قال : فأهل حتّى زالت الشمس وصلّى ركعتين ثمّ قال : ادعوا ابنيّ محمداً ، فدعي له محمّد ابن الحنفية فجاء وهو يومئذ ابن تسع عشرة سنة ، فوقف بين يديه ودعا بالراية فنصبت فحمد الله وأثنى عليه وقال : أما هذه الراية لم تردّ قطّ ولا تردّ أبداً وإنني واضعها اليوم في أهلها ، ودفعها إلى ولده محمّد وقال : تقدّم يا بنيّ فلما رآه القوم قد أقبل والراية بين يديه فتضعوا فما هو إلا أن الناس التقوا ونظروا إلى غرة أمير المؤمنين عليه السلام وجدوا مسّ السلاح حتى انهزموا .

وروى محمد بن عبدالله بن عمر بن دينار قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام لابنه محمّد : خذ الراية وامنض ، وعليّ عليه السلام خلفه فناداه يا أبا القاسم ! فقال : لبيك يا أبة ، فقال : يا بنيّ لا يستنقرنك ماترى قد حملت الراية وأنا أصغر منك فما استنقرني عدوّي وذلك أنني لم أبارز أحداً إلاّ حدثني نفسي بقتله ، فحدثت نفسك بعون الله تعالى بظهورك عليهم ولا يخذلك ضعف النفس من اليقين فإن ذلك أشدّ الخذلان ، قال : قلت يا أبة أرجو أن أكون كما تحبّ إن شاء الله ، قال : فالزم رايتك فإن اختلفت الصفوف قف في مكانك وبين أصحابك فإن لم تبين من أصحابك فاعلم أنهم سيرونك . قال : والله إنني لفي وسط أصحابي فصاروا كلّهم خلفي وما بيني وبين القوم أحد يردّهم عني وأنا أريد أن أتقدّم في وجوه القوم فما شعرت إلاّ بأبي خلفي قد جرّد بسيفه وهو يقول : لا تقدّم حتّى أكون أمامك ، فتقدّم بين يدي يهرول ومعه طائفة من أصحابه ، فضرب الذين في وجهه حتّى نهضوهم ولحقّتهم بالراية فوقفوا

وقفة واختلط الناس وركدت السيوف ساعة فنظرت إلى أبي يفرج الناس يمينا وشمالا ويسوقهم أمامه فأردت أن أجول فكرهت خلفه ووصيته لي - لاتفارق الراية - حتى انتهى إلى الجمل وحوله أربعة آلاف مقاتل من بني ضبة والأزد وتميم وغيرهم وصاح : اقطعوا البطان .

فأسرع محمد بن أبي بكر فقطعه وأطلع اليهودج ، فقالت عائشة : من أنت ؟ قال : أبغض أهلك إليك ، قالت : ابن الخثعمية ؟ قال : نعم ولم تكن دون أمهاتك قالت : لعمرى بل هي شريفة دع عنك هذا الحمد لله الذي سلمك قال : قد كان ذلك ما تكرهين ؛ قالت : يا أخي لو كرهته ما قلت ما قلت ، قال : كنت تحبين الظفر وإنني قتلت ، قالت : قد كنت أحب ذلك لكنه ما صرنا إلى ما صرنا أحببت سلامتك لقرابتي منك فاكفف ولا تعقب الأمور وخذ الظاهر ولا تكن لومة ولا عدلة فإن أباك لم يكن لومة ولا عدلة .

قال : وجاء علي عليه السلام ففرع اليهودج برمحه وقال : يا شقيراء بهذا وصاك رسول الله ﷺ ؟ قالت : يا ابن أبي طالب قد ملكت فاسمح ، وفي تاريخ الطبري : فاسجح .

ثم أمر علي عليه السلام ابنه محمد أن يتولى أمرها ويحملها إلى دار ابن خلف حتى ينظر علي عليه السلام في أمرها ، فحملها إلى الموضع وأن لسانها لا يفتر من السب له ولعلي عليه السلام والترحم على أصحاب الجمل .

وروي عن ابن الزبير قال : خرجت عائشة يوم البصرة وهي على جملها عسكر قد اتخذت عليه خدر أودقته بالدقوق خشية أن يخلص إليها النبل ، و سار إليهم علي بن أبي طالب عليه السلام حتى التقوا فقتلوا قتالا شديداً وأخذ بخطام الجمل يومئذ سبعون رجلاً من قريش كلهم قتل ، وخرج مروان بن الحكم وعبدالله بن الزبير ورأيتهما جريعين ، فلما قتلت تلك العصابة من قريش أخذ رجال كثير من بني ضبة بخطام الجمل فقتلوا عن آخرهم ، ولم يأخذ بخطامه أحد إلا قتل حتى غرق الجمل بدماء القتلى ، وتقدم محمد بن أبي بكر فقطع بطان الجمل واحتمل الخدر

ومعه أصحاب له وفيه عائشة حتى أنزلوها بعض دور البصرة ، وولى الزبير منهزماً فأدر كه ابن جرموز فقتله ، ولما رأى مروان توجه الأمر على أصحاب الجمل نظر إلى طلحة وهو يريد الهرب فقال : والله لا يفوتني ثاري من عثمان ، فرماه بسهم فقطع أكله فسقط بدمه وحمل من موضعه وهو يقول : إن الله هذا والله سهم لم يأتي من بعد ما أراه إلا من معسكنا ، والله ما رأيت مصرغ شيخ أضيع من مصرعي ثم لم يلبث أن هلك .

روى الطبري في التاريخ بإسناده عن أبي البخترى الطائي قال : أطافت ضبة والأزد بعائشة يوم الجمل ، وإذا رجال من الأزد يأخذون بعرجل فيفتونهم ويشمونه ويقولون : بعرجل أمنا ريحه ريح المسك ، ورجل من أصحاب علي عليه السلام يقاتل ويقول :

جردت سيفي في رجال الأزد أضرب في كهولهم و المرد
كل طويل الساعدين نهد

وماج الناس بعضهم في بعض ، فصرخ صارخ : اعقروا الجمل ، فضربه بجير بن دلجة الضبي فقيل له : لم عقرته ؟ فقال : رأيت قومي يقتلون فحفت أن يفنوا ورجوت إن عقرته أن يبقى لهم بقية .

وروى بإسناده عن الصعب بن عطية عن أبيه قال : لما أمسى الناس و تقدم علي عليه السلام وأحيط بالجمل ومن حوله وعقره بجير بن دلجة وقال : إنكم آمنون فكف بعض الناس عن بعض ، وقال في ذلك حين أمسى وانخس عنهم القتال :

إليك أشكو عجري و بجري ومعشراً غشوا علي بصري
قتلت منهم مضرأ بمضري شفيت نفسي و قتلت معشري

أقول : قد ذكر البيتان في الديوان المنسوب إليه عليه السلام أيضاً وفيه « أعشوا » مكان « غشوا » ، و « إنني قتلت مضري بمصري » مكان المصراع الثالث : « وجذعت أنفي » مكان « شفيت نفسي » . ولكن الصريح من كلام أبي العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد المتوفى سنة ٢٨٥ هـ في الكامل ص ١٢٦ ج ١ طبع مصر أنه عليه السلام

لم يقل كلامه على هيئة الشعر حيث قال :

حدَّثني التوزيُّ قال : حدَّثني محمد بن عباد بن حبيب بن المهلب أحسبه عن أبيه قال : لما انقضى يوم الجمل خرج عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه في ليلة ذلك اليوم ومعه قنبر وفي يده مشعلة من نار يتصفَّح القتلى حتَّى وقف على رجل ، قال التوزي : فقلت : أهو طلحة ؟ قال : نعم ؛ فلما وقف عليه قال : اعزز عليَّ أبا محمد أن أراك معترراً تحت تخوم السماء وفي بطون الأودية ، شفيت نفسي وقتلت معشري إلى الله أشكو عجري وُبجري . انتهى قوله .

أقول : الظاهر أن غيره أخذ كلامه هذا وأدرجه في الشعر ، وقد نقلنا في المجلد الأوَّل من تكملة المنهاج (من ص ٣٠٦ - إلى ٣١٤) أبياتاً عديدة من ذلك الديوان أنها مما قالها غيره ﷺ كما بيَّناها بالشواهد والمآخذ ، وقد عثرنا على عدَّة أخرى منها بعد ذلك فخذها :

ما في ذلك الديوان من ثلاثمائة عشرين بيتاً قالها في صفين :

لنا الراية السوداء يخفق ظلها إذا قيل قدّمها حصين تقدما

إلى آخرها ، فأتى بتمامها نصر بن مزاحم المنقري في كتاب صفين (ص ١٤٥) الطبع الناصري) وأسندها باسناده عن الحصين بن المنذر إليه ﷺ ، وقال الفاضل الشارح المطعزلي ابن أبي الحديد في شرحه على النهج : هكذا روى نصر بن مزاحم ، وسائر الرواة رَووا له ﷺ الأبيات الستة الأولى ورووا باقي الأبيات من قوله « وقد صبرت عك ولخم الخ - للحصين بن المنذر صاحب الراية .

واعلم أن البيت الثامن منه على ما في الديوان هو البيت الرابع في كتاب صفين . على أن بين نسختي صفين والديوان اختلافاً يسيراً في بعض عبارات الأبيات وما في ذلك الديوان :

قد كنت ميتاً فصرت حياً

وعن قليلٍ تصير ميتاً

عزّ بدار الفناء بيت

فأين دار البقاء بيتاً

ففي مادة خضر من سفينة البحار نقل عن المناقب لابن شهر آشوب أن أمير المؤمنين عليه السلام رأى الخضر في المنام فسأله نصيحة قال : فأراني كفته فاذا فيها مكتوب بالخضرة :

قد كنت ميتاً فصرت حياً
و عن قليل تعود ميتاً
فابن لدار البقاء بيتاً
و دع لدار الفناء بيتاً

وما في السيرة الهشامية (ص ٢٢٥ ج ٢ طبع مصر ١٣٧٥ هـ) فنقل عن ابن إسحاق أنه لما قتل أمير المؤمنين علي عليه السلام عمرو بن عبدود في غزوة الخندق قال عليه السلام في ذلك :

نصر الحجارة من سفاهة رأيه
و نصرت ربَّ محمد بصـوابي
فصدت حين تركته متجدلاً
كالجدع بين دكاك وروابي
وعففت عن أثوابه لو إنني
كنت المظفر بزني أثوابي
لا تحسبنَّ الله خاذل دينه
ونبيّه يا معشر الأحراب
ثم قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر يشكُّ فيها لعلي بن أبي طالب عليه السلام
وما في الديوان المنسوب إليه

لكلُّ اجتماع من خليلين فرقة
وكلُّ الذي دون الفراق قليل
وإن افتقادي فاطماً بعد أحمد
دليل على أن لا يدوم خليل

فقال أبو العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد في (ص ٢٦٨ ج ٢ من كتابه الكامل طبع مصر) : ويروى أن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه تمثل عند قبر فاطمة عليها السلام ، ثم ذكر البيتين والمصراع الثاني من الأوّل فيه : « وإن الذي دون الفراق قليل » والأوّل من الثاني : « وإن افتقادي واحداً بعد واحد » .

وفي البيان والتبيين للجاحظ (ص ١٨١ ج ٣ طبع مصر ١٣٨٠ هـ ١٩٦٠ بتحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون) : وقال الآخر :

ذكرت أبا أروى فبتُّ كأنني
بردٌ أمـور ماضيات وكيـل
لكلُّ اجتماع من خليلين فرقة
وكلُّ الذي قبل الفراق قليل

وأنَّ افتقادي واحداً بعد واحد دليل على أن لا يدوم خليل
وهو كما ترى لم يسمَّ قائل الأبيات .

وقال عبدالسلام مجَّه هارون في الهامش : ذكر ابن الأنباري أنَّ هذه الأبيات
لعليِّ بن أبي طالب كرم الله وجهه حين دفن فاطمة رضي الله عنها . وقال ابن الأعرابي :
إنها لشقران السلاماني . وفي الكامل ٧٢٤ لميسك أن الشعر تمثل به عليُّ بن أبي
طالب عند قبر فاطمة . وقد روى البحثريُّ في حماسة ٢٣٣ البيتين الأخيرين .
انتهى كلامه .

وما في ذلك الديوان :

الناس من جهة التمثال أكفاء أبوهم آدم والأُمُّ حواء

إلى آخر الأبيات فأسندها عبدالقاهر الجرجاني في أسرار البلاغة (ص ٢١٤
طبع مصر ١٣١٩ هـ) إلى محمد بن الربيع الموصلبي ، وقيل : إنها منسوبة إلى عليِّ
القيرواني كما في ذيل ص ٣٠٧ من كتاب « اخلاق محتشمي » المنسوب إلى المحقق
الطوسي قدس سره (طبع ايران ، الطبع الأول) وذكرناه في المجلد الأوَّل من
تكملة المنهاج ص ٣٠٦ . ولنعد إلى ما كنا بصدده :

ورأي ذلك اليوم من الجمل الذي ركبته عائشة كلُّ العجب ، وذلك كما
في إثبات الوصيَّة للمسعودي واحتجاج الطبرسي وتاريخ الطبري وغيرها أنه كلما
ابتزَّ منه قائمه من قوائمه ثبت على الأخرى حتى نادى أمير المؤمنين ﷺ : اقتلوا
الجمل فإنه شيطان ، وتولَّى مجَّه بن أبي بكر وعمَّار بن ياسر عقره بعد طول دماءه .
وقال المفيد في الجمل : روى ابراهيم بن نافع عن سعيد بن أبي هند قال :
أخبرنا أصحابنا ممن حضر القتال يوم البصرة أنَّ أمير المؤمنين ﷺ قاتل يومئذ
أشدَّ القتال وسمعوه وهو يقول : تبارك الذي أذن لهذه السيوف تصنع ما تصنع .

وقال فيه : روى الواقديُّ قال : حدَّثني عبدالله بن عمر بن عليِّ بن أبي طالب
قال : سمع أبي أصوات الناس يوم الجمل وقد ارتفعت فقال لابنه مجَّه : ما يقولون؟
قال : يقولون : يا ثارات عثمان ، قال : فشدَّ عليهم وأصحابه يهشون في وجهه -

يقولون : ارتفعت الشمس وهو يقول : الصبر أبلغ حجة ، ثم قام خطيباً يتو كأعلى قوس عربية فحمد الله وأثنى عليه وذكر النبي صلى الله عليه وآله فقال :

« خطبة أمير المؤمنين عليه السلام في اثناء حرب الجمل »

أما بعد فإن الموت طالب حيث لا يفوته الهارب ولا يعجزه ، فأقدموا ولا تنكروا ، وهذه الأصوات التي تسمعونها من عدوكم فشل واختلاف ، إنا كنا نؤمر في الحرب بالصمت ، فعضوا على الناخذ ، واصبروا والوقع السيوف ، فوالذي نفسي بيده لألف ضربة بالسيف أهون علي من موتة علي فراشي ، فقاتلوهم صابروا محتسبين فإن الكتاب معكم والسنة معكم ، ومن كانا معه فهو القوي ، اصدقوهم بالضرب فأبي امرء أحسن من نفسه شجاعة وإقداماً وصبراً عند اللقاء فلا يبطرنه ، ولا يرى أن له فضلاً علي من هودونه ، وإن رأى من أخيه فشلاً وضعفاً فليذب عنه كما يذب عن نفسه ، فإن الله لو شاء لجعله مثله

أقول : أتى الرضي رضوان الله عليه ببعض هذه الخطبة في النهج ، قوله : ومن كلام له عليه السلام قاله للأصحاب في ساعة الحرب : وأبي امرء منكم أحسن من نفسه الخ (الكلام ١٢٢ من باب الخطب من النهج) ، ونقله المفيد في الإرشاد ص ١١٤ طبع طهران ١٣٧٧هـ وبين النسخ اختلاف في الجملة .

ثم لما حمل أمير المؤمنين عليه السلام الناكثين وحمل أعوانه معه ، فما كان القوم إلا كرماد اشتدّت به الريح في يوم عاصف ، ولما رأّت عائشة هزيمة القوم نادى يا بني الكثرة الكثرة اصبروا فإنني ضامنة لكم الجنة ، فحفقوا بها من كل جانب ، واستقدموا حتى دنوا من عسكر أمير المؤمنين عليه السلام ، ولقت عائشة نفسها ببردة كانت معها وقلبت يمينها على منكبها الأيمن إلى الأيسر والأيسر إلى الأيمن كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يفعل عند الاستسقاء ، ثم قالت : ناولوني كفاً من تراب ، فناولوها فحبت به وجوه أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وقالت : شأهت الوجوه كما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله بأهل بدر ، ولما فعلت عائشة من السب المبرح وحصب أصحاب أمير المؤمنين قال عليه السلام : وما رميت إدرميت ولكن الشيطان رمى وليعودن وبالك عليك

إن شاء الله تعالى .

قال المفيد في الجمل : روى محمد بن موسى عن محمد بن إبراهيم عن أبيه قال : سمعت معاذ بن عبد الله التميمي وكان قد حضر الجمل يقول : لما التقينا و اصطفنا نادى منادي علي بن أبي طالب عليه السلام : يا معشر قريش اتقوا الله على أنفسكم فإني أعلم أنكم قد خرجتم و ظننتم أن الأمر لا يبلغ إلى هذا ، فالله الله في أنفسكم فإن السيف ليس له بقيا ، فإن أحببتم فأنصرفوا حتى نحاكم هؤلاء القوم ، وإن أحببتم فإني فأنكم آمنون بأمان الله ، قال : فاستحيينا أشد الحياء وأبصرنا ما نحن فيه ولكن الحفاظ حملنا على الصبر مع عائشة حتى قتل من قتل منا ، فوالله لقد رأيت أصحاب علي عليه السلام وقد وصلوا إلى الجمل وصاح منهم صائح : اعقروه ، فعقروه ونادى علي عليه السلام : من طرح السلاح فهو آمن ، ومن دخل بيته فهو آمن ، فوالله ما رأيت أكرم عفواً منه .

وفي الامامة والسياسة للدينوري . قال حية بين جهين : نظرت إلى علي عليه السلام وهو يخفق نعاساً فقلت له : تا الله ما رأيت كالיום قط ، إن با زائنا لمائة ألف سيف وقد هزمت ميمنتك وميسرتك وأنت تخفق نعاساً؟ فانتبه ورفع يديه وقال : اللهم إني أعلم ما كتبت في عثمان سواداً في بياض وأن الزبير وطلحة ألبا وأجلبا علي الناس ، اللهم أولانا بدم عثمان فخذ اليوم .

وفي مروج الذهب : قد كان أصحاب الجمل حملوا على ميمنة علي عليه السلام وميسرته فكشفوها فأتاه بعض ولد عقيل وعلي عليه السلام يخفق نعاساً على قربوس سرجه فقال له : يا عم قد بلغت ميمنتك وميسرتك حيث ترى وأنت تخفق نعاساً؟ قال : اسكت يا ابن أخي فإن لعمتك يوماً لا يعدهو ، والله لا يبالي عمتك وقع على الموت أو وقع الموت عليه

ثم بعث إلى ولده محمد ابن الحنفية و كان صاحب رايته : احمل على القوم فأبطأ محمد عليه وكان با زائه قوم من الرماة ينتظر نفا - سهامهم ، فأناه علي عليه السلام فقال : هلا حملت؟ فقال : لا أجد متقدماً إلا على سهم أو سنان وإني لمنتظر نفا سهامهم وأحمل ، فقال :

احمل بين الأسنّة فإنّ للموت عليك جنّة، فحمل محمد فسكن بين الرماح والنشاب فوقف فأتاه عليّ فضربه بقائم سيفه وقال : أدركك عرق أمّك ، وأخذ الراية وحمل وحمل الناس معه فما كان القوم إلاّ كرماد اشتدّت به الريح في يوم عاصف وطافت بنو أمية بالجمل وقطع على خظام الجمل سبعون يداً من بني ضبّة ، ورهي الهودج بالنشاب والنبل وعرقب الجمل ووقع الهودج والناس مفترقون يقتتلون . ولمّا سقط الجمل ووقع الهودج جاء محمد بن أبي بكر فأدخل يده فقالت : أنت ؟ قال : أقرب الناس قرابة وأبغضهم إليك أنا محمد أخوك يقول لك أمير المؤمنين هل أصابك شيء ؟ قالت : ما أصابني إلاّ سهم لم يضرّني .

فجاء عليّ عليه السلام حتّى وقف عليها فضرب الهودج بقضيب وقال : يا حميراء رسول الله أمرك بهذا ؟ ألم يأمرك أن تقرّي في بيتك ، والله ما أنصفك الذين أخرجوك إذ صانوا عقائلهم وأبرزوك ، وأمراً خاها محمداً فأنزّلها في دار صفيّة بنت الحارث بن أبي طلحة العبدي وهي أمّ طلحة الطلحات ، ووقع الهودج والناس مفترقون يتمتلون ، والتقى الأشتر بن مالك بن الحارث النخعي وعبدالله بن الزبير فاعتركا وسقطا إلى الأرض عن فرسيهما والناس حولهم يجولون وابن الزبير ينادي : اقتلوني و مالكا ، واقتلوا مالكا معي : فلا يسمعهما أحد لشدة الجلال ووقع الحديد ، ولا يراهما راء لظلمة النقع وترادف العجاج ، وجاء ذوالشهادتين خزيمة ابن ثابت إلى عليّ فقال ، يا أمير المؤمنين لاتنكس اليوم رأس محمد واردد إليه الراية فدعا به وردّ عليه الراية وقال :

اطعنهم طعن أبيك تحمد

لاخير في حرب إذا لم توقد

بالمشرفيّ والقنا المشردّ

ثمّ استسقى فأُتي بمسل وماء فحسامنه حسوة وقال : هذا الطائفيّ وهو غريب البلد فقال له عبدالله بن جعفر : ماشغلك ما نحن فيه عن علم هذا ؟ قال : إنه والله يا بنيّ ما ملأ بصدر عمك شيء قطّ من أمر الدنيا ، ثمّ دخل عليه السلام البصرة وكانت الواقعة في الموضع المعروف بالخريبة يوم الخميس لعشر خلون من جمادى

الآخرة سنة ست وثلاثين .

وقال الدينوري : فشق علي في عسكر القوم يطعن ويقتل ثم خرج وهو يقول الماء الماء ، فأتاه رجل بأداة فيها عسل فقال له : يا أمير المؤمنين أما الماء فإنه لا يصلح لك في هذا المقام ولكن أزوقك هذا العسل فقال : هات ، فحسا منه حسوة ثم قال : إن عسلك لطائفي ، قال الرجل : لعجباً منك والله يا أمير المؤمنين لمعرفتك الطائفي من غيره في هذا اليوم وقد بلغت القلوب الحناجر ، فقال له علي عليه السلام : إنه والله يا ابن أخي ما ملأ صدر عمك شيء قط ولا هابه شيء ، ثم أعطى الراية لابنه محمد وقال : هكذا فاصنع فاقتتل الناس ذلك اليوم قتلاً شديداً وكانوا كذلك يروحون ويغدون على القتال سبعة أيام وإن علياً خرج إليهم بعد سبعة أيام فهزمهم .

«قتل الزبير بن العوام»

كان الزبير ممن ولى يوم الجمل مدبراً وعدّه الطبري في التاريخ ممن انهزم يوم الجمل فاخفقى ومضى في البلاد قال : كتب إلي السري عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالوا : ومضى الزبير في صدر يوم الهزيمة راجلاً نحو المدينة فقتله ابن جرموز ، وممن ولى مدبراً مروان بن الحكم وأوى إلى أهل بيت من عنزة وعدة نفرأ كثيراً منهم في تاريخه .

وقد تظافت الأخبار عن الفريقين أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام خرج بنفسه حاسراً على بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله الشهباء بين الصفين ، فنادى يا زبير اخرج إلي فخرج شاكراً في سلاحه فدنا إليه حتى اختلفت أعناق دابتيهما فقال له علي : ويحك يا زبير ما الذي أخرجك ؟ قال : دم عثمان ، قال : قتل الله أولانا بدم عثمان أما تذكر يوماً لقيت رسول الله صلى الله عليه وآله في بني بياضة وهو راكب حماره فضحك إلي رسول الله صلى الله عليه وآله وضحك أنت معه فقلت أنت : يا رسول الله ما يدع علي زهوه فقال لك : ليس به زهو ، أتجبه يا زبير ؟ فقلت : إني والله لأجبه فقال لك : إنك

والله ستقاتله وأنت له ظالم .

فقال الزبير : أستغفر الله لو ذكرتها ما خرجت ، فقال عليه السلام : يا زبير ارجع فقال : وكيف أرجع الآن وقد التقت حلقتا البطان ، هذا والله العار الذي لا يغسل فقال : يا زبير ارجع بالعار قبل أن تجمع العار والنار ، فانصرف الزبير ودخل على عائشة فقال : يا أمّاه ما شهدت موطناً قط في الشرك ولا في الإسلام إلا ولي فيه رأي وبصيرة غير هذا الموطن ، فأنه لا رأي لي فيه ولا بصيرة ، وعلى نقل الدينوري في الامامة والسياسة قال : وإنني لعلى باطل ، قالت له عائشة : يا أبا عبد الله خفت سيف بني عبدالمطلب ، فقال : أما والله إن سيف بني عبدالمطلب طوال حداد يحملها فتية أنجاد . وقال المسعودي في مروج الذهب : ولما رجع الزبير عن الحرب قال ابنه عبدالله : أين تدعنا ؟ فقال : يا بني أذكرني أبو حسن بأمر كنت قد أنسيته قال : بل خفت سيف بني عبدالمطلب فانها طوال حداد يحملها فتية أنجاد فقال : لا والله ولكنني ذكرت ما أنسانيه الدهر فاخترت العار على النار أبا لجين تعيرني لا أبا لك ؟ ثم أمال سناناه وشد في الميمنة فقال علي عليه السلام : افرجوا له فقدها جوه ثم رجع فشد في الميسرة ، ثم رجع فشد في القلب ، ثم عاد إلى ابنه فقال : أيفعل هذا جبان . وقال الدينوري : إن الزبير قال لابنه عبدالله حينئذ : عليك بحربك ، أمّا أنا فراجع إلى بيتي ، فقال له ابنه عبدالله : الآن حين التقت حلقتا البطان واجتمعت الفئتان ، والله لا يغسل رؤسنا منها ، فقال الزبير لابنه : لاتعد هذا مني جباناً ، فوالله ما فارقت أحداً في جاهلية ولا إسلام ، قال : فما يردك ؟ قال : يردني ما إن علمته كسرك .

ثم انصرف الزبير راجعاً إلى المدينة حتى أتى وادي السباع والأحنت بن قيس معتزل في قومه من بني تميم ، فأتاه آت فقال له : هذا الزبير ماراً ، فقال : ما أصنع بالزبير ؟ وقد جمع بين فئتين عظيمتين من الناس يقتل بعضهم بعضاً وهو ماراً إلى منزله سالماً .

فلحقه نفر من بني تميم فسبقهم إليه عمرو بن جرموز التميمي فقال للزبير :

يا أبا عبد الله أحيمت حرباً ظالماً أو مظلوماً ثم تنصرف؟ أتائب أنت أم عاجز؟ فسكت عنه ، ثم عاوده فقال له : يا أبا عبد الله حدثني عن خصال خمس أسألك عنها ، فقال : هات . قال : خذلك عثمان ، وبيعتك علياً ، وإخراجك أم المؤمنين ، وصلاتك خلف ابنك ، ورجوعك عن الحرب .

فقال الزبير : نعم أخبرك أما خذلي عثمان فأمر قدراً الله فيه الخطيئة وأختر التوبة ، و أما بيعتي علياً فوالله ما وجدت من ذلك بدأ حيث بايعه المهاجرون والأ نصار وخشيت القتل ، وأما إخراجنا أمنا عائشة فأردنا أمراً وأراد الله غيره ، وأما صلاتي خلف ابني فإنما قدمت عائشة أم المؤمنين ولم يكن لي دون صاحبي أمر وأما رجوعي عن هذا الحرب فظن بي ما شئت غير الجبن .

فقال ابن جرموز : والهفا على ابن صفيّة أضرم ناراً ثم أراد أن يلحق بأهله قتلني الله إن لم أقتله وسار معه ابن جرموز وقد كفر على الدرع ، فلما انتهى إلى وادي السباع استغفله فطعنه .

وقال المسعودي في مروج الذهب : وقد نزل الزبير إلى الصلاة فقال لابن جرموز : أتؤمنني أو أوأمك؟ فأمره الزبير فقتله عمرو في الصلاة ، وأتى عمرو علياً بسيف الزبير وخاتمه ورأسه وقيل : إنه لم يأت برأسه فقال علي عليه السلام : سيف طال ما جلئ به الكرب عن وجه رسول الله ﷺ ، ولكن الحين ومصارع السوء ، وقاتل ابن صفيّة في النار ، ففي ذلك يقول ابن جرموز :

و كنت أرجي به الزلقة	أتيت علياً برأس الزبير
و بئس بشارة ذي التحفة	فبشّر بالنار قبل العيان
لولا رضاك من الكلفة	فقلت إن قتل الزبير
وإلا فدونك لي حلقة	فان ترض ذلك فمك الرضا
ورب الجماعة والألفة	ورب المحلّين والمحرمين
وضرطة عنز بندي الجحفة	لسيآن عندي قتل الزبير

«قتل طلحة»

في الكافي : قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته يوم الجمل : وا عجباً لطلحة

ألب الناس على ابن عفان حتى إذا قتل أعطاني صفقته بيمينه طائعاً ، ثم نكث بيعتي اللهم خذه ولا تمهله ، وأن الزبير نكث بيعتي وقطع رحمي وظاهر على عدوي فأكفنيه اليوم بما شئت .

وقال الدينوري في الامامة والسياسة : إن القوم اقتتلوا حول الجمل حتى حال بينهم الليل وكانوا كذلك يروحون ويغدون على القتال سبعة أيام وأن علياً خرج إليهم بعد سبعة أيام فهزّمهم ، فلما رأى طلحة ذلك رفع يديه إلى السماء وقال : إن كنا قد داهنا في أمر عثمان وظلمناه فخذله اليوم منا حتى ترضى ، فما مضى كلامه حتى ضربه مروان ضربة أتى منها على نفسه فخرت .

قال الطبري في التاريخ (ص ٥٣٤ ج ٣ طبع مصر ١٣٥٧هـ) كذب إلي السري عن شعيب عن سيف عن اسماعيل بن أبي خالد عن حكيم بن جابر قال : قال طلحة يومئذ - أي يوم حرب الجمل - اللهم أعط عثمان مني حتى يرضى ، فجاء سهم غرب وهو واقف فحل ركبته بالسرج وثبت حتى امتلاء موزجه دماً ، فلما ثقل قال لمولاه : اردفني وابغني مكاناً لا أعرف فيه ، فلم أر كاليوم شيخاً أضيع دماً ، فركب مولاه وأمسكه وجعل يقول : قد لحقنا القوم حتى انتهى به إلى دار من دور البصرة خربة وأنزله في فيئها ، فمات في تلك الخربة ودفن في بني سعد . انتهى .

وقال المفيد في الجمل : روى اسماعيل بن عبد الملك عن يحيى بن شبل عن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام قال : حدثني أبي علي زين العابدين عليه السلام قال : قال لي مروان بن الحكم : لما رأيت الناس يوم الجمل قد كشفوا قلت والله لأدر كن ثاري ولا أفزن منه الآن ، فرميت طلحة فأصبت نساء ، فجعل الدم ينزف ، فرميته ثانية فجاءت به فأخذوه حتى وضعوه تحت شجرة فبقي تحتها ينزف منه الدم حتى مات .

وفي مروح الذهب للمسعودي بعد ما رجع الزبير عن الحرب نادى علي عليه السلام طلحة حين رجع الزبير : يا أبا محمد ما الذي أخرجك ؟ قال : الطلب بدم عثمان . قال علي عليه السلام : قتل الله أولانا بدم عثمان ، - أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول :

اللهمَّ وال من والاه وعاد من عاداه ؟ وأنت أوَّل من بايعني ثمَّ نكثت ، وقد قال
الله عزَّ وجلَّ « ومن نكث فانما ينكث على نفسه » فقال : أستغفر الله ثمَّ رجع ، فقال
مروان بن الحكم : رجع الزبير و يرجع طلحة ما أبالي رميت ههنا أم ههنا
فرماه في أكحله فقتله ، فمرَّ به عليُّ عليه السلام بعد الوقعة في موضعه في قنطرة قرّة
فوقف عليه فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون والله لكنت كارهاً لهذا أنت والله كما
قال القائل :

فتى كان يدينه الغنى من صديقه إذا ما هو استغنى و يبعده الفقر
كان الثريا علقت في يمينه وفي خده الشعرى وفي الآ خر البدر
وزكر أن طلحة لما ولّى سمع وهو يقول :

ندمت ندامة وضلّ حلمي ولهفي ثمّ لهف أبي وأمّي
ندمت ندامة الكسعي لما طلبت رضا بني حزم بزعمي
وهو يمسح عن جبينه الغبار وهو يقول : وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، وقيل :
إنه سمع ويقول هذا الشعر وقد جرحه في جبهته عبد الملك ورماه مروان في أكحله
وقد وقع صريعاً بوجود نفسه .

ونقل الطبرسي في الاحتجاج عن نصر بن مزاحم أن قتل طلحة كان قبل قتل
الزبير فإنه قال : روى نصر بن مزاحم أن أمير المؤمنين عليه السلام حين وقع القتال
وقتل طلحة تقدّم على بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله الشهباء بين الصفيين فدعا الزبير فدنا
إليه الخ .

قال : وروي أيضاً أن مروان بن الحكم يوم الجمل كان يرمي بسهامه في
العسكريين معاً ويقول : أصبت أياً منهما فهو فتح لقلّة دينه و تهمة للجميع
بيان : الكسع بالضم فالفتح حيّ من اليمن ومنه قولهم ندامة الكسعي .
قال الميداني في مجمع الأمثال في بيان مثلهم : أندم من الكسعي ما هذا
لفظه : قال حمزة : هو رجل من كسعة واسمه محارب بن قيس ، وقال غيره :
هو من بني كسع ثمّ من بني محارب و اسمه غامد بن الحارث ومن حديثه أنه كان

يرعى إبلاً له بوادٍ معشب فبينما هو كذلك إذ ابصر بنبعة في صخرة فأعجبته فقال :
ينبغي أن يكون هذه قوساً ، فجعل يتعهدّها ويرقبها حتى أركت قطعها و جفّفها
فلما جفّت اتخذت منها قوساً و أنشأ يقول :

يا ربّ وفقني لنحت قوسي فإنها من لذّتي لنفسي
وانفع بقوسي ولدي و عرسي أنحتها صفراء مثل الورس
صفراء ليست كقسيّ التمسك

ثمّ دهنها وخطمها بوتر ثمّ عمد إلى مكان من برايتها فجعل منه خمسة أسهم
وجعل يقلبها في كفّه ويقول :

هنّ و ربّي أسهم حسان تلذّ للرامي بها البنان
كأنّما قوسها ميزان فابشروا بالخصب يا صبيان

إن لم يعقني الشوم والحرمان

ثمّ خرج حتّى أتى قنطرة على موارد حمر فكمن فيها ، فمرّ قطع منها فرمى
غيراً منها فأمخطه السهم أي أنفذه فيه و جازه و أصاب الجبل فأورى ناراً فظنّ أنّه
أخطأ فأنشأ يقول :

أعوذ بالله العزيز الرحمن من نكد الجدّ معاً والحرمان
مالي رأيت السهم بين الصوّان يوري شراراً مثل لون العقيان
فأخلف اليوم رجاء الصبيان

ثمّ مكث على حاله فمرّ قطع آخر فرمى غيراً منها فأمخطه السهم و صنع
صنيع الأوّل فأنشأ يقول :

لا بارك الرحمن في رمي القنتر أعوذ بالخالق من سوء القدر
أأمخط السهم لازهاق الضرر أم ذاك من سوء احتيال ونظر

ثمّ مكث على حاله فمرّ قطع آخر فرمى غيراً منها فأمخطه السهم و صنع
صنيع الثاني فأنشأ يقول :

ما بال سهمي يوحد الحبا حبا قد كنت أرجو أن يكون صائباً
و أمكن العير و ولى جانباً فصار رأيي فيه رأياً خائباً

ثم مكث مكانه فمرّ به قطيع آخر فرمى غيراً منها فصنع صنيع الثالث
فأنشأ يقول :

يا أسفاً للشوم والجدّ النكد
أخلف ما أرجو لأهل و ولد
ثم مرّ به قطيع آخر فرمى غيراً منها فصنع صنيع الرابع فأنشأ يقول :
أبعد خمس قد حفظت عدّها
أحمل قوسي وأريد ردّها
أخزى الاله لينها وشدّها
والله لا تسلم عندي بعدها
ولا أرجي ما حيت رفدها

ثم عمد إلى قوسه فضرب بها حجراً فكسرها ، ثم بات فلما أصبح نظر
فاذا الحمرمطرحة حوله مصرعة وأسهمه بالدّم مضرحة فندم على كسر القوس فشدّ
على إبهامه فقطعها وأنشأ يقول :

ندمت ندامة لو أن نفسي
تبين لي سفاء الرأي مني
تطاوعني إذا لقطعت خمسي
لعمراً بيك حين كسرت قوسي
قال الفرزدق :

ندمت ندامة الكسعي لما
وكانت جنّتي فخرجت منها
غدت منّي مطلقة نوار
كآدم حين لجّ بالضرار
وكنت كفاقيء عينيه عمداً
فأصبح ما يضيء له النهار
ولو إنّي ملكت يدي وقلبي
لكان عليّ للقدر الخيار
وقال آخر :

ندمت ندامة الكسعي لما
وقال علم الهدى في الشافي : إن طلحة تمثّل بهذا البيت ، وروى المفيد في آخر
الجمال مسنداً أن طلحة لما قدم مكة بعد قتل عثمان وبيعه علياً عليه السلام وقبل حرب
الجمال جاء إلى عائشة فلما رأته قالت : يا أبا محمّد قتلت عثمان و بايعت علياً فقال
لها : يا أمّاه مثلي كما قال الشاعر :

ندمت ندامة الكسعي لما
رأت عيناه ما صنعت يدها

« بحث كلامي »

قد بين في المجلد الأول من تكملة المنهاج (ص ٣٦٧ - ٣٧٩) أن محاربي علي ومنهم أصحاب صفين والجمال كفرة ، وأن أمير المؤمنين عليه السلام لم يسرفهم بسيرة الكفار ، لأن التساوي في الكفر لا يوجب التساوي في جميع أحكامه ، لأن أحكام الكفر مختلفة ، فحكم الحربي خلاف حكم الذمي ، و حكم أهل الكتاب خلاف حكم من لا كتاب له ، من عبادة الأصنام ، فان أهل الكتاب يؤخذ منهم الجزية ويقرؤون على أديانهم ، ولا يفعل ذلك بعبادة الأصنام ، و حكم المرتد بخلاف حكم الجميع ، وإذا كان أحكام الكفر مختلفة مع الاتفاق في كونه كفراً لا يمتنع أن يكون من حاربه عليه السلام كافراً وإن سارفيهم بخلاف أحكام سائر الكفار كما سنتلو عليك طائفة من سيرته عليه السلام في أصحاب الجمال ، وفعله عليه السلام حجة في الشرع بما ثبت من إمامته وعصمته فيجب أن يكون سيرته فيهم هو الذي يجب العمل به .

فان قلت : فما الوجه فيما نقل من الفريقين أن أمير المؤمنين عليه السلام قال : قاتل ابن صفية في النار ، ثم إن رجوعه عن الحرب يدل على توبته فلا يشمل أحكام المحاربين ، على أن الزبير كان من العشرة المبشرة بالجنة ، وكذلك الكلام في طلحة أن قوله : ندمت ندامة الكسعي يدل على أنه تاب و كان من العشرة أيضاً ؟ .

قلت : قد أورد كثيراً من هذه الاعتراضات القاضي عبد الحبار في المغني وأجابها علم الهدى الشريف المرتضى في الفصل الأخير من الشافي بما لا مزيد عليه ومن نظر في تلك الأجوبة نظر دقة وتأمل لرأى أنها شافية كافية ، وذكر بعض تلك الأسئلة وأجوبتها في الزبير خاصة في كتابه الموسوم بتزوية الأنبياء ، وكان ما أتى به فيه هو خلاصة ما فصله في الشافي وقد صنف الشافي قبله ، قال :

فان قيل : فما الوجه فيما ذكره النظام من أن ابن جرموز لما أتى أمير المؤمنين عليه السلام برأس الزبير وقد قتله بواد السباع قال أمير المؤمنين عليه السلام : والله ما كان ابن صفية بجبان ولا لئيم ولكن الحين ومصارع السوء ، فقال ابن جرموز :

الجائزة يا أمير المؤمنين ، فقال عليه السلام : سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول : بشرقات ابن صفيّة بالنار ، فخرج ابن جرموز وهو يقول شعراً : أتيت علياً برأس الزبير إلى آخر الأبيات ، وقد كان يجب على علي عليه السلام أن يقيد بالزبير وكان يجب على الزبير إن بان له أنه على خطأ أن يلحق بعلي عليه السلام فيجاهد معه ؟ .

الجواب : أنه لاشبهة في أن الواجب على الزبير أن يعدل إلى أمير المؤمنين عليه السلام وينحاز إليه ويبدل نصرته لاسيما إذا كان رجوعه على طريق التوبة والانابة ، ومن أظهر ما أظهر من المباينة والمحاربة إذا تاب وتبين خطأه يجب عليه أن يظهر ضد ما كان أظهره لاسيما وأمير المؤمنين عليه السلام في تلك الحال مصاف لعدوه و محتاج إلى نصره من هودون الزبير في الشجاعة والنجدة ، قال : وليس هذا موضع استقصاء ما هو يتصل بهذا المعنى ، وقد ذكرناه في كتابنا الشافي .

فأما أمير المؤمنين عليه السلام فانما عدل أن يقيد ابن جرموز بالزبير لأحد أمرين إن كان ابن جرموز قتله غدراً وبعد أن آمنه ، أو قتله بعد أن ولى مدبراً وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام أمر أصحابه أن لا يتبعوا مدبراً ولا يجهزوا على جريح ، فلمّا قتل ابن جرموز الزبير مدبراً كان بذلك عاصياً مخالفاً لأمر إمامه عليه السلام ، فالسبب في أنه عليه السلام لم يقده به أن أولياء الدم الذين هم أولاد الزبير لم يطالبوا بذلك ولا حكموا فيه ، وكان أكبرهم والمنظور إليه عبدالله محارباً لأمر المؤمنين عليه السلام مجاهراً له بالعداوة و المشاققة فقد أبطل بذلك حقه ، لأنه لو أراد أن يطالب به لرجع عن الحرب وبايع وسلم ثم طالب بعد ذلك فانتصف له منه .

وإن كان الأمر الآخر وهو أن يكون ابن جرموز ما قتل الزبير إلا مبارزة بغير غدر ولا أمان تقدم على ما ذهب إليه قوم ، فلا يستحق بذلك قوداً ولا مسألة ههنا في القود .

فان قيل : على هذا الوجه ما معني بشارته بالنار ؟

قلنا : المعنى فيها الخبر عن عاقبة أمره لأن الثواب والعقاب إنما يحصلان على عواقب الأعمال و خواتيمها ، و ابن جرموز هذا خرج مع أهل النهر على

أمير المؤمنين عليه السلام فقتل هناك ، فكان بذلك الخروج من أهل النار لا يقتل الزبير .
فإن قيل : فأى فائدة لإضافة البشارة بالنار إلى قتل الزبير و قتله طاعة
وقربة ، وإنما يجب أن يضاف البشارة بالنار إلى ما يستحق به النار ؟ .
قلنا : عن هذا جوابان :

أحدهما أنه عليه السلام أراد التعريف والتنبيه وإنما يعرف الإنسان بالمشهور
من أفعاله والظاهر من أوصافه ، وابن جرmoz كان غفلاً خاملاً وكان فعله بالزبير
من أشهر ما يعرف به مثله ، وهذا وجه في التعريف صحيح .

و الجواب الثاني أن قتل الزبير إذا كان باستحقاق على وجه الصواب من
أعظم الطاعات وأكبر القربات ، ومن جرى على يده يظن به الفوز بالجنة ، فأراد
عليه السلام أن يعلم الناس أن هذه الطاعة العظيمة التي يكثرت ثوابها إذا لم تعقب
بما يفسده غير نافعة لهذا القاتل ، وأنه سيأتي من فعله في المستقبل ما يستحق به
النار ، فلا تظنوا به لما اتفق على يده من هذه الطاعة خيراً .

وهذا يجري مجرى أن يكون لأحدنا صاحب خصيص به خفيف في طاعته
مشهور بنصيحته فيقول هذا المصحوب بعد برهة من الزمان لمن يريد إطفائه
وتعجيبه : أوليس صاحبي فلان الذي كانت له من الحقوق كذا وكذا وبلغ من
الاختصاص بي إلى منزلة كذا قتلته وأبحت حريمه وسلبت ماله وإن كان ذلك إنما
استحقته بما تجدد منه في المستقبل ، وإنما عرف بالحسن من أعماله على سبيل التعجب
وهذا واضح . انتهى .

وقال في الشافي : وأما الكلام في توبة طلحة فهو على المخالف أضيق وأخرج
من الكلام في توبة الزبير ، لأن طلحة قتل بين الصفيين وهو مباشر للحرب مجتهد
فيها ولم يرجع عنها حتى أصابه السهم فأتى على نفسه ، و ادعاء توبة مثل
هذا مكابرة .

فأما قوله أنه لما أصابه السهم أنشد البيت الذي ذكره وأنه يدل على توبته
فبعيد من الصواب ، بل البيت المروي بأنه يدل على خلاف التوبة أولى ، لأنه

جعل ندمه مثل ندامة الكسعي ، وخبر الكسعي معروف لأنه ندم حيث لا ينفعه الندامة وحيث فات الأمر وخرج عن يده ، ولو كان ندم طلحة واقعاً على وجه التوبة الصحيحة لم يكن مثل ندامة الكسعي ، بل كان شبيهاً لندامة من تلافى ما فرط على وجه ينتفع به .

ثم أخذ برداً ما تمسك بها القاضي عبد الجبار في توبته وتصحيح عمله فراجع فانه رحمه الله أفاد بما هو فوق المراد .

أقول : لا يخفى أن طلحة قال البيت في حال كان يوجد فيها بنفسه ولا يقبل التوبة في مثل تلك الحال كما حققناه في المجلد الأول من التكملة .

وأما كونهما من العشرة المبشرة بالجنة ففي الاحتجاج نقلاً عن سليم بن قيس الهلالي : لما التقى أمير المؤمنين عليه السلام أهل البصرة يوم الجمل نادى الزبير يا أبا عبد الله اخرج إليّ ، فخرج الزبير ومعه طلحة ، قال : والله إنكما لتعلمان وأولو العلم من آل محمد وعائشة بثت أبي بكر أن كل أصحاب الجمل ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وقد خاب من افتري ، قال الزبير : كيف نكـون ملعونين ونحن أهل الجنة ؟ فقال علي عليه السلام : لو علمت أنكم من أهل الجنة لما استحلتت قتالكم ؛ فقال له الزبير : أما سمعت حديث سعيد بن عمرو بن نفيل و هو يروي أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : عشرة من قریش في الجنة ؟ قال علي عليه السلام : سمعته يحدث بذلك عثمان في خلافته ، فقال الزبير : أفترأه كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال له علي عليه السلام : لست أخبرك بشيء حتى تسميهم ، قال الزبير : أبو بكر وعمر ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، و سعد بن أبي وقاص وأبو عبيدة بن الجراح ، وسعيد بن عمرو بن نفيل ؛ فقال له علي عليه السلام : عددت تسعة فمن العاشر ؟ قال له : أنت ؛ قال له علي عليه السلام : أما أنت فقد أقررت أنني من أهل الجنة ، وأما ما ادّعت لنفسك وأصحابك فأنا به من الجاحدين الكافرين قال له الزبير : أفترأه كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : ما أراه كذب ولكنه والله اليقين ، فقال علي عليه السلام والله إن بعض من سمّيته لفي تابوت في شعب في جب في أسفل

درك من جهنم على ذلك الجبّ صخرة إذا أراد الله أن يسعّر جهنم رفع تلك الصخرة سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله ، وإلاّ أظفرك الله بي وسفك دمي على يدك ، وإلاّ أظفركي الله عليك و على أصحابك وعجلت أرواحكم إلى النار ، فرجع الزبير إلى أصحابه وهو يبكي .

وروى حسين الأشقر ، عن أبي يعقوب يوسف البزاز ، عن جابر ، عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام أن أمير المؤمنين عليه السلام لما مرّ على طلحة بين القتلى قال : أعوده فأقعد فقال عليه السلام : إنه كانت لك سابقة ولكنّ الشيطان دخل في منخريك فأوردك النار .

وروى المفيد في الجمل مثل كلامه ذلك في الزبير أيضاً أن أمير المؤمنين عليه السلام لما رأى رأس الزبير و سيفه قال للأحنف الذي جاء برأسه إليه عليه السلام : ناولني السيف ، فناوله فهزّه وقال : سيف طالما قاتل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله ولكن الحين ومصارع السوء ، ثمّ تفرّس في وجه الزبير وقال : لقد كان لك برسول الله صلى الله عليه وآله صحبة ومنه قرابة ، ولكن دخل الشيطان منخرك فأوردك هذا المورد . ومن أراد أكثر من ذلك فعليه بالشافعي .

« كلامه عليه السلام حين قتل طلحة وتفرق الناس »

قال الشيخ المفيد قدّس سرّه في الارشاد : ومن كلامه عليه السلام حين قتل طلحة وانفضّ أهل البصرة : بنا تسنّمتم الشرف ، وبنا انفجرتم . الخ (ص ١٢١ طبع طهران ١٣٧٧ هـ) .

وذكر كلامه هذا في النهج أيضاً وهو الخطبة الرابعة منه و بين النسختين اختلاف في الجملة إلاّ أنّ في ذيلهما بوناً بعيداً .

فما في النهج : غرب رأي امرئٍ تخلف عني ، ما شككت في الحقّ مذاًرّيته لم يوجس موسى خيفة على نفسه ، أشفق من غلبة الجهّال و دول الضلال ، اليوم توافقنا على سبيل الحقّ والباطل ، من وثق بماء لم يظماً .

وما في الارشاد غرب فهم امرئٍ تخلف عني ، ما شككت في الحقّ منذاًرّيته

كان بنو يعقوب على المحجة العظمى حتى عقوا أباهم وباعوا أخاهم ، وبعدا لإقرار كانت توبتهم وباستغفار أيهم وأخيهم غفر لهم .

« كلام أمير المؤمنين عليه السلام عند تطوفه على القتلى وتكليمه إياهم »

نقل كلامه ﷺ عند تطوفه على القتلى الشيخ الأجل المفيد في الجمل والارشاد وبعضه العالم الجليل الطبرسي في الاحتجاج و ذكر طائفة منه في غيرهما من الجوامع :

ففي الجمل لما انجلت الحرب بالبصرة وقتل طلحة والزبير و حملت عائشة إلى قصر بني خلف ركب أمير المؤمنين ﷺ وتبعه أصحابه وعمار بن ياسر رحمه الله يمشي مع ركابه حتى خرج إلى القتلى يطوف عليهم ، فمرّ بعبد الله بن خلف الخزاعي وعليه ثياب حسان مشهرة فقال الناس : هذا والله رأس الناس ، فقال ﷺ : ليس برأس الناس ولكنّه شريف منيع النفس .

ثم مرّ بعبدالرحمن بن عتاب بن أسيد فقال : هذا يعسوب القوم ورأسهم كما تروه ، ثم جعل يستعرض القتلى رجلاً رجلاً ، فلما رأى أشرف قریش صرعى في جملة القتلى قال :

جدعت أنفي أما والله إن كان مصرعكم لبعيضاً إليّ ولقد تقدّمت إليكم وخذرتكم عضّ السيوف وكنتم أهدأ لاعلم لكم بما ترون ، ولكن الحين ومصارع السوء ونعوذ بالله من سوء المصراع .

وفي مروج الذهب : ووقف ﷺ على عبدالرحمن بن عتاب بن أسيد بن أبي العاص بن أمية وهو قتيل يوم الجمل فقال :

لهفي عليك يعسوب قریش قتلت الغطاريف من بني عبد مناف شفيت نفسي وجدعت أنفي ، فقال له الأشر: ما أشدّ جزعك عليهم يا أمير المؤمنين ، وقد أرادوا بك ما نزل بهم ؟ فقال لي : إنه قامت عني وعنهم نسوة لم يقمن عنك .

قال : وأصيب كفّ ابن عتاب بمنى ألقاها عقاب وفيها خاتم نقشه : عبد الرحمن بن عتاب ، وكان اليوم الذي وجد فيه الكف بعد يوم الجمل بثلاثة أيام .

أقول : الظاهر أن قصة الكف لا تخلو من اختلاق وفرية وإن نقلها أبو جعفر الطبري أيضاً .

ثم سار حتى وقف على كعب بن سور القاضي وهو مجدّل بين القتلى وفي عنقه المصحف فقال : نَحَوُوا المصحف وضعوه في مواضع الطهارة ، ثم قال : اجلسوا لـي كعباً فأجلس ورأيته ينخفض إلى الأرض فقال : يا كعب بن سور قد وجدت ما وعدني ربّي حقاً فهل وجدت ما وعدك ربك حقاً ؟ ثم قال : اضجعوا كعباً .

وقال في الارشاد : ثم مرّ بكعب بن سور فقال : هذا الذي خرج علينا في عنقه المصحف يزعم أنه ناصراً لله يدعو الناس إلى ما فيه وهو لا يعلم ما فيه ، ثم استفتح فخاب كل جبار عنيد أما إنه دعا الله أن يقتلني فقتله الله ، اجلسوا كعب بن سور فأجلس فقال له : يا كعب لقد وجدت الخ .

وقال الطبري في التاريخ : قد كان كعب بن سور أخذ مصحف عائشة فيدر بين الصفيين يناشدهم الله عزّ وجلّ في دمائهم واعطى درعه فرمى بها تحته واتي بترسه فتسكبه فرشقوه رشقاً واحداً فقتلوه فكان أوّل مقتول بين يدي عائشة من أهل الكوفة ثم روى عن مخلّد بن كثير عن أبيه قال : أرسلنا مسلم بن عبدالله يدعو بني أبينا فرشقه أصحاب الجمل رشقاً واحداً كما صنع بكعب فقتلوه فكان أوّل من قتل بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام .

ثم مرّ عليه السلام بطلحة بن عبيدالله فقال : هذا الناكث بيعتي والمنشئ الفتنة في الأمة والمجلب عليّ والدّاعي إلى قتلي وقتل عترتي اجلسوا طلحة بن عبيدالله فأجلس فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : يا طلحة قد وجدت ما وعدني ربّي حقاً فهل وجدت ما وعدك ربك حقاً ، ثم قال : اضجعوا طلحة و سار فقال له بعض من كان معه : يا أمير المؤمنين أتكلّم كعباً وطلحة بعد قتلها ؟ فقال : أم والله لقد سمعنا كلامي كما سمع أهل القلب كلام رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر ، ولو أذن لهما في الجواب لرأيت عجباً ، ويعني بالقلب بئر بدر .

وقد مضى كلامه عليه السلام لما مرّ بطلحة وعبدالرحمن بن عتاب بن أسيد وهما

قتيلان يوم الجمل : لقد أصبح أبو محمد بهذا المكان غريباً أما والله لقد كنت الخ .
(الكلام ٢١٧ من باب الخطب) .

ومر عليه السلام بمعبد بن المقداد بن عمر وهو في الصرعى فقال عليه السلام : رحم الله أباً هذا إنما كان رأيه فينا أحسن من رأي هذا ، فقال عمار : الحمد لله الذي أوقعه وجعل خدّه الأسفل إننا والله يا أمير المؤمنين لانبا لي عمّن عند عن الحقّ من ولد و والد ، فقال عليه السلام : رحمك الله يا عمار وجزاك الله عن الحقّ خيراً .

ومرّ بعبدالله بن ربيعة بن درّاج وهو في القتلى فقال : هذا البائس ما كان أخرجه ؟ أدين أخرجه أم نصر لعثمان ؟ والله ما كان رأي عثمان فيه ولا في أبيه بحسن .

ثم مرّ بمعبد بن زهير بن أبي أمية فقال : لو كانت الفتنة برأس الثريّا لتناولها هذا الغلام ، والله ما كان فيها بذى نخيرة ولقد أخبرني من أدركه و أنه ليولول فرقاً من السيّف .

بيان : قيل : النخيرة صوت في الأنف ، يريد عليه السلام أنّه كان يخاف من الحرب ولم يكن فيها صوت . وأقول : كذا مذكورة في إرشاد المفيد ولكنه تصحيف وأصله كما في جملة : والله ما كان فيها بذى مخبرة ، و المخبر و المخبرة بفتح الأوّل والثالث وبضمّ الثالث في الثاني أيضاً العلم بالشيء والوقوف عليه ، فالمراد أنه كان غلاماً حدثاً غمراً لا علم له بعواقب الأمور وآداب الحرب و القتال و نحوها ، فلا حاجة إلى ذلك التكلف الناشي من التحريف .

ثم مرّ بمسلم بن قرظة فقال : البرّ أخرج هذا والله لقد كلّمني أن اُكلم عثمان في شيء كان يدّعيه قبّله بمكّة ، فلم أزل به حتى أعطاه و قال لي : لولا أنت ما اعطيته ، إن هذا ما علمت ، بئس أخوال العشيرة ثمّ جاء المشوم للحين ينصر عثمان .

ثم مرّ بعبدالله بن حميد بن زهير فقال : هذا أيضاً ممّن أوضع في قتالنا زعم يطلب الله بذلك ، ولقد كتب إليّ كتاباً يوذّي عثمان فيها فأعطاه شيئاً فرضي عنه

وفي الجمل ثمّ مرّ بعبدالله بن عمير بن زهير قال : هذا أيضاً ممن أوضع في قتلانا يطلب بزعمه دم عثمان ولقد كتب - الخ .

ثمّ مرّ بعبدالله بن حكيم بن حزام فقال : هذا خالف أباه في الخروج وأبوه حين لم ينصرنا قد أحسن في بيعته لنا ، وإن كان قد كفّ وجلس حين شكّ في القتال ما ألوم اليوم من كفّ عنّا وعن غيرنا ولكنّ المليم الذي يقاتلنا .

ثمّ مرّ بعبدالله بن المغيرة بن الأخنس فقال : أمّا هذا فقتل أبوه يوم قتل عثمان في الدار فخرج مغضباً لقتل أبيه وهو غلام حدث جبن لقتله ، وفي الجمل فخرج غضباً لمقتل أبيه وهو غلام لا علم له بعواقب الأمور .

ثمّ مرّ بعبدالله بن أبي عثمان بن الأخنس بن شريق فقال : أمّا هذا فكأنني أنظر إليه وقد أخذ القوم السيوف هارباً يعدو من الصفّ فنهت عنه فلم يسمع من نهفت حتى قتله وكان هذا ممّا خفي على فتیان قریش أعمار لا علم لهم بالحرب خدعوا واستزلّوا فلمّا وقفوا لحجوا فقتلوا .

ثمّ أمر عليه السلام مناديه فنادى : من أحبّ أن يوارى قتيله فليواره ، وقال عليه السلام واروا قتلانا في ثيابهم التي قتلوا فيها فانهم يحشرون على الشهادة وإنّي لشاهد لهم بالوفاء .

ثمّ رجع إلى خيمته واستدعى عبدالله بن أبي رافع وكتب كتاباً إلى أهل المدينة ، وآخر إلى أهل الكوفة أخبرهم بالفتح و عمّا جرى عليهم من فعل القوم ونكثهم ومقاتلتهم وغيرها ممّا وقعت في وقعة الجمل ، وقد نقلنا الكتب في صدر شرح هذا الكتاب فلا عائدة إلى الإعادة .

« خطبة أمير المؤمنين (ع) في البصرة بعدما كتب إلى المدينة والكوفة بالفتح »

قال المفيد في الجمل : لمّا كتب أمير المؤمنين عليه السلام بالفتح قام في الناس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وصلى على شجر وآله ثم قال :

أمّا بعد فإنّ الله غفور رحيم عزيز ذوات انتقام جعل عفوه ومغفرته لأهل طاعته وجعل عذابه وعقابه لمن عصاه وخالف أمره ، وابتدع في دينه ما ليس منه ، وبرحمته

نال الصالحون ، وقد أمكنني الله منكم يا أهل البصرة وأسلمكم بأعمالكم ، فإياكم أن تعودوا لمثلها ، فانكم أوّل من شرع القتال والشقاق ، وترك الحق والإنصاف . أقول : هذه الخطبة وما كالم عليه السلام به القتل ليست في النهج إلا كلامه الذي كالم به طلحة وعبدالرحمن لما مرّ بهما كما مضى آنفاً .

« عدل علي عليه السلام وزهده »

ثم نزل عليه السلام ودخل على بيت مال الكوفة « البصرة ظ » في جماعة من المهاجرين والانصار فنظر إلى ما فيه من العين والورق فجعل يقول : يا صفراء غري غيري وأدام النظر إلى المال مفكراً ، فلمّا رأى كثرة ما فيها فقال : هذا جنيابي ، ثم قال : أقسموه بين أصحابي ومن معي خمسمائة خمسمائة ، ففعلوا فما نقص درهم واحد و عدد الرجال اثنا عشر ألفاً ، وقبض ما كان في عسكرهم من سلاح ودابة ومتاع وآلة وغير ذلك ، فباعه وقسمه بين أصحابه وأخذ لنفسه ما أخذ لكل واحد ممن معه من أصحابه وأهله خمسمائة درهم ، فأتاه رجل من أصحابه فقال : يا أمير المؤمنين إن اسمي سقط من كتابك أوقال وخلفني عن حضور كذا وأدلى يعذر فدفعت الخمسمائة التي كانت سهمه عليه السلام إلى ذلك الرجل .

وروى أبو مخنف لوط بن يحيى عن رجاله قال : لما أراد أمير المؤمنين عليه السلام التوجه إلى الكوفة قام في أهل بصرة فقال : ما تنقمون عليّ يا أهل البصرة ؟ وأشار إلى قميصه وردائه فقال : والله إنهما لمن غزل أهلي ، ما تنقمون مني يا أهل البصرة وأشار إلى صرّة في يده فيها نفقته فقال : والله ما هي إلا من غلّتي بالمدينة ، فان أنا خرجت من عندكم بأكثر مما ترون فأنا عند الله من الخائنين .

وروى الثوري عن داود بن أبي هند عن أبي حرز الأسود قال : لقد رأيت بالبصرة لما قدم طلحة والزبير أرسل إلى أناس من أهل البصرة أنا فيهم ، فدخلنا بيت المال معهما فلمّا رأيا ما فيه من الأموال قالوا : هذا ما وعدنا الله ورسوله ، ثم تلاها هذه الآية « وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فجعل لكم هذه » إلى آخر الآية وقالوا : نحن أحقّ بهذا المال من كل أحد ، ولما كان من أمر القوم ما كان

دعانا عليُّ بن أبيطالب عليه السلام قد دخلنا معه بيت المال ، فلم أرأى ما فيه ضرب إحدى يديه على الأخرى وقال : غرّني غيري ، وقسمه بين أصحابه بالسوية حتى لم يبق إلا خمسمائة درهم عزلها لنفسه ، فجاءه رجل فقال : إن اسمي سقط من كتابك فقال عليه السلام : ردّها ردّها عليه ، ثم قال : الحمد لله الذي لم يصل إليّ من هذا المال شيئاً ووفره على المسلمين .

أقول : و قد مضى نحوها المروي عن أبي الأسود الدؤليّ آنفاً . و يا ليت كلامه عليه السلام بلغ إلى أمراء هذه الأعصار و قرع أسماعهم الموقورة لعلمهم يعقلون و من نوم الغفلة عن الحقّ يمتبهون ، و من فحص عن سيرتهم شامت و جوههم رأى أن ليس شأنهم إلا تزويق الباطل و تزيين العاطل ، و ليس مقالهم إلا أن لا يصل إلى غيرهم شيء من حطام الدنيا و لعمرى قد أصبحنا في دهر عنود و زمان كنود يظلم على عباد الله فوق العدّ و الاحصاء و لم يبق من العدل إلا اسمه كالنعناء و الكيمياء و لو تفوّه زعيم ربّاني و هاد إلهيّ أين العدل و الانصاف ؟ و لم غلب على الناس انفق و الافلاس ؟ أجبب بالسجن و النقي و القتل ، فالحريّ بنا أن نشي القلم على ما كنا بصدده لعلّ الله يحدث بعد ذلك أمراً .

« خطبته عليه السلام بعد قسمة المال ، وخطبة اخرى »

« له عليه السلام لما خرج من البصرة »

روى الواقدي أن أمير المؤمنين عليه السلام لما فرغ من قسمة المال قام خطيباً فحمد الله و أثنى عليه و قال :

أيها الناس إني أحمد الله على نعمه ، قتل طلحة و الزبير و هربت عائشة ، و أيم الله لو كانت طلبت حقاً و هانت باطلاً لكان لها في بيتها مأوى ، و ما فرض الله عليها الجهاد و إن أوّل خطأها في نفسها و ما كانت والله على القوم أشأم من ناقة الصخرة و ما ازداد عدوكم بما صنع الله إلا حقداً ، و ما زادهم الشيطان إلا طغياناً ، و لقد جاؤوا مبطلين ، و أدبروا ظالمين ، إن إخوانكم المؤمنين جاهدوا في سبيل الله و آمنوا يرجون مغفرة الله ، و إننا لعلّ الحقّ ، و إنهم لعلّ الباطل ، و يجمعنا الله و إيّاهم

يوم الفصل ، وأستغفر الله لي ولکم . (كتاب الجمل للمفیدص ٢٠٠ طبع النجف) .
أقول : هذه الخطبة ليست بمذكورة في النهج .

وروى نصر بن عمر بن سعد عن أبي خالد عن عبد الله بن عاصم عن محمد بن بشير
الهمداني عن الحارث بن السريع قال : لما ظهر أمير المؤمنين عليّ ﷺ على أهل
البصرة وقسم ما جواه العسكر قام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول
الله ﷺ وقال :

أيتها الناس إن الله عز وجل ذورحمة واسعة ، ومغفرة دائمة ، لأهل طاعته
وقضى أن تقمته وعقابه على أهل معصيته ، يا أهل البصرة يا أهل المؤتفكة ويا جند
المرأة وأتباع البهيمة ، رغا فرجفتم ، وعقر فانهمتم ، أحلامكم دقاق ، وعهدكم
شقاق ، ودينكم تقاق ، وأنتم فسقة مراق ، أنتم شر خلق الله ، أرضكم قريبة من
الماء ، بعيدة من السماء ، خفت عقولكم ، وسفقت أحلامكم ، شهرتم سيوفكم علينا
وسفقتكم دماءكم ، وخالفتكم إمامكم ، فأنتم أكلة الآكل وفريسة الظافر ، والنار لكم
مدخر ، والعارلكم مفخر ، يا أهل البصرة نكثتم بيعتي ، وظهرتم عليّ زوي عداوتي
فماظنكم يا أهل البصرة الآن؟.

فقام إليه رجل منهم فقال : نزن خيراً يا أمير المؤمنين و نرى أنك ظفرت
وقدرت فان عاقبت فقد أجرمنا ، وإن عفوت فالعفو أحب إلى رب العالمين ؛ فقال
عليه السلام : قد عفوت عنكم فإياكم والفتنة ، فانكم أوّل من نكث البيعة وشق
عصا الأئمة ، فارجعوا عن الحوبة واخلصوا فيما بينكم وبين الله بالتوبة . (كتاب
الجمل للمفیدص ٢٠٣ طبع النجف) .

أقول : وقد روى هذه الخطبة في الارشاد أيضاً (ص ١٢٣ طبع طهران ١٣٧٧ هـ)
وبين الروايتين اختلاف في الجملة ، قال : و من كلامه ﷺ بالبصرة حين ظهر
على القوم بعد حمد الله تعالى والثناء عليه .

أمّا بعد فإن الله ذورحمة واسعة ومغفرة دائمة و عفوجم وعقاب أليم ، قضى
أن رحمته ومغفرته و عفوه لأهل طاعته من خلقه ، و برحمته اهتدى المهتدون

وقضى أن تقمته وسطوته وعقابه على أهل معصيته من خلقه ، وبعد الهدى والبيئات ما ضلّ الضالّون ، فما ظنكم يا أهل البصرة وقد نكثتم بيعتي وظاهرتم عليّ عدوّني فقام إليه رجل فقال : نظنّ خيراً ونراك قد ظهرت و قدرت ، فإن عاقبت فقد اجترمنا ذلك ، وإن عفوت فالعفو أحبّ إلى الله تعالى ، فقال : قد عفوت عنكم فأيّاً كم والفتنة فأيّاً لكم أوّل الرعية نكث البيعة وشقّ عصا هذه الأمة ، ثمّ جلس للناس فبايعوه . ونقل المسعودي طائفة من هذه الخطبة في مروج الذهب . وأتى ببعضها الشريف الرضي رضوان الله عليه في الموضوعين من النهج أحدهما قوله : ومن كلامه عليه السلام فيدمّ أهل البصرة : كنتم جند المرأة و أتباع البهيمة الخ (الكلام الثالث عشر من باب الخطب) . والموضع الآخر قوله : ومن كلامه عليه السلام في مثل ذلك : أرضكم قريبة من الماء بعيدة من السماء الخ (الكلام الرابع عشر من باب الخطب) .

وذيل الكلام الثالث عشر ملتقطاً من خطبة أخرى رواها المفيد في الجمل عن الواقدي (ص ٢١٠ طبع النجف) أنه عليه السلام لما خرج من البصرة وصار على علوة استقبل الكوفة بوجهه وهو راكب بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله وقال :

الحمد لله الذي أخرجني من أحبّ البلاد وأخشنها تراباً ، وأسرعها خراباً وأقربها من الماء ، وأبعدها من السماء ، بها مغيض الماء ، وبها تسعة أعشار الشرّ وهي مسكن الجنّ ، الخارج منها برحمة ، والداخل إليها بذنّب ، أما أنها لاتذهب الدنيا حتّى يجيء إليها كلُّ فاجر ، ويخرج منها كلُّ مؤمن ، و حتّى يكون مسجدها كأنه جؤجؤ سفينة .

ورواها الطبرسي في الاحتجاج أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنه قال : لما فرغ أمير المؤمنين عليه السلام من قتال أهل البصرة وضع قنباً على قنب ثمّ صعد عليه فخطب فحمد الله وأثنى عليه فقال :

يا أهل البصرة يا أهل المؤتفكة يا أهل الداء العضال ، يا أتباع البهيمة ، يا جند المرأة ، رغا فأجبتهم ، وعقر فهربتهم ، ماؤكم زعاق ، ودينكم نفاق ، وأحلامكم دقاق .

ثم نزل يمشي بعد فراغه من خطبته ، فمشينا معه فمرّ بالحسن البصري وهو يتوضأ فقال : يا حسن أسبغ الوضوء فقال : يا أمير المؤمنين لقد قتلت بالأمس أناساً يشهدون أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنّ محمداً عبده ورسوله ، ويصلون الخمس ، ويسبغون الوضوء . فقال له أمير المؤمنين ﷺ : لقد كان ما رأيت فما منعك أن تعين علينا عدونا ؟ فقال : والله لأصدقك يا أمير المؤمنين لقد خرجت في أوّل يوم فاغتسلت وتحنّطت وصببت عليّ سلاحي وأنا لا أشكّ في أنّ التخلف عن أمّ المؤمنين عائشة كفر ، فلما انتهيت إلى موضع من الخريبة نادى مناد : يا حسن إلى أين ؟ ارجع فإنّ القاتل والمقتول في النار ، فرجعت ذعراً وجلست في بيتي ، فلما كان في اليوم الثاني لم أشكّ أنّ التخلف عن أمّ المؤمنين هو الكفر فتحنّطت وصببت عليّ سلاحي وخرجت أريد القتال حتى انتهيت إلى موضع من الخريبة فنادى مناد من خلفي : يا حسن إلى أين مرة أخرى فإنّ القاتل والمقتول في النار ، قال عليّ ﷺ : صدقت أفندري من ذلك المنادي ؟ قال : لا ؛ قال ﷺ : أخوك إبليس وصدقك أنّ القاتل والمقتول منهم في النار ، فقال الحسن البصري : الآن عرفت يا أمير المؤمنين أنّ القوم هلكي .

ثم قال الطبرسي في الاحتجاج بعددّة فصول : روي أنّ أمير المؤمنين ﷺ قال : في أثناء خطبة خطبها بعد فتح البصرة بأيام حاكياً عن رسول الله ﷺ قوله : يا عليّ إناك باق بعدي ومبتلى بأمتي ومخاصم بين يدي الله ، فأعدّ للخصومة جواباً فقلت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله بين لي ما هذه الفتنة التي ابتلى بها ؟ و على ما أجاهد بعدك ؟ فقال لي : إناك ستقاتل بعدي الناكثة والقاسطة و المارقة - وحلاهم وسماهم رجلاً رجلاً - وتجاهد من أمتي كلّ من خالف القرآن وسنتي ممن يعمل في الدين بالرأي ولا رأي في الدين إنما هو أمر الربّ ونهيه ؛ فقلت : يا رسول الله فأرشدني إلى الفلج عند الخصومة يوم القيامة ، فقال ﷺ : نعم ، إذا كان ذلك كذلك فاقصر على الهدى إذا قومك عطفوا الهدى على الهوى ، وعطفوا القرآن على الرأي ، فتأولوه برأيهم بتبّع الحجج من القرآن لمشتبهات الأشياء

الطارية عند الطمأنينة إلى الدنيا، فاعطف أنت الرأي على القرآن ، و إذا قومك
حرّفوا الكلم عن مواضعه عند الأهواء الساهية والآراء الطامحة و القادة الناكثة
والفرقة القاسطة والأخرى المارقة أهل الإفك المردي والهوى المطغي و الشبهة
الخالقة ، فلا تنكحنّ عن فضل العاقبة فإنّ العاقبة للمتقين .

بيان: الناكثة أتباع الجمل ، والقاسطة أتباع معاوية ، والمارقة الخوارج فالطائفة
الأولى آثار وافتنة الجمل ، والثانية أقاموا غزوة صفين ، والثالثة حرب نهر و ان .

وروى في الإحتجاج عن أبي يحيى الواسطي قال : لمّا فتح أمير المؤمنين
عليه السلام البصرة اجتمع الناس عليه وفيهم الحسن البصري ومعه الألواح ، فكان
كلّما لفظ أمير المؤمنين عليه السلام بكلمة كتبها ، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام بأعلى صوته:
ما تصنع ؟ فقال : نكتب آثارهم لنحدثّ بها بعدكم ؛ فقال أمير المؤمنين عليه السلام :
أما إنّ لكلّ قوم سامرياً وهذا سامريّ هذه الأمّة أما أنه لا يقول: لامساس، ولكنه
يقول : لا قتال .

بيان : قوله عليه السلام أنه لا يقول لامساس إشارة إلى قوله تعالى : « قال فما
خطبك يا سامريّ » - إلى قوله تعالى : قال فاذهب فإنّ لك في الحياة أن تقول
لامساس « الآية (طه - ٩٩) .

وفي الإحتجاج عن المبارك فضالة عن رجل ذكره قال: أتى رجل أمير المؤمنين
عليه السلام بعد الجمل فقال له : يا أمير المؤمنين رأيت في هذه الواقعة أمراً هانئاً
من روح قد بانت ، وجثة قد زالت ، ونفس قد فانت ، لا أعرف فيهم مشركاً بالله
فالله ممّا يجعلني من هذا إن يك شرّاً فهذا تتلقى بالتوبة، وإن يك خيراً ازددنا
منه ، أخبرني عن أمرك هذا الذي أنت عليه أفتنة عرضت لك فأنت تنفح الناس
بسيفك أم شيء خصّك به رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ .

فقال عليه السلام إذا أخبرك إذن أنبئك إذن أحدّتك، إن ناساً من المشركين
أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وأسلموا ثمّ قالوا لأبي بكر : استأذن لنا على رسول الله حتّى
تأتي قومنا فنأخذ أموالنا ثمّ نرجع ، فدخل أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وآله فاستأذن

لهم فقال عمر : يا رسول الله أترجع تلك الجماعة من الاسلام إلى الكفر ؟ فقال : وما علمك يا عمر أن ينطلقوا فيأتوا بمثلهم معهم من قومهم ؟ ثم إنهم أتوا أبا بكر في العام المقبل فسألوه أن يستأذن لهم على رسول الله عليه السلام ، فاستأذن لهم وعنده عمر فقال مثل قوله ، فغضب رسول الله عليه السلام ثم قال : والله ما أراكم تنتهون حتى يبعث الله عليكم رجلاً من قريش يدعوكم إلى الله فتختلفون عنه اختلاف الغنم الشرد . فقال له أبو بكر : فذاك أبي وأمي يا رسول الله أنا هو ؟ فقال : لا ؛ فقال عمر : أنا هو ؟ قال : لا ، فقال : عمر : فمن هو يا رسول الله ؟ فأومى إليّ وأنا أخضف نعل رسول الله وقال هو خاضف النعل عند كما ابن عمي وأخي وصاحبي ومبريء ذمتي والمؤدّي عني ديني وعداتي والمبلغ عني رسالاتي ، ومعلم الناس من بعدي ، ومبينهم من تأويل القرآن ما لا يعلمون ، فقال الرجل : أكتفي منك بهذا يا أمير المؤمنين ما بقيت ، فكان ذلك الرجل أشدّ أصحاب علي عليه السلام فيما بعد من خالفه .

وفيه أيضاً : روى يحيى بن عبد الله بن الحسن عن أبيه عبد الله بن الحسن قال : كان أمير المؤمنين عليه السلام يخطب بالبصرة بعد دخولها بأيام ، فقام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين أخبرني من أهل الجماعة ؟ ومن أهل الفرقة ؟ ومن أهل البدعة ؟ ومن أهل السنة ؟ .

فقال عليه السلام : ويحك أما إذا سألتني فافهم عني ولا عليك أن لا تسأل عنها أحداً بعدي ، أمّا أهل الجماعة فأنا ومن اتبعني وإن قلّوا ذلك الحق عن أمر الله عزّ وجلّ وعن أمر رسوله . وأمّا أهل الفرقة المخالفون لي ووطن اتبعني وإن كثروا وأمّا أهل السنة فالمتمسكون بما سنّه الله ورسوله وإن قلّوا . وأمّا أهل البدعة فالمخالفون لأمر الله ولكتابه ولرسوله العاملون برأيهم وأهوائهم وإن كثروا ، وقد مضى منهم الفوج الأوّل وبقيت أفواج ، فعلى الله قبضها واستيصالها عن جدد الأرض . فقام إليه عمّار وقال : يا أمير المؤمنين إنّ الناس يذكرون الفيء ويزعمون أنّ من قاتلنا فهو وماله وولده فيء لنا .

فقام إليه رجل من بكر بن وائل يدعا عباد بن قيس وكان ذا عارضة ولسان شديد فقال : يا أمير المؤمنين والله ما قسّمت بالسوية ولا عدلت في الرعيّة . فقال عليه السلام : ولم ؟ ويحك ، قال : لأنك قسّمت ما في العسكر و تركت الأموال

والنساء والذرية ، فقال : أيها الناس من كانت له جراحة فليداوها بالسمن فقال عباد : جئنا نطلب غنائمنا فجاءنا بالترهات ، فقال له أمير المؤمنين : إن كنت كاذباً فلا ماتك الله حتى يدر كك غلام ثقيف ، فقيل : ومن غلام ثقيف ؟ فقال : رجل لا يدع الله حرمة إلا انتهكها ، فقيل : أفيموت أو يقتل ؟ قال : يقصمه قاصم الجبارين بموت فاحش يحترق منه دبره لكثرة ما يجري من بطنه .

يا أبا بكر أنت امرء ضعيف الرأي أو ما علمت أننا لا نأخذ الصغير بذنوب الكبير وأن الأموال كانت لهم قبل الفرقة وتزوجوا على رشدة وولدوا على فطرة وإنما لكم ما حوى عسكرهم ، وما كان في دورهم فهو ميراث فان عدا أحد منهم أخذنا بذنبه ، وإن كف عنا لم نحمل عليه ذنب غيره .

يا أبا بكر لقد حكمت فيهم بحكم رسول الله عليه السلام في أهل مكة فقسّم ما حوى العسكر ولم يتعرّض لما سوى ذلك ، وإنما اتبعت اثره حذو النعل بالنعل .
يا أبا بكر أما علمت أن دار الحرب يحل ما فيها ، وأن دار الهجرة يحرم ما فيها إلا بحق فمهلاً مهلاً رحمكم الله فان لم تصدقوني وأكثرتم عليّ - وذلك أنه تكلم في هذا غير واحد - فأيتكم يأخذ عائشة بسهمه؟ فقالوا : يا أمير المؤمنين أصبت وأخطأنا وعلمت وجهلنا فنحن نستغفر الله ، ونادى الناس من كل جانب : أصبت يا أمير المؤمنين أصاب الله بك الرشاد والسداد .

فقام عباد فقال : أيها الناس إنكم والله إن اتبعتموه وأطعتموه لن يضلّ بكم عن منهل نبيكم عليه السلام حتى قيس شعرة و كيف لا يكون ذلك وقد استودعه رسول الله عليه السلام علم المنايا والقضايا وفصل الخطاب على منهاج هارون عليه السلام وقال له : أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي فضلاً خصّه الله به وإكراماً منه لنبيّه حيث أعطاه ما لم يعط أحداً من خلقه .

ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام : انظروا رحمكم الله ما تؤمرون به فامضوا له فان العالم أعلم بما يأتي به من الجاهل الخسيس الأخرس ، فاني حاملكم بإنشاء الله إن أطعتموني على سبيل النجاة ، وإن كان فيه مشقة شديدة ومرارة عتيدة ، والدنيا

خلوة الحلاوة لمن اغترت بها من الشقوة والندامة عمّا قليل . ثمّ إني أخبركم أنّ جيلاً من بني إسرائيل أمرهم نبيهم أن لا يشربوا من النهر فلجّوا في ترك أمره فشرّبوا منه إلاّ قليلاً منهم ، فكونوا رحمكم الله من أولئك الذين أطاعوا نبيهم ولم يعصوا ربّهم ، وأمّا عائشة فأدر كها رأي النساء ولها بعد ذلك حرمتها الأولى والحساب على الله ، يعفو عنّ يشاء ويعذب من يشاء .

بيان : فلان ذوعارضة أي زوجلد وصراحة وقدرة على الكلام . و ذلك أنّه تكلم في هذا غير واحد ، جملة معترضة من كلام الراوي ، قيس شعرة أي قدرها . العتيد : الحاضر المهيأ . ثمّ إنّ ما نقلنا من كلامه عليه السلام في الروايتين الأخيرتين عن الاحتجاج ليس بمدكور في النهج .

« سيرة على عليه السلام في اهل البصرة »

قد تظافت الأخبار أنّه لما انهزم الناس يوم الجمل أمر أمير المؤمنين منادياً ينادي أن لا تجهزوا على جريح ، ولا تتبعوا مدبراً ، ولا تكشفوا ستراً ، ولا تأخذوا أموالاً ، ولا تهيجوا امرأة ، ولا تمسّلوا بقتيل وقال عمار له عليه السلام : ما ترى في سبي الذرية ؟ قال : ما أرى عليهم من سبيل إنّما قاتلنا من قاتلنا . وقال له بعض القراء من أصحابه : اقسم من زرارهم لنا وأموالهم وإلاّ فما الذي أحلّ دماءهم ولم يحلّ أموالهم ؟ فقال عليه السلام : هذه الذرية لاسبيل عليها وهم في دار هجرة ، وإنما قتلنا من حاربنا وبغى علينا ، وأمّا أموالهم فهي ميراث لمستحقّينها من أرحامهم ، فقال عمار رحمه الله تعالى : لا تتبع مدبرهم ، ولا تجهز على جريحهم ؟ فقال : لا ، لأنّي آمنتهم وقال عليه السلام : مروا نساء هؤلاء المقتولين من أهل البصرة أن يعتدن منهم ، وإذا أتى بأسير منهم فإن كان قد قاتل قتله ، وإن لم تقم عليه بيّنة بالقتل أطلقه .

« تجهيز على عليه السلام عائشة من البصرة إلى المدينة »

قال الدينوري في الامامة والسياسة (ص ٨٧ ج ١ طبع مصر ١٣٧٧ هـ) : أتى محمد بن أبي بكر فدخل على أخته عائشة . قال لها : أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : عليّ مع الحقّ و الحقّ مع عليّ ثمّ خرجت تقاتلينه بدم عثمان ؟ ثمّ دخل

عليها علي عليه السلام فسلم وقال : يا صاحبة اليهودج قد أمرك الله أن تقعدى في بيتك ثم خرجت تقاتلين . أترتحلين ؟ قالت : أرتحل ؛ فبعث معها علي عليه السلام أربعين امرأة وأمرهن أن يلبسن العمائم ويتقلدن السيوف وأن يكن من الذين يلينها ولا تطلع على أنهن نساء ، فجعلت عائشة تقول في الطريق : فعل الله في ابن أبي طالب وفعل ، بعث معي الرجال ، فلما قدمنا المدينة وضعن العمائم و السيوف ودخلن عليها فقالت : جزى الله ابن أبي طالب الجنة .

وذكر قريباً من هذه الرواية المفيد في كتاب الجمل (ص ٢٠٧ طبع النجف) وصرح فيه أنه عليه السلام أنفذ معها أربعين امرأة على الوصف المذكور . ثم قال : فجعلت عائشة تقول في الطريق : اللهم افعل بعلي بن أبي طالب و افعل ، بعث معي الرجال ولم يحفظ بي حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله ، فلما قدمنا المدينة معها ألقين العمائم والسيوف ودخلن معها ، فلما رأتهن ندمت علي ما فرطت بدم أمير المؤمنين عليه السلام وسبه وقالت : جزى الله ابن أبي طالب خيراً فلقد حفظ في حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله . وقال المسعودي في مروج الذهب : وخرجت عائشة من البصرة وقد بعث معها علي عليه السلام أخاها عبدالرحمن بن أبي بكر وثلاثين رجلاً وعشرين امرأة من ذوات الدين من عبدالقيس وهمدان وغيرهما ثم ذكر النساء على الوصف المذكور (ص ١٤ ج ٢ طبع مصر ١٣٤٦ هـ) .

أقول : الظاهر أن إرسال النساء معها على الوصف المذكور لا يخلو من دغدغة ولا يعقل له وجه يعتنى به ، لأن هذه الروايات كلها متفقة في أن الأمر التبس على عائشة في أثناء الطريق من البصرة إلى المدينة وما فهمت أنهن نساء ، وهذا لا يستقيم مع دهائها وفطانتها ، ولأن هذا العمل منه عليه السلام لو كان لحفظ حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله يدفعه أن أخاها عبدالرحمن كان معها ، على أن العلم البتّي حاصل بأنه لو لم يكن معها أخوها لما كان أنفذ أمير المؤمنين معها إلا رجالاً يثق بهم ، والصواب في ذلك ما في تاريخ أبي جعفر الطبري بأنه عليه السلام سرّحها وأرسل معها جماعة من رجال ونساء ، وجهزها من غير أن يتعرّض بلبسهن العمائم وتقلدن السيوف

ولم ينقل ما رواه القوم أصلاً ، صرح بذلك في الموضوعين : ص ٥٢٠ و ص ٥٤٧ من المجلد الثالث طبع مصر ١٣٥٧ هـ .

« تأثيره عليه السلام ابن العباس على البصرة ووصيته له وخطبته للناس »

قال المفيد في الجمل : ومما رواه الواقدي عن رجاله قال : لما أراد

أمير المؤمنين عليه السلام الخروج من البصرة استخلف عليها عبد الله بن عباس ووصاه وكان في وصيته له أن قال :

يا ابن عباس عليك بتقوى الله والعدل بمن وليت عليه ، وأن تبسط للناس وجهك ، وتوسع عليهم مجلسك ، وتسعهم بحلمك ، وإيائك والغضب فإنه طيرة الشيطان وإيائك والهوى فإنه يصدك عن سبيل الله ، واعلم أن ما قرّبك من الله فهو مباعداك من النار ، وما باعدك من الله فمقرّبك من النار ، واذكر الله كثيراً ولا تكن من الغافلين .

أقول : أتى ببعض هذه الوصية في آخر باب الكتب و الرسائل من النهج

قوله : ومن وصية له عليه السلام بعد الله بن العباس عند استخلافه إياه على البصرة :
سع الناس بوجهك ومجلسك - الخ .

وروى أبو مخنف لوط بن يحيى قال : لما استعمل أمير المؤمنين عليه السلام عبد الله

ابن العباس على البصرة خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ثم قال :

معاشر الناس قد استخلفت عليكم عبد الله بن العباس فاسمعوا له وأطيعوا أمره

ما أطاع الله ورسوله ، فإن أحدث فيكم أو زاغ عن الحق فاعلموا أنني أعز له عنكم

فاني أرجو أن أجده عفيفاً تقيماً ورعاً ، وإنني لم أوله عليكم إلا وأنا أظن ذلك به

غفر الله لنا ولكم .

قال : فأقام عبد الله بالبصرة حتى عمد أمير المؤمنين عليه السلام إلى التوجه إلى

الشام ، فاستخلف عليها زياد بن أبيه وضم إليه أبا الأسود الدؤلي ولحق بأمير المؤمنين

عليه السلام حتى صار إلى صفين .

أقول : خطبته هذه ما ذكرت في النهج . وقال أبو جعفر الطبري في التاريخ :

أمر علي عليه السلام ابن عباس على البصرة و ولي زياداً الخراج وبيت المال ، و امر ابن عباس أن يسمح منه فكان ابن عباس يقول : استشرته عند هنة كانت من الناس ، فقال : إن كنت تعلم أنك على الحقّ و أنّ من خالفك على الباطل أشرت عليك بما ينبغي و إن كنت لاتدري أشرت عليك بما ينبغي كذلك ، فقلت : إنني على الحقّ و إنهم على الباطل ، فقال : اضرب بمن أطاعك من عصاك و من ترك أمرك ، فان كان أعزّ للإسلام و أصلح له أن يضرب عنقه فاضرب عنقه ، فاستكتبه .

وروى ثقة الاسلام الكليني رضوان الله عليه في الكافي خطبة أخرى له عليه السلام خطب الناس في البصرة بعد انقضاء الحرب نقلها الفيض قدّس سرّه في الوافي أيضاً (ص ١٧ ج ١٤) قال : محمد بن عيسى عن السّراد عن مؤمن الطاق عن سلام بن المستنير عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال : إنّ أمير المؤمنين عليه السلام لما انقضت القصة فيما بينه وبين طلحة والزبير وعائشة بالبصرة صعد المنبر فحمد الله و أثنى عليه و صلّى على رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ قال :

أيها الناس إنّ الدنيا حلوة خضرة تفتنّ الناس بالشهوات و تزين لهم بها جلها و أيم الله إنّها لتغرّ من أملها ، و تخلف من رجاها و ستورث غداً أقواماً الندامة و الحسرة باقبالهم عليها و تنافسهم فيها و حسدهم و بغيهم على أهل الدين و الفضل فيها ظلماً و عدواناً و بغياً و أشراً و بطراً و بالله أنه ما عاش قوم قطّ في غصاة من كرامة نعم الله في معاش دنيا و لادائم تقوى في طاعة الله و الشكر لنعمه فأزال ذلك عنهم إلاّ من بعد تغيير من أنفسهم ، و تحويل عن طاعة الله و الحادث من ذنوبهم و قلّة محافظته و ترك مراقبة الله و تهاون بشكر نعمة الله ، لأنّ الله تعالى يقول في محكم كتابه « إنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتّى يغيروا و اما بأنفسهم و إذا أراد الله بقوم سوء فلا مردّ له و ما لهم من دونه من وال » .

ولو أنّ أهل المعاصي و كسبة الذنوب إذا هم حذروا زوال نعمة الله و حلول نعمته و تحويل عافيته أيقنوا أنّ ذلك من الله تعالى بما كسبت أيديهم فأقلعوا و تابوا و فرغوا إلى الله تعالى بصدق من نيّاتهم و إقرار منهم له بذنوبهم و إساءتهم لصفح لهم

(ج ١٧) إشارة إجمالية إلى ما عند الأئمة من سلاح رسول الله ﷺ (٩٧)

عن كلِّ ذنب ، وإذاً لأقلامهم كل عثرة ولردِّ عليهم كل كرامة نعمة ثم أعاد لهم من صلاح أمرهم وممّا كان أنعم به عليهم كل ما زال عنهم وفسد عليهم ، فاتقوا الله أيها الناس حق تقاته ، واستشعروا خوف الله تعالى ، وأخلصوا اليقين ، وتوبوا إليه من قبيح ما استنقركم الشيطان من قتال وليّ الأمر و أهل العلم بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله ، وما تعاونتم عليه من تفريق الجماعة ، وتشتيت الأمر ، وفساد صلاح ذات البين ، إن الله يقبل التوبة ويعفو عن السيئة ويعلم ما تفعلون .
أقول : وهذه الخطبة ما ذكرت في النهج أيضاً .

« إشارة إجمالية إلى ما عند الأئمة من سلاح رسول الله ﷺ وغيرها »

في الكافي للكليني قدّس سرّه وفي الوافي ص ١٣٤ ج ٢ من الطبع المظفري في باب ما عندهم من سلاح رسول الله ﷺ ومثاله : أبان ، عن يحيى بن أبي العلاء قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : درع رسول الله ﷺ ذات الفضول لها حلقتان من ورق في مقدّمها ، وحلقتان من ورق في مؤخرها ، وقال : لبسها عليّ ﷺ يوم الجمل .
وفي الكافي : أبان ، عن يعقوب بن شعيب ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : شدّ عليّ عليه السلام بطنه يوم الجمل بعقال أبرق نزل به جبرئيل عليه السلام من السماء ، وكان رسول الله ﷺ يشدّ به على بطنه إذ لبس الدرّع .

وفي الفقيه : كان ﷺ يلبس من القلائس اليمينية والبيضاء والمصرية ذات الأذنين في الحرب ، وكانت له عنزة يتكفي عليها ويخرجها في العيدين فيخطب بها وكان له قضيب يقال له الممشوق ، وكان له فسطاط يسمى الكنّ ، وكانت له قصعة تسمى السعة ، وكان له قعب يسمى الرّي ، وكان له فرسان يقال لأحدهما المرّ تجز وللآخر السكب ، وكان له بغلتان يقال لأحدهما الدلّ دلّ وللأخرى الشهباء وكان له نافتان يقال لأحدهما العضباء وللأخرى الجدعاء ، وكان له سيفان يقال لأحدهما ذوالفقار وللآخر العون ، وكان له سيفان آخران يقال لأحدهما المخدّم وللآخر الرسوم ، وكان له حمار يسمى اليعفور ، وكانت له عمامة تسمى السحاب وكان له درع تسمى ذات الفضول لها ثلاث حلقات فضّة : حلقة بين يديها ، وحلقتان

خلفها ، وكانت له راية تسمى العقاب ، وكان له بعير يحمل عليه يقال له الديباج وكان له لواء يسمى العلوم ، وكان له مغفر يقال له الأسعد ، فسلم ذلك كلها إلى علي عليه السلام عند موته وأخرج خاتمه وجعله في اصبعه فذكر علي عليه السلام أنه وجد في قائم سيف من سيوفه صحيفة فيها ثلاثة أحرف : صل من قطعك ، وقل الحق ولو على نفسك ، وأحسن إلى من أساء إليك .

الكافي : محمد ، عن ابن عيسى ، عن الحسين ، عن النضر ، عن يحيى الحلبي ، عن ابن مسكان ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال : ترك رسول الله صلى الله عليه وآله في المتاع سيفاً ، ودرعاً ، وعزرة ، ورحلاً ، وبغلة الشهباء فورث ذلك كله علي بن أبي طالب .
الكافي : محمد ، عن أحمد ، عن الحسين ، عن فضالة ، عن عمر بن أبان قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عما يتحدث الناس أنه دفع إلى أم سلمة صحيفة مختومة فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما قبض ورث علي عليه السلام علمه وسلاحه وماهناك ، ثم صار إلى الحسن ، ثم صار إلى الحسين ، قال : قلت : ثم صار إلى علي بن الحسين ، ثم صار إلى ابنه ، ثم انتهى إليك ؟ فقال : نعم .

الكافي : الاثنان ، عن الوشاء ، عن أبان ، عن الفضيل بن يسار ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لبس أبي درع رسول الله صلى الله عليه وآله ذات الفضول فخطت ولبستها أنا ففضلت .
الكافي : الاثنان ، عن الوشاء ، عن حماد بن عثمان ، عن عبد الأعلى بن أعين ، قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : عندي سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله لا أنازع فيه ، ثم قال : إن السلاح مدفوع عنه لووضع عند شر خلق الله لكان خيرهم ، ثم قال : إن هذا الأمر يصير إلى من يلوي له الحنك فاذا كانت من الله فيه المشية خرج فيقول الناس ما هذا الذي كان ويضع الله له يداً على رأس رعيته .

أقول : قد مضى في (ص ٢٥٤ ج ١ من تكملة المنهاج) أن أمير المؤمنين عليه السلام تقدم في صفين للحرب على بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله الشهباء نقلاً عن المسعودي في مروج الذهب و الأخبار في ذلك المعنى متظافرة جداً ونقلها وبيانها ينجر أن إلى بحث طويل الذيل ولسنا في ذلك المقام إلا أنه لما قادن شرح الخطبة

إلى الإشارة إلى وقعة الجمل مجملة وقد تظافت الأخبار بأن أمير المؤمنين عليه السلام لبس درع رسول الله ذات الفضول يوم الجمل أحببت أن أشير إلى ما عند الأئمة من سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله وغيرها .

ثم المراد من قوله عليه السلام في الخبر الأخير : إن هذا الأمر يصير إلى من يلوي له الحنك ، هو قائم آل محمد صلى الله عليه وآله ولي العصر الحجة بن الحسن العسكري عجل الله تعالى فرجه الشريف .

فقد آن أن نشرع في شرح جمل الكتاب فإن غرضنا من شرح هذا الكتاب والذي قبله أن نورد واقعة الجمل على الإيجاز والاختصار وأن نبين مدارك الخطب والخطب الواردة منه عليه السلام في النهج وطرق اسنادها مما تتعلق بالجمل ، فند أتعبنا لذلك أنفسنا ، وأسهرنا أعيننا ، وبذلنا جهدنا على ما أمكننا حتى استقام الأمر على النهج الذي قدّمناه ، فله الحمد على ما هدانا ، وله الشكر بما أولانا .

قوله عليه السلام : (وجزاكم الله من أهل مصر عن أهل بيت نبيكم) لما أن أهل الكوفة أجابوا دعوته عليه السلام مخلصين وقاموا بنصرته مرتاحين ، وهو عليه السلام من أهل بيت نبيهم خاطب أهل الكوفة في الكتاب ، ودعا لهم بدعاء مستطاب مستجاب ، بقوله : جزاكم الله من أهل مصر عن أهل بيت نبيكم .

قوله عليه السلام : (أحسن ما يجزي العاملين بطاعته ، والشاكرين لنعمته) العمل بطاعته تعالى فعل أوامره وترك نواهيه ، والنعمة تعم جميع ما أنعم الله به عباده ومنه نعمة وجود الأنبياء والأوصياء .

ثم إن الشكر بإزاء كل نعمة بحسبها كالتوبة عن الذنب مثلاً ، ففي بعضها يتم الشكر بالقول فقط مثلاً أن يقول : الحمد لله رب العالمين ، وفي بعضها لا يتم إلا بالفعل وهو على أنحاء أيضاً ومنه الجهاد في سبيل الله تعالى فمن الشكر بإزاء نعمة وجود النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته أن يبذل الأموال والأنفس دونهم كما فعل أهل الكوفة فكأنما هو عليه السلام أشار في كلامه إلى أنهم عملوا بطاعة الله وشكروا لنعمته ويمكن أن يقال : ومن ثم أتى بهيئة الجمع دون الأفراد أي لم يقل العامل

بطاعته والشاكر لنعتمه ليومىء الى أنهم كانوا العاملين والشاكرين ، كما يمكن أن يقال إن لفظ الجمع تنبىء عن كثرة ثوابهم وجزاءهم أيضاً .

ثم إن فيه إيماء أيضاً إلى جزاء العاملين بطاعته و الشاكرين لنعتمه حيث خصهما بالذكر دون غيرهما .

قوله عليه السلام : (فقد سمعتم - الخ) أي إنما كان لكم جزاء العاملين بطاعته لأنكم أيضاً سمعتم أمر الله وأطعتموه ، لأن أمر حجة الله هو أمره تعالى ، ودعيتم إلى نصره أهل بيت نبيكم وهي نصره دين الله في الحقيقة فأجبتهم الداعي وإنما لم يذكروا متعلقات الأفعال لأنها ظاهرة من سياق الكلام ومن معاني الكلمات ، أو لأن الغرض كما قيل ذكر الأفعال دون نسبتها إليها .

الترجمة

این یکی از نامه های آن بزرگوار است که بعد از فتح بصره بمردم کوفه

نوشت :

ای مردم کوفه خداوند شما را از جانب أهل بیت پیغمبرتان نیکوترین جزائی که به إطاعت کنندگان سپاسگزارانش میدهد پاداش دهد که فرمان ولی خدا را شنیدید و اطاعت کردید ، و بیاری دین خدا دعوت شدید و اجابت کردید .

ومن كتاب له عليه السلام كتبه لشريح بن الحارث قاضيه
وهو الكتاب الثالث من باب المختار من كتبه
ورسائله عليه السلام

رُويَ أَنَّ شُرَيْحَ بْنَ الْحَارِثِ قَاضِيَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام اشْتَرَى عَلِيَّ
عَهْدِهِ دَاراً بِثَمَانِينَ دِينَاراً ، فَبَلَغَهُ ذَلِكَ فَاسْتَدْعَى شُرَيْحاً وَقَالَ لَهُ :
بَلِّغْنِي أَنَّكَ ابْتَعْتَ دَاراً بِثَمَانِينَ دِينَاراً ، وَكَتَبْتَ لَهَا كِتَاباً ، وَأَشْهَدْتَ
فِيهِ شُهُوداً ، فَقَالَ شُرَيْحٌ : قَدْ كَانَ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : فَانظُرْ
إِلَيْهِ نَظْرَ مُغْضَبٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ : يَا شُرَيْحُ أَمَا إِنَّهُ سَيَأْتِيكَ مَنْ لَا يَنْظُرُ فِي
كِتَابِكَ ، وَلَا يَسْئَلُكَ عَنْ بَيْتِكَ حَتَّى يُخْرِجَكَ مِنْهَا شَاخِصاً وَيُسَلِّمَكَ
إِلَى قَبْرِكَ خَالِصاً ، فَانظُرْ يَا شُرَيْحُ لَا تَكُونَ ابْتَعْتَ هَذِهِ الدَّارَ مِنْ
غَيْرِ مَالِكَ ، أَوْ نَقَدْتَ الثَّمَنَ مِنْ غَيْرِ حَلَالِكَ ، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ خَسِرْتَ
دَارَ الدُّنْيَا وَدَارَ الْآخِرَةِ ، أَمَا لَوْ إِنَّكَ كُنْتَ أَتَيْتَنِي عِنْدَ شِرَائِكَ مَا شَرَيْتَ
لَكَ كِتَاباً عَلَيَّ هَذِهِ النُّسْخَةَ ، فَلَمْ تَرَعْ فِي شِرَاءِ هَذِهِ الدَّارِ بِدَرَاهِمٍ
فَمَا فَوْقَهُ ، وَالنُّسْخَةَ هَذِهِ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَذَا مَا اشْتَرَى عَبْدُ ذَلِيلٍ مِنْ مَيْتٍ قَدْ أُرْعِجَ لِلرَّحِيلِ ، اشْتَرَى
مِنْهُ دَاراً مِنْ دَارِ الْغُرُورِ مِنْ جَانِبِ الْفَائِنِينَ ، وَخِطَّةِ الْهَالِكِينَ ، وَتَجْمَعُ

هذه الدار حُدُودُ أَرْبَعَةٍ : فَالْحَدُّ الْأَوَّلُ يَنْتَهِي إِلَى دَوَاعِي الْأَفَاتِ ،
وَالْحَدُّ الثَّانِي يَنْتَهِي إِلَى دَوَاعِي الْمُصِيبَاتِ ، وَالْحَدُّ الثَّلَاثُ يَنْتَهِي إِلَى
الْهَوَى الْمُرْدِي ، وَالْحَدُّ الرَّابِعُ يَنْتَهِي إِلَى الشَّيْطَانِ الْمُغْوِي ، وَفِيهِ
يُشْرَعُ بَابُ هَذِهِ الدَّارِ ؛ اشْتَرَى هَذَا الْمُعْتَرُ بِالْأَمَلِ مِنْ هَذَا الْمُرْعَجِ
بِالْأَجَلِ هَذِهِ الدَّارَ بِالْخُرُوجِ مِنْ عَزِّ الْقِنَاعَةِ وَالذُّخُولِ فِي ذُلِّ الطَّلَبِ
وَالضَّرَاعَةِ ، فَمَا أَدْرَكَ هَذَا الْمُشْتَرِي فِيمَا اشْتَرَى مِنْ دَرَكٍ .

فَعَلَى مُبْلِلِ أَجْسَامِ الْمُلُوكِ وَسَالِبِ نُفُوسِ الْجَبَابِرَةِ ، وَمُرْبِلِ
مُلْكِ الْقَرَاعِنَةِ ، مِثْلِ كَسْرِي وَقَيْصَرَ وَتُبَعِّ وَجَمِيرَ ، وَمَنْ جَمَعَ الْهَالَ
عَلَى الْهَالِ فَأَكْثَرَ ، وَمَنْ بَنَى وَشَيْدَ ، وَزَخْرَفَ وَنَجَّدَ ، وَادَّخَرَ وَاعْتَقَدَ
وَنَظَرَ بِزَعْمِهِ لِلْوَلَدِ إِشْخَاصَهُمْ جَمِيعاً إِلَى مَوْقِفِ الْعَرَضِ وَالْحِسَابِ ،
وَمَوَاضِعِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ إِذَا وَقَعَ الْأَمْرُ بِفَضْلِ الْقَضَاءِ وَخَسِيرِ
هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ .

شَهِدَ عَلَى ذَلِكَ الْعَقْلُ إِذَا خَرَجَ مِنْ أَسْرِ الْهَوَى وَسَلِمَ مِنْ عِلَاقِ الدُّنْيَا .

أقول : نقل الكتاب في البحار (ص ٦٣٢ ج ٨ وص ٥٤٥ ج ٩ من طبع الكمباني)
نقله أبو نعيم الإصفهاني في حلية الأولياء ، والعلامة الشيخ البهائي في الأربعين
لى ما تتلو عليك و سيأتي من ذي قبل بعض كلماته عليه السلام لشريح في بحثنا المعنون
القضاء والقاضي في الإسلام ذيل شرح هذا الكتاب .

« وهم و رجم »

إنَّ مَا يَهْمُنَا وَلَا بَدَأَ لَنَا مِنْهُ هَهُنَا قَبْلَ بَيَانِ لُغَةِ الْكِتَابِ وَإِعْرَابِهِ تَقْدِيمُ مَطْلَبِ

لم يتعرّفه أحد من شرح النهج ، وهو أن الحافظ أبانعم أحمد بن عبد الله الأصفهاني المتوفى سنة ٤٣٠هـ أسند هذا الكتاب في كتابه حلية الأولياء إلى الفضيل بن عياض قاله للفيض بن إسحاق في واقعة اقتضت ذلك ، وبين ما في النهج وبين الحلية اختلاف يسير في بعض الألفاظ والعبارات ولكنهما واحد بلاراتيب ودونك ما نقله أبو نعيم : قال أبو نعيم في ترجمة الفضيل بن عياض من حلية الأولياء (ص ١٠١ و ١٠٢ ج ٨ طبع مصر ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م) ما هذا لفظه :

حدثنا سليمان بن أحمد ، ثنا بشر بن موسى ، ثنا علي بن الحسين بن مخلد قال : قال الفيض بن إسحاق : اشتريت داراً و كتبت كتاباً و أشهدت عدولاً فبلغ ذلك الفضيل بن عياض فأرسل إليّ يدعوني فلم أذهب ، ثم أرسل إليّ فمررت إليه فلما رأيته قال : يا ابن يزيد بلغني أنك اشتريت داراً و كتبت كتاباً و أشهدت عدولاً ؟ قلت : قد كان كذلك ، قال : فانه يأتيك من لا ينظر في كتابك ولا يسأل عن بيتك حتى يخرجك منها شاخصاً يسلمك إلى قبرك خالصاً ، فانظر أن لا تكون اشتريت هذه الدار من غير مالك ، أو ورثت مالاً من غير حله ، فتكون قد خسرت الدنيا والآخرة ، ولو كنت حين اشتريت كتبت على هذه النسخة :

هذا ما اشتري عبد ذليل من ميت قد ازرع بالرّحيل ، اشتري منه داراً تعرف بدار الغرور ، حدث منها في زقاق الفناء إلى عسكر الهالكين ، و يجمع هذه الدار حدود أربعة : الحد الأول ينتهي منها إلى دواعي العاهات ، والحد الثاني ينتهي إلى دواعي المصيبات ، والحد الثالث ينتهي منها إلى دواعي الآفات ، والحد الرابع ينتهي إلى الهوى المردي والشيطان المغوي ، و فيه يشرع باب هذه الدار على الخروج من عزّ الطاعة إلى الدّخول في ذلّ الطلب ، فما أدركك في هذه الدار فعلى مبلبل أجسام الملوك ، وسالب نفوس الجبابرة ، و مزيل ملك الفراعنة مثل كسرى وقيصر ، وتبّع وحمير ، ومن جمع المال فأكثر واتّحد و نظر بزعمه الولد ، ومن بنى وشيّد وزخرف وأشخصهم إلى موقف العرض إذا نصب الله عزّ وجلّ كرسيه لفصل القضاء ، وخسر هنالك المبتطلون ، يشهد على ذلك العقل إذا خرج من أسر الهوى ، ونظر بالعينين إلى زوال الدنيا ، وسمع صارخ الزّهد عن عرصاتها .

ما أبين الحقُّ لذي عينين إنَّ الرّحيلَ أحدَ اليومين

فبادروا بصالح الأعمال فقد دنا النقلة و الزوال . انتهى .

أقول : مع فرض صحّة إسناد الرواية إلى الفضيل أوّلاً ، وعدم سهو الراوي وعدم الإسقاط والحذف ثانياً ، ما كان للفضيل وأضراجه أن يسوقوا الكلام إلى ذلك الحدّ من الزهد في الدُّنيا والرغبة عنها أو يعبروا تلك المعاني اللطيفة بتلك الألفاظ الوجيزة ثانياً ، بل لا نشكُّ في أنّ سبك العبارات على هذا الأسلوب البديع ، وسوق المعاني على هذا النهج المنيع و التنفير عن الدُّنيا بهذه الغاية والجودة واللطافة إنما نزل من حضرة القدس العلويّة .

ولا ننكر أنّ مثل تلك الواقعة وقع للفضيل أيضاً إلاّ أنّ الفضيل لما رأى أنّ عمل الفيض بن إسحاق شبيه بعمل شريح ويناسبه انتقل إلى ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام لشريح فخاطب به الفيض تنبيهاً له ، وإنما لم ينسب الكلام إليه عليه السلام إمّا لعلمه بأنّ الفيض أيضاً عالم بذلك الكتاب لاشتهاره بين أهله ، أو كان نقله من باب الاقتباس إن لم يتطرق إليه سقط وحذف من الراوي

وكم لما قلنا من نظير وشبيه نظماً ونشراً ، مثلاً أنّ العروضي نقل في كتابه المعروف بـ « چهار مقاله » أي أربع مقالات ، أنّ نوح بن منصور أمير الخراسان كتب إلى آل البيت كتاباً توعدّه فيه بالعقوبة وأوعده بالقتل والأسر والنهب فلما بلغه الكتاب أمر الإسكافي الكاتب البليغ المشهور أن يجيبه عن كتابه ويستخفّ به ويستهيّن ، فكتب الإسكافي : « يا نوح قد جادلنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما نعدنا إن كنت من الصادقين » .

فانظر فيه كيف اقتبس كتابه من القرآن الكريم من غير أن يتفوّّه باسناده

إليه .

ثمّ لانكر فضل الفضيل وأنّ له كلمات فاضلة لأنّه كان له شأن وإدراك السعادة العظمى لأنّه كان من سلسلة الرواة وأتى بكثير من رواياته وكلماته الأنيقة العذبة أبو نعيم في الحلية ، ولأنّه أدرك أبا عبد الله عليه السلام واعترف من بحر حقائقه

بقدر وسعه ، واقترف من كنوز معارفه بمبلغ كدّه وجهده ، روى عنه عليه السلام نسخة يرويها النجاشي^١ ولكن كلماته موجودة ونقل كثير منها في الحلية بينها وبين الكتاب بون بعيد ومسافة كثيرة لاتشابهه في سلك ألفاظه ولاتدانيه في سبك معانيه .

ثم ممّا يؤيد كلامنا بأنّ الفضيل اقتبس الكتاب منه عليه السلام ما أسند إليه أبو نعيم في الحلية أيضاً وهو عن الصادق عليه السلام قال أبو نعيم (ص ١٠٠ ج ٨ حلية الأولياء الطبع المذكور) : حدثنا محمد بن عليّ ، ثنا المفضل بن محمد الجندي ، ثنا محمد بن عبدالله بن يزيد المقرئ قال : سمعت سفيان بن عيينة يقول : سمعت الفضيل ابن عياض يقول : يغفر للجاهل سبعون ذنباً ما لم يغفر للعالم ذنب واحد . انتهى .

وهذه الرواية مع أنها لاتدلُّ على أنّ الفضيل قائلها تنافي ما في الكافي ونقلها الفيض في الوافي (ص ٥٢ ج ١) في أوّل باب لزوم الحجّة على العالم وتشديد الأمر عليه مسنداً عن المتقري عن حفص بن غياث عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال يا حفص يغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد .

وإن اختلج ببالك أنّ تنظيم قبالة الأرض والدّار على هذا النظم المتضمن للحدود لم يعهد مثله في صدر الاسلام ، بل صار متعارفا معهوداً بعد ذلك العصر فكيف يصحُّ اسناد هذا الكتاب إلى الأمير عليه السلام ؟ .

فاعلم : أنّ أمثال هذه الأمور الغير المعهودة الصادرة منه عليه السلام ليس بعزيز حتى يستعرب من إسناد هذا الكتاب إليه عليه السلام .

ومن نظر في كتبه ورسائله حيث إنّه عليه السلام يبيّن في بعضها آداب العامل والوالي ، وفي بعضها وظائف الخليفة والأمير ، وفي بعضها فنون المجاهدة ورسوم المقاتلة ، وفي بعضها تعيين أوقات الفرائض ، وفي بعضها ما يتمُّ به صلاح الاجتماع وما به يصير المدينة فاضلة وغيرها من المطالب المتنوّعة في الموضوعات المختلفة الشاخصة التي لم تتغيّر بتغيّر الأعمار ، ولم تختلف باختلاف الأعمار قطّ ، لأنّها حقائق والحقيقة فوق الزّمان والزّمان غير متغيّر بتغيّر المادّة والمادّيات ، علم أنّ جميع ما فاض من سماء علمه ممّا يتحيرّ فيه العقول ، ويستعرب ، وأنّ

بروز نحو هذا الكتاب منه عليه السلام ليس بمستبعد .

على أنه رويت عنه عليه السلام واقعة أخرى وقبالة نظير هذه الواقعة والقبالة نقلها حسين بن معين الدين المبيدي في شرح الديوان المنسوب إلى الأمير عليه السلام (ص ٤٤٨ طبع ايران ١٢٨٥ هـ) : روى أن بعض أهل الكوفة اشترى داراً وناول أمير المؤمنين عليه السلام رقماً وقال له : اكتب لي قبالة ، فكتب عليه السلام : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اشترى ميت عن ميت داراً في بلدة المذنين ، وسكنة الغافلين . الحد الأول منها ينتهي إلى الموت ، والثاني إلى القبر ، والثالث إلى الحساب والرابع إما إلى الجنة وإما إلى النار ، ثم كتب في ذيلها هذه الأبيات :

النفس تبكي على الدنيا وقد علمت	أن السلامة منها ترك ما فيها
لا دار للمرء بعد الموت يسكنها	إلا التي كان قبل الموت بانيها
فإن بناها بخير طاب مسكنها	وإن بناها بشر خاب ثاويها
أين الملوك التي كانت مسلطة	حتى سقاها بكأس الموت ساقياها
لكل نفس وإن كانت على وجل	من المنية آمال تقوئها
فالمرء يبسطها والدهر يقبضها	والنفس تنشرها والموت تطوبها
أموالنا لذوي الميراث نجتمعها	ودورنا لجراب الدهر نبنها
كم من مدائن في الآفاق قد بنيت	أمست خراباً ودون الموت أهليها

وكذا روي عن الصادق عليه السلام نحو هذا الحديث من جهة تحديد الحدود الأربعة كما في المناقب لمحمد بن شهر آشوب عن هشام بن الحكم قال : كان رجل من ملوك أهل الجبل يأتي الصادق عليه السلام في حجة كل سنة ، فينزله أبو عبد الله عليه السلام في دار من دوره في المدينة ، وطال حجه ونزوله فأعطى أبو عبد الله عليه السلام عشرة آلاف درهم ليشتري له داراً وخرج إلى الحج ، فلما انصرف قال : جعلت فداك اشتريت لي الدار؟ قال عليه السلام : نعم ، وأتى بصك فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اشترى جعفر بن محمد لفلان بن فلان الجبلي ، اشترى داراً في الفردوس ، حدّها الأول رسول الله صلى الله عليه وآله ، والحد الثاني

أمير المؤمنين عليه السلام ، والحدّ الثالث الحسن بن عليّ ، و الحدّ الرابع الحسين بن عليّ عليه السلام .

فلما قرأ الرّجل ذلك قال : قد رضيت جعلني الله فداك قال : فقال أبو عبد الله عليه السلام : إنّي أخذت ذلك المال ففرّفته في ولد الحسن والحسين عليه السلام وأرجو أن يتقبّل الله ذلك ، ويشيك به الجنّة .

قال : فانصرف الرّجل إلى منزله وكان الصكّ معه ، ثمّ اعتلّ علّة الطوت فلما حضرته الوفاة جمع أهله وحلقهم أن يجعلوا الصكّ معه ، ففعلوا ذلك فلما أصبح القوم غدوا إلى قبره فوجدوا الصكّ على ظهر القبر مكتوب عليه : وفي لي والله جعفر بن محمد عليه السلام بما قال .

أقول : ولللخدشة في هذا الحديث المنسوب إلى الصادق عليه السلام مجال وإنما ذكرناه تأييداً أما قدّمنا وبالجملة إنما يستفاد من واقعة الأمير عليه السلام مع شريح ومع بعض أهل الكوفة أنّ القبالة المتداولة في زماننا تكتب في ابتياع الأملاك حيث يتعيّن فيه الحدود ويذكر فيه الشروط والشهود إنما كانت متعارفة في زمن الصحابة أيضاً هب أنّها بتلك الكيفية لم تكن معهودة في صدر الإسلام ، فلا بأس أن يكون أمير المؤمنين عليه السلام مبتكرة فيه ، فأنّه عليه السلام كان سباقاً إلى العجائب والغرائب دائماً فلا مجال لتوهّم إسناد الكتاب إلى غيره عليه السلام بمجرد الاستبعاد بل استناده إلى مثل الفضيل مستبعد جدّاً ، بل عدم صحة الاسناد إليه معلوم قطعاً .

« سند الكتاب »

نحن بعون الله تعالى وجدنا أسانيد جلّ ما في نهج البلاغة و نرجو من الله الهادي تحصيل أسانيد ما لم يحصل بعد ، وببالي إن أخذ التوفيق بيدي أن أذكر أسانيد ما في النهج وما لم يأت به الرّضيّ رضوان الله عليه من كلامه عليه السلام في آخر الشرح .

فمقول : يا ليت الرّضيّ ذكر أسانيد ما نقل في النهج ومداركه لئلاّ ينقول عليه بعض الأقاويل ، ولكنّ الانصاف أن يقال: كفى في سنده أن مثل الرّضيّ

أسنده إليه عليه السلام .

ثم نقول في المقام : أوّلاً إنَّ الشريف الرّضيّ مع جلاله شأنه وفخامة أمره وتتبعه في الآثار وعرفانه بالأخبار وتبحّره في فنون الكلام وتضلّعه في جلّ ما أتى به الشرع أسند الكتاب أعني ذلك الكتاب الذي كتبه عليه السلام لشريح ، إليه عليه السلام وثانياً أنّ العلامة الشيخ بهاء الدّين العاملي قدّس سرّه رواه مسنداً في كتابه المعروف بالأربعين وهو الحديث الرابع عشر منه و سلسلة سنده من المشائخ العظام والرواة الأجلّاء ، فبعد اللّثيا واللّثيا فلا مجال لأحد أن يناقش في إسناد الكتاب إليه عليه السلام ، وفي اقتباس الفضيل منه عليه السلام ودونك الكتاب وسنده على ما في الأربعين . روى الشيخ رحمه الله بسنده المتصل إلى الشيخ الجليل محمد بن بابويه - وقد ذكر سنده إلى ابن بابويه في الحديث الأوّل من الأربعين - عن صالح بن عيسى بن أحمد ، عن محمد بن محمد بن عليّ ، عن محمد بن الفرج الرّخجي - بالراء المهملة المضمومة والخاء المعجمة المفتوحة والجيم ثقة من أصحاب الرضا عليه السلام - عن عبد الله بن محمد العجلي ، عن عبد العظيم بن عبد الله الحسنّي - المعروف بشاه عبد العظيم المدفون بالري - عن أبيه ، عن أبان مولى زيد بن عليّ ، عن عاصم بن بهدلة قال :

قال لي شريح القاضي : اشتريت داراً وكتبت كتاباً وأشهدت عدولاً ، فبلغ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فبعث إليّ مولاة قنبر ، فأتيته فلمّا دخلت عليه قال : يا شريح اتق الله فإنّه سيأتيك من لا ينظر في كتابك ، ولا يسأل عن بيّنتك حتّى يخرجك من دارك شاخصاً ، ويسلمك إلى قبرك خالصاً ، فانظر أن لا تكون اشتريت هذه الدار من غير مالكها ، ووزنت مالاً من غير حلّه ، فاذا قد خسرت الدارين جميعاً : الدنيا والآخرة . ثمّ قال عليه السلام : فلو كنت عند ما اشتريت هذه الدار أتيتني فكتبت لك كتاباً على هذه النسخة إذ لم تشتريها بدرهمين ، قال : قلت : وما كنت تكتب يا أمير المؤمنين ؟ قال عليه السلام : كنت أكتب لك هذا الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اشترى عبد ذليل من ميّت أزعج بالرّحيل اشترى داراً في دار الغرور من جانب الفانين إلى عسكر الهالكين وتجمع هذه الدار

حدود أربعة: فالحدُّ الأوَّل منها ينتهي إلى دواعي الآفات ، و الحدُّ الثاني منها ينتهي إلى دواعي العاهات ، والحدُّ الثالث منها ينتهي إلى دواعي المصيبات ، والحدُّ الرابع منها ينتهي إلى الهوى المرديّ والشيطان المغويّ ، وفيه يشرع باب هذه الدار .

اشترى هذا المفقون بالأمل ، من هذا المزعج بالأجل ، جميع هذه الدار بالخروج من عزّ القنوع ، والدُّخول في ذلّ الطلب ، فما أدرك هذا المشتري من درك فعلى مبلي أجسام الملوك وسالب نفوس الجبابرة مثل كسرى وقيصر ، وتبع وحمير ، ومن جمع المال إلى المال فأكثر ، وبنى فشيّد ، ونجد فزخرف وادّخر بزعمه للولد ، إشخاصهم جميعاً إلى موقف العرض لفصل القضاء ، و خسر هنالك المبتلون شهد على ذلك العقل إذا خرج من أسرى الهوى ، ونظر بعين الزوال لأهل الدنيا ، وسمع منادي الزهد ينادي في عرصاتها :

ما أبين الحقّ لذي عينين إنّ الرّحيل أحد اليومين
تزوّدوا من صالح الأعمال ، وقرّبوا الآمال بالآجال .

« اللغة »

(على عهده) أي في زمانه فإنّ كلمة الجارّة ههنا بمعنى في ، وأحد معاني العهد الزمان ، ففي أقرب الموارد : كان ذلك في عهد شبابي أي زمانه ، و منه كان ذلك على عهد فلان أي في زمانه . انتهى .

(دينار) الدّينار ضرب من النقود القديمة الدّهية ، و في أقرب الموارد أنه فارسي معرّب ، وأصله دنار بالتشديد بدليل جمعه على دنانير و تصغيره على دننير ، لأنّهما يرجعان الكلمة إلى أصلها غالباً فأُبدل من أحد حرفي تضعيفه ياءً لثلاثاً يلبس بالمصادر التي يجيء على فعّال كقوله تعالى : « و كذبوا بآياتنا كذّاباً » (النبأ - ٢٩) إلاّ أن يكون بالهاء فيخرج على أصله مثل الصنارة والدنّامة لأنّه آمن الآن من الإلتباس ، قاله في الصحاح .

(استدعاء) أي طلبه (أشهدت فيه شهوداً) أي أحضرت فيه شهوداً ، أو تكون

كلمة في الجارة بمعنى على نحو قوله تعالى « ولأصْلَبْنِكُمْ فِي جَذُوعِ النَّخْلِ » (طه ٧٦) ويقال : أشهد فلاناً على كذا أي جعله شاهداً عليه ، فالعنى وجعلت قوماً شهوداً عليه ، والشهود جاء مصدرًا وغير مصدر والمراد هنا الثاني يقال : شهد عند الحاكم فلان على فلان بكذا شهادةً من بابي علم وكرم إذا أدّى ما عنده من الشهادة ، فهو شاهد فيجمع على شهود نحو عادل وعدول ، وشهد كصاحب وصحب ، وأشهاد كناصر وأنصار وشاهدين كعالم وعاملين . وفي نسختي الأربعين وحلية الأولياء : و أشهدت عدولاً ولكن الشهود أنسب بالمقام من العدول .

(أما) بفتح الأ وّل وتخفيف الثاني : حرف تنبيه ههنا .

(سيأتيك من) المراد من مَن إِمَّا لموت أو ملك لموت ، والثاني أولى لأنّ من يستعمل غالباً في ذوي العقول كما أنّ ما يستعمل غالباً في غير ذوي العقول وإِنَّمَا قلنا غالباً لأنّ ما قد يستعمل في ذوي العقول كقوله تعالى : « والسماء وما بنيتها » (الشمس - ٦) ومن في غير ذوي العقول كقوله تعالى « فمنهم من يمشي على بطنه » (النور - ٤٥) والتفصيل مذکور في الموصولات من كتب النحو .

(لا ينظر في كتابك) يقال : نظره و نظر إليه إذا أبصره بعينه و نظر فيه إذا تدبّره وفكّر فيه ، يقدّره ويقيسه ومنه قوله تعالى « ونظر نظرة في النّجوم فقال إني سقيم » (الصافات - ٨٧ و٨٨) ولذا قال بعضهم : إنّ نظر يتعدّى إلى المبصرات بنفسه ويتعدّى إلى المعاني بغيره .

(لا يسألك عن بيتك) السؤال إذا كان بمعنى الاستخبار يتعدّى إلى مفعولين إلى الأ وّل بنفسه وإلى الثاني بعن كما في المقام ، وقد يتعدّى إلى الثاني بالباء مضمّنة معنى عن نحو : سل به خبيراً ، إي سل عنه ، وقد تخفف الهمزة من فعله فيقال سال يسال سل ومسول كخاف يخاف خف ومخوف ، المستفاد من ظاهر كلام المرزوقي في شرح الحماسة (الحماسة ٧٥٧ ص ١٧١٥ طبع مصر ١٣٧١ هـ) أنّ التخفيف هو لغة هذيل . قال عبدالله بن الدمينة (الحماسة ٥١٠) .

سلي البانة الغناء بالأجرع الذي به البان هل حبيبت أطلال دارك

فقوله : سلي ، كان أصله أسالي فخذف الهمزة تخفيفاً وألقيت حركتها على السين فصار إسلي ، ثم استغنى عن همزة الوصل لتحرك ما بعدها فحذفت فصار سلي ، وعلى هذا القياس قوله تعالى : « سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بيّنة » (البقرة - ٢٠٩) .

(البيّنة) الحجّة . و في نسخة الأربعة عن بيتك أي دارك التي اشتريتها والأوّل أنسب بالمقام ، وما يختلج في البال أن الثاني حرّف من الكتاب وإلا لقال ﷺ : حتى يخرجك منه ، لا من دارك كما لا يخفى على العارف بأساليب الكلام ، والشاهد لذلك ترجمة ابن خاتون العاملي بالفارسية في شرحه على الأربعة للشيخ بهاء الدّين قدّس سرّه حيث قال : زود باشد كه بر تو وارد شود شخصی كه نگاه بسند تونكند ، واز گواهان تو چیزی نپرسد ، الخ . على أن النسختين متفقتان في الأوّل .

(شاخصاً) إشارة إلى قوله تعالى : « إنما يؤخّروهم ليوم تشخص فيه الأبصار » (الحجر - ٤٤) وقوله تعالى : « فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا » (الأنبيا - ٩٨) قال الراغب في المفردات : قال تعالى : تشخص فيه الأبصار ، شاخصة أبصارهم أي أحفانهم لا تطرف . وفي مجمع البيان التفسير : شخص المسافر شخصاً إذا خرج من منزله ، وشخص عن بلد إلى بلد وشخص بصره إذا نظر إليه كأنه خرج إليه . يقال : شخص بصره فهو شاخص إذا فتمح عينيه وجعل لا يطرف مع دوران في الشحمة ، وشخص الميّت بصره وبصره أي رفعه ، وفي منتهى الأرب : شخص بصره : وا كرد چشم را و وا داشت وبرهم نزد آنرا وبلند كرد نگاه را ، وشخصت عينه باز ماند چشم او .

ويمكن أن يتخذ الشاخص من شخص المسافر من بلد إلى بلد شخصاً بمعنى ذهب وسار وخرج من موضع إلى غيره ، ومنه حديث إقامة العاقل أفضل من شخص الجاهل .

أو من شخص السهم إذا ارتفع عن الهدى ، ومنه الدعاء : اللهم إليك شخصت

الأبصار أي ارتفعت أجبانها ناظرة إلى عفوك ورحمتك ، قال الجوهري في الصحاح : أشخص الراعي إذا جاز سهمه الغرض من أعلاه ، و هو سهم شاخص ، فالمراد على هذا الوجه الأخير حتى يخرجك منها مرفوعاً أي محمولاً على أكتاف الرّجال .
والوجهان الآخران مما احتملهما الشيخ في الأربعين أيضاً وجعل العبارة على الأوّل كناية عن الموت ، فانه ذكر معنى الشاخص على الوجه الذي أتى به الجوهري في الصحاح حيث قال : شخص بصره بالفتح فهو شاخص إذا فتح عينيه وصار لا يظرف ، وهو كناية عن الموت وكذا الطريحي في مجمع البحرين .

ولكن في أقرب الموارد بعدما في الصحاح أتى بقيد زائد وهو قوله : مع دوران الشحمة ، وهذا المعنى لا يناسب قوله عليه السلام : حتى يخرجك ، فإن المرء مالم يمت لا يخرج من داره ، ولا يخفى أن المعنى الذي ذكره في الصحاح لا يشير إلى الموت ، غاية الأمر إلى شدة الأمر وهوله ، ولذا فسّر الكلبي كما في مجمع البيان قوله تعالى : « فاذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا » بقوله : إن أبصار الذين كفروا تشخص في ذلك اليوم أي لا تكاد تطرف من شدة ذلك اليوم وهوله ، ينظرون إلى تلك الأحوال .

وبالجملة إن شخص بالمعنى الأوّل لا يدلّ على موت الشاخص إلا أن يؤخذ الشاخص من شخص الميت بصره وببصره إذا رفعه ، وكذا شخصت عينه ، حتى يستقيم المعنى الكنائي ، أو من شخص المسافر بمعنى ذهب و سار على نوع من التجوّز .

(يسلمك إلى قبرك) من التسليم أي يعطيك قبرك ويناولك إياه يقال : سأمه إلى فلان أي أعطاه إياه فتناوله منه ، ويمكن أن يؤخذ من الاسلام لأنّ أسلم جاء بمعنى سلّم أيضاً يقال : فلان أسلم أمره إلى فلان أي سلّمه إليه .

(خالصاً) الخالص هو المحض والمراد هنا العاري من أعراض الدنيا وحطامها أي يخرجك عارياً منها .

(نقدت الثمن من غير حلالك) يقال : نقدته ونقدته لفلان الثمن أي أعطيته

إيَّاهُ نقداً معجلاً ، فالمراد أنك ابتعتها بيعاً نقداً أي بيع الحالِّ بالحالِّ .
وعلى نسخة الشيخ في الأربعين : ووزنت مالاً من غير حملِّه ، أي وزنت
للدَّار أو لبائعها مالاً يقال : وزنت فلاناً ووزنت لفلان كما يقال : كملت زيدا
وكملت لزيد قال تعالى « وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون » (المطففين - ٤) .
وعلى نسخة أبي نعيم في الجلية : أو ورثت مالاً من غير حملِّه ، ومعناه ظاهر
ولكنَّ الصواب أن يقال : إنَّ ورثت محرَّف وزنت لعدم مناسبة ورثت في المقام وتفسير
العبارة على ورثت لا يخلو من تكلف وتعسف . وما في المتن موافق للنسختين .
(ترغب في شراء) الأفعال كما تتغيَّر معانيها بتغيَّر الأَبواب سواء كانت
الأَبواب مجردة أو غير مجردة كذلك تتغيَّر معانيها بتغيَّر صلاتها ، وكذا الحكم
في مصادرها ، فالرغبة ومشتقاتها إذا كانت صلتها كلمة في الجارَّة تفيد معنى الإرادة
والميل إلى الشيء ونحوهما يقال : رغب في الشيء إذا أَرادَه وأحبَّه ، وما ل إليه
وظمع فيه وحرص عليه ، وإذا كانت صلتها كلمة عن الجارَّة تفيد الاعراض والترك
يقال : رغب عنه إذا زهد فيه ولم يردَه وأعرض عنه وتركه قال تعالى : « ومن يرغب
عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه » (البقرة - ١٢٦) .
(الدَّرهم) بكسر الدَّال وفتح الهاء وكسرها : ضرب من النقود القديمة
المضروبة من الفضة للمعاملة ، قال في الصحاح ومنتهى الأرب : إنه فارسيٌّ معرَّب
وفي أقرب الموارد والمنجد : يونانيٌّ معرَّب . وربما قالوا درهام أيضاً بكسر الدَّال
قال الشاعر :

لو أنَّ عندي مأتي درهام لجاز في آفاقها خاتامي

وجمع الدَّرهم دراهم ؛ وجمع الدَّرهم دراهيم ، قال الشاعر :

تنفي يداها الحصى في كلِّ هاجرة نفي الدَّراهيم تنقاد الصياريف

نقل البيهقي في الصحاح .

(ميَّت) أصله ميوت على وزن فيعل من الموت .

(أُرْعِجَ للرَّحِيل) أُرْعِجَ بالبناء للمفعول أي شخص به للرَّحِيل يقال

أزعجه فانزعج أي أقلقه وقلعه من مكانه فقلق وانقلع ، هذا إن كانت اللام للتعليل وإن كانت بمعنى إلى فالمعنى سيق إليه يقال : أزعجه إلى المعصية أي ساقه إليها كما في لسان العرب في مادة أزر على ما في أقرب الموارد .

(دار الغرور) الغرور بضم الغين المعجمة مصدر يقال غرّه يغرّه غ-روراً من باب نصر أي خدعه وأطمعه بالباطل ولذا قيل : الغرور تزيين الخطاء بما يوهم أنه صواب ، وكذا قيل : الغرور شرك الطريق بفتحيتين ، والمراد من دار الغرور الدنيا قال تعالى « وما الحياة الدنيا إلاّ متاع الغرور » (آل عمران - ١٨٤ والحديد - ٢١) وقال تعالى : « إن وعد الله حقّ فلا تغرّركم الحياة الدنيا ولا يغركم بالله الغرور » (لقمان - ٣٥) ولذا توصف الدنيا بالغرور بالفتح ويقال : دنيا غرور بل أحد معاني الغرور بالفتح الدنيا ، قال ابن السكيت كما في صحاح الجوهري : الغرور الشيطان ومنه قوله تعالى « ولا يغركم بالله الغرور » . أقول : الصواب أن كل ما يغرّ الإنسان من مال وجاه وشهوة وشيطان وغيرها فهو غرور بالفتح وإنما فسّر بالشيطان لأنه الغارّ الحقيقي وتلك الأمور آلات ووسائل . إذ هو أخبث الغارين ، وبالدنيا لأنها تغرّ وتضرّ وتمرّ كما قاله عليه السلام وسيأتي في باب المختار من حكمه .

(خبطة) واحدة خطط قال الجوهري في الصحاح : الخبطة بالكسر الأرض يختطها الرجل لنفسه وهو أن يعلم عليها علامة بالخطّ ليعلم أنه قد اختارها لنفسه لينبئها داراً ، ومنه خطط الكوفة والبصرة ، والمراد منها البقعة والناحية والجانب وأمثالها ويقال بالفارسية : سرزمين .

(تجمّع هذه الدار) أي تحويها وتحيط بها . (دواعي) جمع الداعية بمعنى السبب ، قال الحريري : وتاقت نفسي إلى أن أفضّ ختم سرّه وأبطن داعية يسرّه ، أي أعرف بأبطن سبب يسرّه نقله في أقرب الموارد ، دواعي الدّهر : صروفه ، دواعي الصدر : همومه ، و لكن المراد هنا معناها الأوّل أي أسباب الآفات والمصيبات .

وفي الحلية : والحدُّ الأوَّل منها وفي الأربعين والحدُّ الثاني منها ينتهي إلى دواعي العاهات، وهي جمع العاهة أي الآفة، وأصل العاهة عَوَاهَةٌ، يقال: عيه الزرع وأيف وأرض معيوهة أي ذات عاهة وطعام ذومعوهة أي من أكله أصابته عاهة وفي النهاية الأثرية: في الحديث نهى عن بيع الثمار حتى تذهب العاهة ، أي الآفة التي تصيبها فتفسدها يقال : عاه القوم وأعوها إذا أصابت ثمارهم وماشيتهم العاهة ، و منه الحديث : لا يورد ذوعاهة على مصحح ، أي لا يورد من بابل آفة من جرب أو غيره على من إبله صحاح لثلاث ينزل بهذه ما نزل بتلك فيظنّ المصحح أن تلك أعدتها فيأثم .

وفي مجمع البحرين : في الحديث بظهر الكوفة قبر لا يلوذ به ذوعاهة إلا شفاه الله ، أي آفة من الوجع ، وفي الحديث : لم يزل الإمام مبرءاً عن العاهات أي هو مستوي الحلقة من غير تشويه .

وقيل : الفرق بين الآفات والعاهات أن العاهات تكون الأمراض الظاهرية من قبيل برص أو جذام ، والآفات تكون الأمراض الباطنية من مثل الحمى . (المردي) اسم فاعل من الإرداء بمعنى الإهلاك ، فالهوى المردي أي الهوى المهلك ، والردي : الهلاك ، والمراد هنا هلاك الدين ، ويقال أيضاً : أرداه في البئر مثلاً أي أسقطه فيها ، فالمعنى على هذا الوجه الهوى المسقط إلى هوة جهنم ومآل المعنيين واحد .

(المغوي) كالمردى فاعل من الاغواء أي المضلّ ، وهو إشارة إلى قوله تعالى حاكياً عن الشيطان : « ولأغوينهم أجمعين » (الحجر - ٤١) « قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلاّ عبادك منهم المخلصين » (ص - ٨٥) .

وفي الحلية (زقاق الفناء) الزقاق بضمّ الأوّل وتخفيف الثاني : السكة وقيل : الطريق الضيق دون السكة نافذاً كان أو غير نافذ يذكر ويؤنث جمعه زقاق بالضمّ فالتشديد وأزقة .

(يشرع) بالبناء للمفعول من الاشرع أي يفتح ، وفي القاموس : أشرع باباً إلى الطريق فتحه . أو من الاشرع بمعنى التهيؤ أي يتهيأ للدخول والخروج

نحو قول جعفر بن علبه الجارثي (الحماسة ٤) :

فقالوا لنا ثنتان لا بدّ منهما صدور رماح أشرعت أو سلاسل
أي إذا كان الأمر على هذا فلا بدّ من أحدهما إمّا صدور رماح هيئات للطعن
أو سلاسل ، أي إمّا القتل أو الأسر ولكن المعنى الأوّل أبين وأنسب .
في الأربعين : بالخروج من عزّ القنوع ، والقنوع بالضمّ : القناعه .
(الضّراعة) : الدّالة : مصدر من ضرع ضراعة من بابي منع وشرف أي
خضع وذللّ وتذللّ .

(أدرك) بمعنى لحق يقال : طلب الشيء حتّى أدركه أي حتّى لحقه
و وصل إليه .

(درك) قال في الصحاح : الدرّك التبعه ، تسكن وتجرّك ، يعني أن الدرّك
يقرأ على وجهين بفتح الأوّلين وبفتح الأوّل وسكون الثاني يقال : ما لحقك من
درّك فعليّ خلاصه ، والمراد من الدرّك هنا ما يضرّ بملكيّة المشتري كأن يدّعي
أحد كان المبيع ملكه وبيع بغير حقّ وكان البائع غاصباً وغير ذلك .

(مبلبل) اسم فاعل من بلبل القوم بلبلة و بلبالاً إذا هيجهم وأوقعهم في
الهمّ و وسواس الصدور ، قال باعث بن صريم « على التصغير » :

سائل أسيد هل ثأرت بوائل أم هل شفيت النفس من بلبالها

أى من همّها و حزنها (الحماسة ١٧٥) .

وقال منصور النمري :

فلمّا رأني كبرّ الله وحده وبشّر قلباً كان جمماً بلابله

أى كانت غمومه مجتمعة عليه (الحماسة ٧٤٩) .

أو من بلبل الألسنة أي خلطها أي يخلط ويمزج أجسامهم بتراب القبر .
أو من بلبل الشيء إذا فرقّه ومزّقه وأفسده بحيث آخرجه عن حدّ الانتفاع
به ، والمراد هنا المعنى الثاني أو الثالث كما هو ظاهر لاخبار عليه ، فلا حاجة إلى
ما تكلف به الشيخ تجرّ عبده حيث فسّر مبلبل الأجسام بقوله : مهيبج داءاتها

المهلكة لها .

و في نسخة الشيخ في الأربعين : فعلى مبلي أجسام الملوك ، و قال قدس سرته في بيانه : مبلي كمكرم من البلاء بالكسر وهو الدثور و الاندراس ، و كذا ابن الخاتون العاملي في شرحه قال : مبلي بوزن مكرم مأخوذ از بلاى بكسر با است كه بمعني دثور و اندراس است يعني از هم پاشيدن و ريزه ريزه شدن ، و لم ينقل غير المبلي نسخة أخرى فعندهما المبلي هو المتعین ، و في النهج و الحلية : المببليل مكان المبلي ، و مآل الكل واحد يقال : أبلى الثوب أي أخلقه و بلبله أي مزقه و أفسده ، فمعنى أحدهما قريب من الآخر .

(سالب نفوس الجبابرة) سلبه يسلبه سلباً و سلباً من باب نصر أي انتزعه من غيره على القهر ، و النفوس جمع النفس وهي هنا بمعنى الروح ، و الجبابرة : الملوك كما في اللسان فسالب نفوس الجبابرة أي قابض أرواح الملوك أو أن الملوك أحد بعض مصاديق الجبابرة .

ثم الظاهر أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ كنى بالمببليل و السالب و المزيل عن الله جلّت عظمته و يمكن إرادة ملك الموت منها ولكن الشيخ صرح في الأربعين بأن المراد منها الموت فليتمأمل .

(كسرى) بكسر الكاف وفتحها أيضاً لقب ملوك الفرس ، و هو معرفت خسرو أي واسع الملك و أحد جموعه : أكاسرة .

(قيصر) لقب ملوك الروم و جمعه : قياصرة .

(تبّع) بضم التاء المثناة من فوق و تشديد الباء الموحدة المفتوحة . لقب ملوك اليمن و الجمع : تبابعة .

(حمير) بكسر أوّله وفتح ثالثة أبو قبيلة من اليمن و هو حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، و منهم كانت الملوك في الدهر الأوتل و اسم حمير العرنج ، قاله في الصحاح .

(شيد) بكسر الشين ما يطلّى به الحائط من حصّ أو بلاط و نحوهما

وبالفتح المصدر يقال : شاده يشيده شيداً بالفتح حصصه ، و هو مشيد أى معمول بالشيء قال تعالى : « و قصر مشيد » و نقل إلى باب التفعيل للمبالغة ، أويكون من شيّد البناء أي رفعه كما في أقرب الموارد و كذا في الصحاح حيث قال : و المشيّد بالتشديد المطوّل ، أو من شيّد قواعده أي أحكمها .

قال الكسائي^٥ : المشيد للواحد من قوله تعالى « و قصر مشيد » و المشيّد بالتشديد للجمع من قوله تعالى « في بروج مشيّد » نقله في الصحاح .
أقول : الظاهر أن الكسائي أراد أن المشيد و المشيّد بمعنى واحد إلا أن الأوّل يستعمل في المفرد والثاني في الجمع فلا يقال قصر مشيّد بالتشديد أو بروج مشيّد بالتخفيف فتأمل .

(زخرف) زخرفه أى زينته وحسنه ، و الزخرف كل ما حسن به الشيء و المزخرف المزين قال الله تعالى : « حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت (يونس - ٢٦) .

قال عنترة بن الأخرس (الحماسة ٨١٧) :

لعلك تمنى من أراقم أرضنا	بأرقم يسقى السمّ من كل منطف
تراه بأجواز الهشيم كأنما	على متنه أخلاق بُرد موقوف
كأنّ بضاحي جلده و سراته	و مجمع لبيته تهاويل زخرف

شبهه بارز جلد الحية وظهره و مجمع صفحتي عنقه لاختلاف ألوانها بالتهاويل التي تزخرف بها الإبل . وفي المفردات : الزخرف الزينة المزوّقة و منه قيل للذهب زخرف .

قال في الصحاح : الزخرف الذهب ثم يشبه به كل مموّه مزوّر ، فعلى هذا قوله عليه السلام زخرف بمعنى زينته بالزخرف أي زهبه .

(نجد) بالنون والجيم المشدّدة والدال المهملة يقال : نجد البيت أي زينته بالبسط والفرش والوسائد ، وفي اللسان نجدت البيت بسطته بنباب موشية والنجد محرّكة : متاع البيت من فرش و نمارق و ستور ، جمعه أنجاد ، و نجد البيت :

ستوره التي تعلق على حيطانه يزين بها .

أو يكون نجد من النجد بمعنى ما ارتفع من الأرض أي رفع البناء ، وهذا المعنى على نسخة الشيخ في الأربعين حيث قال : « نجد فزخرف » أنسب إن لم يكن متعيناً ، وعلى نسخة الرضي المعنى الأول أنسب فإن زخرف أعني ذهب يستعمل غالباً في تزيين سقف البيت، ونجد في تزيين أرضه .

(ادّخر) أي اكتسب المال وخبأه لوقت الحاجة إليه ، وهو افتعل من الذّخر لكنّه أُبدل من التاء دالاً فأدغم الدال فيه فلك أن تقول : ادّخر ، ولك أن تقول : ادّخر ، قال منظور بن سحيم « بالتصغير » الحماسة ٤٢٢ :

وعِرضي أبقى ما ادّخرت ذخيرة و بطني أطويه كطيّ ردايما
(اعتقد) مالاً : جمعه ، واعتقد ضيعة : اقتناها ، تقول : اعتقد عقدة إذا اشترى ضيعة ، والعقدة : الضيعة والعقار الذي اعتقده صاحبه ملكاً أي اقتناه وغيرهما من الأموال الصامته فلك أن تقول : اعتقد أي جعل لنفسه عقدة .

(الولد) بسكون الثاني وحر كات الواو وبفتحهما كل ما ولده شيء ويطلق على الذكر والأنثى والمنثى والمجموع ، وهو مذكور والجمع أولاد وولدة بالكسر فالسكون وإلدة بإبدال الواو همزة و ولد بالضمّ فالكسر فالأخير جاء جمعاً ومفرداً كالفلك قال تعالى : « والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس » (البقرة- ١٦١) ، وقال تعالى : « حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة » (يونس- ٢٤) فالأولى مفرد والثانية جمع .

(نظر بزعمه للولد) يقال : نظر له أي رثاه وأعانه والمراد هنا جمع المال للولد إعانة له وتحسناً عليه .

(إشخاصهم جميعاً إلى موقف العرض والحساب) أي إرجاعهم إليه قال في اللسان : أشخص فلاناً إلى قومه : أرجعه إليهم . ويقال أيضاً : أشخصه أي أزعجه وأحضره .

(العرض) أي عرض أعمالهم عليهم من عرض الشيء عليه وله أي أراه إيّاه

قال تعالى : « ثمَّ عرضهم على الملائكة » (البقرة - ٣١) « و عرضوا على ربك صفاً » (الكهف - ٤٧) « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض » (الأحزاب - ٧٣) « و عرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً » (الكهف - ١٠١) « و يوم يعرض الذين كفروا على النار » (الأحقاف - ٣٥) .

(فصل القضاء) الفصل إبانة أحد الشيعيين من الآخر حتى تكون بينهما فرجة و يوم الفصل أحد أسماء القيامة قال تعالى « هذا يوم جمعناكم والأولين » (المرسلات - ٣٩) أي اليوم يبين الحق من الباطل ، وقال تعالى « إنَّ يوم الفصل ميقاتهم أجمعين » (الدخان - ٤٢) وقال : « وهو خير الفاصلين » (الأنعام - ٥٨) ف قوله عليه السلام : فصل القضاء أي فصل القضاء بين الحق والباطل .

(خسر هنالك المبطلون) اقتباس من قوله تعالى : « فإذا جاء أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون » (المؤمن - ٨٠) .

الاعراب

« قاضي » صفة لشريح بالإضافة . « بثمانين » الباء للتعويض والمقابلة وهي الداخلة على الأعواض والأثمان . جملة اشترى على عهده داراً بثمانين ديناراً خبر إن . « قد كان ذلك » كان تامّة وذلك فاعل لها . « نظر مغضب » مفعول مطلق لفعل نظر .

ثمَّ إنَّ كلمة مغضب فيما رأينا من النسخ المطبوعة من النهج مشكولة بكسر الضاد لكنها وهم والصواب بفتحها كما في نسخة عتيقة مصحّحة جداً قد رزقنا الله أثناء الشرح ووفقنا باتباعها وقد تفألّت بها التوفيق في إتمام هذا الأثر كيف لا وفي الخبر : إذا أراد الله شيئاً هيئاً أسبابه .

وبعد ذلك تفضل علينا صديقنا الفاضل السيد مهدي الحسيني اللّا جوردي زاده الله توفيقاً بالاطلاع على نسخة من مكتبته بدار العلم قم قوبلت بنسخة السيد الامام الرضي رضوان الله عليه ، والنسختان موافقتان متناً وصحّة في عدّة مواضع قوبلتا فيها ، والمغضب فيهما مشكولة بالفتح .

أما من حروف التنبيه يصدّر بها الجمل كلّها حتى لا يغفل المخاطب عن شيء مما يلقي المتكلم إليه ، ولذا سميت حروف التنبيه ، وهي : أما وألا وها ، والأخيرة خاصة من المفردات على أسماء الإشارة حتى لا يغفل المخاطب عن الإشارة التي لا يتعيّن معانيها إلاّ بها نحو : هذا ، وهاتا ، ونحوهما .

« حتى لا يخرجك » الفعل منصوب بأن المقدّرة وجوباً ويسلمك عطف عليه .
« شاخصاً » حال لضمير المفعول في يخرجك . « خالصاً » حال لضمير المفعول في يسلمك ..

« فانظر يا شريح لا تكون » في نسختي الأربعين وحلية الأولياء : فانظر أن لا تكون . فإن كان بمعنى تدبّر وتفكر فلا بدّ من صلته بقي ، وإن كان بمعنى أبصر إمّا أن تكون صلته بالي ، وإمّا يتعدّى بنفسه يقال نظره ونظر إليه أي أبصره بعينه كما قدّمتنا في اللّغة .

ثمّ إنّ الأولى والأولى أن تكون صلة الفعل كلمة في الجارة المقدّرة حتى تفيد معنى التدبّر والتأمّل والتفكّر أي تأمّل وتدبّر في أن لا تكون اشترت هذه الدار من غير مالك أو نقدت الثمن من غير حلالك . فعلى هذا يكون المصدر المسبوك بأن الناصبة منصوباً بنزع الخافض ، أي تأمّل في عدم كونك شاربياً لها من غير مالك وفي أدائك ثمنها من غير حلالك ، وأمّا نسخة النهج فعلى وزان قوله تعالى : « انظر كيف ضربوا لك الأمثال » (الإسراء - ٥٢)

ثمّ اعلم الصواب أن يقرأ ما لك في قوله لَكَ : ابتعت هذه الدار من غير مالك بهيئة الفاعل لأنّه لو قرئ باضافة المال إلى الضمير يلزم التكرار لأنّ معنى جمليتي « ابتعت هذه الدار من غير مالك » و « أو نقدت الثمن من غير حلالك » واحد حينئذ فالمتعين أنه فاعل لامضاف ومضاف إليه ، ونسخة الشيخ في الأربعين « فانظر أن لا تكون اشترت هذه الدار من غير مالها » شاهد صادق بل حجة قاطعة للمختار وقد ترجم العبارة وفسرها كثير من المترجمين والمفسرين بالإضافة ولم ينقطنوا لتلك الدقّة .

« فاذا أنت قد خسرت » قال الشيخ في الأربعين : إذا هذه فجائية كالواقعة في قوله تعالى « فاذا هم خامدون » (يس - ٣٠) أي فيكون مفاجئاً للخسران .
 « فلم ترغب في شراء هذه الدار بالدرهم فما فوقه » و في نسخة الأربعين
 « إذا لم تشتريها بدرهمين » و قال الشيخ في إعرابه : إذا حرف جواب و جزاء
 والأكثر وقوعها بعد أن ولو ؛ واختلف في رسم كتابتها والجمهور بالألف والمازني
 بالنون، والفرء كالجمهور إن أعملت وكالمازني إن أهملت . انتهى قوله .

أقول : وأما على نسخة النهج فقوله رحمته : بالدرهم فما فوقه . الفاء للعطف
 وما نكرة موصوفة أو بمعنى الذي مجرور محلاً بالباء و لم تعد لأنّه عطف على
 الظاهر والعامل في فوق على الوجهين الإستقرار ، والمعطوف عليه الدرهم وسيأتي
 توجيه قوله رحمته فما فوقه وتحقيقه في المعنى إن شاء الله تعالى .
 « من ميت قد أزعج للرحيل » قد أزعج للرحيل صفة للميت لأنه نكرة
 كالدليل للبعيد . « اشترى منه داراً » بدل للأول كالثالث .

والقياس أن يقال : هذه ما اشترى لأنّ ما ابتاعها كانت داراً كقوله رحمته :
 تجمع هذه الدار ، ولكنه رحمته قال : هذا ما اشترى باعتبار المنزل و نحوه .
 « داراً من دار الغرور » كلمة من بمعنى في إن كان المراد من دار الغرور الدنيا كما
 بينا أي دار في دار الغرور نحو قوله تعالى (الجمعة - ١٠) « إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة »
 أي في يوم الجمعة ، ويمكن أن تكون من على هذا الوجه للتبويض أيضاً كما هو ظاهر أو
 يكون الطرف مستقراً صفة للدار ، و إن كانت من لبيان الجنس لا يكون المراد
 منها الدنيا . نحو من الثانية في قوله تعالى « يحلّون فيها من أساور من ذهب »
 (الكهف - ٣١) أي داراً هي دار الغرور .

« تجمع هذه الدار حدود أربعة » هذه الدار مفعول قدّم و حدود فاعل تجمع
 وفي بعض نسخ الأربعين جعلت هذه الدار فاعل الفعل و حدود مفعوله حيث كتب

تجمع هذه الدار حدوداً أربعة ، ولكنه من تحريف النساخ وتصرّفهم .
 « فالحدُّ الأوَّل » الفاء هذه للترتيب الذكري لأنّ أكثر ما يكون ذلك في
 عطف مفصل على مجمل نحو قوله تعالى : « فقد سألو موسى أكبر من ذلك فقالوا
 أرنا الله جهرة » (النساء - ١٥٣) .

« بالخروج من عزّ القناعة » الباء للعرض والمقابلة أي اشترى هذا بهذا كما
 تقول : اشتريت هذه الدار بهذه الدار نائير . والدخول مجروره عطوف على الخروج
 « فما أدرك » كلمة ما إمّا موصولة أو موصوفة وعلى التقديرين مبتداء وخبره
 جملة « فعلى مببل أجسام الملوك إشخاصهم جميعاً إلى موقف العرض » لأنّ
 إشخاصهم مبتداء ثان وخبره على مببل أجسام الملوك قدّم لتوسعة الظروف، وهذه
 الجملة الاسميّة خبر لما .

« من درك » من بيانية يبيّن ما « فعلى مببل » كلمة الفاء جواب لما لأنّه
 على حدّ : الذي يأتيني فله درهم ، أعني من المواضع التي يتضمّن المبتداء فيها معنى
 الشرط فتدخل الفاء في خبره نحو قوله تعالى : « وما بكم من نعمة فمن الله » (النحل -
 ٥٥) وقوله تعالى : « قل إنّ الموت الذي تفرّون منه فانه ملائكم » (الجمعة - ٨)
 وكأنما أراد الشيخ في الأربعين هذا المعنى حيث قال : ما في ما درك شرطية ؛ سالب
 عطف على مببل ، وكذا المزيل .

« ومن جمع » من موصول اسمي معطوف على الفرائعة أي مزيل ملك الذي
 جمع المال - الخ ، أو على كسرى كقبصر وأخويهو كأنّ الأخير أظهر وكذا الحكم
 في من الثاني ، ونسخة الشيخ هكذا : ومن جمع المال إلى المال فأكثر و بنى
 فشيّد ونجدّ فزخرف .

ولولا كلمة - إلى - مكان - على - لكانت نسخته أولى من النهج لعدم الاحتياج
 إلى من الثاني أو لا ، وعدم تنسيق العبارة على نظام واحد في النهج ثانياً ، وخلوّه عن
 التعريفات الحسنة الأنيقة ثالثاً .

وأما كلمة إلى وإن كانت تفيد معنى صحيحاً في المقام ولكن على أصحّ وأفصح

منها . والفاءات تفيد الترتيب « بزعمه » الباء للسببية .
إلى موقف العرض متعلق بالاشخاص ، والظرف لغو ، وعلى نسختي الشيخ وأبي
نعيم « ما أبين الحق » كلمة ما للتعجب .

« ما الذي اوجب سخط الامير عليه السلام »

« على عمل شريح حتى كتب له ذلك الكتاب ؟ »

قبل الورود في تفسير جمل الكتاب لابد من ذكر مقدمة ليزيد الطالب بصيرة
في غرض الكتاب ، وهي :

أن سفر الله تعالى لم يمنعوا الناس عما لامناس عنها في حياتهم كتعلم المعارف
وتحصيل المأكل والمشرب والملبس والمنكح وبناء الدور واتخاذ الحرف والصنائع
ونحوها مما هي ضرورية لحفظ نظام الاجتماع وبقاء بني نوع الانسان ، بل ندبوهم
إليها ورغبوهم فيها وحرّموا عليهم الرهبانية بأن الانسان مدني بالطبع ، وكذا لم
يدع أحد ولم ير وأن حجة من الحجج الالهية عاتب أحداً في قبال عمله الصحيح
العقلاني ، بل حذروهم ونهوهم عما يحكم العقل الناصع بقبحه ويزم من ارتكبه
كالسرقة والكذب والافتراء والخيانة والغصب والافتداء بالنساء ونحوها مما هي
تضر سعادة الاجتماع ، وتمنع الناس عن التكامل والارتقاء ، وتورث بينهم العداوة
والبغضاء .

وهذا هو أمير المؤمنين علي عليه السلام يمدح هدية ويذم أخرى ، لأن الأولى كانت
عارية عن الهوى ، والثانية كانت مشوبة بها ، فانها كانت رشوة في صورة هدية أتى
بها آت ليلاً وزعم أن أمير المؤمنين عليه السلام يضل بها عن الحق ، ويفسق عن أمر ربه
أما مدحه عليه السلام الأولى فبعض من كان يأنس إليه عليه السلام من أصحابه دعاه
إلى حلواء عملها يوم نوروز ، فأكل وقال عليه السلام : لم عملت هذا ؟ فقال : لأنه يوم
نوروز ، فضحك عليه السلام وقال : نوروزوا لنا في كل يوم إن استطعتم .

وأما ذمه الثانية فإن أشعث بن القيس أهدى له نوعاً من الحلواء تأتق فيه
طن الأشعث أنه يستميله بالمهاداة لغرض دينوي كان في نفس الأشعث ، وكان

يبغض أمير المؤمنين عليه السلام فردّه هديته و قال :

وأعجب من ذلك طارق طرقتنا بملفوفة في وعائها و معجونة شنتها كأنما
عجنت بريق حية أوقيتها ، فقلت : أصله ؟ أم زكاة ؟ أم صدقة ؟ فذلك كله محرّم
علينا أهل البيت ، فقال : لا ذا ولا ذاك ولكنّها هديّة ، فقلت : هبلك الهبول أعن
دين الله أتيتني لتخدعني أم محتبب أم زوجة أم تهجر ؟ والله لو أعطيت الأقاليم السبعة
بما تحت أفلاكها على أن أعصى الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلته ، وإنّ دنياكم
عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها ما لعلني و نعيم يفنى ، ولذّة لا تبقى
نعوز بالله من سبات العقل وقبح الزلل و به نستعين (ذيل الكلام ٢٢٢ من باب الخطب
من النهج) .

ثمّ إذا كان المتجر الحلال و تحصيل ما يحتاج إليه الناس و منه ابتياع الدار
ممدوحاً شرعاً و عقلاً حتّى قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من سعادة المرء المسلم المسكن
الواسع ، و قال أبو جعفر عليه السلام : من شقاء العيش ضيق المنزل و غيرهما من الأخبار
المروية في الكافي و غيره (الوافي ص ١٠٧ ج ١١) .

فلازم للعاقل المستبصر أن ينظر في قول أمير المؤمنين عليه السلام لشريح حتّى يظهر
له سبب سؤاله شريحاً عن داره هذه فإنّ شريحاً كان قاضياً من قبله عليه السلام و سيأتي
ترجمته في ذيل الشرح ، و الظاهر أنّ شريحاً تجاوز عن الحقّ في أوان قضائه
و اشترى بالارتشاء أو نحوه بيتاً فصار عمله هذا سبب مؤاخذة أمير المؤمنين عليه السلام إياه
على ابتياع الدار سيّما أنّ القائمين بأموال الدارين كالقاضي و المفتي و المدرّس و المؤدّن
و الخطيب و الامام و أمثالهم لا تعظم ثروتهم في الغالب .

ولا ريب أنّ أزمّة الأمور إذا كانت بيد رجل إلهي خيّر للاجتماع و رؤف
بالناس يجتاح شوك الجور و العدوان من أصله ولا يدع أحداً أن يتجاوز عن قانون
القطرة و ينحرف عن الحقّ فلاجرم يدور رحي الاجتماع على محور العدل .

و بالجملة أنّ ما أوجب سخطه عليه السلام على شريح و عمله كما يلوح من ظاهر كتابه
عدول شريح عن الحقّ و تجاوزه عن حقوق الناس حتّى اشترى داراً بثمانين ديناراً

من غير حلال ، ولولا ذلك لما سخط عليه وما جعل له أحد الحدود الحد الذي ينتهي إلى الشيطان المغوي وفيه يشرع باب هذه الدار .

المعنى

قوله : (روي أن شريح بن الحارث قاضي أمير المؤمنين عليه السلام) سند كوفي
ذيل شرح الكتاب ترجمة شريح ونسبه وخبره ومدّة قضاؤه وما قيل فيه إن شاء الله تعالى
قوله : (اشترى على عهده داراً بثمانين ديناراً) أي اشترى في زمان حياة
أمير المؤمنين عليه السلام داراً في الكوفة كان ثمنها ثمانين ديناراً ، وإنما قلنا اشترى داراً
في الكوفة لأنّه كان قاضياً فيها ؛ ويظنّ ظاهراً أنّه اشتراها في الكوفة أيضاً .
قوله : (فبلغه ذلك فاستدعى شريحاً) أي بلغ أمير المؤمنين علياً عليه السلام ابتياع
شريح تلك الدار فطلب عليه السلام شريحاً .

قوله : (وقال له بلغني أنك ابتعت داراً بثمانين ديناراً وكتبت لها كتاباً
وأشهدت فيه شهوداً) أي قال عليه السلام لشريح : بلغني اشتراك داراً ثمنها ثمانون
ديناراً ، وكتبت لها قبالة وأحضرت في ذلك شهوداً ، أو جعلت قوماً شهوداً عليه على
أن تكون في بمعنى على .
قوله : (فقال له شريح قد كان ذلك يا أمير المؤمنين) أي قد ثبت ووقع
ذلك لأنّ كان تامّة .

قوله : (قال فنظر إليه نظر مغضب) أي قال الرّواي وهو عاصم بن بهدلة على
رواية الشيخ قدّس سرّه في الأربعين ، ولا يجوز إرجاع الضمير إلى شريح وإلا
لقال فنظر إليّ .

ثمّ إنّ غضب سفراء الله وأوليائه على غيرهم لا يكون إلاّ الله عزّ وجلّ ، وإنما
كان ذلك من كمال إيمانهم بالله وغاية رافتهم بالناس ، لأنّهم لا يحبّون أن تشيع
الفاحشة أو يرتكب أحد منكراً ، وشريح قد آسف أمير المؤمنين عليه السلام باعترافه باشتراء
الدار فنظر عليه السلام إليه نظر مغضب و ذلك لما قدّمنا أنّ شريحاً لولم يظلم أحد أعلى
اشترائها ولم يتجاوز عن الحقّ لما سخط عليه السلام عليه وما جعل أحد حدود الدار
الحد الذي ينتهي إلى الشيطان المغوي .

قوله : (ثمّ قال يا شريح أما أنّه سيأتيك) وفي نسخة الشيخ في الأربعين «قال

يا شريح اتق الله فإنه سيأتيك « أي خف الله واحذر ما حرّمه عليك ، قال بعضهم :
التقوى أن لا يراك الله حيث نهاك ، ولا يفقدك حيث أمرك . و قيل : المتقي الذي
اتقى ما حرّم عليه وفعل ما أوجب عليه . و قيل : هو الذي يتقي بصالح أعماله
عذاب الله . وسأل عمر بن الخطاب كعب الأبحار عن التقوى ، فقال : هل أخذت
طريقاً ذا شوك ؟ فقال : نعم ، قال : فما عملت فيه ؟ قال : حذرت وشمّرت ، فقال
كعب : ذلك التقوى ، ونظمه بعض الناس فقال :

خلّ الذنوب صغيرها	و كبيرها فم و التقى
واصنع كماش فوق أر	ض الشوك يحذر ما يري
لا تحقرن صغيرة	إنّ الجبال من الحصى

وروي عن النبي ﷺ أنه قال : إنما سمّي المتقون لتركمهم ما لا بأس به
حذراً للوقوع فيما به بأس .

وقال عمر بن عبدالعزيز : التقى ملجم كالمحرم في الحرم أتى بها الطبرسي
في المجمع ضمن قوله تعالى « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » (البقرة - ٣) .
قوله ﷺ : (أما إنه سيأتيك من لا ينظر في كتابك ولا يسألك عن بيتك)
أما للتنبيه كأن شريحاً كان نائماً استيقظه أمير المؤمنين ﷺ ، لأن الغافل في
أعماله كالنائم فنبيه ﷺ من نوم الغفلة فقال : انتبه يا شريح سيأتك ملك الموت
أو الموت لا يتأمل في كتابك ولا يستخبرك عن حجّتك .

أما عدم نظره واستخباره ، فإن كان المراد من من الموت فالأمر واضح
وإن كان المراد منه ملك الموت ﷺ فوجهان :

الأول أنه مأمور لقبض الأرواح فقط ، وليس تكليفه السؤال عن أعمال
الناس قال تعالى : « قل يتوفّيكم ملك الموت الذي وكلّ بكم ثمّ إلى ربكم ترجعون »
(السجدة - ١٣) وقوله تعالى : « وما منّا إلاّ لهم مقام معلوم » (الصافات - ١٦٥) .

الوجه الثاني أنه من العقول المجردة المحيطة بما دونهم ، وإنما يسأل عن
الشيء ويستخبر عنه من لم يكن محيطاً به .

قوله عليه السلام : (حتّى يخرجك منها شاخصاً) أي حتّى يخرجك الموت، أو ملك الموت من تلك الدار حال كونك مرفوعاً محمولاً على أكتاف الرّجال، هذا إن أخذنا الشاخص من شخص السهم إذا ارتفع عن الهدف .

أو والجال أنت خارج من تلك الدار وسائر إلى دار أخرى أي أنت مرتحل من هذه الدار إلى الدار الآخرة إن أخذناه من شخص المسافر شخوصاً إذا خرج من منزله إلى غيره .

أو حال كونك ميتاً إن أخذناه من شخص الميت بصره وشخصت عينه على التحقيق الذي قدّمناه في اللّغة .

قوله عليه السلام : (ويسلمك إلى قبرك خالصاً) أي يسلمك إلى قبرك حال كونك غارياً من المال والأهل والعيال ومجرّداً من أعراض الدنيا وحطامها ، أي لا يتنعم ما تركت من الأهل والعيال وما ادّخرت من الأموال في وحشة القبر وغرْبته إلاّ صالح الأعمال يوم لا يتنعم مال ولا بنون إلاّ من أنى الله بقلب سليم .

قوله عليه السلام : (فانظر يا شريح لا تكون ابتعت هذه الدار من غير مالك) أي إذا كان مآل كلّ أحد أن يخرج من الدنيا شاخصاً ويسلم إلى قبره خالصاً فتأمل وتدبّر في عدم كونك شاربياً لها من غير مالكها بأن تكون الدار مغصوبة فحينئذ لا بدّ في معنى ابتعت من توسع ، لأنّه لم يكن بيعاً صحيحاً جزءاً .

قوله عليه السلام : (أو نقدت الثمن من غير حلالك) عطف على ابتعت ، أي إذا كان كذلك فتدبّر وتأمل في أدائك ثمنها من غير حلالك بأن اكتسبه من حرام بأخذ رشوة أو نحوها ، لأنّه كان قاضياً و القضاة في معرض الارتشاء وأكل المال بالباطل ، إلاّ من اتقى لله حقّ تقاته .

قوله عليه السلام : (فإذا أنت قد خسرت دار الدنيا و دار الآخرة) إذا فجائية أي إن كانت الدار المبيعة مغصوبة أو ثمنها من الحرام فأنت مفاجئ للخسران في الدارين .

أما خسرانه في دار الدنيا لأنّ مالك الدار يسلبها من يد غاصبها سيّما

في عصر كان فيه هيكل التوحيد وعنصر العدل علي بن أبي طالب عليه السلام أمير الناس رحب الباغ فيردّ الدار إلى مالكةا ، فيبقى الخسران على المشتري ، فقد تقرّر في الفقه أنّ أحداً لو اشترى مالا من غير مالكة فما لكه يأخذه من المشتري والمشتري يرجع في ثمنه إلى البائع الغاصب ، وإن تعاقبت أيد عديدة فيه تخير المالك في إلزام أيّهم شاء .

وأما خسرانه في دار الآخرة فإنّ التمتع من غير الحلال في الدنيا تصير وبالاً في الآخرة ، وذلك هو الخسران المبين .

قوله عليه السلام : (أما لو أنك كنت - إلى قوله : بدرهم فما فوقه) أي كتبت لك في قبالة قبالتك قبالة في مسافة تلك الدار وحدودها ومبدئها ومنتهها وسائر أوصافها لم ترد ولم تحبّ ابتياعها بدرهم فما دونه في الصغر والقيمة .

والعاقلة إذا تأمل في نسخة القبالة كيف يرغب في بيت أحد حدوده دواعي الآفات ، والآخر دواعي المصيبات ، والثالث منته إلى الهوى المردي ، والرابع إلى الشيطان المغوي ولو اعطيها مجاباً .

فإن قلت : إنه عليه السلام قال : بدرهم فما فوقه ، فكيف فسّرتَه بدرهم فما دونه ؟ قلت : إنّ الدار التي لا يرغب في شرائها بدرهم فبالأولى أن لا يرغب بما فوقه من الدرهمين فأكثر ، وهذا ظاهر لأخبار عليه ، فلا يصحّ حمل العبارة على ما فوق الدرهم في مقدار الثمن ، بل المراد من قوله فما فوقه ، فوق الدرهم في القلّة والحقارة ، نحو قولك لمن يقول : فلان أسفل الناس وأندلهم : هو فوق ذلك ، تريد هو أبلغ وأعرق فيما وصف به من السفالة والندالة فيؤلّ فما فوقه إلى فما دونه في الصغر والقيمة .

وهذا هو أحد الوجهين ذكرهما المفسرون في قوله تعالى : « إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها » (البقرة - ٢٦) فذهب بعضهم كقتادة وابن جريح وأتباعهما إلى أنّ المراد فما فوقها في الصغر والقلّة ، وبعض آخر إلى أنّ المراد فما فوقها أي أكبر منها وما زاد عليها في الحجم .

ويجري الاحتمالان في ما روي في صحيح مسلم عن ابراهيم عن الأسود قال :
دخل شباب من قریش علی عائشة وهي بمنى وهم يضحكون ، فقالت : ما يضحككم؟
قالوا : فلان خرت علی طنب فسطاط فكادت عنقه أو عينه أن تذهب ، فقالت : لا
تضحكوا إنني سمعت رسول الله عليه السلام قال : ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا
كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة .

فيحتمل فما عدا الشوكة وتجاوزها في القلّة ، ويحتمل ما هو أشد من الشوكة
وأوجع .

وقال العكبري في شرحه على ديوان المتنبّي عند قوله :

ومن جسدي لم يترك السقم شعرة
فما فوقها إلا و فيها له فعل
وما فوقها يجوز أن يكون ما هو أعظم منها ، ويجوز أن يريد ما دونها في الصغر
وقد قال المفسّرون في قوله تعالى « بعوضة فما فوقها » الوجهان اللذان ذكرنا .
انتهى .

ولكن كلا الوجهين في الآية والخبر لا يتمشيان في المقام لما علمت أن ما لا
يرغب فيه بدرهم فبالأولى أن لا يرغب فيه بما فوقه .

فما أشار إليه بعض في حاشية النهج من أن هذه العبارة في المقام تكون مثل
قوله تعالى « بعوضة فما فوقها » ليس باطلاقه صحيحاً .
ثم إن لتفسير نحو هذه العبارة وجهاً آخر أدقّ وألطف ممّا قدّمنا لم
يتعرّضه أحد من الشراح والمفسّرين وهي :

أن مفاد عبارة النهج مثلاً يكون هكذا : لم ترغب فيها بدرهم فكيف ترغب
فيها بما فوقه ، كأنه قال : فبأن لا يرغب فيها بما فوق الدرهم أولى ، نظير هذا المضمون
يقال في المحاورات الفارسيّة : اين کالا بدرمي نمی ارزد تا چه رسد که به بیشتر از
آن . وهكذا نحوه في كلّ مقام بحسبه مثلاً « إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً
ما بعوضة » فبأن لا يستحيي أن يضرب مثلاً فوقها أولى ، أو كيف يستحيي أن يضرب
مثلاً فوقها ، وعلى هذا القياس في الخبر وشعر المتنبّي ونحوها .

ثم إنَّ الشارح البحراني قرَّر السؤال والجواب بقوله :
فان قلت : فكيف قال فما فوقه ومعلوم أنه إذا لم يرغب فيها بدرهم فبالأولى
أن لا يرغب فيها بما فوقه ؟ .

قلت : لما كان الدرهم أقلَّ ما يحسن التملُّك به في القلَّة وكان الغرض أنك
لو أتيتني عند شرائك هذه الدار لما شريتها بشيء أصلاً لم يحسن أن يذكر وراء
الدرهم إلا ما فوقه ، ونحو قول المتنبى : و من جسدي لم يترك ، البيت ، وكان
قياسه أن يقول : فما دونها . انتهى .

أقول : إذا كان الدرهم أقلَّ ما يحسن التملُّك به وكان الغرض ذلك فكيف
لم يكنف عَلَيْهِ السَّلَامُ بدرهم فقط ولماذا ذكر فوقه ، ولا يرتبط قوله لم يحسن أن يذكر
وراء الدرهم إلا ما فوقه بما قبله معنى ، وبالجمله أن ما أتى به من الجواب بعيد
عن الصواب ، وتأبى عنه عبارة الكتاب .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : (بسم الله الرحمن الرحيم) من هنا إلى آخر الكتاب قبالة
الدار على نهج لو تؤمَّل فيها لا يرغب في شرائها بدرهم ، و لو نظر فيها العارف
بفنون الكلام وأساليب الميان لا يقن أن هذا الكلام متميز عن كلام من سواه عَلَيْهِ السَّلَامُ
كالفضيل وأضاربه .

افتتح الكتاب بالبسملة اقتداءً بالقرآن العظيم و امتثالاً لمثال الرسول
الكريم .

افتتح القرآن بسم الله الرحمن الرحيم تعليماً للعباد أن يبدأوا أمورهم
كبيرها وصغيرها بتلك الآية المباركة ليبارك فيها ، و الافتتاح بتلك الكلمة الطيبة
سنة الأنبياء والمرسلين ، وشعار الأولياء و الصالحين كما جاء في القرآن المبين
حكاية كتاب سليمان النبي صلوات الله وسلامه عليه : « بسم الله الرحمن الرحيم
ألا تعلموا عليّ وأتوني مسلمين » (النمل - ٣٢ و ٣٣) .

وفي الكافي عن الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ أوَّل كلِّ كتاب نزل من السماء بسم الله الرحمن
الرحيم ، فاذا قرأتها فلا تبالي أن لاتستعيز ، وإذا قرأتها سترتك فيما بين السماء والأرض

وفي التهذيب عن الصادق عليه السلام إنها أقرب إلى اسم الله الأعظم من ناظر العين إلى بياضها .

وفي التوحيد عن الصادق عليه السلام من تركها من شيعةنا امتحنه الله بمكروه لينبئه على الشكر والثناء ويمحق عنه وصمة تقصيره عند تركه .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام إن رسول الله صلى الله عليه وآله حدثني عن الله عز وجل أنه قال : كل أمر ذي بال لم يذكر فيه بسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتى .

قوله عليه السلام : (هذا ما اشترى عبد ذليل) لم يقل هذه باعتبار المنزل والبيت ونحوهما وإنما عبر شريحا بالعبد الذليل لثلاث يتوهم حيث كان قاضيا أن له شأنا ورفعة بل نبهه بأنه في أية حال كان ، وبلغ إلى أية رتبة رفيعة ودرجة شامخة تتصور عبد ذليل في يد مولى قاهر لا يقدر من الفرار عن سلطانه وحكومته ، ومعلوم أن دأب الإنسان الفخر والعجب والاستكبار إن رآه ذارياسة واقتدار إلا الأوحدي من الناس ، لا يلهيه التكاثر ولا يعتني بالتفاخر قال عز من قائل : « رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله » الآية (النور - ٣٨) .

وهذا التوجيه المختار أمتن وأتقن من توجيه الشارح البحراني حيث قال : خص المشتري بصفة العبودية والذلة كسراً لما عساه يعرض لنفسه من العجب والفخر بشراء هذه الدار .

قوله عليه السلام : (من ميّت قد أزعج المرّحيل) وفي بعض النسخ من عبد قد أزعج للمرّحيل ، وعلى الأولى إنما عبر بالبائع بالميت الذي قد أزعج للمرّحيل مع أنه حي . لعدم استقامة الشراء من الميت ، تنبيهاً على أن الموت لباطر صادق بل أنشب أظفاره فاذا حان حينه لامنجي منه ولا مناص ، فعدّه ميتاً لتحقيق وقوعه عن قريب وهذا تذكّر للناس بأن الموت قريب ووقوعه وكل نفس ذائقته ، فلا ينبغي لهم أن يحبوا العاجلة ويذروا ورائهم يوماً ثقيلاً .

وفي الكافي عن علي بن الحسين عليهما السلام أن الدنيا قد ارتحلت مدبرة ، وأن الآخرة قد ارتحلت مقبلة و لكل واحد منهما بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، إلخ .

قوله عليه السلام : (اشترى منه داراً من دار الغرور) بدل من اشترى الأولى : أي

اشترى داراً في بيت الغرور أي الدنيا ، أوداراً هي دار الغرور ، وقد مضى وجه التفسيرين في الاعراب فراجع .

وإنما كانت الدنيا دار الغرور لأنها تغرُّ أهلها بألوانها وزخارفها وخطامها فقلبيهم عن ذكر الله عزَّ وجلَّ قال تعالى « وما الحيوة الدنيا إلا متاع الغرور » (آل عمران ١٨٤) وقال : « فلاتغرَّنكم الحيوة الدنيا » (لقمن - ٣٥) .

وفي كتاب عيون الحكم عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : احذروا هذه الدنيا الخداعة الغدّارة التي قد تزيّنت بحليتها ، وافتتنت بغرورها ، وغرّت بآمالها وتشوّقت لخطأها ، فأصبحت كالعروس المجلوثة ، والعيون إليها ناظرة ؛ والنفوس بها مشغوفة ، والقلوب إليها تائقة ، وهي لأزواجها كلهم قاتلة ، الخ .

قوله عليه السلام : (من جانب الفانين وخطّة الهالكين) في نسخة الشيخ في الأربعين : من جانب الفانين إلى عسكر الهالكين ، وفي نسخة أبي نعيم في حلية الأولياء : حدّث منها في زقاق الفناء إلى عسكر الهالكين ، وترجم ابن الخاتون العاملي نسخة الشيخ في شرحه الفارسي عليه بقوله : مسافت آن از جانب فنا و زوال است تا لشكر هلاك و ارتحال ، ونسخ النهج متفقه في العبارة المذكورة .

أقول : الفناء خلاف البقاء ، والهلاك يستعمل غالباً في من مات ميتة سوء من معصية الله ومخالفة أمره قال تعالى : « كمثل ريح فيها صرٌّ أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته » (آل عمران - ١١٥) وقال : « وكم من قرية أهلكتناها فجاءها بأسنا بيّاتاً أو هم قائلون » (الأعراف - ٥) وقال : « وتلك القرى أهلكتناهم لما ظلموا » (الكهف - ٦٠) وقال عزَّ من قائل : « فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية » (الحاقة - ٧) وغيرها من الآيات .

وإنما قلنا غالباً لأنه قد يطلق على الموت على حنف الأئمة كقوله تعالى : « إن امرؤ هلك ليس له ولد » (النساء - ١٧٦) وعلى غير الموت أيضاً نحو قوله تعالى حكاية عن أصحاب الشمال : « هلك عني سلطانيه » (الحاقة - ٣٠) .

وقال في أقرب الموارد : هلك الرجل مات ، ولا يكون إلا في ميتة سوء ولهذا لا يستعمل للأنبيا العظام ، انتهى .

أقول : ويردّه قول الله عزّ وجلّ : « ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شكّ مما جاءكم به حتّى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً » الآية (المؤمن - ٣٨) .

على أننا لا نفرّق بين الأنبياء في قبح اسناد نحو الميئة السوء ممّا ينقرّ عنه الطباع إليهم وإن كنّا لانكرأن الله تعالى فضل بعضهم على بعض قال عزّ قائلًا : « تلك الرّسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كالم الله و رفع بعضهم درجات » الآية (البقرة - ٢٥٦) .

فعلى ما عرفت من معنى دار الغرور والفناء والهلاك فيكون من جانب الفانين أخصّ من دار الغرور وخطّة الهالكين أخصّ من جانب الفانين ، وهذا كما قيل على ما جرت العادت به في كتب البيع من الإبتداء بالأعمّ والإنتهاء في تخصيص المبيع إلى الأمور بعينه .

ثمّ على نسختي الأربعين وحلية الأولياء عين عليه السلام أوّلاً مسافة الدّار بأنّها من جانب الفانين أو زقاق الفناء إلى عسكر الهالكين، وبينّ ثانياً حدودها الأربعة ولا يخفى لطفه. قوله عليه السلام : (وتجمع هذه الدّار حدود أربعة) أي تحوي هذه الدّار وتحيط بها حدود أربعة آتية، بينّ حدودها الأربعة كما هو المتعارف في تعيين حدود الأراضى والدّور وغيرهما، والحدود في تحديد الأملاك بمنزلة الجنس والفصل في الحدود قوله عليه السلام : (فالحدّ الأوّل ينتهي إلى دواعي الآفات - إلى آخر الحدود) أخذ يفصل حدودها المذكورة على الاجمال أوّلاً وفي النسخ الثلاث أعني النهج والأربعين والحلية في تعيين الحدود اختلاف في الجملة وقد ذكرنا النسخ فلاحاجة إلى الإعادة .

ثمّ إنّّه لا توجد دار في الدّنيا تكون دار السلام ، بل تنتهي لا محالة إلى الآفات والأسقام والمصيبات والآلام ، لأنّ الدّنيا نفسها دار بالبلاء معروفة وبالتزاحم والتصادم معجونة ، فالحدّان الأوّلان تعمّ جميع الدّار وأمّا الآخراّن فيختصّان بما بنيت على أساس الجور ومال الزور لأنّ المال الصالح في يدا الرجل الصالح لا ينجرّ إلى الهوى المردي والشيطان المغوي بل هو نعم المال .

ثمّ إنه ﷺ جعل باب هذه الدار الذي يشرع أي يفتح للدخول فيها في الحدّ المنتهي إلى الشيطان المغوي تنبيهاً على أنّ الدار المبنية على الجور والعدوان ليست إلاّ من إغواء الشيطان ، وإشارة إلى أنّ الشيطان كان سبباً لاشترائها، ولو أعرض شريح عن اتباعه لما أقدم إلى ابتياعها .

قوله ﷺ : (اشترى هذا المغترُّ بالأمل من هذا المزعج بالأجل هذه الدار بالخروج من عزّ القناعة والدخول في ذلّ الطلب والضراعة) بدل من الأوّل وأفاد ﷺ في هذه الفقرة :

أوّلاً أنّ اغترار شريح بالأمل صار سبب اشتراؤه الدار .
وثانياً أنّه جعل ثمنها الخروج من عزّ القناعة والدخول في ذلّ الطلب والضراعة لما مرّ في الإعراب من أنّ الباء للعوض و للمقابلة .
وثالثاً أنّ القانع عزيز و للقناعة عزّة .

ورابعاً أنّ الخروج من عزّ القناعة يؤدي إلى الذلّة والمسكنة من الطلب والضراعة للمخلوق .

ثمّ انظر في لطائف كلامه ﷺ ودقائق بيانه : ذمّ الأمل ، والطلب والضراعة والخروج من القناعة ، مدح القناعة ، و وصفها بالعزّة ، وجمع بين الأمل والأجل والخروج والدخول ، والعزّ والذلّ ، والقناعة والضراعة ، ومحاسن هذا الكتاب فوق أن يحوم حولها العبارة .

« الأنبياء وورثتهم عليهم السلام لا يأمرون بالذلّ والسؤال بل يحضون »
« على العزّ والجلال »

زعم الجاهلون والمغفلون عن غرض سفراء الله تعالى و بعثتهم أنّهم يدعون الناس إلى الفقر والكديّة ، ويأمرونهم بالبطالة والعزلة والرهبانية ، وذلك ظنّ الذين اتبعوا أهواءهم ولم يصلوا إلى درك مقاصد الأنبياء وفهم مطالبهم ، و لم يدروا أنّهم نهوا الناس عن الدنيا المذمومة أي اقتراف المال وادّخاره على وجه لم يمضه العقل ولا يرضى به ، كأنّ يقترفه بالسرقة والقيادة والقمار والرّباو الجور و شهادة الزور وبيع الخمر ونحوها ممّا تضرّ الإجماع وتمنعه عن الارتقله .

قال الله تبارك وتعالى : « ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون فضلاً من الله ونعمة والله عليم حكيم » (الحجرات - ٨ و ٩) .

ولا ممنوعهم عن الدنيا المحمودة قال عز من قائل : « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيمة كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون قل إنما حرم ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشرکوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون » (الأعراف - ٣٢ و ٣٣) .

ثم إن إسناد الأمر بالرهبانية إلى الأنبياء وورثتهم كما اجترأ النصارى بذلك وعزوه إلى عيسى نبي الله فرية واختلاق ، لأنهم حرموا عليهم الرهبانية وحشوهم على الكسب وتحصيل العزّة والكمال وما رضوا بالذلة والنكبة قال الله تعالى : « والله العزّة ولرسوله وللمؤمنين » (المنافقون - ٩) .

وهذا هو رسول الله صلى الله عليه وآله كيف شدّد النكير على عثمان بن مظعون لما ركن إلى الرهبانية : روى الشيخ الأجلّ ابن بابويه الصدوق رضوان الله عليه في أوّل المجلس السادس عشر من الباب باسناده عن أنس بن مالك قال : توفى ابن لعثمان بن مظعون رضي الله عنه فاشتدّ حزنه عليه حتى اتّخذ من داره مسجداً يتعبّد فيه ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال له : يا عثمان إن الله تبارك وتعالى لم يكتب علينا الرهبانية إنما رهبانية أمّتي الجهاد في سبيل الله ، الحديث .

وكيف يدعونهم إليها مع أنّ كلماتهم في ذمّها لا تحصى كثرة ، وينادون الناس جهاراً ، بأنّ كل واحد منهم كعضو من أعضاء جثمان الاجتماع ، لأنّ الإنسان مدنيّ بالطبع فلا بدّ لكلّ واحد منهم من مكسب يتمّ به أمرهم ، ولا يتخلّ حتى لا ينظر في إليهم النكبة والذلة قال تعالى : « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى » (النجم - ٤١) .

ولقد روى الفريقان عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال : إنّما المؤمنون في تعاطفهم

وتراحمهم بمنزلة جسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر فمن هذا الحديث يستفاد مطالب أنيقة أخلاقية واجتماعية منها أنهم بمنزلة

جسد ، فأخذ هذا المضمون الشيخ الأجلّ السعدي وقال بالفارسية :

بني آدم أعضاء یکدیگرند که در آفرینش زیك گوهرند

چو عضوي ببرد آورد روزگار دگر عضوها را نماند قرار

تو کز محنت دیگران بی غمی نشاید که نامت نهند آدمی

وهذا هو أمير المؤمنين علي عليه السلام كيف أخذ شريحاً في كتابه هذا بخروجه

من عزّ القناعة ، ودخوله في ذلّ الطلب والضراعة ، باغتراره بالأمل .

وأخبارنا في ذمّ طول الأمل والسؤال من الناس و مدح الكسب و تحصيل

الكمال و ترغيب الناس إلى ما فيه سعادتهم و رفعتهم و تبرّي الأنبیاء من الذين صاروا

بالعطالة و البطالة كلاً على الناس كثيرة جداً و لولا خوف الإطناب و الخروج عن

أسلوب الكتاب لذكرناها فلعلنا نأتي بطائفة منها في المباحث الآتية إن شاء الله

تعالی .

و بالجمله أن ما جاء به الأنبیاء فانما هو لحياء النفوس و إيقاظ العقول و سوق

الناس إلى ما فيه حياتهم الأبدية المعنوية و سعادتهم السرمدية و خروجهم من

حضيض الذلّ إلى أوج العزّ ، قال الله جلّ و علا : « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا

للّهِ وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم » (الأ نفال - ۲۵) .

قوله عليه السلام : (فما أدرك هذا المشتري فيما اشترى من درك فعلى مبلبل أجسام الملوك)

لما بين عليه السلام مسافة الدار و حدودها أخذ في بيان ضمان درك ما يلحق المشتري .

فاعلم أن المشتري إن لم يكن عالماً بالغصب فاشترى المال المغصوب ثم شهد

مالكه ولم يجز بناءً على صحة البيع الفضولي و أخذه منه يرجع في ثمنه و ما لحقه من

درك آخر إلى البائع ، و إن كان عالماً به و أقدم إلى شراء المغصوب فلا حرمة لماله لأنّه

ألقى بيده . إلى التهلكة ، لأنّه استولى على مال الغير و تصرف فيه عدواناً فهو غاصب

وضامن العين والمنافع ، ولم يكن حينئذ ما أدركه من درك على البائع وليس له حق الرجوع اليه .

ولذا ذهب طائفة من الفقهاء إلى أنه لا رجوع للمشتري على البائع الغاصب مع علمه حتى بالثمن مع تلفه ، بل في المسالك أن الأظهر عدم الرجوع به مع وجود عينه ، بل ادعى عليه في التذكرة الإجماع عقوبة له ، وخالفهم الآخرون فصرح بعضهم كالشهيد في اللعة بالرجوع به مع بقاء العين سواء كان عالماً أو جاهلاً وبعضهم بالرجوع مطلقاً سواء تلف الثمن أو لا كالمحقق في أحد قوليه .

ومن لطائف كلامه عليه السلام في المقام أنه عليه السلام لم يبين حكم ضمان الدرك الذي يلحق المشتري في هذه المعاملة بأن الضامن من هو ؟ بل أحاله إلى يوم القيامة حيث قال عليه السلام : فعلى مبطل أجسام الملوك إشخاصهم جميعاً إلى موقف العرض والحساب - الخ ، فلا يخفى لطفه .

ثم إن درك الضمان لا يختص بمال المغصوب بل يجري في المبيع المعيب أيضاً ، وكذا في الثمن المعيب على التفصيل المذكور في الفقه .

ثم لا يخفى على ذي مسكة أنه عليه السلام لم يعلق ضمان الدرك على أحد . بل صريح كلامه أن على مبطل أجسام الملوك إشخاصهم إلى موقف العرض والحساب يعني هنا لك يحكم بين الحق والباطل بفصل القضاء فيعلم أن ضامن الدرك من هو والعجب من شارح البحراني ذهب في شرحه على النهج إلى أنه عليه السلام علق الدرك والتبعة اللازمة في هذا البيع بملك الموت .

وكذلك بما حققنا علم أن ما ذهب إليه المجلسي قدس سره في شرح الكتاب (ص ٥٤٥ ج ٩ من البحار الطبع الكمباني) حيث قال : ثم أعلم أنه يكفي لمناسبته ما يكتب في سجلات البيوع لفظ الدرك ، ولا يلزم مطابقتها لما هو المعمود فيها من كون الدرك لكون المبيع أو الثمن معيباً أو مستحقاً للغير ، فالمراد بالدرك التبعة والاثم أي ما يلحق هذا المشتري من وزر وخط مرتبة ونقص عن حظوظ الآخرة ، فيجزى بها في القيامة ، ليس بصحيح ، وبأباه قوله عليه السلام إشخاصهم جميعاً

وغيره من العبارات فهو تفسير لا يناسبه الكتاب .

قوله **عَلَيْهِ السَّلَامُ** : (وسأل نفوس الجبابرة) عطف على مبلبل وكذا قوله **عَلَيْهِ السَّلَامُ** :
ومزيل ملك الفراعنة . وإنما خص الملوك والجبابرة والفراعنة بالذكر كسراً
لشريح وأضرابه حتى لا يغترُّوا بالمنصب والمقام والشهرة والعنوان ، و تنبيهاً لهم
أنه لما كان هؤلاء الملوك والجبابرة والفراعنة مقهورين في يد الله الواحد القهار
فكيف مثل شريح وأشياعه ، على وزن قوله تعالى : « أولم يسيروا في الأرض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا أشد منهم قوة • آثاراً في الأرض
فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق » (المؤمن - ٢٤) وقوله تعالى :
« أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم
وأشد قوة و آثاراً في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون » (المؤمن - ٨٤) .
قوله **عَلَيْهِ السَّلَامُ** : (مثل كسرى وقيصر وتبع وحمير) مثل لكل واحد من الملوك
والجبابرة والفراعنة ولا يختص بالأخير .

قوله **عَلَيْهِ السَّلَامُ** : (ومن جمع المال على المال فأكثر) قدمضى في الاعراب
أن الأظهر أن يكون من معطوفاً على كسرى كالثلاثة قبله أي مثل من جمع المال الخ
قوله **عَلَيْهِ السَّلَامُ** : (ومن بنى وشيد) عطف على من الأول أي مثل من بنى داراً
وجصصها أو رفعها أو أحكم قواعدها على الوجوه التي بيئناها في اللغة .

قوله **عَلَيْهِ السَّلَامُ** : (وزخرف) أي زين سقف البناء وجدرانه بالذهب .

قوله **عَلَيْهِ السَّلَامُ** (نجد) أي زينته بالبسط والفرش والوسائد والمارق والستور
ونحوها ، وقد مضى في اللغة أن التذهيب يناسب تزيين سقف البيت ، والتنجيد تزيين
أرضه وجدرانه .

قوله **عَلَيْهِ السَّلَامُ** : (وادّخر) أي اكتسب المال وجعله ذخيرة لوقت الحاجة إليه

قوله **عَلَيْهِ السَّلَامُ** : (واعتقد) أي جعل لنفسه عقدة أي اقتنى الضياع والعقار

وغيرهما من الأموال الصامته .

قوله **عَلَيْهِ السَّلَامُ** : (ونظر بزعمه للمولد) أي نظر في جمع المال لولده إعانة له

وترحمنا عليه وآه مصلحة له ظناً منه أن عمله هذا ينفعه ويعزّه . وسيأتي في
أواخر باب المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال لابنه الحسن عليه السلام : يا بني
لا تخلفن وراءك شيئاً من الدنيا فإنك تخلفه لأحد رجلين : إما رجل عمل فيه
بطاعة الله فسعد بما شققت ، وإما رجل عمل فيه بمعصية الله فكنت عوناً له على
معصيته ، وليس أحد هذين حقيقاً أن تؤثره على نفسك .

فإن قلت : فعلى هذا ترى أن الشارع منع الناس أن ينظروا لأولادهم
ويخلفوا لأخلافهم ما ينفعهم ويمدّهم في معاشهم ؟
قلت : كلا بل الشارع أغراهم بذلك وكره أن يتكفّف أولادهم بعدهم
الناس غاية الأمر نهاهم عن الإكتساب بالحرام نظراً للأولاد و نكتفي في ذلك
بذكر رواية روماً للاختصار .

روى ابن بابويه الصدوق رضوان الله عليه في من لا يحضره الفقيه و نقلها
الفيض في الوافي في أبواب الوصية (ص ١٢ ج ١٣) : أن رجلاً من الأنصار توفى
وله صبية صغار وله ستة من الرقيق فأعتقهم عند موته وليس له مال غيرهم ، فأتي
النبي صلى الله عليه وآله فأخبر فقال : ما صنعتم بصاحبكم ؟ قالوا : دفنناه ، قال : لو علمت ما
دفنناه مع أهل الإسلام ، ترك ولده يتكفّفون الناس .

قوله عليه السلام : (إشخاصهم جميعاً - إلى قوله : و خسر هناك المبطلون)
إشخاصهم أي إزعاجهم وإحضارهم وفي نسخة أبي نعيم : وأشخصهم إلى موقف العرض
ولكنها تصحيف والحق ما في النسختين الأخريين لأن إشخاصهم مبتداء مؤخر
عن على مبلبل أجسام الملوك قدّم الخبر لتوسع الظروف وما يجري مجراها ولا
يمكن حمل تلك النسخة على وجه صحيح .

ثم إن الضمير في إشخاصهم لا يمكن إرجاعه إلى الملوك وما بعده لا لفظاً
ولامعنى أمّا الأوّل فلأن الضمير في المبتداء لا يرجع إلى جزء لفظ الخبر وهو
ظاهر، وأمّا الثاني فلأن المقصود إحالة ضمّان الدرك على من أوجب الشرع
الرجوع به إليه ، فلا بد أن يكون ممن كان دخيلاً في البيع فهو يرجع إلى البائع

والطبيع والمشتري وصاحب الدرك، فالمراد أن ملك الموت متعهد ومتكفل باحضارهم جميعاً إلى موقف العرض والحساب للفصل والقضاء .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : (شهد على ذلك العقل إذا خرج من أسر الهوى وسلم من علائق الدنيا) لما بين حكم الدرك أردفه بذكر الشهود كما هو السنة المتعارفة في سائر القبالة وجعل العقل شاهداً على ما قال .

ثم إن ههنا دقيقة أنيقة وهي أن الشاهد لابد من أن يكون عادلاً، وإنما قيد عَلَيْهِ السَّلَامُ شهد على ذلك العقل بقوله : إذا خرج من أسر الهوى وسلم من علائق الدنيا ، ليفيد هذا المعنى ، أعني أن يأتي بالشاهد العادل على ما كتب ، وذلك لأن تلك القوة القدسية المملكوئية أعني العقل لما تعلق بشرك البدن و ألف مجاورة الخراب البلقع وصار حشره مع الماديئات قد يتأثر عن البدن و قواه الحيوانية وغيرهما ، فيعرض له من غيره ما يشغله عن فعل نفسه ، لأن تلك العوائق كاللصوص القطاع لطريقه تمنعه عن الوصول إلى صريح الحق ومحض الحكم العقلي ، فلولم يجرّد عنها سيّما عن النفس الأمّارة بالسوء وحب الدنيا وأسرهاوى وقيد الأوهام كان حكمه مزوقاً مشوباً بالباطل ، فلم يكن حينئذ شاهداً عادلاً ، فلا يخفى لطفه . فالمراد أن العقل لو خلى وطبعه بحيث لم يكن مأسوراً في قيد الهوى وعلائق الدنيا يشهد على أن لنحو هذا المشتري خسران الدارين ، وفي نحو هذا الطبيع يلزم تلك الآفات والمصيبات عليه وغيرهما مما هي مذكورة في القبالة .

ثم الحق أن الرضى رضي الله عنه لم يذكر الكتاب بتمامه ، لأن غرضه كان جمع المختار من كلامه عَلَيْهِ السَّلَامُ كما صرح في عدة مواضع النهج بأن ما أتى به هو بعض تلك الخطبة أو ذلك الكتاب أو نحوهما ، والكتاب بتمامه هو ما في النسختين الأخيرين وإن كان بينهما اختلاف ما في بعض العبارات ، فنذكر بعض ما في الأربعين وبيان الشيخ فيه :

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : (في عرساتها) أي ساحاتها والضمير إمّا للدار أو ولد الدنيا والأول أقرب وإن كان أبعد .

قوله عليه السلام: (ما أبين الحقُّ لذي عينين) كلمة ما تعجيبية أي ما أظهر الحقَّ لصاحب البصيرة .

قوله عليه السلام: (إنَّ الرِّحيلَ أحدُ اليومين) أي كما أن لابن آدم يوم ولادة وهو يوم القدوم إلى هذه الدار، فله يوم رحيل عنها وهو يوم الموت فينبغي أن لا يزول عن خاطره ، بل يجعله أبداً نصب عينيه .

قوله عليه السلام: (وقرَّبوا الآمالَ بالآجالِ) أي قصروها بتذكُّر الموت الذي هو هادم اللذات ، وفاضح الآمال .

« اشارة »

فسر العالم العامل العاملي الشيخ بهاء الدين قدس سره في الأربعين هذا الكتاب بوجه آخر أيضاً يليق أن يذكر في المقام للطافته وعذوبته .

قال : اشارة . يمكن أن يكون الدار في قوله عليه السلام اشترى منه داراً، رمزاً إلى هذه البنية البدنية ، والمشتري رمزاً إلى النفس الناطقة الانسانية العاكفة على تلك البنية الظلمانية المشغولة بها عن العوالم المقدسة النورانية، والبائع رمزاً إلى الأبوبين اللذين منهما حصلت الأجزاء المنوية المتكوّن منها البنية التي مبدؤها من جانب العائنين ومآلها إلى عسكر الهالكين .

ثم إنَّ هذه البنية أعني البدن وإن كان مركباً للنفس ووسيلة لها إلى تحصيل كمالاتها ، لكن قواه البهيمية دواع وأسباب لآفات النفس وعاهاتها و مصيبتها واتباعها للهوى والشيطان ، فنزل تلك الدواعي منزلة حدود الدار المتكتنفة بها من جوانبها .

ولمّا كان الخروج من ولاية الله والدخول في ولاية الطاغوت يحصل باتباع الهوى والشيطان ناسب أن يجعل باب تلك الدار في هذا الحد .

ولمّا كان ذلك النفس وخروجها عن استغنائها الذي كانت عليه في عالمها النوراني ملازماً لعكوفها على هذا البدن الهولواني ومسبباً عن تعلقها به و شرائها له شبهه عليه السلام بالثمن الذي هو من لوازم الشراء .

ولمّا كان الموت هو السائق الذي يسوق الخلق بأجمعهم طوعاً وكرهاً إلى موقف القيامة ليقتضي بينهم الحكم العدل وينتصف من المعتدي للمعتدى عليه شبهه عليه السلام بشخص ضمن الدرك فتعهد أن يحضر كل من له دخل في هذه المعاملة إلى دار القضاء ليحكم بينهم ويقضي لمن له الحق بحقه .

هذا ما خطر بالبال في معنى هذا الكلام ولعلّ أمير المؤمنين عليه السلام أراد معنى آخر غير هذا لم يهتد نظري الكليل إليه ، وثمّ يعثر فكري العليل عليه ، والله أعلم بحقيقة الحال . انتهى كلامه رفع مقامه .

وذكر قريباً من هذه الإشارة أو عينها على عبارات أخر العلامة المجلسي في المجلد التاسع من البحار (ص ٥٤٥ الطبع الكمباني) أيضاً .

أقول : الحقّ أنّ هذا التوجيه وجيه في نفسه ولكنه ليس معنى كلامه عليه السلام بل تأويل يناسبه ويستفاد منه كالتأويلات المذكورة في طائفة من التفاسير و شروح الأخبار المناسبة للآيات والأخبار .

مثلاً أنّ النبش ابوري ذكر في تفسيره غرائب القرآن والتأويل الآتي من قوله تعالى « وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة - الى قوله تعالى - وإنّ منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون » (البقرة - ٦٥ - الى ٧١) ونعلم يقيناً أنّ هذا التأويل ليس تفسير كلامه تعالى وإن كان لا يخفى من لطافة من حيث التشبيهات والمناسبات وهو صريح بذلك أيضاً حيث قال بعد تفسيره الآيات ما هذا لفظه :

التأويل : ذبح البقرة إشارة إلى ذبح النفس البهيمية فإنّ في ذبحها حياة القلب الروحاني وهو الجهاد الأكبر ، موتوا قبل أن تموتوا .

اقتلوني يا ثقاتي إنّ في قتلي حياتي وحياتي في مماتي ومماتي في حياتي
مت بالإرادة تحي بالطبيعة ، وقال بعضهم : مت بالطبيعة تحي بالحقيقة ، ما

هي أنّه بقرة نفس تصلح للذبح بسيف الصدق ، لافارض في سنّ الشيخوخة فيعجز عن رضايف سلوك الطريق لصعق القوى البدنية كما قيل : الصوفي بعد الأربعين

بارد، ولا يكون في سنِّ شرح الشباب يستهويه سكره عوان بين ذلك لقوله تعالى حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة، صفراء إشارة إلى صفرة وجوه أصحاب الرِّياضات، فاقع لونها يريد أنها صفرة زين لاصفرة شين فانها سيماء الصالحين لاذلول تثير الأرض، لا يحتمل ذلة الطمع ولا تثير بألة الحرص أرض الدنيا يطلب زخارفها ومشتهياتها، ولا تسقي حرث الدنيا بماء وجهه عند الخلق وبماء وجاهته عند الخالق فيذهب ماؤه عند الحق وعند الخلق، مسلمة من آفات صفاتها ليس فيها علامة طلب غير الله، وما كادوا يفعلون بمقتضى الطبيعة، لولا فضل الله وحسن توفيقه وإذ قتلتم نفساً يعني القلب، فادارأتم، فاختلفتم أنه كان من الشيطان أم من الدنيا أو من نفس الأمارة، فقلنا اضربوه ببعضها ضرب لسان بقرة النفس المذبوحة بسكين الصدق على قنيل القلب بمداومة الذكر فحيمي باذن الله عز وجل وقال: إن النفس لأمرارة بالسوء وإن من الحجارة لما يتفجر منها الأنهار، مراتب القلوب في القسوة مختلفة فالتي يتفجر منها الأنهار قلوب يظهر عليها الغليان «منظ» أنوار الروح بترك اللذات والشهوات، بعض الأشياء المشبهة بخرق العادات كما يكون لبعض الرهبانيين والهنود، والتي تشقق فيخرج منها الماء هي التي يظهر عليها في بعض الأوقات عند انخراق الحجب البشرية من أنوار الروح فيريه بعض الآيات والمعاني المعقولة كما يكون لبعض الحكماء، والتي يهبط من خشية الله ما يكون لبعض أهل الأديان والملل من قبول عكس أنوار الروح من وراء الحجب فيقع فيها الخوف والخشية، انتهى.

«القضاء والقاضي في الاسلام»

إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعمًا يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً
(القرآن الكريم - سورة النساء - الآية ٦٢)

يناسب في المقام تقديم نبذة من الكلام على ما قرره الشرع في القضاء والقاضي

على سبيل الإجمال والإختصار فنقول :

الغرض من إرسال الرُّسل وإنزال الكتب إحياء مكارم الأخلاق، ومحاسن الأفعال ، وإماتة الصفات المردية ، والآداب المغوية ، وإيقاظ عقول الناس من نوم الغفلة ، وتنزيههم من رين الهوى ، وإنارة أرواحهم بالملكات الملكوتية ، وإثارة فطرتهم إلى جناب الربِّ جلَّ وعلا ، وقيامهم بالعدل ، واحتياح الظلم من بينهم ليتَّصفوا بالأوصاف الربوبية، ويتخلَّقوا بالأخلاق الإلهية ، ولئلا يتطرق إليهم الجور والعدوان والهرج والمرج قال الله تعالى : « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط » (الحديد - ٢٦) .

ثمَّ لو تنازع المنان في أمر فلا بدَّ من حكم عدل يعطي كل ذي الحقِّ حقه، وينبُ عنه التصرف العدوانيَّ وأكل المال بالباطل بالأمارات والأصول التي جعلها الشارح الحكيم ميزاناً لهلحسم مادَّة النزاع وقلع شجر التشاجر وفصل القضاء .

قال أمير المؤمنين عليه السلام كما في الكافي والتهذيب : أحكام المسلمين على ثلاثة: شهادة عادلة . أو يمين قاطعة ، أو سنَّة ماضية من أئمة الهدى .

فلا بدَّ لحفظ اجتماع الناس من حاكم عادل لا يبيع آخرته بدياه ولا يعقل عقله بهواه .

وكما أن الإنسان يحتاج في سلامة جسمه إلى الطبيب الحاذق الأمين المؤمن ، وفي سلامة روحه إلى عالم عامل إلهيَّ روحانيَّ ، كذلك يحتاج الاجتماع لحفظ نظامه ورفع المخاصمة والنزاع إلى طبيب آخر وهو القاضي العادل وحكومة عادلة ولا مناص للناس من هؤلاء الأطباء .

قال الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في هذا المعنى : لا يستغني أهل كلِّ بلد عن ثلاثة تفزع إليه في أمر دنيا [همظ] وآخرتهم، فإن عدموا ذلك كانوا همجاً : فقيه عالم ورع ، وأمير خير مطاع ، وطبيب بصير ثقة (نقل في مادَّة طب من السقيفة) .

واعتبر الشارع في القاضي البلوغ وكمال العقل والايمان و طهارة المولد والعلم والذكورة والعدالة ، وإنما اعتبر فيه العدالة حتَّى يراعي التسوية بين الخصمين

مطلقاً وإن كان أحدهما ضعيفاً والآخر شريفاً وفي الكافي والتهديب عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : من ابتلى بالقضاء فليواس بينهم في الإشارة وفي النظر وفي المجلس فيجب عليه التسوية بينهما في الكلام والسلام والقيام وغيرها من أنواع الأكرام حتى لا يجوز له خطاب أحد الخصمين بالكنية والآخر بالاسم لأن الأولى تنبىء بالتعظيم دون الثاني ، وكذا الانصات لكل واحد منهما على التفصيل الذي بين في الكتب الفقهية .

ونحن نكتفي ههنا بما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام لشريح أيضاً في آداب الحكم لم يأت به الرضوي رضوان الله عليه في النهج ، نقله ثقة الإسلام الكليني مسنداً في الكافي ، وشيخ الطائفة في التهديب ، والشيخ الأجل الصدوق في من لا يحضره الفقيه ، والمحقق الفيض في الوافي (ص ١٣٥ ج ٩) باسنادهم عن سلمة بن كهيل قال :

سمعت علياً عليه السلام يقول لشريح : انظر إلى أهل المعك والمطل ودفع حقوق الناس من أهل المقدره واليسار ممن يدلي بأموال المسلمين إلى الحكام ، فخذ للناس بحقوقهم منهم ، وبع فيها العقار والديار ، فأنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : مطل المسلم الموسر ظلم للمسلم ، ومن لم يكن له عقار ولا دار ولا مال فلا سبيل عليه ، واعلم أنه لا يحمل الناس على الحق إلا من وزعهم عن الباطل ، ثم واس بين المسلمين بوجهك ومنطقك ومجلسك حتى لا يطمع قريبك في حيفك ، ولا ييأس عدوك من عدلك . ورد اليمين على المدعي مع بيئته فان ذلك أجلى للعمى وأثبت في القضاء ، واعلم أن المسلمين عدول بعضهم على بعض إلا مجلوداً في حد لم يتب منه ، أو معروفاً بشهادة زور ، أو ظنيماً ، وإيالك والتضجر والتأذي في مجلس القضاء الذي أوجب الله فيه الأجر ، وأحسن فيه الذخر لمن قضى بالحق ، واعلم أن الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً حراماً أو أحلاً حراماً ، واجعل لمن ادعى شهوداً غيباً أمداً بينهما ، فان أحضرهم أخذت له بحقه ، وإن لم يحضرهم أوجب عليه القضية ، وإيالك أن تنفذ قضية في قصاص أو حد من حدود الله أو حق

من حقوق المسلمين حتى تعرض ذلك عليّ إنشاء الله ، ولا تتعدن في مجلس القضاء حتى تطعم .

وقال عليه السلام لشریح أيضاً كما في الكافي والتهدیب والفقیه : لا تسار أحداً في مجلسك ، وإن غضبت فقم ، ولا تقضين وأنت غضبان .

والأخبار المروية في الكتب الأربعة وغيرها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأئمة الهدى في آداب الحكم والقضاء والقاضي كثيرة جداً أتر كناها خوفاً من الإطباب وفيما قدّمناه كفاية لمن كان طالباً للصواب .

ثم إن ما قدّمنا من وجوب مراعاة المساواة بين الخصمين على القاضي يكون على وجه تساويهما في الإسلام أو الكفر ، بأن كانا مسلمين أو كافرين ، ولو كان أحدهما مسلماً والآخر كافراً ؛ فلا يجب عليه مراعاتها بينهما ، بل له أن يرفع المسلم على الكافر ، وذلك لما يأتي من قول أمير المؤمنين مع الرجل اليهودي في مجلس شريح .

«ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكّام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون» (القرآن الكريم الآية ١٨١ من البقرة) .
وحرّم على الناس رفع الدّعاوي إلى قضاة الجور و التحاكم إليهم كما حرّم عليهم أكل المال بالباطل ، وفي الصحاح للجوهري : أدلى بما له إلى الحاكم : رفعه إليه ومنه قوله تعالى « وتدلوا بها إلى الحكّام » يعني الرشوة ، انتهى .

وقال الفيض في الوافي : قوله تعالى : تدلوا ، أي ولا تدلوا حذف لا اعتماداً على العطف والمعنى لا تعطوا الحكّام أموالكم ليحكمواكم استعارة من قولهم أدلى دلوه إذا أرسلها ، فإنّ الرشوة ترسل إلى الحكّام .

وفي الكافي والتهدیب باسنادهما عن ابن مسكان عن أبي بصير قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : قول الله تعالى في كتابه « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكّام » فقال : يا با بصير إنّ الله قد علم أنّ في الأمّة حكّاماً يجورون أما أنّه لم يعن حكّام أهل العدل و لكنّه عنى حكّام أهل الجور ، يا با بصير إنّ الله لو كان

لك على رجل حقٌ فدعوته إلى حكم أهل العدل فأبى عليك إلا أن يرافعك إلى حكم أهل الجور ليقضوا له ، لكان ممن حاكم إلى الطاغوت وهو قول الله عز وجل « ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما نزل اليك وما نزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً » (النساء - ٦٥) .

وفي التهذيب باسناده عن ابن فضال قال : قرأت في كتاب أبي الأسد إلى أبي الحسن الثاني عليه السلام وقرأته بخطه سأله ما تفسير قوله « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام ؟ » قال : فكتب إليه بخطه : الحكام القضاة قال : ثم كتب تحته : هو أن يعلم الرجل أنه ظالم فيحكم له القاضي فهو غير معذور في أخذ ذلك الذي حكم له إذا كان قد علم أنه ظالم

وإنما اعتبر فيه العلم أي العلم بجميع الأحكام عن اجتهاده أعني أن يكون مجتهداً في الدين مستنبطاً أحكامه بالأدلة الأربعة من العقل والإجماع والكتاب والسنة فلا يكفيه فتوى العلماء وقد وردت آيات وروايات كثيرة في تشديد ذلك وتأكيده ، ولو نذكرها لكثير بنا الخطب ، ونقتصر بذكر شذمة قليلة منها .

قال أمير المؤمنين عليه السلام كما في الكافي والفقيه و التهذيب لشريح : يا شريح قد جلست مجلساً لا يجلسه إلا نبي أو وصي نبي أو شقي .

قال الباقر عليه السلام : إن من أفتى الناس بغير علم ولا هدى من الله لعنته ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، ولحقه وزر من عمل بفتياه .

وقال عليه السلام : أنهارك عن خصلتين فيهما هلك الرجال : أنهارك أن تدين الله بالباطل ، وتفتي الناس بما لا تعلم .

وقال الصادق عليه السلام كما في الكافي و التهذيب : القضاة أربعة ثلاثة في النار و واحد في الجنة : رجل قضى بجور وهو يعلم فهو في النار ، ورجل قضى بجور وهو لا يعلم أنه قضى بجور فهو في النار ، ورجل قضى بالحق وهو لا يعلم فهو في النار ، ورجل قضى بالحق وهو يعلم فهو في الجنة .

وفي دعائم الاسلام عن علي عليه السلام أنه قال : القضاء ثلاثة واحد في الجنة واثنان في النار : رجل جار متعمداً فذلك في النار ، ورجل أخطأ في القضاء فذلك في النار ورجل عمل بالحق فذلك في الجنة .

بيان : ولا تنافي بين الأخيرين لأن الوسط من الأخير يعم الوسطين من الأوّل والوصي في قوله عليه السلام أو وصي نبي يعم الوصي الخاص والعام ، جمعاً بين الأدلة وتفصيل البحث مو كول إلى الكتب الفقهية .

وأما الآيات فقد قدّمنا بعضها وقال الله تبارك وتعالى « إننا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أريك الله ولا تكن للخائنين خصيماً » (النساء - ١٠٦) وقوله تعالى : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » (المائدة - ٥١) وقوله تعالى : « يا داود إننا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى » (ص - ٢٧) .

وإنما اعتبر فيه الذكورة فلقوله عليه السلام : لا يفلح قوم وليتهم امرأة ، ووصيته صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام المروية في الفقيه باسناده عن حماد : يا علي ليس علي المرأة جمعه - إلى أن قال : ولا تولي القضاء ، على أن ذلك إجماعي لا خلاف فيه عندنا الإمامية ، فلا يليق لها مجالسة الرجال ورفع الصوت بينهم .

وأما اعتبار الإيمان فلا لأن المسلم الفاسق ، إذا لم يصلح لهذا المنصب الجليل فكيف الكافر ، على أن الكافر ليس أهلاً للأمانة ولم يجعل الله له سبيلاً على المسلم إذ الإسلام يعلو ولا يعلا عليه قال الله تعالى : « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً » (النساء - ١٤٠) . وأما اعتبار البلوغ والعقل فيبين ، وأما طهارة المولد فالعمدة فيها الإجماع وفحوى ما دل على المنع من إمامته وشهادته ، على أن النفوس تنفر عن ولد الزنا .

ثم إن في سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته في دعاوي الناس لعبرة لأولي الألباب يليق لهم أن ينظروا فيها بعين العلم والدراية حتى يتبين لهم أن الغرض من بعثهم لم يكن إلا تعليم الناس ما فيه نجاحهم ونجاتهم :

وهذا هو رسول الله صلى الله عليه وآله كيف يراعي حقوق الناس ويحترمها ، روى الشيخ

الجليل العلامة بهاء الدين العاملي في الأربعين الحديث التاسع عشر باسناده عن موسى بن اسماعيل، عن أبيه، عن الامام أبي الحسن موسى الكاظم، عن آباءه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : إنَّ يهودياً كان له على رسول الله صلى الله عليه وآله دنانير ففقاهاه ، فقال : يا يهودي ما عندي ما أعطيك ، قال : فأنني لا أفارقك يا محمد حتى تقتضيني ، فقال صلى الله عليه وآله : إذا أجلس معك ، فجلس صلى الله عليه وآله معه حتى صلى في ذلك الموضع الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والغداة وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يتهدّدونه ويتواعدونه ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله إليهم فقال : ما الذي تصنعون به ؟ فقالوا : يا رسول الله يهودي يحبسك ، فقال صلى الله عليه وآله : لم يعنني ربي عزّ وجلّ بأن أظلم معاهداً ولا غيره ، فلمّا علا النهار قال اليهودي : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وشر ما لي في سبيل الله أما والله ما فعلت بك الذي فعلت إلا لأنظر إلى نعمتك في التوراة فأنني قرأت نعمتك في التوراة : محمد بن عبد الله مولده بمكة ، ومهاجره بطيبة وليس بفظ ، ولا غليظ ، ولا سخاب ، ولا مترن بالفحش ولا قول الخنا ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، وهذا مالي فأحكم فيه بما أنزل الله وكان اليهودي كثير المال .

وهذا هو أمير المؤمنين علي عليه السلام فانظر إلى فعله وقوله كيف يراعي المواساة والعدل مع يهودي ويؤاخذ شريحاً بركونه إلى خلاف العدل حيث قام في مجلس المحاكمة له عليه السلام إكراماً له ولم يقم لليهودي .

قال أبو الفرج في الأغاني : ولشريح أخبار في قضايا كثيرة يطول ذكرها وفيها ما لا يستغنى عن ذكره، منها حكمة أمير المؤمنين علي عليه السلام في الدرّع قال: حدثني به عبد الله بن محمد بن إسحاق ابن أخت داهر بن نوح بالأهواز، قال: حدثنا أبو الأشعث أحمد بن المقدم العجلي، قال حدثني حكيم بن حزام عن الأعمش عن إبراهيم التيمي قال : عرف عليّ صلوات الله عليه درعاً مع يهودي فقال : يا يهودي درعي سمّطت مني يوم كذا وكذا . فقال اليهودي : ما أدري ما تقول ، درعي وفي يدي بيني وبينك قاضي المسلمين ، فانطلقا إلى شريح فلمّا رآه شريح قام له عن

مجلسه . فقال له عليُّ : اجلس : فجلس شريح ثمَّ قال : إنَّ خصمي لو كان مسلماً لجلست معه بين يديك ولكنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا تساووهم في المجلس ولا تعودوا مرضاهم . ولا تشيعوا جنائزهم ، واضطروهم إلى أضيق الطرق ، وإن سبّوكم فاضر بوجههم ، وإن ضربوكم فاقتلوهم ، ثمَّ قال ﷺ : درعي عرفتها مع هذا اليهودي ، فقال شريح لليهودي : ما تقول ؟ قال : درعي وفي يدي ، قال شريح : صدقت والله يا أمير المؤمنين إنها لدرعك كما قلت ولكن لا بدَّ من شاهد ، فدعا قنبراً فشهد له ، ودعا الحسن بن عليٍّ فشهد له ، فقال : أمّا شهادة مولاك فقد قبلتها وأمّا شهادة ابنك لك فلا ، فقال عليٌّ ﷺ : سمعت عمر بن الخطاب يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنَّ الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة ، قال : اللهمَّ نعم ، قال ﷺ : أفلا تجيز شهادة أحد سيّدي شباب أهل الجنة ، والله لتخرجنَّ إلى بانقيا فلتقتضينَّ بين أهلها أربعين يوماً ، ثمَّ سلّم الدرّع إلى اليهودي فقال اليهوديُّ : أمير المؤمنين مشى معي إلى قاضيه فقضى عليه فرضي به ، صدقت إنهما لدرعك سقطت منك يوم كذا وكذا عن جمل أوراق فالتقطتها وأنا أشهد أن لا إله إلاَّ الله وأنَّ محمداً رسول الله ﷺ ، فقال عليٌّ ﷺ : هذه الدرّع لك ، وهذه الفرس لك ، وفرض له في تسعمائة فلم يزل معه حتّى قتل يوم صفين . انتهى .

وقال القاضي ابن خلكان في التاريخ : روي أنَّ عليَّ بن أبي طالب ﷺ دخل مع خصم ذمّي إلى القاضي شريح فقام له ، فقال : هذا أوّل جورك ثمَّ أسند ظهره إلى الجدار وقال : أمّا إنَّ خصمي لو كان مسلماً لجلست بجانبه .

أقول : الظاهر أنهما قضية واحدة نقلها أبو الفرج بالتفصيل ، وابن خلكان بالإجمال إلاَّ أنَّ أبا الفرج لم ينقل قوله ﷺ له « هذا أوّل جورك » .

وكذا يشير إلى هذه القضية ما في الرُّوضات وغيره حيث قالوا : روي أنه عليه السلام سخط على شريح مرّة فطرده من الكوفة ولم يعزله عن القضاء وأمره بالقيام ببانقيا ، وكانت قرية من الكوفة أكثر سكّانها اليهود ، فأقام بها مدّة حتّى رضي عنه وأعادته إلى الكوفة .

وروي قريب هذه المحاكمة في الكافي والتهذيب والفتاوى وجاء بها الفيض في أبواب القضاء والشهادات من الوافي (ص ١٤١ ج ٩) عن ابن أبي عمير، عن البجلي قال: دخل الحكم بن عتيبة وسلمة بن كهيل علي أبي جعفر عليه السلام، فسألاه عن شاهد ويمين فقال: قضى به رسول الله صلى الله عليه وآله، وقضى به علي عليه السلام عندكم بالكوفة فقالا: هذا خلاف القرآن: قال عليه السلام: وأين وجدتموه خلاف القرآن؟ فقالا: إن الله عز وجل يقول «وأشهدوا ذوي عدل منكم» (الطلاق - ٣) فقال لهما أبو جعفر عليه السلام: وأشهدوا ذوي عدل منكم هو أن لا تقبلوا شهادة واحد ويميناً! ثم قال عليه السلام: إن علياً عليه السلام كان قاعداً في مسجد الكوفة فمر به عبد الله بن قفل التميمي ومعه درع طلحة، فقال له علي عليه السلام: هذه درع طلحة أخذت غلواً يوم البصرة فقال له عبد الله بن قفل: فاجعل بيني وبينك قاضيك الذي رضيته للمسلمين، فجعل بينه وبينه شريحاً، فقال علي عليه السلام: هذه درع طلحة أخذت غلواً يوم البصرة، فقال له شريح: هات علي ما تقول بيئته، فأتاه بالحسن عليه السلام، فشهد أنها درع طلحة أخذت غلواً يوم البصرة، فقال: هذا شاهد ولا أقضي بشهادة شاهد حتى يكون معه آخر، قال: فدعا قنبراً فشهد أنها درع طلحة أخذت غلواً يوم البصرة فقال شريح: هذا مملوك ولا أقضي بشهادة مملوك، قال: فغضب علي عليه السلام صلوات الله عليه وقال: خذوها فإن هذا قضى بجور ثلاث مرات.

قال: فنحوّل شريح عن مجلسه ثم قال: لا أقضي بين اثنين حتى تخبرني من أين قضيت بجور ثلاث مرات؟

فقال له: ويلك أو ويحك إنني لما أخبرتك أنها درع طلحة أخذت غلواً يوم البصرة فقلت هات علي ما تقول بيئته وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله حيث ما وجد غلول أخذ بغير بيئته فقلت رجل لم يسمع الحديث فهذه واحدة، ثم أتيتك بالحسن عليه السلام فشهد، قلت: هذا واحد ولا أقضي بشهادة واحد حتى يكون معه آخر وقد قضى رسول الله صلى الله عليه وآله بشهادة واحد ويمين فهذه ثنتان، ثم أتيتك بقنبير فشهد أنها درع طلحة أخذت غلواً يوم البصرة فقلت: هذا مملوك ولا أقضي بشهادة مملوك وما بأس بشهادة المملوك إذا كان عدلاً ثم قال: ويلك أو ويحك إمام المسلمين

يؤتمن من أمورهم على ما هو أعظم من هذا .

قال الفيض في بيانها : الغلول الخيانة وربما يختصُّ بالغنيمة يقال : غلَّ شيء من المغنم إذا أخذ في خفية ، ولعلَّ الوجه في جواز أخذ الغلول بغير بيعة أنه ممّا يعرفه العسكر ولم يقسم بعد بين أهله لبيع و يوهب ، وكفى بهذه القضية شاهداً على حماقة شريح ، إلى آخر ما قال .

ثمّ وممّا يليق أن يذكر في المقام تنبيهاً للقضاة وغيرهم من ذوي المناصب أن رسول الله ﷺ قال : الفقر فخري ، وهذا الفقر قد فسّر بالفقر إلى الله تعالى قال عزّ من قائل « أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنيّ الحميد » (فاطر - ١٧) كما هو السائر في السنة العرفاء .

ولكن يمكن أن يفسّر بوجه آخر وهو أن يكون الفقر بمعناه المصطلح الدارج أي الفقر من الدرهم والدينار والأرض والدار وغيرها من حطام الدنيا وزخارفها ، وأن رسول الله ﷺ يباهي بفقره من حيث إنّه لم يخزن الناس ولم يطمع إلى أموالهم مع أن الدنيا كانت مقبلة إليه ، ولو شاء أن يكون له بيت من زخرف فما فوقه لتيسر له وقد قدّمنا في شرح الخطبة ٢٢٣ (ص ٩٣ ج ١ من تكملة المنهاج) كانت عنده ﷺ في مرضه الذي توفي منه سبعة دنائير أو ستة فأمر أن يتصدّق بها وقال ﷺ : ما ظنّ محمد بربه أن لو لقي الله وهذه عنده ؟ .

ولا ريب أن ذا منصب ومقام إذا زاد أمواله على قدر أجرته ونفقته من غير نسبة متناسبة كما نرى في عصرنا هذا أن كثيراً من أشباه الرّجال ولا رجال إذا تولّوا أمراً من الأمور لم ينصرم عليهم برهة من الزّمان إلاّ بلغت أموالهم من الدُّور والقصور والنقود والكنوز ما إنّ مفاتحه لثمّوء بالعصبة أو ولي القوّة ، اتّبع الشيطان لاجرم فعدل عن سواء الطريق ، فخان الناس .

ولولا السرقة والخيانة والارتشاء وأكل المال بالباطل فأنسى حصلت له ، ولم لم تحصل للآخر الشريف النجيب الأصيل المؤمن الموحد الرّؤوف بالناس وخدمهم فحريّ أن يقال لهؤلاء اللصوص : اجتنبوا عن ظلم العباد فإن ربكم لباطرصاد

وإن لم يكن لكم دين فكونوا في دنياكم أحراراً ؛ ولا تكونوا كالذين قال الشاعر
فيهم :

ليل البراغيث ليل لا تفاد له لا بارك الله في ليل البراغيث
كأنهنَّ بجسمي إذ خلون به قضاة سوء على مال المطواريث
ثمَّ الروايات في ذمِّ أخذ الرشا في الحكم و ذمَّ القاضي الجائر في الحكم
كثير جداً مع أنَّهم - تمضي حكم العقل في ذلك ، لأنَّ العقل يحكم بدمِّ الرشا
و الجور .

روي في الكافي والتهذيب عن سماعة عن أبي عبدالله عليه السلام قال : الرشا في الحكم
هو الكفر بالله .

وفيهما عن ابن مسكان عن يزيد بن فرق قد قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن السحت
فقال : الرشا في الحكم .

بيان : مراد السائل من السحت هو قوله تعالى : « سمّاعون للكذب أكّالون
للسحت » الآية (المائدة - ٤٧) وقوله تعالى : « و ترى كثيراً منهم يسمعون في
الاثم والعدوان وأكلهم السحت » وقوله تعالى « لو لا ينهيهم الرّبّ بآنيّون والأخبار عن قولهم
الاثم وأكلهم السحت » (المائدة - ٦٨ و ٦٩) فسأله عليه السلام عن السحت أي مامعناه
في القرآن الكريم أكّالون للسحت وأكلهم السحت . ونعم ما قال العارف الرّومي :

تا تو رشوت نستدي بيننده اي چون طمع كردي ضرير وبنده اي

« ذكر شريح و نسبه و خبره »

قد اختلف الرواة في نسبه اختلافاً كثيراً وأصحُّ الطرق فيه هو : أبوا مية
شريح بن المحارث بن قيس بن الجهم بن معاوية بن عامر بن الرائش بن الحارث بن
معاوية بن ثور بن مرتع - بتشديد التاء المثلثة من فوقها وكسر ها - الكندي ، كما
في الأغانى (ص ٣٥ ج ١٦ طبع ساسي) و اسد الغابة و تاريخ ابن خلكان وغيرهما من
الكتب المعتبرة .

وفي الروضات للخوانساري : الكندي بكسر الكاف نسبة إلى كندة التي

لقب بها جدّه الثامن ثور بن مرتع الكوفي ، لأنّه كند أباه نعمته بمعنى كثرها وكذا في تاريخ ابن خلّكان أيضاً .

وقال في الأغاني بعد ذكر نسبه المذكور : وقد اختلف الرواة بعدهذا في نسبه فقال بعضهم : شريح بن هانيء ، وهذا غلط ، ذاك شريح بن هانيء الحارثي ، واعتلّ من قال هذا بخبر روي عن مجاهد عن الشعبي أنّه قرأ كتاباً من عمر إلى شريح من عبدالله عمر أمير المؤمنين إلى شريح بن هانيء ، وقد يجوز أن يكون كتب عمر هذا الكتاب إلى شريح بن هانيء الحارثي وقرأه الشعبي وكلا هذين الرجلين معروف ، والفرق بينهما النسب والقضاء ، فإنّ شريح بن هانيء لم يقض و شريح ابن الحارث قد قضى لعمر بن الخطاب وعليّ بن أبي طالب عليهما السلام .

وقيل : شريح بن عبدالله ، و شريح بن شراحيل ، و الصحيح ابن الحارث وابنه أعلم به .

أقول : وإنما قال وابنه أعلم به لأنّه روى نسبه المذكور عن هشام بن السائب وعن ابن شريح ميسرة بن شريح .

ثمّ روى بإسناده عن أبي ليلى أنّ خاتم شريح كان نقشه : شريح الحارث وقيل : إنه من أولاد الفرس الذين قدموا اليمن مع سيف بن ذي يزن وعداده في كندة وقد روى عنه شعبة بذلك .

وروى بإسناده عن الشعبي قال : جاء أعرابيٌّ إلى شريح فقال : من أنت ؟ قال : أنا من الذين أنعم الله عليهم وعدادي في كندة . وروى عن أبي حصين قال : كان شريح إذا قيل له : ممّن أنت ؟ قال : ممّن أنعم الله عليه بالإسلام عديد كندة قال وكيع : وقيل : إنه لما خرج إلى المدينة ثمّ إلى العراق لأنّ أمّه تزوّجت بعد أبيه ، فاستحيا .

وفي اسد الغابة : أنّه أدرك النبيّ صلّى الله عليه وآله ولم يلقه ، وقيل لقيه ، و استقضاه عمر بن الخطاب على الكوفة ف قضى بها أيام عمر وعثمان وعليّ ، و لم يزل على القضاء بها إلى أيام الحجّاج ، فأقام قاضياً بها ستين سنة ، وكان أعلم الناس بالقضاء

ذا فطنة وذكاء ومعرفة وعقل، وكان شاعراً محسناً، له أشعار محفوظة وكان كوسجياً
لاشعر في وجهه .

قال : روى عليُّ بن عبدالله بن معاوية بن ميسرة بن شريح القاضي ، عن أبيه
عن جدّه معاوية ، عن شريح أنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله فأسلم ثم قال : يا رسول الله
إنّ لي أهل بيت ذو عدد باليمن فقال له : جيء بهم ، فجاء بهم والنبي صلى الله عليه وآله
قد قبض .

وقال ابن خلكان : كان من كبار التابعين وأدرك الجاهليّة واستنقضه عمر
ابن الخطاب على الكوفة فأقام قاضياً خمساً وستين سنة لم يتعطل فيها إلا ثلاث
سنين امتنع فيها من القضاء في فتنة ابن الزبير ، واستعفى الحجّاج بن يوسف من
القضاء فأعفاه ولم يقض بين اثنين حتّى مات .

وقال ابن عبدالبر : وكان شاعراً محسناً ، وهو أحد السادات الطلس وهم
أربعة : عبدالله بن الزبير ، وقيس بن سعد بن عبادة ، والأحنف بن قيس الذي يضرب
به المثل في الحلم ، والقاضي شريح المذكور .

الطلس : جمع الأطلس أي الذي لا شعر في وجهه وقال الخوانساري في
الروضات : وقيل : إنه من الكواسج الأربعة وفيه مسامحة ، لأنّ الكوسج في
اللغة من كانت لحية على الذقن دون العارضين أو كان خفيفها جداً وكذلك في
العرف وعليه قول بعض أهل الحكمة : ما طالت لحية أحد إلا تكوسج عقله ، بمعنى
رقّ وخفّ - انتهى .

أقول : الكوسج إن كان معرّب كوسه كما في البرهان القاطع قال : كوسه
بروزن بوسه معروف است يعنى شخصى كه اورا درچانه وزنخ زياده برچندي موى
نباشد ومعرّب آن كوسج است ، فهو كما قاله الخوانساري ، وإن كان عربياً من كسج
الرجل أي لم ينبت له لحية فالنعبير بالكوسج صحيح بلا مسامحة وإن كان الأوّل
هو الأصح والأصوب ، قال الجوهرى : الكوسج الأثبط وهو معرّب ، وقال الأزهري
لا أصل له في العربية . والأثبط هو الذي لحيته على ذقنه لأعلى العارضين .

وكان شريح خفيف الروح مزاحاً دخل عليه عذيث بن أرتاة (حاتم خ ل) فقال له : أين أنت أصلحك الله؟ فقال : بينك وبين الحائط قال : استمع مني ، قال : قل أسمع ، قال : إنني رجل من أهل الشام ، قال : من مكان سحيق ، قال : تزوجت عندكم ، قال : بالرفاء والبنين ، قال : وأردت أن أرحلها ، قال : الرجل أحقُّ بأهله ، قال : وشرطت لها دارها ، قال : الشرط أملك ، قال : فاحكم الآن بيننا قال : قد فعلت ، قال : فعلى من حكمت؟ قال : على ابن أمك ، قال : بشهادة من؟ قال : بشهادة ابن أخت خالتك . نقله الجاحظ في البيان والتبيين (ص ٩٨ ج ٤ طبع مصر ١٣٨٠هـ) وابن خلكان في وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان .

وفي الوفيات أيضاً : حدث أبو جعفر المدني عن شيخ من قریش قال : عرض شريح ناقةً لبيعها فقال له المشتري : يا أبا أمية كيف لبنها؟ قال : احلب في أي إناء شئت . قال : كيف الوطاء؟ قال : افرش ونم ، قال : كيف نجاؤها؟ قال : إذا رأيتها في الأبل عرفت مكانها علق سوطك ونم ، قال : كيف قوتها؟ قال : احمل على الحائط ما شئت . فاشترها فلم ير شيئاً مما وصفها به . قال : ما كذبتك قال : أقلني قال : نعم .

وفيه أيضاً : قيل : تقدم رجلان إلى شريح فاعترف أحدهما بما ادعى عليه وهو لا يعلم بذلك ففضى عليه ، فقال الرجل : تقضي علي من غير بينة؟ فقال : قد شهد عذيث الثمة ، قال : ومن هو؟ قال : ابن أخي عمك . وقد ألم بهذا المعنى أبو عبد الله الحسين الحجاج :

وإن قدّموا خيلهم للركوب
وفي جمل الناس غلمانهم
ولا لي غلام فأدعى به
خرجت فقدّمت لي ركبتني
وليس سوى أنا في جملتي
سوى من أبوه أخو عمّتي

قال : وقال الأشعث بن قيس لشريح : ما أشد ما ارتفعت؟ قال : فهل ضرك ذلك؟

قال : لا ، قال : فأراك تعرف نعمة الله عليك في حفظها في نفسك .

قال : وحدث محمد بن سعد عن عامر الشعبي أن ابن الشريح قال لأبيه : إن

بيني وبين قوم خصومة فانظر فإن كان الحق لي خاصمت وإن لم يكن لي الحق

لم أخاصمهم ، فقص قصته عليه ، فقال : انطلق فخاصمهم ، فانطلق إليهم فتخاصموا إليه فقصى على ابنه ، فقال لما رجع إلى أهله : والله لو لم أتقدم إليك لم أملك فقال : والله يا بني "لأنت أحب إلي من ملء الأرض مثلهم ، ولكن الله هو أعز علي منك خشيت أن أخبرك أن القضاء عليك فتصالحهم ببعض حقهم .

وعن الشعبي أيضاً قال : شهدت شريحاً وجائته امرأة تخاصم رجلاً فأرسلت عينها فبكت ، فقلت : يا أبا أمية ما أظن هذه الباكية إلا مظلومة ، فقال : يا شعبي إن إخوة يوسف جاؤا أباهم عشاءً يبكون .

قال : ويروى أن زياد بن أبيه كتب إلى معاوية : يا أمير المؤمنين قدضبت لك العراق بشمالي وفرغت يميني لطاعتك فولني الحجاز ، فبلغ ذلك عبدالله بن عمر وكان مقيماً بمكة فقال : اللهم اشغل عنا يمين زياد ، فأصابه الطاعون في يمينه فجمع الأطباء واستشارهم فأشاروا عليه بقطعها ، فاستدعى القاضي شريحاً وعرض عليه ما أشار به الأطباء فقال له : لك رزق معلوم وأجل محتوم وإنني أكره إن كانت لك مدة أن تعيش في الدنيا بلا يمين ، وإن كان قد دنا أجلك أن تلتقي ربك مقطوع اليمين ، فإذا سألك لم قطعتها ؟ قلت : بغضاً في لقاءك و فراراً من قضائك فمات زياد من يومه ، فلام الناس شريحاً على منعه من القطع لبغضهم له فقال : إنه استشارني والمستشار مؤتمن ، ولولا الأمانة في المشورة لوددت أنه قطع يده يوماً ورجله يوماً . وسائر جسده يوماً يوماً .

وكان شريح رجلاً داهياً ، قال الدميري في حيوته الحيوان : قيل للشعبي : يقال في المثل : إن شريحاً أدهى من الثعلب وأحيل . فما هذا ؟ فقال : خرج شريح أيام الطاعون إلى النجف فكان إذا قام يصلي يجيء ثعلب فيقت تجاهه و يحاكيه ويخيل بين يديه ويشغله عن صلاته ، فلما طال ذلك عليه نزع قميصه فجعله على قصبه وأخرج كميته وجعل قلنسوته عليها ، فأقبل الثعلب فوقف بين يديه على عادته فأتاه شريح من خلفه و أخذه بغتة فلذلك يقال : شريح أدهى من الثعلب وأحيل .

وكان شاعراً محسناً وذكر أبياتاً منه أبو الفرج الإصبهاني في الأغاني والقاضي ابن خلكان في وفيات الأعيان فقي الأغاني ، بعد ذكر خبر زينب بنت حدير وترويح شريح إياها قال : قال شريح : فما غضبت عليها قطُّ إلا مرّة كنت لها ظالماً فيها ، وذلك إني كنت إمام قومي فسمعت الإقامة وقد ركعت ركعتي الفجر فأبصرت عقرباً فعجلت عن قتلها فأكفأت عليها الإناء ، فلما كنت عند الباب قلت : يا زينب لا تحركي الإناء حتى أجيء . فعجلت فحركت الإناء فضربتها بالعقرب فجئت فإدا هي تلوي ، فقلت : ما لك ؟ قالت : لسعنتي العقرب فلو رأيتني يا شعبي وأنا أعرك اصبعها بالماء والملح وأقرأ عليها المعوذتين وفاتحة الكتاب ، و كان لي يا شعبي جار يقال له : ميسرة بن عرير من الحبي ، فكان لا يزال يضرب امرأته فقلت :

رأيت رجالاً يضربون نساءهم فشلت يميني يوم أضرب زينبا
يا شعبي فوددت أني قاسمتها عيشي ، قال : ومما يعني فيه من الأشعار التي قالها شريح في امرأته زينب :

رأيت رجالاً يضربون نساءهم فشلت يميني يوم أضرب زينباً
أضربها في غير جرم أتت به إليّ فما عذري إذا كنت مذنباً
فزنب شمس و النساء كواكب إذا طلعت لم تبد منهنّ كوكب
فتاة تزين الحلبي إن هي حليت كأنّ بفيها المسك خالط محلباً
أقول : وقال آخر نحو مضمون البيت الأخير :

وإذا الدرّ زان حسن وجوه كان للدرّ حسن وجهك زينباً
وكذا قال بهذا المضمون حسين بن مطير « بالتصغير » في باب النسب من الحماسة (الحماسة ٤٦٠) :

مخصّرة الأوساط زانت عقودها بأحسن مما زينتها عقودها
وبهذا المضمون للشيخ الأجلّ السعديّ بالفارسيّة :

تو از هر در که باز آیی بدین خوبی و رعنائی
دری باشد که از رحمت بروی خلق بگشائی

بزیورها بیاریند مردم خوب رویان را

تو سیمین تن چنان خوبی که زیورها بیارائی
و ذکر أبو الفرج في الأغاني أن شريحاً قال هذه الأبيات الآتية في زوجته
زينب بنت حدير التميمية أيضاً ، ثم قال : و ذكر اسحاق في كتاب الاغاني المنسوب
اليه أنه لابن محرز :

إذا زينب زارها أهلها	حشدت وأكرمت زوارها
وإن هي زارتهم زرتهم	وإن لم أحدلي هوى دارها
فسلمني لمن سالمت زينب	وحرابي لمن أشعلت نارها
وما زلت أرعى لها عهدا	ولم أتبع ساعة عارها

وفي تاريخ ابن خلکان : روي أن علياً عليه السلام قال : اجمعوا إليّ القراء
فاجتمعوا في رحبة المسجد فقال : إنني اوشك أن أفرقكم ، فجعل يسألهم ما تقولون
في كذا ؟ . ما تقولون في كذا ؟ ، ما تقولون في كذا ؟ ، و شريح ساكت ، ثم
سأله فلمّا فرغ منهم قال : اذهب فأنت من أفضل الناس أو من أفضل العرب .

وفي الروضات بعد نقل هذه الرواية من ابن خلکان قال : وأنت خير بأن
من هذه الرواية العامية تلوح آثار الوضع إلى آخر ما قال ، فراجع وتأمل .

وقال في الأغاني باسناده عن الشعبي : إن عمر بن الخطاب أخذ من رجل
فرساً على سوم فحمل عليه رجلاً فعضت الفرس ، فقال عمر : اجعل بيني وبينك
رجلاً ، فقال له الرجل : اجعل بيني وبينك شريحاً العراقي ، فقال : يا أمير المؤمنين
أخذته صحيحاً سليماً على سوم فعليك أن تردّه كما أخذته ، قال : فأعجبه ما قال
وبعث به قاضياً ثم قال : ما وجدته في كتاب الله فلا تسأل عنه أخداً ، وما لم تستبن
في كتاب الله فالزم السنة ، فإن لم يكن في السنة فاجتهد رأيك .

أقول : قد قدّمنا في المباحث السالفة أن كلّ ما يحتاج إليه الناس من
أمر الدين قد جاء به الكتاب والسنة يستنبط منهما الأحكام الجزئية .

وفي الأغانى قال عمر لشريح حين استقضاءه : لاتشار ، ولا تضار ، ولا تشتتر ولا تبع ، فقال عمرو بن العاص : يا أمير المؤمنين :
 إنَّ القضاة إن أرادوا عدلاً و فصلوا بين الخصوم فصلاً
 وزحزحوا بالحكم منهم جهلاً كانوا كمثل الغيث صامحلاً
 ثم قال : و له أخبار في قضايا كثيرة يطول ذكرها ، وفيها ما لا يستغنى عن ذكره ، منها محاكمة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في الدرع و قد قدّمناها في البحث السابق آنفاً .

وقد روى ثقة الإسلام الكليني في الكافي والصدوق في الفقيه وشيخ الطائفة في النهذيب والفيض في أبواب القضاء والشهادات من الوافي (ص ١٥٩ ج ٩) قضية قضى بها شريح أوّلاً ثم قضى بها أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بخلافه راداً عليه وهي :
 أن أمير المؤمنين عليه السلام دخل المسجد فاستقبله شابٌ يبكي و حوله قوم يسكتونه ، فقال عليّ عليه السلام : ما أبكاك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين إن شريحاً قضى عليّ بقضية ما أدري ما هي ، إن هؤلاء نفر خرجوا بأبي معهم في السفر فرجعوا ولم يرجع أبي فسألتهم عنه فقالوا : مات ، فسألتهم عن ماله ، فقالوا : ما ترك مالا فقدّمتهم إلى شريح فاستحلّفهم ، وقد علمت يا أمير المؤمنين أن أبي خرج و معه مال كثير ، فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام : ارجعوا ، فرجعوا و القتى معهم إلى شريح ، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : يا شريح كيف قضيت بين هؤلاء القوم ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ادعى هذا القتى على هؤلاء نفر أنهم خرجوا في سفر وأبوه معهم فرجعوا ولم يرجع أبوه ، فسألتهم عنه فقالوا : مات ، فسألتهم عن ماله فقالوا : ما خلف مالا ، فقلت للفتى : هل لك بيّنة على ما تدّعي ؟ فقال : لا ، فاستحلّفتهم فقال أمير المؤمنين عليه السلام : هيهات يا شريح هكذا تحكم في مثل هذا ؟ فقال : يا أمير المؤمنين فكيف ؟ .

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : والله لأحكمنّ فيهم بحكم ما حكم به خلق قبلي إلا داود النبيّ عليه السلام ، يا قنبر ادع لي شرطة الخميس . فدعاهم فوكل بكلّ

واحد منهم رجلاً من الشرطة ، ثمَّ نظر إلى وجوههم فقال : ما ذا تقولون ؟ أتقولون إنِّي لا أعلم ما صنعتُم بأب هذا الفتى ؟ إنِّي إذ الجاهل ، ثمَّ قال : فرَّقوهم غطِّوا رؤوسهم ففرَّق بينهم وأُقيم كلُّ رجل منهم إلى اسطوانة من أساطين المسجد ورؤوسهم مغطَّاةً بشياهم .

ثمَّ دعا عبیدالله بن أبي رافع كاتبه فقال : هات صحيفة و دواة ، وجلس أمير المؤمنين عليه السلام في مجلس القضاء واجتمع الناس إليه فقال لهم : إذا أنا كبرت فكبروا ، ثمَّ قال للناس : افرجوا .

ثمَّ دعا بواحد منهم فأجلسه بين يديه وكشف عن وجهه ثمَّ قال لعبيد الله : اكتب إقراره وما يقول . ثمَّ أقبل عليه بالسؤال فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : في أيِّ يوم خرجتم من منازلكم وأبو هذا الفتى معكم ؟ فقال الرجل : في يوم كذا وكذا ، قال عليه السلام في أيِّ شهر ؟ قال : في شهر كذا وكذا ، قال عليه السلام : في أيِّ سنة ؟ قال في سنة كذا وكذا ، قال : وإلى أين بلغتم من سفركم حين مات أبو هذا الفتى ؟ قال : إلى موضع كذا وكذا ، قال عليه السلام : في منزل من مات ؟ قال : في منزل فلان بن فلان : قال : وما كان مرضه ؟ قال : كذا وكذا ، قال عليه السلام : فكيف يوماً مرض ؟ قال : كذا وكذا ، قال عليه السلام : فمن كان يمرضه وفي أيِّ يوم مات ومن غسله وأين غسله ، ومن كفنه وبم كفنتموه ، ومن صلى عليه ومن نزل قبره ؟ فلمَّا سأله عن جميع ما يريد كبر أمير المؤمنين عليه السلام وكبر الناس جميعاً فارتاب أولئك الباقيون ولم يشكوا أنَّ صاحبهم قد أقرَّ عليهم وعلى نفسه ، فأمر عليه السلام أن يعطي رأسه وينطلق به إلى السجن .

ثمَّ دعا بآخر فأجلسه بين يديه وكشف عن وجهه ثمَّ قال عليه السلام ، كلا زعمتم أنِّي لا أعلم بما صنعتُم ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ما أنا إلاَّ واحد من القوم ولقد كنت كارهاً لقتله فأقرَّ .

ثمَّ دعا بواحد بعد واحد كلهم يقرُّ بالقتل وأخذ المال ثمَّ ردَّ الذي كان أمر به إلى السجن فأقرَّ أيضاً فالزمهم المال والدِّم .

فقال شريح : يا أمير المؤمنين وكيف كان حكم داود النبي ﷺ ؟
فقال ﷺ : إن داود النبي مرّ بغلّمة يلعبون وينادون بعضهم بيامات الدّين
فيجيب منهم غلام ، فدعاهم داود ﷺ فقال : يا غلام ما اسمك ؟ فقال : مات الدّين
فقال له داود : من سمّاك بهذا الاسم ؟ فقال : أمّي ، قال ﷺ : فانطلق داود ﷺ
إلى أمّه فقال لها : يا أيّتها المرأة ما اسم ابنك هذا ؟ فقالت : مات الدّين ، فقال
لها : ومن سمّاه بهذا الاسم ؟ قالت : أبوه ، قال : وكيف كان ذلك ؟ قالت : إن
أباه خرج في سفرله ومعه قوم وهذا الصبي حمل في بطني فانصرف القوم ولم ينصرف
زوجي فسألتهم عنه فقالوا : مات ، فقلت لهم : فأين ما ترك ؟ قالوا : لم يخلف شيئاً
فقلت : هل أوصاكم بوصيّة ؟ قالوا : نعم زعم أنك جبلى فما ولدت من ولد جارية
أه غلام فسمّيه مات الدّين ، فسمّيته .

قال داود : وتعريف القوم الذين كانوا خرجوا مع زوجك ؟ قالت : نعم
قال : فأحياءهم أم أموات ؟ قالت : بل أحياء ، قال : فانطلقني بي إليهم .
ثم مضى معها فاستخرجهم من منازلهم فحكم بينهم بهذا الحكم وبعينه وأثبت
عليهم المال والدّم ، ثم قال للمرأة : سمّي ابنك هذا عاش الدّين .
ثم إن الفتي والقوم اختلفوا في مال الفتى كم كان ؟ فأخذ أمير المؤمنين ﷺ
خاتمه وخواتيم من عنده ثم قال : اجبلوا بهذه السهام فأيكّم أخرج خاتمي فهو
صادق في دعواه ، لأنّه سهم الله وسهم الله لا يخيب .

ثم إن الكليني روى تلك القضيّة باسناده عن الأصبع بن نباتة أيضاً وقال :
إن أمير المؤمنين ﷺ لما رأى قضاء شريح فيها قال :

أوردها سعد وسعد مشتمل ماهكذا تورّد يا سعد الابل

وقال ﷺ : ما يغني قضاك يا شريح ، ثم قال ﷺ : والله لأحكمنّ فيهم
بحكم ما حكمه قبلي إلاّ داود النبي ﷺ - إلى آخرها .

بيان : قال الميداني في باب الألف من مجمع الأمثال في بيان مثل « آبل
من مالك بن زيد مناة » هو سبط تميم بن مرّة ، وكان يحقّ إلاّ أنه كان آبل أهل

زمانه ، ثم إنه تزوج وبني بامرأته فأورد الإبل أخوه سعد ولم يحسن القيام بها والرفق عليها ، فقال مالك : أوردها سعد ، البيت . فأجابه سعد وقال :

يظلّ يوم وردها مزعفرا وهي خناطيل تجوش الخضرا

وقال في فصل الواو الساكنة منه في بيان مثل « أوردها سعد وسعد مشتمل » يضرب لمن قصر في طلب الأمر . انتهى .

فمراده عليه السلام أن شريحا قصر في حكم هذه القضية ولم يحسن القيام به . وفي المجلد العاشر من البحار ص ٩٠ طبع الكمباني : ادعى رجل على الحسن ابن علي عليهما السلام ألف دينار كذبا ولم يكن له عليه فذهبا إلى شريح فقال للحسن عليه السلام أتحلف ؟ قال : إن حلف خصمي أعطيه ، فقال شريح للرجل : قل بالله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ، فقال الحسن عليه السلام : لا أريد مثل هذا لكن قل : بالله إن لك عليّ هذا وخذ الألف ، فقال الرجل ذلك وأخذ الدنانير ، فلما قام خرا إلى الأرض ومات ، فسئل الحسن عليه السلام عن ذلك فقال : خشيت أنه لو تكلم بالتوحيد يعفر له يمينه ببركة التوحيد ويحجب عنه عقوبة يمينه .

أقول : ونظير ذلك روى الشيخ المفيد في الإرشاد والكليني في الكافي والفيض في الوافي (ص ٢٤٥ ج ٥) عن أبي عبد الله عليه السلام وهو أن المنصور أمر الربيع باحضاره فأحضره فلمّا بصر به المنصور قال له : قتلني الله إن لم أقتلك أتلحد في سلطاني و تبغيني الغوائل ؟ فقال له أبو عبد الله عليه السلام : والله ما فعلت ولا أردت وإن كان يبلغك فمن كاذب ، ولو كنت فعلت فقد ظلم يوسف فعفر ، وابتلى أيوب فصبر ، واعطى سليمان فشكر ، فهؤلاء أنبياء الله وإليهم يرجع نسبك .

فقال له المنصور : أجل ارتفع ههنا فارتفع ، فقال له : إن فلان بن فلان أخبرني عنك بما ذكرت ، فقال : أحضره يا أمير المؤمنين ليوافقني على ذلك ، فأحضر الرجل المذكور فقال له المنصور : أنت سمعت ما حكيت عن جعفر عليه السلام ؟ قال : نعم ، فقال له أبو عبد الله عليه السلام : فاستحلفه على ذلك .

فقال له المنصور : أتحلف ؟ قال : نعم ، وابتدأ باليمين . فقال له أبو عبد الله

عليه السلام : دعني يا أمير المؤمنين أحلفه أنا ، فقال له : افعل فقال أبو عبد الله عليه السلام للساعي : قل : برئت من حول الله وقوتته والتجأت إلى حولي وقوتي لقد فعل كذا وكذا جعفر وقال كذا وكذا جعفر ، فامتنع منها هنيئة ثم حلف بها فما برح حتى ضرب برجله فقال أبو جعفر : جرّوا برجله فأخرجوه لعنه الله .

قال الربيع : و كنت رأيت جعفر بن محمد عليه السلام حين دخل على المنصور يحرّك شفتيه . فكلما حرّكهما سكن غضب المنصور حتى أدناه منه وقد رضي عنه ، فلما خرج أبو عبد الله عليه السلام من عند أبي جعفر اتبعته فقلت له : إن هذا الرجل كان من أشدّ الناس غضباً عليك فلما دخلت عليه دخلت وأنت تحرّك شفتيك وكلما حرّكتهما سكن غضبه فبأي شيء كنت تحرّكهما ؟ .

قال عليه السلام : بدعاء جدّي الحسين بن علي عليه السلام قلت : جعلت فداك وما هذا الدعاء ؟ قال : « يا عدّتي عند شدّتي ويا غوثي عند كربتي احرسني بعينك التي لاتنام واكتفني بركنك الذي لا يرام » .

قال الربيع : فحفظت هذا الدعاء فما نزلت بي شدّة قطّ إلاّ دعوت به ففرّج عني .

قال : وقلت لجعفر بن محمد عليه السلام : لم منعت الساعي أن يحلف بالله ؟ .

قال عليه السلام : كرهت أن يراه الله يوحدّه ويمجّده فيحلم عنه ويؤخّر عقوبته فاستحلفته بما سمعت ، فأخذه الله أخذاً رابية .

وفي عاشر البحار ص ١٧٩ طبع الكمباني أن ابن زياد لما ضرب بالقضيب هانياً رضوان الله عليه في قضية مسلم بن عقيل عليه السلام حتى كسر أنفه و سال الدماء على ثيابه و وجهه ولحيته ونثر لحم جبينه و خدّه على لحيته حتى كسر القضيب ثم أمر باللقاءه في بيت من بيوت الدار وحبسه فيه ببلغ عمرو بن الحجّاج أن هانياً قد قتل فأقبل في مذبح حتى أحاط بالتصرومعه جمع عظيم ، ثم نادى وقال : أنا عمرو بن الحجّاج وهذه فرسان مذبح ووجهها لم نخلع طاعة ولم نفارق جماعة وقد بلغهم أن أصحابهم قد قتل فأعظموها ذلك .

ف قيل لابن زياد : هذه فرسان مذحج بالباب ، فقال لشريح القاضي : ادخل على صاحبكم فانظر إليه ثم اخرج وأعلمهم أنه حي لم يقتل .
فدخل شريح فنظر إليه فقال هانئ لما رأى شريحاً : يا لله يا للمسلمين أهلكت عشيرتي أين أهل الدّين ؟ أين أهل المصر ؟ والدماء تسيل على لحيته إذ سمع الصيحة على باب القصر فقال : إني لأظنها أصوات مذحج وشيعتي من المسلمين إنه إن دخل عليّ عشرة نفر أنقذوني .

فلما سمع مقاله شريح خرج إليهم فقال لهم : إنّ الأمير لما بلغه كلامكم ومقاتلتكم في صاحبكم أسرني بالدخول إليه فأتيته فنظرت إليه فأمرني أن ألقىكم وأعرفكم أنه حي وأنّ الذي بلغكم من قتله باطل ، فقال له عمرو بن الحجاج وأصحابه : أما إذا لم يقتل فالحمد لله ، ثم انصرفوا .

وفي روضات الجنّات بعد نبذة من ترجمة شريح قال :

وبالجملة فالأخبار في خبائه رأي هذا الرّجل وسوء عاقبته كثيرة ، وحسب الدلالة على غاية ملعنته وشقاوته كونه من جملة من ترك إغاثة مولانا الحسين عليه السلام بكلمة خير عند بني أمية ، كانت تمكنه يقيناً بل كونه من جملة من تسبّب ذلك منه ومن أمثاله الذين كانوا يطأون بساط الظالم عبيد الله بن زياد الملعون في دار الإمارة كوفة ، كما يشهد بذلك واقعة مسلم بن عقيل المظلوم وولديه الشهيدين وما صدر منه في حقّهم وبدر منه على قتلهم ، ويؤيده أيضاً ما نقل عن أبي مخنف الأزدي صاحب المقتل أنّه ذكره من جملة من قتله المختار في زمن انتقامه من بني أمية وأتباعهم الملعونين . فليتمّ . انتهى قوله .

اختلف في سنّته فقيل : مائة وعشرون سنة ، وقيل : مائة وعشر ، وقيل : أقلّ من ذلك وأكثر ، وكان وفاته سنة سبع وثمانين للهجرة ، وقيل غير ذلك .

وفي الأغاني عن أبي سعيد الجعفي أنه مات في زمن عبد الملك بن مروان ، وفيه باسناده عن الأصمعي ولد شريح وهو ابن مائة سنة .

وفي الروضات ، أنّه كان خفيف الرّوح مزاحاً ويشهد بصحة هذه النسبة إليه

طول عمره فانّ من أشدّ ما ينقص به العمر وينقص به العيش إنّما هو زيادة الغيرة والاعتمام ، والشفقة على أهل الكروب . انتهى .

الترجمة

این کتابیست از امیرالمؤمنین علی علیه السلام که بقاضی خود شریح بن حارث مرقوم فرموده است :

روایت است که شریح در زمان خلافت امیرالمؤمنین علیه السلام که از جانب آن بزرگوار بسمت قضا منصوب بود ، خانه ای بهشتاد دینار خرید ، این خبر بآن جناب رسید و شریح را طلبید و بدو گفت که شنیدم خانه ای بهشتاد دینار خریده ای و سند و قبالة بر آن نوشته ای و جمعی را بر آن گواه گرفته ای ؟

شریح گفت : ای امیرالمؤمنین آری چنین است .

راوی گفت : چون علی این سخن از شریح بشنید خشمگین دروی نگر است و گفت ای شریح آگاه باش که بزودی کسی بسویت آید (مرگ ، یا جان شکر) که در قبالة ات ننگرد و از گواهی نپرسد تا از خانه تورا با چشم بی نور و جسم بی روح بدربرد و دست از همه چیز شده و جدا مانده بخانه گورت سپارد ، پس ای شریح با دیده بصیرت درنگر که مبادا آنرا از کسیکه مالک آن نبوده خریده باشی ، ویابهای آنرا از مال حرام داده باشی که در این سرا و آن سرا زیان کار خواهی بود .

بدان که گاه خرید آن اگر نزد من آمدی هر آینه این قبالة برایت نوشتمی که بدرمی آنرا نمیخریدی تا چه رسد که به بیشتر .

بسم الله الرحمن الرحيم این سرائیست که آنرا بنده ای خوار از مرده ای که از این سرا کوچش داده اند خریده است ، خانه ای خریده که مسافت آن از جانب فانی شدگان تا سرزمین هالکان است . این سرا محدود به چهار حد است . حد نخستین آن باسباب آفتها پایان می یابد ، و دوم آن بعلل مصیبتها ، حد سوم . به هوای نفس ، و چهارم آن به دیو گمراه کننده ، و در آن در این حد گشوده میشود .

این شخص فریب آرزو خورده این خانه را از آنکه مرگش فرارسید و کوچ داده شد بهیای از عزت قناعت بدر رفتن و در ذلت سؤال بدر آمدن ، خریده است . پس اگر عوارضی در این معامله از پی پدید آید بر عهده خراب کننده خانه کالبدشاهان - ورباینده جان ستمکاران ، و نابود کننده سلطنت فرعونان ، همچون شاهان پارس و ملوک روم و سلاطین و والیان یمن ، و آنانکه مال را بر مال نباشند و بنا کردند و برافراشتند ، و زینتش دادند و بیاراستند ، و گنج نهفتند و آب و خاک گرد آوردند ، و بدلسوزی فرزندان و بخیالی یاری آنان مال اندوخته اند - میباشد که فروشنده و خریدار و آنکه درک باو تعلق گرفته همه را در پیشگاه عدل الهی که خلائق را برای پرسش سان دهند و بیاداش و کیفر رسانند ، حاضر کند تا آنگاه که فرمان خداوند قهار بفصل میان حق و باطل فرود آید مهم دعوی ایشان فیصل یابد ، در آنجا تباه پیشه گان باطل کیش زیانکار شوند .

خرد آزاد از بردگی هوی ، و سالم از امراض علائق دنیا بر این قباله شاهد عادل و حجت بالغ است .

و من کتاب له عليه السلام الی بعض امراء جیشه

و هو الكتاب الرابع من باب المختار

من كتبه عليه السلام و رسائله :

فَإِنْ عَادُوا إِلَىٰ ظِلِّ الطَّاعَةِ فَذَلِكَ الَّذِي نَجِبُ ، وَإِنْ تَوَافَتِ الْأُمُورُ
بِالْقَوْمِ إِلَى الشَّقَاقِ وَالْعِصْيَانِ فَانْهَدِ بِمَنْ أَطَاعَكَ إِلَىٰ مَنْ عَصَاكَ ،
وَاسْتَعْنِ بِمَنْ أَنْقَادَ مَعَكَ عَمَّنْ تَقَاعَسَ عَنْكَ ، فَإِنَّ الْمُتَكَارِهَ مَغِيبُهُ خَيْرٌ
مِنْ مَشْهَدِهِ (شهودم - خ ل) وَ قُعودُهُ أَغْنِي مِنْ نُهوِضِهِ .

اللغة

(توافت الأمور) أى تتأمت ، (الشقاق) بالكسر : المخالفة و العداوة
 (انهذ) أى انهض أمر من نهذ إلى العدو من بابي منع ونصر أى قصد لهم وأسرع
 في قتالهم ونهض إليهم ، والمناهدة المناهضة في الحرب يقال : نهذ لعدوه وإليه نهوداً
 ونهداً بالفتح والتحريك إذا صمد لهم . و (استغن) بالغين المعجمة أمر من الاستغناء
 وفي كثير من النسخ جعل بالهملة من الاستعانة وكذا مال غير واحد من المفسرين
 والمترجمين إلى المهمله لكنّه مذهب مهمل وطريقة عمياء كما سيوضح لك وجهه
 في تقرير الإعراب وتحرير المعنى إنشاء الله تعالى .
 (تقاعس عنك) أى أبطأ وتأخر عنك وتكاره القتال (المتكاره) : المتسخط
 من تكارهه إذا تسخطه ولم يرض به يقال : فعله على تكارهٍ ومتكارهاً . و (المغيب)
 و (المشهد) مصدران كالغيبية والشهود .

الاعراب

(الفاء) في قوله عبدالله بن : فذاك رابطة للجواب ، لأنّ جواب الشرط أعني
 ذاك الذي يحبّ جملة اسمية فيها من المواضع الستة التي لا تصلح لأن تكون
 شرطاً فيجب دخول الفاء فيها نحو قوله تعالى : « وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء
 قدير » . وكذا الفاء في قوله : فانهد ، لأنّ الفعل هنا إنشائي فهذه الجملة من تلك
 المواضع أيضاً نحو قوله تعالى : « إن كنتم تحبّون الله فاتبعوني » .
 (بمن أطاعك) الباء صلة لقوله : فانهد إمّا بمعنى المصاحبة والمعية . أو
 الاستعانة .

(إلى من عصاك) صلة لقوله فانهد أيضاً لا أطاعك لما علم في اللغة أنّه يقال
 نهذ لعدوه وإليه . (عمّن تقاعس) متعلق بقوله استغن أيضاً ولا يصح استعمال عن
 مع الاستعانة .

(فانّ المتكاره) الفاء في مقام التعليل لقوله عبدالله بن : استغن ، فهي فصيحة تنبيه
 عن محذوف يدلّ عليه ما قبله ، و كأنّ الجملة جواب عن سؤال مقدر ، والتقدير :
 وما علّة الاستغناء بمن انقاد عمّن تقاعس ؟ فأجاب بقوله : لأنّ المتكاره - الخ .

وجملة (مغيبه خير من مشهده) خبر لاسم إن أعني المتكاره . وجملة (قعوده أعنى من نهوضه) معطوفة على الأولى .

المعنى

هذا الكلام هو جزء من كتاب له عليه السلام كما هو من دأب الشريف الرضي رضوان الله عليه من اختيار محاسن كلامه والبليغ منه ورفض ما عاده كما نبهنا به غير مرة في شروحنا السالفة ، وهذا هو الظاهر من قوله : فان عادوا إلى ظل الطاعة ، الخ وهذا لامرية فيه إلا أنا لم نظن به في الكتب الموجودة عندنا بعد ، ولكن قال الشارح البحراني والمولى فتح الله القاساني : روي أن الأمير الذي كتب إليه هو عثمان بن حنيف عامله على البصرة ، وذلك حين انتهت أصحاب الجمل إليها وعزموا على الحرب ، فكتب عثمان إليه عليه السلام يخبره بحالهم ، فكتب عليه السلام إليه كتاباً فيه الفصل المذكور .

قوله عليه السلام (فان عادوا إلى ظل الطاعة فذاك الذي نحب) الضمير في عادوا يرجع إلى نا كني بيعته عليه السلام أعني طلحة والزبير وأتباعهما ، وقد قدّمنا في مباحثنا السالفة أنه لما تم أمر البيعة لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام و أيس طلحة والزبير مما كانا يرجوان به من قتل عثمان بن عفان من البيعة لأحدهما بالإمامة نقضوا العهد ونكثوا البيعة وخرجوا إلى مكة واجتمعوا فيه و رأوا في ذلك أمرهم فتحقق عزمهم على المسير إلى البصرة ، وسارت معهم عائشة بخدعتهم ومكرهم ، حيث بعث طلحة والزبير في مكة إلى عائشة عبد الله بن الزبير وقال له : امض إلى خالتك فاهد إليها السلام منا وقل لها : إن طلحة والزبير يقرءانك السلام ويقولان لك : إن أمير المؤمنين عثمان قتل مظلوماً وأن علي بن أبي طالب ابتز الناس أمرهم وغلبهم عليه بالسفهاء الذين تولوا قتل عثمان ونحن نخاف انتشار الأمر به فان رأيت أن تسيري معنا لعل الله يرتق بك فتق هذه الأمة ، ويشعب بك صدعهم ، ويلم بك شعثهم ، ويصلح بك أمورهم .

فأتاها عبد الله فبلغها ما أرسله به فأظهرت الامتناع أولاً ثم أجابتهما غداً

إلى الخروج .

فلما انتهوا إلى البصرة وعزموا على الحرب كتب عثمان بن حنيف وكان عاملاً أمير المؤمنين علي عليه السلام وقتئذ في البصرة إلى أمير المؤمنين بحالهم .
فكتب عليه السلام إليه : فان عادوا إلى ظلّ الطاعة فذاك الذي نحبّ وإنما استعار لفظ الظلّ لأنّ الطاعة كما قيل يستلزم السلامة و الرفاهة و الراحة عن حرارة الحرب كما يستلزم الظلّ الراحة من حرارة الشمس قال تعالى « وظللنا عليكم الغمام » امتناناً عليهم حيث سخّر لهم السحاب تسيير بسيرهم في التيه و تظلمهم من حرارة الشمس .

وفي الحديث ، السلطان ظلّ الله في الأرض ، استعار الظلّ له لأنه يدفع الأذى عن الناس كما يدفع الظلّ أذى الشمس .

ويمكن بيانه بوجه أدقّ وألطف من هذا وهو أنّ المراد من السلطان هو السلطان العادل الإلهي وإنّما كان ظلّه تعالى بمعنى أنّه مظهره الأتمّ ومجلى أسمائه الحسنی ، وصفاته العليا يحكي عنه بحيث من رآه كأنما رأى الله كما يحكي الظلّ عن ذي الظلّ وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال : من رأىني فقد رأى الله .

قوله عليه السلام (وإن توافت الأمور - إلى قوله - من عصاك) أي إن تنامت الأمور بالقوم وتهيأت لهم أسباب المخالفة وتوافقت وسلّمكم في الشقاق و العصيان فانهض وأسرع مع من انقاد لك إلى من خالفك وخرج عن طاعتك أي الناكثين وأشياهم .

قوله عليه السلام (واستغن بمن انقاد - الخ) من نظري كلامه عليه السلام حقّ النظر وتدبّر فيه علم أنّ قوله عليه السلام : فإن المتكاره مغيبه خير من مشهده اه في مقام التعليل لقوله : واستغن كما قدّمناه في الاعراب ، و هذا لا يناسب إلا أن يكون استغن أمراً من الاستغناء لا بالعين المهملة من الاستعانة ، فانه عليه السلام بين وجه الاستغناء بالمتقاد عن المتقاعس أي المتكاره بأن المتكاره عدم حضوره في الحرب خير من حضوره فيه ، لأنّه لا يقاتل على جدّه واهتمام كما يقال بالفارسية : سگ که

بزورش بشکار برند از او تک نیاید ، و ربما انهزم و ولى الدُّبُر في أثناء الحرب فساءتئذ عمله هذا يوجب التخازل والوهن والضعف في العسكر فيتبعونه في الفرار ونعم ما قاله السعديُّ بالفارسيَّة :

آنکه جنگ آرد بخون خویش بازی میکند

روز میدان ، وانکه بگریزد بخون لشگری

فالمتمكارة يوجب مغيبه عن الحرب عدم الإبتفاع به فقط ، وحضوره في الحرب موجب للمفسدة العظيمة التي هي تخازل العسكر و وهنهم ، فمغيبه خير من شهوده وكذا ععوده عن الحرب أغنى من نهوضه إليها ، ومثل قوله هذا قوله تعالى : « لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلاّ خبالاً » (التوبة - ٤٨) والعجب من شارح البحراني والمولى فتح الله القاساني زهبا إلى أنّ قوله : استعن ، أمر من الاستعانة ، على أنّ صلة الاستعانة لا تكون كلمة عن العجالة ، وأمّا الشارح المعتزلي فلم يتفوه بشيء ، والأمر بين ، والمخالف مكابر .

الترجمة

یکی از نامه های امیرالمؤمنین عليه السلام این کتابست که آنرا ببعضی از سرداران لشکرش نوشته .

(این مقدار که در نهج البلاغه مذکور است برخی از آن نامه است که آنرا مرحوم سید رضی از تمام نامه اختیار کرده است زیرا آنچه که بیشتر مورد اهتمام سید رضی بود انتخاب کلمات فصیح و جمله های بلیغ آنحضرت است ، و روایت شده که آن سردار سپه عثمان بن حنیف بود که در شهر بصره عامل آنحضرت بود و ارسال این نامه بعثمان وقتی بود که طلحه و زبیر و اتباع آندو پیمانی را که بآن حضرت بستند شکستند ، و نقض بیعت کردند ، و با لشکر بسیار از مکه بجانب بصره روان شدند که فتنه جنگ جمل را برانگیختند و عثمان بن حنیف صورت واقعه را برای امام عليه السلام مرقوم داشت ، و امام در جوابش فرمود) :

پس اگر آن گروه بیعت شکن برگشتند بسایه فرمانبرداری ، این خود

همان است که ما میخواهیم و دوست میداریم ، و اگر کارها تمام شود بایشان یعنی اسباب و علل مخالفت برای آنها مهیا گردد که ایشانرا بمخالفت و نافرمانی کشاند پس بمعاونت کسانیکه تورا فرمان برده اند قیام کن بجنگ کسانیکه نافرمانی کرده اند و عاصی گشته اند . و بی نیازی جو بکسانیکه گردن نهادند از کسانی که از یاری تو و حضور در معرکه کراهت دارند و باز پس میایستند ، زیرا آنکه از حضور در عرصه جنگ کاره است نبودش در جنگ بهتر از حضورش است و باز نشستنش از جنگ بی نیاز کننده تر و سودمندتر است از نهضتش .

و من کتاب له عليه السلام الی الاشعث بن قیس و هو
عامل آذربایجان ، و هو الکتاب الخامس
من باب المختار من کتبه و رسائله عليه السلام

وَ إِنْ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطَعْمَةٍ ، وَ لَكِنَّهُ فِي عُنُقِكَ أَمَانَةٌ ، وَ أَنْتَ
مُسْتَرَعِي لِمَنْ فَوْقَكَ ، لَيْسَ لَكَ أَنْ تَفْتَاتَ فِي رَعِيَّةٍ ، وَ لَا تُخَاطِرَ إِلَّا
بِوَيْثِقَةٍ ، وَ فِي يَدَيْكَ مَالٌ مِنْ مَالِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ أَنْتَ مِنْ خَزَائِنِ حَتَّى
تَسْلَمَهُ إِلَيَّ ، وَ لَعَلِّي أَنْ لَا أَكُونَ شَرًّا وَ لَا تَكَّ لَكَ ، وَ السَّلَامُ .

اللغة

(الطعمة) بضم الطاء المهملة المشالة: المأكلة ووجه الكسب والجمع طعم كصرد على وزان العرفة والغرف . (مسترعى) على هيئة المفعول أي من استرعاه آخر فوفه بمعنى أن طلب منه حفظ أمر من الأمور وجعله راعياً لذلك الأمر فذلك الآخر مسترع ، ومنهما في زيارة الأئمة عليهم السلام : و استرعاكم أمر خلقه ، أي جعلكم رعاة وولاية وحافظة على خلقه وجعلهم رعية لكم تحكمون بهم بما أجزتم وأمرتم . قاله الطريحي

في مجمع البحرين .

(تفتات) مضارع افتتأ بالفاء والهمزة من باب الافتعال و أصله فأت وفي القاموس : افتتأ برأيه استبدتاً ، ويصح أن يقرأ تفتات كتححتاج من الافتيات ، وأصله الفتوت ، والافتيات الاستبداد أي السابق إلى الشيء من دون إيتمار من يؤتمر إليه و يقال بالفارسيّة : خود سري كار كردن ، وفلان افتات برأيه أي استبدت به كافتتأت بالهمزة ، وفلان لا يفتتات عليه أي لا يعمل شيء دون أمره .

(رعيّة) الرعيّة : المرعيّة فعيلة بمعنى مفعولة و الجمع رعايا كشطية وشظايا (تخاطر) المخاطرة : الإقدام في الأمور العظام والاشراف فيها على الهلاك يقال : خاطر بنفسه مخاطرة ، إذا عرضها للمخطر .

(وثيقة) الوثيقة ما يوثق به في الدين فهي فعيلة بمعنى المفعول أي موثوق به لأجل الدين ، والتاء فيها لتقل اللفظ من الوصفيّة إلى الإسميّة كالحقيقة ، ويقال فلان أخذ في أمره بالوثيقة أي احتاط فيه .

(خزّاني) الخزّان جمع الخازن كطلاب وطالب وهو الذي يتولّى حفظ المال المخزون والمدّخر . (ولا تك) الولاة جمع الوالي كالقضاة والقاضي والوالي الولي كما يقال القادر والتقدير وهو المتولّي للشيء والفاعل له ، قال جواس الكلبى (الحماسة ٦٣٣) :

كنّا ولاة طعناها و ضربها حتى تجلت عنكم نعماتها

الاعراب

لك متعلّق بالطعمة وكذلك في عنقك بالأمانة قدّما توسّعاً للظروف ، والباء في طعمة زائدة في خبر ليس للتأكيد . جملة أن تفتتأت في رعيّة مأوثة بالمصدر المرفوع حتّى يكون اسم ليس . وجملة ولا تخاطر إلّا بوثيقة معطوفة عليها . والظاهر أن كلمة حتّى بمعنى إلى أن كما أنها بهذا المعنى في البيت المقدّم آنفاً . وجملة أن لا أكون - إلى قوله - والسلام ، مأوثة بالمصدر المرفوع خبر لعل . والسلام مبتداء وخبره محذوف ، والتقدير والسلام على من اتبع الهدى ، أو والسلام لأهله

بقريئة كتبه الآتية .

المعنى

هذا الكتاب جزء من كتاب كتبه إلى الأشعث بن قيس بعد انقضاء الجمل والكتاب بتمامه مذکور مسنداً في كتاب صفين لنصر بن مزاحم المتهجري الكوفي (ص ١٣ من الطبع الناصري ١٣٠١ هـ) كما سنتلوه عليك .

قال نصر في أوّل كتاب صفين : قال عمر بن سعد بن أبي الصيد الأسدي ، عن الحارث بن حصيرة ، عن عبدالرحمن بن عبيد بن أبي الكنود وغيره قالوا : لما قدم عليّ عليه السلام من البصرة إلى الكوفة يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة مضت من رجب سنة ثلاث وستين (١) وقد أعزّ الله نصره وأظهره على عدوّه ومعه أشرف الناس من أهل البصرة وغيرهم استقبله أهل الكوفة وفيهم قرآؤهم وأشرفهم ، فدعوا له بالبركة وقالوا : يا أميرالمؤمنين أين تنزل ؟ أنزل القصر ؟ فقال : لا ، ولكنني أنزل الرّحبة ، فمزّلها وأقبل حتّى دخل المسجد الأعظم فصلى فيه ركعتين ثمّ صعد المنبر .

« أول خطبة خطبها اميرالمؤمنين في الكوفة لما قدم من »

« البصرة اليها وقد أظهره الله على أعدائه الناكثين »

فحمدالله وأثنى عليه وصلى على رسوله وقال : أمّا بعد يا أهل الكوفة فإنّ لكم في الاسلام فضلاً ما لم تبدّلوا وتغيّروا ، دعوتكم إلى الحقّ فأجبتكم ، وبدأتم بالمنكر فغيّرتكم ، ألا إنّ فضلكم فيما بينكم وبين الله في الأحكام والقسم ، فأنتم أسوة من أجايبكم ، ودخل فيما دخلتم فيه ، ألا إنّ أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل ، فأما اتباع الهوى فيصدّ عن الحقّ ، وأما طول الأمل فينسي الآخرة ، ألا إنّ الدنيا قد ترحلت مدبرة ، والآخرة قد ترحلت مقبلة ، ولكلّ واحدة منهما بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة ، اليوم عمل ولا حساب ، وغداً حساب ولا عمل ، الحمد لله الذي نصروليّه وخذل عدوّه ، وأعزّ الصادق المحقّ ، وأذلّ

(١) كذا في الاصل لكن الظاهر « سنة ست وثلاثين » المصحح .

الناكث المبطل .

عليكم بتقوى الله وطاعة من أطاع الله من أهل بيت نبيكم الذين هم أولى بطاعتكم فيما أطاعوا الله فيه من المنتحلين المدّعين المقابلين إلينا ، يتفضلون بفضلنا ويجاحدوننا أمرنا ، وينازعوننا حقنا ، ويدافعونا عنه ، فقد ذاقوا وبال ما اجترحوا فسوف يلقون غيماً ، ألا إنّه قد قعد عن نصرتي منكم رجال فأنا عليهم عاتب زارٍ فاهجروهم ، وأسمعوهم ما يكرهون حتىّ يعبتوا ليعرف بذلك حزب الله عند الفرقة .
أقول : قد أتى الرضّيُّ ببعض هذه الخطبة في النهج وهي الخطبة الثانية والأربعين من باب الخطب أوّلها : أيّها الناس إنّ أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل - الخ ، وبين النسختين اختلاف في الجملة .

فقام إليه مالك بن حبيب اليربوعي وكان صاحب شرطته ، فقال : والله إنني لأرى الهجر وسماع المكروه لهم قليلاً ، والله لئن أمرتنا لنقتلنهم ، فقال عليٌّ : سبحان الله يامالٍ ، جزت المدى ، وعدوت الحدّ ، وأغرقت في النزاع ، فقال : يا أمير المؤمنين :

لبعض الغشم أبلغ في أُمور تنوبك من مهادنة الأعداي

فقال عليٌّ عليه السلام : ليس هكذا قضى الله ، يا مالٍ قتل النفس بالنفس فما بال الغشم ، وقال : « ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنّه كان منصوراً » والإسراف في القتل أن تقتل غير قاتلك فقد نهى الله عنه وذلك هو الغشم .
فقام إليه أبو بردة بن عوف الأزديُّ وكان ممّن تخلف عنه فقال : يا أمير المؤمنين أ رأيت القتلى حول عائشة والزبير وطلحة بهم قتلوا ؟ .

قال عليٌّ عليه السلام : قتلوا شيعتي وعمّا لي و قتلوا أخا ربيعة العبدي رحمة الله عليه في عصابة من المسلمين قالوا : لا ننكث كما نكثتم ، ولا نغدر كما غدرتم فوثبوا عليهم فقتلوهم فسألتهم أن يدفعوا إليّ قتلة إخواني أقتلهم بهم ثمّ كتاب الله حكم بيني وبينهم فأبوا عليّ فقاتلوني وفي أعناقهم بيعتي ودماء قريب من ألف رجل من شيعتي فقتلتهم بهم أي شك أنت من ذلك ؟

قال : قد كنت في شكٍ فأما الآن فقد عرفت واستبان لي خطأ القوم وأنت أنت المهدي المصيب ، وكان أشياخ الحي يذكرون أنه كان عثمانياً ، وقد شهد مع عليّ على ذلك صفين لكنّه بعد ما رجع كان يكتب معاوية ، فلما ظهر معاوية أقطعهم قطعة بالفلوجة وكان عليه كريماً .

ثم إن علياً ﷺ تهيأ لينزل وقام رجال ليتكلموا ، فلما رأوه نزل جلسوا وسكتوا .

نصر : أبو عبد الله سيف بن عمر ، عن سعد بن طريف ، عن الأصبع بن نباتة أن علياً لما دخل الكوفة قيل له : أي القصر ينزلك؟ قال : قصر الخبال لا تنزلونيّه فنزل على جعدة بن هبيرة المخزومي .

أقول : الخبال على وزن السحاب : الفساد والنقصان وأراد منه قصر دار الامارة وكانه ﷺ سمّاه به لما وقع فيه قبله من أمراء الجور وعمال أهل النفاق والشقاق من الهلكة والفساد والنقصان . وجعدة بن هبيرة كان ابن أخته ﷺ أمّه أم هانئ بنت أبي طالب كانت تحت هبيرة بن أبي وهب المخزومي وقد قدّمنا الكلام فيه في شرح الخطبة ٢٣١ (ص ٣٤ ج ١٥) فراجع .

نصر : عن الفيض بن محمد ، عن عون بن عبد الله بن عتبة قال : لما قدم عليّ ﷺ الكوفة نزل على باب المسجد فدخل وصلى ثم تحوّل فجلس إليه الناس فسأل عن رجل من أصحابه كان ينزل الكوفة؟ فقال قائل : استأثر الله به . فقال ﷺ : إن الله لا يستأثر بأحد من خلقه إنما أراد الله بالموت إعراز نفسه وإذلال خلقه وقرأ « وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم » . قال : فلما لحق النقل قالوا : أي القصر ينزل؟ فقال ﷺ : قصر الخبال لا تنزلونيّه .

نصر : عن سيف قال : حدثني اسماعيل بن أبي عميرة ، عن عبد الرحمن بن عبيد ابن أبي الكنود أن سليمان بن صرد الخزاعي دخل على عليّ بن أبي طالب ﷺ بعد رجوعه من البصرة فعاتبه وعذله وقال له : ارتبت وتربّصت وراوت ، وقد كنت من أوثق الناس في نفسي ، وأسرعهم فيما أظنّ إليّ نصرتي ، فما قعد بك عن أهل بيت

نبيك وما زهدك في نصرهم ؟ .

فقال : يا أمير المؤمنين لا تردن الأمور على أعقابها ، ولا تؤنّبني بما مضى منها ، واستبق مودّتي يخلص لك نصيحتي و قد بقيت أمور تعرف فيها وليك من عدوئك ، فسكت عنه ، و جلس سليمان قليلاً ثم نهض فخرج إلى الحسن بن علي عليه السلام وهو قاعد في المسجد فقال : ألا أعجبك من أمير المؤمنين و ما لقيت منه من التبكيت والتوبيخ ؟ فقال الحسن عليه السلام : إنّما يعاتب من تُرجى مودّته ونصيحته ، فقال : إنه بقيت أمور سيستوسق فيها القنا ، و ينتضى فيها السيوف و يحتاج فيها إلى أشباهي ، فلا تستبشعوا غيبتني ، ولا تتهموا نصيحتي . فقال له الحسن عليه السلام : رحمك الله ما أنت عندنا بالظنين .

نصر : عن عمر يعني ابن سعد عن نمير بن وعله ، عن الشعبي ، أن سعيد بن قيس دخل على علي بن أبي طالب عليه السلام فسلم عليه فقال له علي عليه السلام : وعليك ، وإن كنت من المتربّصين ، فقال : حاش لله يا أمير المؤمنين لست من أولئك قال : فعل الله ذلك .

نصر : عن عمر بن سعد عن يحيى بن سعيد ، عن محمد بن مخنف قال : دخلت مع أبي علي عليه السلام حين قدم من البصرة وهو عام بلغت الحلم ، فاذا بين يديه رجال يؤنّبهم ويقول لهم : ما بطأ بكم عنّي وأنتم أشراف قومكم ؟ والله لئن كان من ضعف النية و تقصير البصيرة إنكم لبور ، والله لئن كان من شك في فضلي ومظاهرة علي عليه السلام إنكم لعدو .

قالوا : حاش لله يا أمير المؤمنين نحن سلمك و حرب عدوئك . ثم اعتذر القوم فمنهم من ذكر عذره ، و منهم اعتلّ بمرض ، و منهم من ذكر غيبته فنظرت إليهم فمرقتهم فاذا عبدالله بن المعتم العبسي ، و إذا حنظلة بن الربيع التميمي ، و كلاهما كانت له صحبة ، و إذا أبو بردة بن عوف الأزدي ، و إذا غريب بن شرحبيل الهمداني قال : و نظر علي عليه السلام إلى أبي فقال : لكن مخنف بن سليم و قومه لم يتخلّفوا و لم يكن مثلهم مثل القوم الذين قال الله تعالى « و إن منكم لمن ليبطئن » فإن

أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله عليّ إذ لم أكن معهم شهيداً ولئن أصابكم فضل من الله ليقولنّ كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً « (النساء - ٧٤) ثمّ إنّ علياً ﷺ مكث بالكوفة .

أقول : كل ما ذكرنا ونقلنا من كلماته ﷺ عن كتاب صفين بعد الخطبة المذكورة آنفاً ما ذكرت في النهج مع أنها من محاسن كلامه ﷺ سيما قوله ﷺ لسليمان بن سرد الخزاعي : ارتبت وتربّصت - الى قوله - وما زهدك في نصرهم ولعل الرّضيّ رضوان الله عليه لم يظفر بها . والله العالم .

« خطبته عليه السلام في الجمعة بالكوفة والاشارة »

« الى مسألة فقهية في المقام »

نصر : عن أبي عبد الله سيف بن عمر ، عن الوليد بن عبد الله ، عن أبي طيبة ، عن أبيه قال : أتت عليّ ﷺ الصلاة يوم دخل الكوفة فلما كانت الجمعة وحضرت الصلاة صلى بهم وخطب خطبة .

نصر : قال أبو عبد الله عن سليمان بن المغيرة ، عن عليّ بن الحسين خطبة عليّ ابن أبي طالب في الجمعة بالكوفة والمدينة أن : الحمد لله أحمده وأستعينه وأستديه وأعوذ بالله من الضلالة ، من يهدي الله فلا مضلّ له ، ومن يضلّل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، وأنّ محمداً ﷺ عبده ورسوله انتجبه لأمره واختصّه بالنبوة ، أكرم خلقه عليه ، وأحبهم إليه ، فبلغ رسالة ربّه ، ونصح لأئمته وأدّى الذي عليه .

وأوصيكم بتقوى الله فإنّ تقوى الله خير ما تواصى به عباد الله وأقربه لرضوان الله وخيره في عواقب الأمور عند الله ، وبتقوى الله أمرتم ، وللإحسان والطاعة خلقتم ، فاحذروا من الله ما حذركم من نفسه ، فإنّه حذر بأساً شديداً ، واخشوا الله خشية ليست بتعذير ، واعملوا في غير رياء ولا سمعة ، فإنّه من عمل لغير الله وكلّه الله إلى ما عمل له ، ومن عمل لله مخلصاً تولّى الله أجره ، وأشفقوا من عذاب الله فإنه لم يخلقكم عبثاً ، و لم يترك شيئاً من أمركم سدى ، قد سمى آثاركم

وعلم أعمالكم ، وكتب آجالكم ، فلاتغترّوا بالدنيا فإنها غرارة بأهلها ، مغرور من اغترّ بها ، وإلى فناء ما هي ، إنّ الآخرة هي دار الحيوان لو كانوا يعلمون أسأل الله منازل الشهداء ، ومرافقة الأنبياء ، ومعيشة السعداء ، فإنما نحن له وبه .
أقول : ذكر بعض هذه الخطبة وهو قوله عليه السلام : واخشوه خشية ليست بتعذيب واعملوا في غير رياء ولا سمعة فإنه من عمل لغير الله وكتله الله إلى ما عمل له نسأل الله منازل الشهداء ومعيشة السعداء ومرافقة الأنبياء ، في النهج في ضمن الخطبة ٢٣ أوّلها : أمّا بعد فإنّ الأمر ينزل من السماء إلى الأرض - الخ ، إلا أنّ في النهج ذكر مكان وكله إلى ما عمل له : يكله الله إلى من عمل له .

وكذا ذكر بعضها وهو قوله عليه السلام : فإنه لم يخلقكم عبثاً ، ولم يترك شيئاً من أمركم سدى ، قد سمى آثاركم ، وعلم أعمالكم ، وكتب آجالكم ، في ضمن الخطبة ٨٤ أوّلها : قد علم السرائر وخبر الضمائر - الخ .

ولكنّ الخطبة المذكورة بتمامها على تلك الهيئة ليست بمذكورة في النهج وشرذمة من صدرها مذكورة في خطبة يوم الجمعة المروية في الكافي عن أبي جعفر عليه السلام .

ثمّ اعلم أنّه يجب في صلاة الجمعة الخطبتان قبل الصلاة ، لأنّ الخطبة شرط في صحّة الجمعة ، وروى محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال : ليس تكون الجمعة إلاّ بخطبة .

وصورة الخطبتين جاءت في الجوامع على أنحاء ، ففي الكافي روى عن أبي جعفر عليه السلام على صورة ثمّ عن أمير المؤمنين علي عليه السلام على صورة أخرى ، وفي الفقيه روى عنه عليه السلام أيضاً على صورة أخرى غير ما في الكافي ، وذكر كل واحد منها في الوسائل للعاملي وكذا في الوافي من ص ١٧٠ إلى ١٧٤ من المجلّد الخامس فلا حاجة إلى نقلها هنا .

ثمّ إنّها تعابير الخطبة المنقولة من نصر في صفين ولم يعلم من نصر أنّها الخطبة الأولى أو الثانية ، ولكن ما يناسب أحكام الجمعة وسائر الروايات أن تكون

هي للأولى والثانية كليهما ، وذلك لأن جمع الروايات يدل على أنهما شاملتين على حمد الله تعالى والثناء عليه والصلاة على النبي عليه السلام و قراءة شيء من القرآن سواء كانت سورة خفيفة أو آية تامة الفائدة، و عظام الناس، والخطبة المذكورة حائزة لها . وإن كان الأوفق بالإحتياط في الأولى أن يحمده الله ويشئ عليه ويوصى بتقوى الله ويقرأ سورة من القرآن قصيرة ، وفي الثانية بعد الحمد و الثناء أن يصلى على محمد وأئمة المسلمين ويستغفر للمؤمنين ، والبحث عنها على التفصيل موكول إلى الفقه أعرضا عنه خوفاً من الإطتاب والخروج عن موضوع الكتاب .

« صورة كتابه بتمامه الى الأشعث بن قيس »
« نقلا مسنداً عن نصر في صفين »

قال نصر : ثم إن علياً عليه السلام أقام بالكوفة و استعمل العمال و بعث إلى الأشعث بن قيس الكندي .

نصر : محمد بن عبيد الله عن الجرجاني قال : لما بويع علي عليه السلام و كتب إلى العمال كتب إلى الأشعث بن قيس مع زياد بن مرحب الهمداني و الأشعث علي آذربيجان عامل لعثمان و قد كان عمرو بن عثمان تزوج ابنة الأشعث بن قيس قبل ذلك فكتب إليه علي عليه السلام :

بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالله علي أمير المؤمنين إلى الأشعث بن قيس
أما بعد فلولا هبات كنت فيك كنت المقدم في هذا الأمر قبل الناس ، و لعل أمرك يحمل بعضه بعضاً إن اتقيت الله ، ثم إنه كان من بيعة الناس إياي ما قد بلغك ، و كان طلحة والزبير ممن باعاني ثم نقضاي عتي علي غير حدث ، و أخرجوا أم المؤمنين و سارا إلى البصرة فسرت إليهما فالتقينا فدعوتهم إلى أن يرجعوا فيما خرجوا منه فأبوا ، فأبلغت في الدعاء و أحسنت في البقية ، و إن عمك ليس لك بطعمة ، و لكنّه أمانة و في يديك مال من مال الله و أنت من خزائن الله عليه حتى تسلمه إلي و لعلني أن لا أكون شرّاً و لانتك لك إن استقيمت ، و لا قوة إلا بالله .

أقول : و قد روى الكتاب الشارح البحراني عن الشعبي و بينهما و بين ما في النهج اختلاف في بعض الكلمات و الجمل في الجملة .

فما نقل عن الشعبي : أمّا بعد فلولا هنات كنت منكم كنت المقدّم في هذا الأمر قبل الناس ، ولعلّ آخر أمرك يحمد أوّله وبعضه بعضاً إن اتّقيت الله ، إنه قد كان من بيعة النّاس إيتاي ما قد بلغك ، وكان طلحة والزبير أوّل من بايعني ثمّ نقضا بيعتي عن غير حدث ، وأخرجوا عايشة فساروا بها إلى البصرة فصرت إليهم في المهاجرين والأنصار ، فالتقينا فدعوتهم إلى أن يرجعوا إلى ما خرجوا منه فأبوا فأبلغت في الدّعاء وأحسنت في البقيّة ، واعلم أن عمّلك إلى آخر الفصل على ما في النهج ، وكتب عبدالله بن أبي رافع في شعبان سنة ست وثلاثين .

قال نصر : فلمّا قرأ الأشعث الكتاب قام زياد بن مرحب فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال : أيّها النّاس إنه من لم يكفه القليل لم يكفه الكثير ، إن أمر عثمان لا ينفع فيه العيان ولا يشفي منه الخبر ، غير أنّ من سمع به ليس كمن عاينه ، إنّ النّاس بايعوا عليّاً عليه السلام راضين به ، وإنّ طلحة والزبير نقضا بيعته على غير حدث ثمّ أدّنا بحرب ، فأخرجنا أمّ المؤمنين فسار إليهما فلم يقاتلهم وفي نفسه منهم حاجة فأورثه الله الأرض وجعل له عاقبة المتقين .

قال : ثمّ قام الأشعث بن قيس فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال : أيّها النّاس إنّ أمير المؤمنين عثمان ولاّني آذربيجان فهلك وهي في يدي ، وقد بايع النّاس عليّاً وطاعتنا له كطاعة من كان قبله ، وقد كان من أمره وأمر طلحة والزبير ما قد بلغكم ، وعليّ المأمون على ما غاب عنّا وعنكم من ذلك الأمر .

فلمّا أتى منزله دعا أصحابه فقال : إنّ كتاب عليّ قد أوحشني وهو آخذ بمال آذربيجان وأنا لاحق بمعاوية ، فقال القوم : الموت خير لك من ذلك أتدع مصرك وجماعة قومك وتكون زنباً لأهل الشام ؟ فاستجيبى فسار حتّى قدم على عليّ عليه السلام وروي أنّ قوله هذا وتوبيخ النّاس إياه على ذلك بلغ أهل الكوفة فكتب أمير المؤمنين عليّ عليه السلام إليه كتاباً يؤيّه ويأمره بالقدوم عليه ، وبعث به حجر بن عدي الكندي ، فلامه حجر على ذلك وناشده الله وقال له : أتدع قومك وأهل مصرك وأمير المؤمنين عليه السلام وتلحق بأهل الشام ؟ ولم يزل به حتّى أقدمه إلى الكوفة .

فعرض عليّ عليه السلام ثقلته فوجد فيها مائة ألف درهم وروي أربع مائة ألف فأخذها وكان ذلك بالنخيلة ، فاستشفع الأشعث بالحسن والحسين عليهما السلام وبعبدالله بن جعفر فأطلق له منها ثلاثين ألفاً ، فقال : لا تكفيني ، فقال : لست بزائدك درهماً واحداً وأيم الله لو تركتها لكان خيراً مما لك وما أظنّها تجلّ لك ولو تيقنت ذلك لما بلغت عندي فقال الأشعث : خذ من خدعك ما أعطاك . فقال السكوني و قد خاب أن يلحق بمعاوية :

إني أعيدك بالذي هو مالك	بمعاذة الآباء والأجداد
مما يظنّ بك الرّجال وإنما	ساموك خطّة معشر أو غاد
إن آذربيجان التي مزقتها	ليست لجدك فاشنها ببلاد
كانت بلاد خليفة ولا كهـا	وقضاء ربك رائج أو غاد
فدع البلاد فليس فيها مطمع	ضربت عليك الأرض بالأسداد
فادفع بما لك دون نفسك إننا	فادوك بالأموال والأولاد
أنت الذي تثنى الخصاصرونه	وبكبش كندة يستهلّ الوادي
ومعصّب بالتاج مفرق رأسه	ملك لعمرك راسخ الأوتاد
وأطع زياداً إنّه لك ناصح	لا شكّ في قول النصيح زياد
وانظر علينا إنّه لك جنّة	يرشد ويهديك للسعادة هاد

قال نصر : ومما قيل على لسان الأشعث :

أتانا الرسول رسول عليّ	فسرّ بمقدمه المسلمونا
رسول الوصيّ وصيّ النبيّ	له الفضل والسبق في المؤمنينا
بما نصح الله و المصطفى	رسول الإله النبيّ الأميّنا
يجاهد في الله لا يثنى	جميع الطغاة مع الجاحدينا
وزير النبيّ وذو صهره	وسيف المنية في الظالمينا
و كم بطل ماجد قد أذا	ق منية حتف من الكافرينا
و كم فارس كان سال النزال	فآب إلى النار في الآئينا

فذاك عليٌّ إمام الهدى
وكان إذا ما دعِيَ للنزال
أجاب السؤال بنصح ونصر
فما زال ذلك من شأنه
قال : ومما قيل على لسان الأشعث أيضاً :

أتانا الرسول رسول الوصيِّ
رسول الوصيِّ وصيِّ النبيِّ
وزير النبيِّ ودو صهره
له الفضل والسبق بالصالحات
مجداً أعني رسول الآله
أجبتنا عليّاً بفضل له
فقيهه حلیم له صولة
حلیم عفيف وذو نجدة
عليّ المهذب من هاشم
وخير البرية من قوائم
وخير البرية في العالم
لهدي النبيِّ به ياتم
وغيث البرية والخاتم
وطاعة نصح له دائم
كليت عرين بها سائم
بعيد من الغدر والمائم

تذكرة : قد تقدم منا الكلام في الذين وصفوا علياً عليه السلام وعرفوه بأنه وصيُّ رسول الله من كبار الصحابة وغيرهم في صدر الإسلام فراجع إلى ص ١٩ من المجلد الأوّل من تكملة المنهاج . وقد مضى في باب الخطب قوله عليه السلام للأشعث : ما يدريك ما عليٌّ ممّا لي عليك لعنة الله - الخ (الكلام ١٩ من باب الخطب) .
وكان الأشعث في خلافة أمير المؤمنين عليه السلام من المناققين المعاندين وهو كما قال الشارح المعتزلي : كان في أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام كما كان عبد الله بن أبي سلول في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وقال : كلُّ فساد كان في خلافة أمير المؤمنين و كلُّ اضطراب حدث فأصله الأشعث وكان الأشعث خائفاً من أمير المؤمنين عليه السلام و جازماً بأنه عليه السلام لا يبقيه في عمله ، وذلك لهنات كنّ منه كما عرضها عليه السلام عليه فهو في الحقيقة كان خائفاً من أعماله السيئة وكان قد استوحش من كلامه عليه السلام له : فلولا هنات كنّ منك ، حيث علم أنّ الأمير كان عارفاً بها حتى دعاه من الدهشة

أصحابه فقال : أنا لاحق بمعاوية .

ثم الظاهر المستفاد من كلامه عليه السلام له : فلولا هتات كنت فيك « أو منك » كنت المقدم في هذا الأمر أن أمير المؤمنين عزله عن آذربيجان بذلك الكتاب ، ومما يظاهرة قول المؤرخ الخبير المسعودي في كتابه مروج الذهب حيث قال (ص ١٥ ج ٢ طبع مصر ١٣٤٦ هـ) : وسار [علي عليه السلام بعد انقضاء الهمل] إلى الكوفة فكان دخوله إليها لاثنتي عشرة ليلة مضت من رجب ، وبعث إلى الأشعث بن قيس يعزله عن آذربيجان وارمينية وكان عاملاً لعثمان ، فكان في نفس الأشعث على ما ذكرنا من العزل وما خاطبه به حين قدم عليه فيما اقتطع هنالك ، الأموال ، انتهى : ومما يؤيده أيضاً ما روينا عن نصر وغيره من إرادته اللّحوق بمعاوية و ما جرى بينه وبين علي عليه السلام فتأمل .

في الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الأشعث بن قيس شرك في دم أمير المؤمنين عليه السلام ، وابنته جعدة سمّت الحسن عليه السلام ، ومحمد ابنه شرك في دم الحسين عليه السلام .

وروى أبو الفرج أن الأشعث دخل على علي عليه السلام فكلّمه فأغلظ علي عليه السلام له فعرض له الأشعث أنه سيفتك به ، فقال علي عليه السلام : أبا الموت تخوفني أو تهددني فوالله ما أبا لي وقعت على الموت أو وقع الموت علي .

قوله عليه السلام (وإن عملك ليس لك بطعمة و لكنّه في عنقك أمانة) ظاهر كلامه عليه السلام تنبيه أن الأشعث اتخذ مال الله ما كلفه ولم يكن أميناً عليه فنبهه على أنه ليس له بطعمة أي ما جعلتك عاملاً أن تدخر أموال المسلمين لنفسك وتأكل ما جنى يداك منها ، بل هي أمانة بيده بل ألزمها في عنقه تشديداً عليه وتنبهياً له على أنها تعلقت بذمته وتكون أوزاراً عليه ، وذلك لأنّه كان عاملاً من قبل غيره ومسترعى لمن فوقه ، وكان مال المسلمين أمانة بيده فما سوغ له الشرع التصرف في بيت مال المسلمين .

قوله عليه السلام (وأنت مسترعى - إلى قوله : بوثيقة) يعني أنت رعيّة من هو

فوقك وأميرك جعلك راعياً للناس وعاملاً لهم وأميناً وحافظاً على أموالهم وأملاكهم وغيرها مما جعل ولايتها بيدك فلا يجوز لك أن تسبق إلى أمور الرعية من غير أن تستأذن من استرعاك وتستأمر من ائتمنك ، وكذا لا يسوغ لك أن تقدم في الأمور الخطيرة مما يتعلق بالمال وغيره من غير احتياط تام ووثيقة، أي من غير أن يكون للمسلمين وثوق واعتماد في صحة ذلك العمل وعدم الإضرار بالرعية ، وبالجملة لا ينبغي لك أن تقدم فيما لا يثق المسلمون بها ولا يعتمدون عليها مما هي خلاف العقل والشرع والعرف .

قوله عليه السلام (وفي يديك - إلى قوله : تسلّمه) لعلّ تثنية اليد إشارة إلى تسلطه التام على الأموال حيث كان عاملاً و والياً ، وإنما قال : مال من أموال الله تشديداً عليه بالحفظ والحراسة وترعياً له بالمخالفة حتى لا يخون الله تعالى في ماله بأنّ الزكاة والخمس من مال الله الذي أفاه على عباده قال تعالى « فاعلموا أنّما غنمتم من شيء فإنّ لله خمسه وللرسول » الآية ، ثمّ قال له : وأنت من خزّاني أي لا يجوز لك التصرف فيما في الخزينة إلاّ بأذني ويجب عليك حفظه ورعايته إلى أن تسلّمها إليّ .

قوله عليه السلام (ولعلّي أن لا أكون - الخ) لما كان كلامه المصدّر أوّلاً تشديداً ومؤاخذاً عليه وموجباً للوحشة والاضطراب فانه كان يدلّ على أنّه عليه السلام لم يره أميناً على ما ولى عليه أتى بلفظة لعلّ المفيد للترجيّ حتى يسكن جاشه ويطمعه إلى عدم المؤاخذة والتشديد لئلاّ يفرّ إلى العدو ويجعله خائفاً راجياً فلا يخفى لطفه على أنّ الرجاء بعد الخوف ألدّ في النفوس وأوقع في القلوب .

وهو ذلك كلّه أعلمه بأنّه لو تجاوز عن الحقّ وخالف الدّين يكون هو عليه السلام شرّاً ولا تله ، أي يجازيه بما فعل ويؤاخذ عليه بذنبه . وكلامه هذا تعريض لسائر الولاية والعمال أيضاً إنهم لو عدلوا عن الحقّ وجعلوا أموال الناس طعمة لهم كان هو عليه السلام شرّاً ولاة لهم أي يكافأهم على ما كان منهم ، ويجازيهم به

الترجمة

این کتابیست که امیرالمؤمنین علیه السلام با شعث بن قیس نگاشت .
 (شعث از جانب عثمان عامل آذربایجان بود و اموال بسیار در دست او بود
 چون امیرالمؤمنین علیه السلام بمسند خلافت نشست و بعد از فتح بصره بکوفه آمد این
 نامه را بوی نوشت و او را تنبیه فرمود بحفظ آن ، چون نامه باو رسید سخت
 مستوحش و مضطرب شد و یاران خود را طلبید ، و با آنان در این موضوع سخن بمیان
 آورد که نامه علی علیه السلام مرا بو حشت انداخت و او از من تمامی اموالی که از
 آذربایجان بدست آورده ام خواهد ستاند ، از این روی بمعاونیه پناه میبرم که
 علی علیه السلام نتواند این اموال را از من اخذ کند ، آنان گفتند بهتر آنست که در
 نزد مرتضی روی و از اندیشه خود سر باز زنی ، و در روایتی آمده که حجر بن
 عدی الکندی که فرستاده حضرت بسوی شعث بود ویرا باندرز و نرمی بکوفه آورد
 علی علیه السلام اموال او را تفتیش کرد ، چهارصد هزار درهم یافته همه آنرا اخذ کرد
 شعث حسنین علیه السلام و عبدالله بن جعفر را شفیع خود گرفت که امام پولهارا باو رد
 کند ، امام سی هزار درهم را باو رد کرده و هر چه الحاح و ابرام دردد بقیه نمود
 امام فرمود که بیش از این یکدرم رد نخواهم کرد که برخلاف است . و شعث
 مردی منافق بود و اکثر مصائب و شدائدی که به امام علی علیه السلام روی آورد شعث
 اصل آن فتنه ها و ام الفساد بود) .

أی شعث عملت طعمه تو نیست (یعنی تورا عامل آندیار نگردانیدم که
 هر چه از مال مسلمین بدست تو آید بخوری و برای خود اندوخته کنی) و لکن
 آن در گردن تو امانت است که باید طریق دیانت را در آن رعایت کنی . کسیکه
 امیر و بزرگ تو است تورا حافظ و والی امور مردم کرده ، لذا نشایدت که در کار
 رعیت بی اذن امیرت خود سربا پیش نهی و در کارهای بزرگ اقدام کنی مگر
 اینکه مورد اعتماد و وثوق مسلمانان باشد ، و در دستهای تو مالی از مالهای خداوند
 ارجمند و بزرگوار است و تو یکی از خزینه داران منی که باید در حفاظت آن
 بکوشی تا آنرا تسلیم من کنی و شاید که من بدترین والیان تو نباشم . والسلام .

ومن كتاب له عليه السلام الى معاوية وهو الكتاب السادس
من باب المختار من كتبه عليه السلام ورسائله

إِنَّهُ بَايَعِي الْقَوْمَ الَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ عَلِيٌّ مَا بَايَعُوهُمْ
عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ ، وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يُرَدَّ ، وَإِنَّمَا
الشُّورَى لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، فَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى رَجُلٍ وَسَمُوهُ إِمَامًا
كَانَ ذَلِكَ لِلَّهِ رِضَى ، فَإِنْ خَرَجَ مِنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ بَطَعَنَ أَوْ بَدَعَهُ رَدُّهُ
إِلَى مَا خَرَجَ مِنْهُ ، فَإِنْ أَبِي قَاتَلُوهُ عَلَى اتِّبَاعِهِ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ،
وَوَلَّاهُ اللَّهُ مَا تَوَلَّى . وَلَعَمْرِي يَا مُعَاوِيَةَ لَئِنْ نَظَرْتَ بِعَقْلِكَ دُونَ هَوَاكَ
لَتَجِدَنِي أَبْرَأَ النَّاسِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ ، وَتَتَعَمَّنَّ أَنِّي كُنْتُ فِي عُزْلَةٍ عَنْهُ ، إِلَّا
أَنْ تَتَجَنَّنِي ، فَتَجَنَّنَ مَا بَدَأَكَ - وَالسَّلَامُ .

اللغة

(الشورى) فعلى من المشاورة وهي المفاوضة في الكلام ليظهر الحق ، قوله
تعالى : « وأمرهم شورى بينهم » (حمعسق - ٣٨) أي لا يتفرقون بأمرحتى يشاوروا
غيرهم فيه ، قال الفيومي في المصباح : شاورته في كذا و استشرته : راجعته لأرى
رأيه فيه ، فأشار عليٌّ بكذا أراني ما عنده فيه من المصلحة فكانت إشارته حسنة
والاسم : المشورة ، وتشاور القوم واشتوروا والشورى اسم منه ، وأمرهم شورى بينهم أي
لا يستأثر أحد بشيء دون غيره . انتهى .

(العزلة) بالضم اسم بمعنى الاعتزال .

« تتجننى » من الجنابة . التجننى : طلب الجنابة وهو أن يدعى عليك أحد
فنبأ لم تفعله . تجننى عليه أي رماه باثم لم يفعله .

« فتجنّ » أمر من تتجنّى بلا كلام فالكلمة بالفتحات . و قد ذهب غير واحد من الشرّاح والمترجمين إلى أنّها بضمّ الجيم والنون فعل مضارع من جنّه إذاستره كتمدّ من مدّ أي تستر وتخفى ماظهرك ، ولكنّها وهم بلا ارتياب ، وكانت العبارة في نسختنا المصحّحة العتيقة وفي نسخة صديقنا الأّجوردي قدقوبلت بنسخة الرضي رحمه الله- هي الأوّل على أنّ تتجنّى قرينة قويّة على أنّها أمر منها ، و اسلوب العبارة ينادي بأعلى صوتها على أنّها أمر و أوّل ما تبادل ذهننا إليه قبل الفحص والاستقراء أنّها أمر من تتجنّى .

الاعراب

الضمير في أنّه للشأن، على ما بايعوهم عليه، متعلّقة بقوله. بايعني، اللّام من لعمرى لام الإبتداء وعمرى مبتداء وخبر المبتداء محذوف لايجوز إظهاره كأنه قال: لعمرى قسّمى أو لعمرى ما أقسم به، والعمر والعمر بالفتح والضمّ لغتان ، ومعناها البقاء ولا يجيء عمر في اليمين إلاّ مفتوح العين. والباء في بطعن للسببية متعلّقة بقوله خرج، واللّام في لئن موطئة للقسم وجواب لعمرى لتجدني ، وجواب الشرط ما دلّ عليه هذا الجواب ، والمعنى : وبقائي لئن نظرت بعقلك فقد تجدني أبرأ الناس من دم عثمان ، على وزان قول شبيب بن عوانة (الحماسة ٣٣٧) :

لعمرى لئن سرّ الأعداي وأظهروا شماتاً لقد مرّوا بربك خالياً
أي : وبقائي لئن كان الأعداي مسرورين بموتك شامتين بذويك و عشيرتك
لفقدهم لك ، فقد وقعت الشماتة في وقتها وحينها و وافاهم السرور لحادث أمر
عظم موقعه ، لأنّهم مرّوا بربك خالياً كما أفاده المرزوقي في شرح الحماسة .
ولتعلمنّ عطف على لتجدني .

« دون هواك » كلمة دون تكون هنا بمعنى سوى كما جاء في وصفه تعالى :
ليس دونه منتهى ، أي ليس سواه سبحانه من ينتهي إليه أمل الآملين ، فهو تعالى
منتهى رغبة الراغبين . و تكون بمعنى القدام كقول قيس الخطيم الأوسبي
(الحماسة ٣٦) :

ملكته بها كفتي فأنهرت فتقها يرى قائماً من دونها ما ورائها
وتكون بمعنى الطرف نحو هذا دون ذلك أي أقرب منه . أو شيء من دون
بالتنوين أي حقير ساقط ، وعلى الأوّل قوله (الحماسة ١٢٧) :

ألم تريا أنني حميت حقيقتي وبأشرت حدّ الموت والموت دونها
وبهذا المعنى تصغر ويقال: دوين على نحو قولهم : قبيل وبعيد وفوق قال
خلف بن خليفة (الحماسة ٢٩٦) :

وبالدّير أشجاني وكم من شج له دوين المصلّى بالبقيع شجون
وتكون بمعنى عند وغير وخذ نحو دونكها أي خذها و بمعنى تقيض فوق
وبمعنى الشريف والخسيس والوعيد .

« إلا أن تتجنّني » استثناء منقطع . « فتجنّ ما بدالك » ما منصوب محلاً
بالمفعوليّة .

المعنى

هذا الكتاب بعض ما كتب عليه السلام إلى معاوية مع جرير بن عبدالله البجلي
و روى الكتاب بتمامه نصر بن مزاحم المنقري الكوفي مسنداً في صفين (ص ١٨
الطبع الناصري ١٣٠١ هـ) وهذا الكتاب مروى أيضاً في كتاب الفتن والمحن من
البحار ص ٤٣٤ وستلوه عليك بحذافيره .

قال نصر في صفين : إن أمير المؤمنين علياً عليه السلام لما قدم من البصرة ودخل
الكوفة وأقام بها بعث إلى العمّال في الآفاق « يعني بهم العمّال لعثمان على البلاد »
وكان أهمّ الوجوه إليه الشام .

وروى عن محمد بن عبيدالله القرشي عن الجرجاني قال : لما بويع علي عليه السلام
وكتب إلى العمّال في الآفاق كتب إلى جرير بن عبدالله البجلي وكان جرير عاملاً
لعثمان على ثغرهمدان فكتب إليه مع زحر بن قيس الجعفي :

« كتاب على عليه السلام إلى جرير بن عبدالله البجلي »

أمّا بعد فإنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله

بقوم سوءٍ فلامرداً له وما لهم من دونه من والٍ، وإنني أُخبرك عن نبا من سرنا إليه من جموح طلحة والزبير عند نكثهم بيعتهم وما صنعوا بعاملي عثمان بن حنيف، إنني هبطت من المدينة بالمهاجرين والأَنْصار حتى إذا كنت بالعذيب بعثت إلى أهل الكوفة بالحسن بن عليّ، وعبدالله بن عباس، وعمّار بن ياسر، وقيس بن سعد ابن عباد، فاستنقروهم فأجابوا فسررت بهم حتى نزلت بظهر البصرة، فأعذرت في الدُّعاء، وأقلت العشرة، وناشدتهم عقد بيعتهم، فأبوا إلاّ قتالي، فاستعنت بالله عليهم فقتل من قتل، وولّوا مدبرين إلى مصرهم، فسألوني ما كنت دعوتهم إليه قبل اللّقاء فقبلت العافية، ورفعت السيف، واستعملت عليهم عبدالله بن عباس، وسرت إلى الكوفة وقد بعثت إليكم زحر بن قيس فاسأل عما بدالك .

أقول : كتابه هذا إلى جرير ليس بذكر في النهج وهذا الكتاب مذكور أيضاً في كتاب الإمامة و السياسة لابن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ٢١٣هـ وبين النسخين اختلاف يسير لا يعبأ به .

ثمّ إنّ زحر بن قيس هذا هو الذي كان في خيل عمر بن سعد يوم الطفّ وكان ممّن حمل الأَسَازى ورؤوس الشهداء من أهل بيت الطهارة و النبوة إلى الشام وما جرى بينه وبين الإمام السجاد عليه السلام وسائر أقواله وأفعاله مذكور في كتب المقاتل ، نعوذ بالله تعالى من سوء الخاتمة .

قال نصر : فلمّا قرأ جرير الكتاب قام فقال : أيّها الناس هذا كتاب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو المأمون على الدّين والدُّنيا ، وقد كان من أمره وأمر عدوّه ما نحمد الله عليه ، وقد بايعه السابقون الأوّلون من المهاجرين والأَنْصار والتابعين باحسان ، ولو جعل هذا الأمر شورى بين المسلمين كان أحقّهم بها ، ألا وإنّ البقاء في الجماعة ، والفناء في الفرقة وعليّ حاملكم على الحقّ ما استقمتم ، فإن ملتم أقام ميلكم ، فقال الناس : سمعاً وطاعة رضينا رضينا ، فأجاب جرير وكتب جواب كتابه بالطاعة .

قال : وكان مع عليّ رجل من طيء ابن اخت لجرير ، فحمل زحر بن قيس

شعراً له إلى خاله جريز وهو :

جرير بن عبد الله لا تردد الهدى
فانّ علياً خير من وطأ الحصى
ودع عنك قول الناكثين فانّما
وبايعه إن بايعته بنصيحة
فانك إن تطلب به الدين تعطه
وإن قلت عثمان بن عفان حقه
فحقّ عليّ إذ وليك كحقه
وإن قلت لانرضى علياً إمامنا
أبى الله إلاّ أنّه خير دهره

قال : ثمّ قام زحر بن قيس خطيباً فكان ممّا حفظ من كلامه أن قال :

الحمد لله الذي اختار الحمد لنفسه ، و تولاه دون خلقه ، لا شريك له في
الحمد، ولا نظير له في المجد ، ولا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، القائم الدائم ، إله
السماء والأرض ، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالحقّ الوضوح ، و الحقّ
الناطق ، داعياً إلى الخير ، وقائداً إلى الهدى .

ثمّ قال : أيّها الناس إنّ علياً قد كتب إليكم كتاباً لا يقال بعده إلاّ رجب
من القول ، ولكن لا بدّ من ردّ الكلام ، إنّ الناس بايعوا علياً بالمدينة من غير
محابة له ببيعتهم ، لعلمه بكتاب الله وسنن الحقّ ، وإنّ طلحة والزبير نقضا بيعته
على غير حدث ، وألبا عليه الناس ثمّ لم يرضيا حتّى نصبا له الحرب ، وأخرجا
أمّ المؤمنين ، فلقبهما فأعذر في الدّعاء ، وأحسن في البقيّة ، و حمل الناس على
ما يعرفون ، هذا عيان ما غاب عنكم ، ولا إن سألتم الزيادة زدناكم ولا قوة إلاّ بالله
و نقل كلامه الدينوريّ في الإمامة والسياسة و بين النسختين اختلاف
في الجملة .

قال نصر : وقال جرير في ذلك :

أَتَانَا كِتَابَ عَلِيٍّ فَلَمْ
وَلَمْ نَعِصْ مَا فِيهِ لَمَّا أَتَا
وَنَحْنُ وُلَاةٌ عَلَى ثَعْرَهَا
نَسَاقِيهِمْ أَمُوتَ عِنْدَ اللَّقَاءِ
طَحْنَتَاهُمْ طَحْنَةً بِالْقَنَا
مُضِينَا يَقِينًا عَلَى دِينِنَا
أَمِينِ الْإِلَهِ وَبِرْهَانِهِ
رَسُولِ الْمَلِيكِ وَمَنْ بَعْدَهُ
عَلِيًّا عَنِيَتْ وَصِيَّ النَّبِيِّ
لَهُ الْفَضْلُ وَالسَّبْقُ وَالْمَكْرَمَاتُ

أقول : قد قدمنا في مواضع أن كثيراً من سنام المسلمين في صدر الإسلام وصفوا أمير المؤمنين ﷺ بأنه وصي النبي ، وقلنا إن هذه الكلمة الصادرة من هؤلاء الذين أدرك كثير منهم النبي ﷺ مما ينبغي أن يعتنى بها وبيجلها من يطلب طريق الحق و يبحث عنه . ولعمري أن هذه الدفيقة حجة على من كان له قلب إلا أن ختم الله على قلبه ونعم ما قال العارف الرومي :

چشم باز و گوش باز و این عمی حیرتم از چشم بندی خدا

نصر: عمر بن سعد عن نمر بن وعله، عن عامر الشعبي أن علياً ﷺ حين قدم من البصرة نزع جريراً عن همدان، فجاء حتى نزل الكوفة فأراد علي ﷺ أن يبعث إلى معاوية رسولا ، فقال له جرير : ابعثني إلى معاوية فإنه لم يزل لي مستنصحا وودآنا تيه فأدعوه علي أن يسلم لك هذا الأمر و يجمعك على الحق علي أن يكون أميرا من أمرائك و عاملا من عمالك ما عمل بطاعة الله و اتبع ما في كتاب الله ، و أدر أهل الشام إلى طاعتك و ولايتك و جلهم قومي و أهل بلادي و قد رجوت أن لا يعصوني :

فقال له ﷺ الأشر: لا تبعثه و دعه و لا تصدقه فوالله إنني لأظن هواء

هواهم ونيته نيتهم .

فقال له علي عليه السلام : دعه حتى ننظر ما يرجع به إلينا ، فبعثه علي عليه السلام وقال له حين أراد أن يبعثه : إن حولي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من أهل الدين والرأي من قد رأيت ، وقد اخترتك عليهم لقول رسول الله صلى الله عليه وآله فيك : إنك من خير ذي يمن ، ايت معاوية بكتابي فإن دخل فيما دخل فيه المسلمون ، وإلا فابذ إليه وأعلمه أنني لا أرضى به أميراً وأن العامة لا ترضى به خليفة .

فانطلق جرير حتى أتى الشام ونزل بمعاوية فدخل عليه ، فحمد الله وأثنى عليه وقال : أما بعد يا معاوية فإنه قد اجتمع لابن عمك أهل الحرمين وأهل المصريين وأهل الحجاز وأهل اليمن وأهل مصر و أهل العروض و عمان و أهل البحرين واليمامة ، فلم يبق إلا أهل هذه الحصون التي أنت فيها لوسال عليها سيل من أوديته غرقها ، وقد أتيتك أدعوك إلى ما يرشدك ويهديك إلى مبايعة هذا الرجل ، ودفع إليه الكتاب كتاب علي بن أبي طالب عليه السلام وفيه :

صورة كتابه عليه السلام الكاملة الى معاوية على ما في كتاب نصر

في صفين (ص ١٨ من الطبع الناصري) وكتاب الامامة والسياسة

لابن قتيبة الدينوري (ص ٩٣ ج ١ طبع مصر ١٣٧٧ هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإن بيعتي لزمتك بالمدينة وأنت بالشام لأنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوا عليه فلم يكن للشاهد أن يختار ، ولا للغائب أن يرد ، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار ، فإذا اجتمعوا على رجل فسموه إماماً كان ذلك لله رضى ، فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أو رغبة ردوه إلى ما خرج منه ، فإن أبى قاتلوه على أتباعه غير سبيل المؤمنين و ولاية الله ما تولّى ويصليه جهنم وساءت مصيراً ، وإن طلحة و الزبير بايعاني ثم نقضا بيعتي وكان نقضهما كردّهما ، فجاهدتهما على ذلك حتى جاء الحق و ظهر أمر الله وهم كارهون ، فادخل فيما دخل فيه المسلمون ، فإن أحب الأمور إليّ فيك العافية إلا أن تتعرض للبلاء ، فإن تعرضت له قاتلتك ، واستغنت الله عليك وقد أكثرت في قتل عثمان ، فادخل فيما دخل فيه الناس ، ثم حاكم القوم إليّ

أحملك وإيأهم على كتاب الله ، فأما تلك التي تريدها فخدعة الصبي عن اللبن ولعمري لئن نظرت بعقلك دون هواك ، لتجدني أبرأ قريش من دم عثمان ، واعلم أنك من الطلقاء الذين لا تحلّ لهم الخلافة ، ولا تعرض فيهم الشورى وقد أرسلت إليك وإلى من قبلك جرير بن عبد الله ، وهو من أهل الإيمان والهجرة فبايع ولا قوة إلا بالله .

أقول : ولا يخفى عليك أن بين نسخة النهج وبين نسخة صفيين لنصر تفاوتاً في الجملة كما أن بين نسختي نصر والدينوري اختلافاً يسيراً لا يعبأ به .

ثم إن قوله عليه السلام : وقد أكثر في قتل عثمان - إلى قوله : فخدعة الصبي عن اللبن ، مذكور في ذيل كتابه الآخر إلى معاوية أيضاً ، وهو الكتاب الرابع والستون أوّله : أمّا بعد فانّا كنّا نحن وأنتم على ما ذكرت من الألفة - الخ .

قال نصر : فلما قرأ معاوية الكتاب قام جرير فقال :

الحمد لله المحمود بالعوائد ، المأمول منه الزوايد ، المرتهج منه الثواب المستعان على النوائب ، أحمده وأستعينه في الأمور التي تحير دونه الأبواب وتضمحلّ عندها الأرباب ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بعد الفترة وبعد الرّسل الماضية ، والقرون الخالية ، والأبدان البالية ، و الجبلية الطاغية ، فبلغ الرسالة ، ونصح الأُمّة ، وأدى الحقّ الذي استودعه الله وأمره بأدائه إلى أمته ، صلى الله عليه وآله وسلم من مبعثه ومنتجب .

ثم قال : أيها الناس إن أمر عثمان قد أعينى من شهده فما ظنكم بما غاب عنه ، وإن الناس بايعوا علياً غير اترولاموتور . وكان طلحة والزبير ممن بايعه ثم نكنا بيعته على غير حدث ، ألا وإن هذا الدين لا يحتمل الفتن ، ألا وإن العرب لا تحتمل السيف ، وقد كانت بالبصرة أمس ملحمة إن يشفع البلاء بمثلها فلا بقاء للناس ، وقد بايعت العامة علياً ولو ملكنا والله أمورنا لم نختر لها غيره ، ومن خالف هذا استعجب ، فادخل يا معاوية فيما دخل فيه الناس ، فان قلت : استعملني

عثمان ثم لم يعزلني فان هذا أمر لوجاز لم يقم لله دين ، وكان لكل امرئ ما في يديه ، ولكن الله لم يجعل للآخر من الولاية حق الأوّل ، وجعل تلك أموراً موطأة ، وحقوقاً ينسخ بعضها بعضاً .

فقال معاوية : انظر وبنظر و أستطلع رأي أهل الشام .

أقول : الظاهر أن هذا الكتاب هو أوّل كتاب أرسله عليه السلام إلى معاوية يدعوه إلى بيعته إلا أن الرّضي رضي الله عنه قال في آخر هذا الباب (الكتاب ٧٥) ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية في أوّل ما بوبع له ، ذكره الواقدي في كتاب الجمل ، من عبد الله أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان فقد علمت إعداري فيكم وإعراضي عنكم - إلخ

وقال ابن قتيبة الدينوري في كتاب الإمامة و السياسة المعروف بتاريخ الخلفاء (ص ٨٢ ج ١ طبع مصر ١٣٧٧ هـ) : وذكروا أنه لمّا فرغ من وقعة الجمل بايع له القوم جميعاً وبايع له أهل العراق واستقام له الأمر بها ، فكتب إلى معاوية أمّا بعد فإن القضاء السابق و القدر النافذ ينزل من السماء كقطر المطر فتمضى أحكامه عزّ وجلّ وتنفذ مشيئته بغير تحابّ المخلوقين ولارضى الآدميين ، وقد بلغك ما كان من قتل عثمان وبيعة الناس عامّة إياي ومصارع الناكثين لي ، فادخل فيما دخل الناس فيه ، وإلاّ فأنا الذي عرفت و حولي من تعلمه ، والسلام .

ويمكن أن يكون هذه الكتب الثلاث كتاباً واحداً فترقّو كما قدّمنا كثيراً من نظائره ، ومما يؤيده أن الدينوري بعد نقل الكتاب قال : ثم إن معاوية استخب رجلاً من عبس و كان له لسان ، فكتب إلى علي عليه السلام كتاباً عنوانه : من معاوية إلى علي ، وداخله : بسم الله الرحمن الرحيم لاغير ، فلمّا قدم الرسول دفع الكتاب إلى عليّ فعرف عليّ عليه السلام ما فيه و أن معاوية محارب له وأنّه لايجيبه إلى شيء ممّا يريد .

وقد نقل قريباً من هذا الكلام الشارح المعتزلي في شرح نسخة النهج وهو : فلمّا جاء معاوية هذا الكتاب « يعني به الكتاب المذكور في النهج » وصل بين

طومارين أبيضين ثم طواهما وكتب عنوانهما من معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب - قال جرير : ودفعهما معاوية إلى لا أعلم ما فيهما ولا أظنهما إلا جواباً وبعث معي رجلاً من بني عيس لأدري ما معه فخر جنا حتى قدمنا الكوفة واجتمع الناس في المسجد لا يشكون أنها بيعة أهل الشام ، فلما فتح علي عليه السلام الكتاب لم يجد شيئاً - الخ ، والله تعالى أعلم .

وقد روي أنه عليه السلام كتب إلى معاوية مع جرير : أني قد عزلتك ففوض الأمر إلى جرير ، والسلام .

وقال : لجرير : صن نفسك عن خداعه فان سلم إليك الأمر وتوجه إلي فأقم أنت بالشام ، وان تعلل بشيء فارجع ، فلما جاءه تعلل بمشاوره أهل الشام وغير ذلك ، فرجع جرير فكتب معاوية في أثره على ظهر كتابه عليه السلام : من ولاك حتى تعزلني ، والسلام .

قوله عليه السلام (إنه بايعني - إلى قوله : على ما بايعوهم عليه) واعلم أن بيعة الناس أمير المؤمنين علياً عليه السلام وإطباقهم على إمامته كان أشد وأوكد بمراحل من إطباقهم على إمامة الثلاثة قبله عليه السلام ، كما أشرنا إلى نبذة من شواهد في المباحث الماضية ، وكفى في ذلك قوله عليه السلام : فتداكوا علي تداك الأبل الهيم يوم وردها قد أرسلها راعيها وخلعت مثنائها ، حتى ظننت أنهم قاتلي أو بعضهم قاتل بعض لدي (الخطبة ٥٤ من النهج) .

وقوله عليه السلام : وبسطم يدي فكففتها ومددتموها فقبضتها ، ثم تداككم علي تداك الأبل الهيم على حياضها يوم ورودها ، حتى انقطعت النعل و سقطت الرداء و طوى الضعيف وبلغ من سرور الناس ببيعتهم إياي أن ابتهج بها الصغير ، وهدج إليها الكبير وتحامل نحوها العليل ، و حسرت إليها الكعاب (الخطبة ٢٢٧ من النهج) .

ثم إن ذلك الكلام لا يدل على أنه عليه السلام أثمت خلافته ببيعة الناس وإجماعهم بل احتج على القوم باتفاق الناس وإجماعهم على خلافته على وجه التسليم والمباشرة

و حسب مقتضى عقيدتهم بأنهم لما اعتقدوا أن مبنى الخلافة و نصب الإمام على البيعة دون النص لزمنهم قبول خلافته وامامته والتسليم والاقية لأمره .

ولو احتج عليهم بالنص لم يقبلوا منه ولم يسلموا له وإلا فخلافته بالفضل ثبتت بنص الله تعالى و رسوله ، و قد أشرنا إلى ذلك في شرح الخطبة السابعة والثلاثين والماتين من أن الإمام يجب أن يكون منصوباً من الله تعالى ، لأن الامامة عهدته تعالى ولا يناله إلا من اجتباه .

ثم إنه عليه السلام لو تمسك لإمامته بالنص لكن هذا طعناً على الذين سبقوه بالخلافة الظاهرية ، فإذا تفسد حاله مع الذين بايعوه من المهاجرين والأ نصار في المدينة و كان المقام لا يناسب سوق الاحتجاج على سبيل النص ، و لولا مراعاة المقام لكن يصرح بما هو الحق الصريح ، والشكشقية حجة بالغة على ذلك .

قوله عليه السلام : (فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد) هذه نتيجة لما قدّم أي إذا بايعني القوم على الوجه الذي بايعوا أبابكر و عمر و عثمان و ما اختار أحد من الشاهدين في المدينة غير ما بايعوه و كذا لم يرد أحد من الغائبين عن المدينة من بايعوه بل الكل انقادوا و تسلّموا فكذا لم يكن للشاهد أن يختار غيري و لا للغائب أن يردني ، بل يجب على الشاهد والغائب جميعاً الاطاعة والاقية .

ثم إن فيه تعريضاً و طعناً على الناكثين طلحة و الزبير و أتباعهما ، و على معاوية و أهل الشام من أتباعه لأن الشاهد أي الناكثين اختاروا غيره عليه السلام والغائب أي معاوية و أهل الشام لم يقبلوا بيعته .

ثم يمكن أن يستفاد من قوله عليه السلام (أن يرد) أن لا يكون هذا الكتاب أوّل كتاب كتبه إلى معاوية بأن يكون الأوّل هو الكتاب ٧٥ من هذا الباب أو الذي نقله الدينوري في الامامة والسياسة ، و لما ردّ معاوية كتابه و لم يقبل البيعة قال عليه السلام : و لا للغائب أن يرد ، فتأمل .

قوله عليه السلام (وإنما الشورى - الى قوله : وولاه ما تولّى) الشورى المشورة وإنما تفيد حصر الشورى في المهاجرين والأ نصار ، وإنما حصر الشورى فيهما لأنها

أهل الحلّ والعقد من أمة محمد ﷺ فمتى اتفقت كلمتهم على أمر وأجمعوا عليه كان ذلك حقاً مرضياً لله تعالى فيجب على الناس اتباعه .

ومن ذلك إطباقهم على إمامة عليّ ﷺ كما أشار إليه بقوله : فان اجتمعوا على رجل فسمّوه إماماً فان خرج من أمرهم أحد بطعن عليهم أو على من بايعوه بالامامة كمن طعن عليه ﷺ بدم عثمان ، أو ببذعة كمنكث الناكثين و من بايع معاوية بالخلافة بعد ما أجمع المهاجرون والأنصار على إمامة أمير المؤمنين ﷺ ردّوه عما خرج إليه إلى ما خرج منه .

فان امتنع ذلك الخارج عن الرّجوع إلى ما خرج منه قاتلوه ، لأنّه اتّبع غير سبيل المؤمنين وحيث أبى واتّبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولّى أي يخلّي بينه وبين ما اختاره لنفسه ويكله إلى من انتصر به و اتّكل عليه .

وهذا إشارة الى قوله تعالى : « ومن يشاقق الرّسول من بعد ما تبين له الهدى ويتّبع غير سبيل المؤمنين نوّله ما تولّى و نصله جهنّم و ساءت مصيراً » (النساء : ١١٦) .

وانما تهدّده بكلامه هذا و توعدّه بالعقوبة لئلاّ يتّبع غير سبيل المؤمنين ونسبه على أنّه إن خالف سبيلهم بطعن أو بدعة ردّوه إلى ماخرج منه وقاتلوه . على أنّ الله يولّيه ما تولّى ويصليه جهنّم .

ثمّ إنّ كلامه هذا أيضاً على مقتضى عقيدة القوم سداواة ومماشاة معهم بما اعتقدوا من أنّ أمر الخلافة إنّما هو بالبيعة من أهل العقد والحلّ لا بالنصّ ، وإلاّ فامامته بلافضل كانت ثابتة بالبراهين القطعيّة فالقياس جدليّ على اصطلاح أهل الميزان ، لأنّه اعتبر في مقدّماته التسليم من الخصم أي تبكيت الخصم و إلزامه بما سلّم به .

قوله ﷺ : (و لعمرى - الى قوله : في عزلة عنه) قد قدّمنا في أبحاثنا السالفة نقل كلام عمّار بن ياسر رضوان الله عليه وشبث وغيرهما من أنّ معاوية لم يجد شيئاً يستغوي به الناس ويستميل به أهواءهم ويستخلص به طاعتهم إلاّ قوله :

قتل إمامكم عثمان مظلوماً فنحن نطلب بدمه .

وقد روى أبو جعفر الطبري في التاريخ باسناده عن زيد بن وهب الجهني أن
عمار بن ياسر قال في صفين : أيها الناس اقصدا بنا نحو هؤلاء الذين - يعني بهم
معاوية وأتباعهم - يبعون دم ابن عفان ويزعمون أنه قتل مظلوماً ، والله ما طلبتم
ولكن القوم ذاقوا الدنيا فاستحبوها واستمرأوها و علموا أن الحق إذا لزمهم
حال بينهم وبين ما يتمعون فيه من دنياهم ، ولم يكن للقوم سابقه في الاسلام يستحقون
بها طاعة الناس والولاية عليهم فخدعوا أتباعهم أن قالوا : إمامنا قتل مظلوماً ، ليكونوا
بذلك جبابرة ملوكاً وتلك مكيدة بلغوا بها ما ترون ، ولولا هي ماتبعهم من الناس
رجالان . الخ .

وقال عمار أيضاً : أيها الناس والله ما أسلموا - يعني معاوية وأتباعه كما
مضى من قبل مسنداً - ولكنهم استسلموا وأسرثوا الكفر فلما وجدوا له أعواناً
أظهروه . و الظاهر أنه أخذ هذا القول منه عليه السلام كما سيأتي في الكلام ١٦ من
هذا الباب .

ثم قد مضى في الخطبة ٢٣٨ قوله عليه السلام : والله لقد دفعت عنه - يعني عن عثمان -
حتى خشيت أن أكون آثماً . وقوله المنقول عن الطبري (ص ٤١٠ ج ٣ طبع مصر
١٣٥٧ هـ) في عثمان : والله ما زلت أذب عنه حتى أني لأستحي ، وكذا برهنا في
مواضع كثيرة من مباحثنا الماضية على أنه عليه السلام كان أبرأ الناس من دم عثمان .
ثم لما كانت هوى النفس قائمة إلى خلاف الحق ، لأنها قرين سوء يزيد
كل قبيح ويقبح كل حسن وكاسفة بيضاء العقل كما قيل : « إنارة العقل مكسوف
بطوع الهوى » أقسم عليه السلام بعمره لئن نظر معاوية فيما جرى على عثمان بعقله الناصع
من الهوى ليجدنه أبرأ الناس من دمه ، و ليعلمن أنه عليه السلام كان في عزلة عن دم
عثمان .

قوله عليه السلام : (إلا أن تتجنني فتجن ما بدالك والسلام) يعني به أنك لو
خالفت هواك لتجدني أبرأ الناس من دم عثمان إلا أن تعزني إلى الجنانية افتراء

وتدعي عليّ ذنباً لم أفعله فأفتر علي ما ظهر لك من الذنوب والجفائيات .
ثم إن أمير المؤمنين عليه السلام لما كان أبرأ الناس من دم عثمان وكان منزهاً عن
جناية و ذنب رأى أن معاوية أراد استغواء الناس بذلك الافتراء ، وأن الانسان
المبرئ عن الشين لا يبالي بأقاويل كاذبة تقال فيه ، لأن الباطل يذهب جفاء قال :
فتجنّ ما بدالك .

وبوجه آخر أنه عليه السلام قال لمعاوية : إذا كنت تعلم أنني أبرأ الناس من دم
عثمان ومع ذلك تفوه بما خالفه معلوم لك ولا تستحي بالافتراء فان شئت أن تدعي
عليّ أية جناية كانت ، وأردت أن تنسب إليّ أيّ ذنب كان : فافعل ، ولا يخفى أن
كلامه عليه السلام ينبىء عن استخفاف أمر معاوية واستحقار تجنيه عليه .

وأما عليّ مختار القوم ، أي كون تجنّ مضارع جنّ فاطمى أنك لو خالفت
هواك لتجديتي أبرأ الناس من دم عثمان إلا أن تعزيني إلى الجناية افتراء وتدعي
عليّ ذنباً لم أفعله ، ثم تأخذ ذلك الاختلاق وسيلة لأن تستر و تخفي ما ظهر لك
من براءتي من دم عثمان ، يعني أن براءتي من دم عثمان ظاهرة لك غير خفية إلا
أنك تريد إخفائه والافتراء عليّ بدمه حتى تجعله ذريعة لك فتمستغوي بها الناس
ولكن الصواب هو الوجه الأوّل لما دريت في بيان اللغة .

قوله عليه السلام : (والسلام) أي والسلام علي من اتبع الهدى ، أو والسلام علي
أهله أو غيرهما مما يناسبهما .

قال الفاضل الشارح المعتزلي : واعلم أن هذا الفصل دالٌّ بصريحه عليّ كون
الاختيار طريقاً إلى الإمامه كما يذكره أصحابنا المتكلمون ، لأنه احتجّ عليّ
معاوية ببيعة أهل الحلّ والعقد له ، ولم يراع في ذلك إجماع المسلمين كلّهم وقياسه
عليّ ببيعة أهل الحلّ والعقد لأبي بكر ، فانه ما روعي فيها إجماع المسلمين ، لأنّ
سعد بن عباد لم يبايع ولا واحد من أهل بيته و ولده ، ولأنّ عليّاً وبنّي هاشم ومن
انضوى إليهم لم يبايعوا في مبدء الأمر و امتنعوا ، و لم يتوقف المسلمون في تصحيح
إمامة أبي بكر وتنفيذ أحكامه عليّ ببيعتهم ، وهذا دليل على صحة الاختيار و كونه

طريقاً إلى الإمامة وأنه لا يقدح في إمامته امتناع معاوية من البيعة وأهل الشام .
فأمّا الإمامية فتحمل هذا الكتاب منه على التقيّة وتقول إنه ما كان يمكنه
أن يصرّح لمعاوية في مكتوبه بباطن الحال ويقول له : أنا منصوص عليّ من رسول
الله صلى الله عليه وآله ومعهود إلى المسلمين أن أكون خليفة فيهم بلا فصل ، فيكون في ذلك
طعن على الأئمّة المتقدّمين وتفسد حاله مع الذين بايعوه من أهل المدينة .
وهذا القول من الإمامية دعوى لوعضدها دليل لوجب أن يقال بها و يصار
إليها ، ولكن لا دليل لهم على ما يدعون إليه من الأصول التي تسوقهم إلى حمل
هذا الكلام على التقيّة .

ثمّ قال : فأمّا قوله : و قد أكثرت في قتلة عثمان فادخل فيما دخل فيه
المسلمون ثمّ حاكم القوم إليّ أحملك وإيّاهم على كتاب الله ، فيجب أن يذكر
في شرحه ما يقول المتكلمون في هذه الواقعة .

قال أصحابنا المعتزلة : هذا الكلام حقٌ وصواب لأنّ أولياء الدّم يجب أن
يبايعوا الإمام ويدخلوا تحت طاعته ثمّ يرفعوا خصومهم إليه ، فان حكم بالحقّ
استديمت إمامته ، وإن حاد عن الحقّ انتقضت خلافته ، وأولياء عثمان الذين هم
بنوه لم يبايعوا عليّاً ولا دخلوا تحت طاعته ، وكذلك معاوية ابن عمّ عثمان لم
يبايع ولا أطاع ، فمطالبتهم له بأن يقتصّ لهم من قاتلي عثمان قبل بيعتهم إيّاه
وطاعتهم له ظلم منهم وعدوان .

ثمّ قال : فإن قلت : هب أنّ القصاص من قتلة عثمان موقوف على ما ذكره
أما كان يجب عليه لا من طريق القصاص أن ينهى عن المنكر وأنتم تذهبون إلى أنّ
النبيّ عن المنكر واجب على من هوسوقه فكيف على الامام الأعظم ؟ .

قلت : هذا غير وارد ههنا لأنّ النبيّ عن المنكر إنّما يجب قبل وقوع المنكر
لكيلا يقع ، فاذا وقع المنكر فأبىّ نهى يكون عنه ، وقد نهى عليّ عليه السلام أهل مصر
وغيرهم عن قتل عثمان قبل قتله مراراً ، و نابذهم بيده ولسانه و بأولاده فلم يغن
شيئاً ، وتضام الأمر حتّى قتل ، ولا يجب بعد القتل إلاّ القصاص ، فاذا امتنع أولياء

الدّم من طاعة الامام لم يجب عليه أن يقتصّ من القاتلين ، لأنّ القصاص حقهم وقد سقط بغيرهم على الامام وخروجهم عن طاعته ، و قد قلنا نحن فيما تقدّم أنّ القصاص إنّما يجب على من باشر القتل ، و الذين باشروا قتل عثمان قتلوا يوم قتل عثمان في دار عثمان و الذين كان معاوية يطالبه بدم عثمان لم يباشروا القتل و إنّما كثروا السواد و حصروا عثمان في الدار و أجلبوا عليه و شتموه و توعّدوه و منهم من تسوّّر عليه داره و لم ينزل إليه ، و منهم من نزل فحضر قتله و لم يشرك فيه و كلّ هؤلاء لا يجب عليهم القصاص في الشرع .

أقول : أمّا قوله إنّ الاختيار طريق إلى الإمامة فيردّه ما برهنّا في عدّة مواضع من مباحثنا السالفة من أنّ الإمامة أجلُّ قدرًا ، و أعظم شأنًا ، و أعلامكنا و أمنع جانبًا ، و أبعد غورًا ، من أن يبلغها الناس بعقولهم ، أو ينالوها برأيهم ، أو يقيموا إمامًا باختيارهم ، بل انها رئاسة إلهية يجب على الله تعالى نصب من اجتبيه لها .

وأمّا قوله : وقياسه على بيعة أهل الحلّ و العقد لأبي بكر - الخ ، فيردّه أنّ خلافة أبي بكر لم يكن بحقّ حتّى يقاس بها ، و إعراض سعد بن عباد و أتباعه و عليّ عليه السلام و أشياعه عن بيعته كان على بصيرة في أمر الخلافة .

وأمّا قوله عليه السلام : وهذا القول من الامامية دعوى لوعضدها دليل لوجب أن يقال بها - الخ فقد قلنا آنفاً في شرح هذا الكتاب إنّ كلامه عليه السلام هذا إنّما هو على مقتضى عقيدة القوم حيث ذهبوا إلى أنّ أمر الامامة و الخلافة إنّما هو بالبيعة لا بالنصّ ، و أنّه سيق على القياس الجدلي أعني إلزام الخصم بما اعتقد و سلّم به فلا حاجة إلى حمل كلامه عليه السلام على التقيّة .

وإسناد هذا القول إلى الامامية لا يخلو من دغدغة ، ولو مال إليه واحد منهم فقد أخطأ و لا يصحّ إسناده إلى الجميع و قد سبقنا بهذه الدقيقة المجلسي رحمه الله في البحار ص ٥٢٨ ج ٨ من الطبع الكمباني .

وأمّا الأدّة على كونه عليه السلام خليفة رسول الله صلّى الله عليه و آله بلا فصل فتجلّ عن الاحصاء

من العقلية والنقلية، وقد أُلّف بغاية الحقيقة والهداية في ذلك رسائل شتى وصنّف أهل الفحص والتتبّع من الفريقين جوامع عديدة حاوية للأخبار الماثورة عن النبي صلى الله عليه وآله في خلافته بلا فصل ، وكذا في خلافة سائر الأئمة واحداً بعد واحد ولو ثنينا البيان على تفصيل ذلك لطال بنا الخطب وعظم علينا الأمر .

ولعمري أنّ الرّجل يجب أن يتشابه بالجهال ، وإلاّ فالأمر أبلج من الشمس في رابعة النهار ، وقد قدّمنا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان أشفق على الناس من الوالد على ولده حتّى أنّه أرشدهم إلى أمور كانت دون مرتبة ولاية الأمر بمراحل كتعليمهم تقليم الأظفار ، وآداب طلي النورة ، وتسريح اللّحي ، وأخذ الشوارب ولبس الثياب حتّى أرشدهم في قضاء الحاجة إلى أمور كثيرة مندوبة وغير مندوبة فكيف يسكت عن أجلّ الأشياء قدراً وأشدّها حاجة أعني النصّ على الامام الذي يتولّى أمورهم بعده .

وأمّا قوله عليه السلام : وقد أكثرت في قتل عثمان - الخ ، فمذكور في ذلك الكتاب كما نقلنا صورته الكاملة عن كتاب صفين لنصر بن مزاحم .
ثمّ إنّ ما نقل الفاضل الشارح من أصحابه من أنّ أولياء الدّم يجب أن يبايعوا الامام ويدخلوا تحت طاعته ثمّ يرافعوا خصومهم إليه فان حكم بالحقّ استديمت إمامته، وإن حاد عن الحقّ انتقضت خلافته - الخ . اعتراف منهم بانتقاض خلافة عثمان من أوّل ما بويع له بالخلافة ، لأنّه عطّل الحدّ الواجب في عبادة الله ابن عمر قاتل جفينة والهرمان وابنة أبي لؤلؤة ، وقد قدّمنا الكلام في ذلك في شرح الخطبة ۲۳۶ والمختار الأوّل من باب الكتب والرسائل ، فراجع .

الترجمة

این یکی از نامه های امیرالمؤمنین علی عليه السلام است که بسوی معاویه ارسال داشت :

همانا گروهی که بروجهی با ابوبکر و عمر و عثمان بیعت کردند بر آن وجه نیز بامن بیعت کردند ، پس حاضر - در مدینه - را نشاید که دیگری را

بامامت بر گزیند و غائب را نسزد که از بر گزیده قوم بامامت سر باززند .
(این گفتار تعریض است به عمل طلحه و زبیر و پیروانشان که در مدینه بودند
و بیعت کردند و نکث و نقض عهد کردند ، و بکار معاویه و اتباع او که در مدینه
نبودند و از اختیار قوم و اجماع ایشان اعراض کردند) .

و جز این نیست که مشورت در امر خلافت برای مهاجرین و انصار است که آنان
أهل حل و عقد از اُمت محمد و پیشوا و زعمای آنانند پس اگر آنان اجتماع کردند
بر مردی و او را امام خود نامیدند آن کار مرضی خداوند است ، پس اگر کسی
بسبب طعنی بر آنان یا بر کسی که با او بامامت بیعت کردند ، یا بسبب بدعتی
در آن کار از امرشان بدر میرفت او را بسوی آنچه که از او بدر رفت برمیگردانیدند
و اگر ابا میگرد با او کار زار میگردند چه او جز راه مؤمنین را پیروی کرده
است و خداوند او را بخودش وا میگذارد .

(مراد این است که برخی بآنحضرت بر قتل عثمان طعن میزدند ، و برخی
بدعت نهادند که معاویه را برای منصب خلافت نصب کردند ، و امام عَلَيْهِ السَّلَامُ در این
نامه تعریضاً بمعاویه ارائه میدهد که اگر سبیل مؤمنین را اتباع نکنند و از اجماع
مهاجر و انصار بر امامت آن بزرگوار روی بر گرداند نخست آن قوم او را بقبول
آن امر و رجوع از خودگامی و خود سری دعوت کنند ، و اگر گردن کشد
ویاغبی شود با وی بقتال قیام کنند) .

هر آینه قسم بزندگان من ای معاویه ! اگر بدیده خرد بنگری نه بهوای
نفس اُمّاره ات مرا بری ترین مردم از خون عثمان مییابی ، و خواهی دانست که
من از ریختن خونس بر کنار بودم جز اینکه خواهی جنایتی بافترا و بهتان بمن
نسبت دهی تا آنرا دست آویز خود گردانی و آنچه را که بر تو هویدا است
پوشانی .

(این معنی بنا بر آن وجه است که تجنّ مضارع جنّ باشد که بسیاری بر آن
رفته اند اگر چه صحیح این است تجنّ امر از تجنّی است ، خلاصه بنا بر مضارع

بودنش مراد اینکه بر معاویه معلوم بود که امام عليه السلام از قتل عثمان دفاع میکرد و مردم را از آن تحذیر میفرمود و از ریختن خونش بر کناره بود، جز اینکه میخواست بهانه ای در دست گیرد تا بدشمنی و کینه توزی این امر روشن و أمثال آنرا بپوشاند و انکار کند و حضرتش را بخون عثمان بیالاید .
 درود بر آنکه راه حق را پیروی کند .

(و بنا بر نسخه صحیح که تجن را امر از تتجنتی بگیریم معنی چنین است)
 پس هر چه از افتراء و بهتان که بخاطرت میرسد و خواهی بمن نسبت دهی بده « که گفته اند : دروازه شهر را توان بست و دهن مردم را نتوان بست » . و در لغت و شرح این وجه اخیر متعین و صحیح دانسته شد .

بدانکه امام عليه السلام این نامه را بنا بر عقیده قوم و حسب مقتضی مقام که مامشات با آنان است تقریر فرمود که چنانچه خلافت آن سه تن بعقیده قوم به بیعت اهل حل و عقد بود و دیگران آنرا قبول کردند و نقض بیعت نکردند و بدعت در دین ننهادند ، میبایستی درباره آنحضرت نیز که اهل حل و عقد از مهاجر و انصار بر امامت او گردن نهادند و اتفاق کردند مخالفت ننمایند ، و گر نه خلافت بلافضل آن بزرگوار و امامت حضرتش بنص خدا و رسول ثابت و مبرهن است .

ومن كتاب له عليه السلام اليه أيضاً . وهو الكتاب السابع

من باب المختار من كتبه عليه السلام و رسائله :

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَتَنِي مِنْكَ مَوْعِظَةٌ مُوَسَّلَةٌ ، وَرِسَالَةٌ مُجَبَّرَةٌ ، نَمَّقَتْهَا
 بِضَلَالِكَ ، وَ أَمْضَيْتَهَا بِسُوءِ رَأْيِكَ ، وَ كِتَابُ أَمْرٍ لَيْسَ لَهُ بَصَرٌ
 يَهْدِيهِ ، وَ لِقَائِدُ [وَ لاصالح - خل] يُرْشِدُهُ ، قَدْ دَعَاهُ الْهَوَى فَاَجَابَهُ
 وَ قَادَهُ الضَّلَالُ فَاتَّبَعَهُ ، فَهَجَرَ لِأِعْطَا ، وَ ضَلَّ خَابِطًا .

وَمِنْ هَذَا الْكِتَابِ : لِأَنَّهَا بَيْعَةٌ وَاحِدَةٌ لَا يُثْنَى فِيهَا النَّظْرُ ،
وَلَا يُسْتَأْنَفُ فِيهَا الْخِيَارُ ، الْخَارِجُ مِنْهَا طَاعِنٌ ، وَالْمُرَوِّى فِيهَا مُدَاهِنٌ .

اللغة

(موصلة) بصيغة المفعول من وصل الشيء بالشيء وصلًا ووصله لأمه أي
ربطه به .

(محببة) بصيغة المفعول من تحبب الخط والشعر وغيرهما بمعنى تحسينها
قال الجوهري في الصحاح : قال الأصمعي وكان يقال لطفيل الغنوي في الجاهلية
محبب لأنه كان يحسن الشعر .

قال الشهاب الفيومي في المصباح : حبرت الشيء حبراً من باب قتل زيتته
والحبر بالكسر اسم منه فهو محبور وحبرته بالثقل مبالغة .

نمق الكتاب تنميحاً حسنه وزينه ، فقوله عليه السلام : نمقتها بضالك أي زيتتها
به . أمضيت الأمر إمضاء أي أنفذته أو بمعنى إمضاء الصكوك والرسائل لتوقيعها
البصر : العين ونفاذ القلب وحكي أن معاوية قال لابن عباس وقد كفَّ
بصره : ما لكم يا بني هاشم تُصابون بأبصاركم إذا أسنتم ؟ فقال : كما تصابون
ببصائركم عنده .

قار الرجل الفرس قوداً وقيادةً وقياداً بالكسر : مشى أمامها آخذاً بقيادها
نقيض ساقه ، قال الخليل - كما في مصباح الفيومي : القود أن يكون الرجل أمام
الدابة آخذاً بقيادها ، والسوق أن يكون خلفها فإن قادها لنفسه قيل : اقتارها
لنفسه . وقاد الأمير الجيش قيادة فهو قائد وجمعه قادة وقواد وقواد .

(الهوى) مقصورة : إرادة النفس وميلانها إلى ما تستلذ . وممدودة : الهوى
المكتنف للأرض . وفي الصحاح : كل خال هواء . قال الشاعر :

فكيف أرحل عنها اليوم إذ جمعت طيب الهوائين مقصور وممدود
قال المبرد في الكامل : الهوى من هويت مقصور وتقديره فعل فانقلبت الياء

ألفاً فلذلك كان مقصوراً ، وإنما كان كذلك لأنك تقول هوي يهوى كما تقول
 فرق يفرق وهو هو كما تقول هورق كما ترى وكان المصدر على فعل بمنزلة الفرق
 والحذر والبطر لأن الوزن واحد في الفعل واسم الفاعل . فأما الهواء من الجو
 فممدود يدل على ذلك جمعه إذا قلت أهوية ، لأن أفعله إنما تكون جمع
 فعال وفعال وفعال كما تقول قذال وأقذلة وحمار وحمرة فهواء كذلك والمقصور
 جمعه أهواء فاعلم لأنه على فعال وجمع فعال أفعال كما تقول جمال وأجمال
 وكتب وأقتاب ، قال الله عز وجل : « واتبعوا أهواءهم » (محمد صلى الله عليه وآله - ١٩) .
 وقوله : هذا هواء يافتى في صفة الرجل إنما هو ذم يقول لا قلب له قال الله عز وجل :

« وأفئدتهم هواء » أي خالية وقال زهير :

كأن الرجل منها فوق صعل من الظلمان جوؤه هواء

وهذا من هواء الجو قال الهذلي :

هواء مثل بعلك مستميت على ما في وعائك كالخيال

(الهجر) : الهذيان وقدهجر المريض يهجر هجرأ من باب قتل خلط وهذى
 فهو هاجر والكلام مهجور . قال الجوهري في الصحاح : قال أبو عبيد يروي عن
 إبراهيم ما يثبت هذا القول في قوله تعالى « إن قومي اتخذوا هذا القرآن
 مهجوراً » (الفرقان - ٣٣) قال : قالوا فيه غير الحق ألم تر إلى المريض إذا هجر
 قال غير الحق ، قال : وعن مجاهد نحوه .

والهجر : الإسم من الإهجار وهو الإفحاش في المنطق أي الكلام القبيح

المهجور لقبه . وفي الحديث : ولا تقولوا هجرأ ، قال عوف بن الخرع :

زعمتم من الهجر المضلل أنكم ستنصر كم عمر وعلينا ومنقر

وأهجر فلان إذا أتى بهجر من الكلام عن قصد ، قال الشماخ بن ضرار :

كما جادة الأعراق قال ابن ضرارة عليها كلاماً جار فيه وأهجر

(اللانط) : ذواللغظ ، قال في المصباح : لغظ لغطاً من باب نفع و اللغظ

بفتحين اسم منه وهو كلام فيه جلبلة واختلاط ولا يتبين . قال عمرو بن أحمر

الباهلي^١ (الحماسة ٧٦٢) :

لها لغط جناح الظلام كأنها
عجارف غيث رائح متهزّم
قال المرزوقي في الشرح : اللّغط : الصوت يعني هزّها « أي هزة القدور
السود المذكورة في صدر الأشعار » في الغليان ، وانتصب جناح الظلام على الظرف
يريد أنها تغلي إذا جناح الظلام بالعشيّ وذاك وقت الضيافة وكأنّ لغطه صوت رعد
من غيث ذي تعجرف ، والعجارف شدّة وقوع المطر و تتابعه يريد أنه هبت الريح
فيه وصار له هزمة أي صوت شبه صوت القدر في غليانها بصوت الرعد من سحاب
هكذا .

(الخبط) : الحركة على غير نظام يقال : خبط اللّيل اذا سار فيه على غير
هدى . وفلان خبط خبط عشواء أي تصرف في الأمور على غير بصيرة . وقال الفيومي^٢
حقيقة الخبط الضرب وخبط البعير الأرض ضربها بيده .
وقد يكنى بالخابط عن السائل كقول زهير بن أبي سلمى في قصيدة يمدح فيها
هرم بن سان :

وليس بمانع ذي قربى ولا رحم يوماً ولا معدماً من خابط ورقاً
استعار الورق فكنتى به عن المال كما استعار الخبط فكنتى به عن طلبه
والخابط عن طالبه ، وأصله أن العرب تقول إذا ضرب الرجل الشجر ليحت وينفض
ورقه فيعلقه ، قد خرج يختبئ الشجر ، والورق المنفوخ يسمى الخبط بالفتحتين
ويقال للرجل : إن خابطه ليجد ورقاً أي إن سائله ليجد عطاءً ، لكنه ليس بمراد
ههنا والمقصود هو المعنى الأوّل .

(لايشئى) تشئى الشيء تشئية جعله اثنين ، فالمعنى لا يجعل النظر في تلك
البيعة اثنين بل هو نظر واحد تحقق من أهل الحلّ والعقد من أمة محمد ﷺ فيها
بالمدينة ، فهي لازمة على غيرهم من الحاضر والغائب .

وجاء في بعض نسخ النهج وغيره « لايشئنى فيها النظر » مكان لايشئى فيها
النظر ، يقال : استئنى الشيء استئناءً إذا أخرجه من حكم عام ، فالمعنى على هذا

الوجه لا يستثنى النظر في هذه البيعة مما قبلها أي كما أن بيعة أهل العقد والحلّ قبل هذه البيعة في أبي بكر وعمر وعثمان كانت واحدة لازمة على الشاهد والغائب وكان نظرهم في المرّة الأولى لازماً وثابتاً كما يعترف به الخصم فكذلك ههنا فلا يجوز أن يستثنى النظر فيها عما قبلها .

ولكن المعنى على الوجه الثاني لا يخلو من تكلف ، وقوله عليه السلام : يستأنف فيها الخيار قرينة على أن الوجه الأوّل هو الصواب ، على أن العبارة في نسخة المصححة الخطيّة العتيقة وفي نسخة صديقنا اللاجوردي قد قوبلت بنسخة الشريف الرضي رحمه الله هي الوجه الأوّل .

(المروئي) : من روّيت في الأمر تروية أو من روأت بالهمز إذا نظرت فيه وتفكرت وأصلها من الرويّة وهي الفكر والتدبّر . (المداهن) : المصانع يقال داهنه مداهنة وأدهنه إذا خدعه وختله وأظهر له خلاف ما يضمّر قال تعالى : « ودّوا لو تدهن فيدهنون » .

الاعراب

الباء من بضالك سببئة كأن تقول : زينت الدار بالزخرف ، وكذا الباء الثانية، كتاب امرئ عطف على موعظة، جملة ليس له بصر يهديه صفة لقوله امرئ وكذلك الجمل التالية، يهديه صفة للبصر، ويرشده للمقائد. الفاء في فحجر فصيحة واللتان قبلها للترتيب. لاغطاً وخابطاً حالان لضمير الفعلين . وضمير لأنّها للقصة . كقوله تعالى : « فاذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا » أو أنّها راجعة إلى البيعة المذكورة في كتابه عليه السلام كما سيحيى نقل كتابه بتمامه .

« اسناد هذا الكتاب ومداركه و نقل صورته الكاملة »

« واختلاف الاراء فيه وتحقيق أنيق في فيصل الامر في المقام »

قد بينا في عدّة مواضع أن الشريف الرضي رضي الله عليه إنّما عنى في النهج اجتناب محاسن كلام أمير المؤمنين عليه السلام و اجتناء ما تضمّن عجائب البلاغة وغرائب الفصاحة وجواهر العربية من كلامه عليه السلام كما نصّ عليه في خطبته على النهج

بقوله : فأجمعت بتوفيق الله تعالى على الإبتداء باختيار محاسن الخطب ، ثم محاسن الكتب ، ثم محاسن الحكم والأدب - الخ .

ولذلك ترى كثيراً في النهج أنه قدس سره ينقل من كتاب له عليه السلام شرطاً ويدع آخر فدونك الكتاب بتمامه مع ذكر ما أخذه القيمة واختلاف نسخه المروية وبيان الحق وفصل الأمر في ذلك :

فلما فرغ جرير من خطبته « قد مضى نقلها في شرح الكتاب السادس » أمر معاوية منادياً فنادى : الصلاة جامعة ، فلما اجتمع الناس سعد المنبر وخطب خطبة واستدعى أهل الشام إلى الطلب إلى دم عثمان فأجابوه وبايعوه على ذلك ، واستحثه جرير بالبيعة بخلافة أمير المؤمنين علي عليه السلام فقال : يا جرير إنها ليست بخلسة وأنه أمر له ما بعده فابلعني ربي حتى أنظر ، ودعا ثقاته واستشارهم في ذلك فأشاروا عليه أن يكتب إلى عمرو بن العاص وكان وقتئذ بالبيع من فلسطين ، وكتب كتاباً آخر إلى شرحبيل ، ودعا أتباعهم وأجمعوا آخر الأمر إلى حرب أهل العراق .

روى نصر بن مزاحم المنقري التميمي الكوفي في كتاب صفين (ص ٣٠ إلى ص ٣٤ من الطبع الناصري) عن محمد بن عبيد الله ، عن الجرجاني قال : كان معاوية أتى جريراً في منزله فقال : يا جرير إنني قد رأيت رأياً ، قال : هاته . قال : اكتب إلى صاحبك يجعل لي الشام ومصر جباية ، فإذا حضرته الوفاة لم يجعل لآحد بعده بيعة في عتقي وأسلم له هذا الأمر وأكتب إليه بالخلافة .

فقال جرير : اكتب بما أردت وأكتب معك ، فكتب معاوية بذلك إلى علي عليه السلام فكتب علي عليه السلام إلى جرير :

أما بعد فأنما أراد معاوية أن لا يكون لي في عنقه بيعة ، وأن يختار من أمره ما أحب ، وأراد أن يرثيك حتى يذوق أهل الشام ، وأن المغيرة بن شعبة قد كان أشار علي أن أستعمل معاوية على الشام وأنا بالمدينة فأبيت ذلك عليه ، ولم يكن الله ليراني أتخذ المضلين عضداً ، فان بايعك الرجل وإلا فاقبل .

أقول : كتابه هذا ليس بمدكور في النهج ، ويقال : راث على خبرك من باب باع إذا أبطأ .

قال نصر : وفي حديث صالح بن صدقة قال : أبطأ جرير عند معاوية حتى اتهمه الناس وقال علي : وقتت لرسولي وقتاً لا يقيم بعده إلاّ مخدوعاً أو عاصياً ، وأبطأ على علي حتى أيس منه .

قال : وفي حديث محمد وصالح بن صدقة قالوا : وكتب علي عليه السلام إلى جرير بعد ذلك :

أمّا بعد فإذا أتاك كتابي هذا فأحمل معاوية على الفصل ، وخذه بالأمر الجزم ثمّ خيرّه بين حرب مجلية أو سلم محظية ، فإن اختار الحرب فابذله ، وإن اختار السلم فخذ بيعته .

أقول : نقل الرضّي هذا الكتاب في النهج وهو الكتاب التالي لهذا الكتاب أعني الكتاب الثامن من باب المختار من كتبه ورسائله ، وسياً تي شره إن شاء الله تعالى . فلمّا انتهى الكتاب إلى جرير أتى معاوية فأقرأه الكتاب فقال : يا معاوية إنه لا يطبع على قلب إلاّ بذنب ، ولا ينشرح إلاّ بتوبة ، ولا أظنّ قلبك إلاّ مطبوعاً أراك قد وقفت بين الحقّ والباطل كأنك تنتظر شيئاً في يدي غيرك . فقال معاوية : ألقاك بالقيصل أوّل مجلس إن شاء الله .

قال نصر : فلمّا بايع معاوية أهل الشام وذاقهم قال : يا جرير الحق بصاحبك وكتب إليه بالحرب وكتب في أسفل كتابه : يقول كعب بن جعيل :

وأهل العراق لهم كارهيـنا

أرى الشام تكروه ملك العراق

يرى كلّ ما كان من ذلك دينـا

و كالألصا حبه مبغضاً

ودنّاهم مثل ما يقرضونا

إذا ما رمونا رميناهم

فقلنا رضينا ابن هندرضينا

فقالوا عليّ إمام لنا

فقلنا ألا لانرى أن ندينا

وقالوا نرى أن تدينوا لنا

وضرب وطعن يقرّ العمونا

ومن دون ذلك خرط القناد

وكلُّ يسرُّ بما عنده
وما في عليٍّ لم تستعجب
وإيثاره اليوم أهل الذنوب
إذا سيل عنه حداً شبهة
فليس براض ولا ساخط
ولا هو ساء ولا سره

يرى غثَّ ما في يديه سمينا
مقال سوا ضممه المحدثينا
ورفع القصاص عن القاتلينا
وعمى الجواب عن السائلينا
ولا في النهاية ولا الأمرينا
ولا بد من بعض ذأن يكوننا

أقول : ما ذكر نصر في صفين صورة كتاب معاوية إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام بل قال بالأجمال إنه كتب إليه عليه السلام بالحرب وكتب في أسفل كتابه أشعار كعب بن جعيل كما قدمنا ، لكن أبا العباس محمد بن يزيد المبرّد نقلها في الكامل وابن قتيبة الدينوري في الامامة والسياسة .

قال المبرّد : كتب معاوية إلى علي عليه السلام جواباً عن كتابه إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم من معاوية بن صخر إلى علي بن أبي طالب أما بعد فلعمري لو بايعك القوم الذين بايعوك وأنت بريء من دم عثمان كنت كأبي بكر وعمر وعثمان ، ولكنك أغريت بعثمان المهاجرين وخذلت عنه الأنصار ، فأطاعك الجاهل وقوى بك الضعيف ، وقد أبى أهل الشام إلا قتالك حتى تدفع إليهم قتلة عثمان فإن فعلت كانت شورى بين المسلمين ، ولعمري ليس حجبتك علي كحجبتك علي طلحة والزبير ، لأنهما بايعاك ولم أباعك ، وما حجبتك علي أهل الشام كحجبتك علي أهل البصرة ، لأن أهل البصرة أطاعوك ولم يطعك أهل الشام ، وأما شرك في الإسلام وقرابتك من النبي صلى الله عليه وآله وموضعك من قریش فليست أدفعه ، قال : ثم كتب في آخر كتابه بشعر كعب بن جعيل وهو : أرى الشام نكره ملك العراق - الخ .

أقول : وقد نقل الدينوري ذيل كتاب معاوية هكذا : فإذا دفعتمهم كانت شورى بين المسلمين وقد كان أهل الحجاز الحكام على الناس وفي أيديهم الحق فلمّا تركوه صار الحق في أيدي أهل الشام ، ولعمري ما حجبتك علي أهل الشام كحجبتك علي أهل البصرة ، ولا حجبتك علي كحجبتك علي طلحة والزبير ، لأن

أهل البصرة بايعوك ولم يبايعك أحدمن أهل الشام ، وأن طلحة والزبير بايعاك ولم
أبايعك ، وأما فضلك في الاسلام وقرابتك من النبي عليه الصلاة والسلام فلعمري ما
أدفعه ولا أنكره ، وما نقله كان أوفق بكتاب أمير المؤمنين عليه السلام جواباً عنه كما لا يخفى .
ثمّ النسخ في إعراب تلك الأبيات مختلفة ونحن اخترنا نسخة الكامل للمبرّد
ونسخة صفين لنصر : « وأهل العراق له كارهونا » « وكلُّ صاحبه مبغضٌ » ، « وقلنا
نرى أن تدينوا لنا » « فقالوا لنا لانرى أن نديننا » .

ثمّ روى المصراع الثاني من البيت الخامس على وجه آخر وهو : « و ضرب
وطعن يفضُّ الشئونا » . وقال أبو العباس المبرّد في كتابه الكامل : « وأحسن
الروایتين : يفضُّ الشئونا » ، ثمّ أخذ في شرح كتاب معاوية (وسند كرسورة كتابه)
والأبيات فقال :

قوله : ولكتك أغريت بعثمان المهاجرين ، فهو من الاغراء ، وهو التحريض
عليه ، يقال : أغريته به وآسدت الكلب على الصيد أو سده ايساداً ، ومن قال: أشليت
الكلب في معنى أغريت فقد أخطأ إنما أشليته دعوته إليّ ، وآسده أغريته .
وقول ابن جعيل : وأهل العراق لهم كارهينا ، محمول على أرى ، ومن قال
وأهل العراق لهم كارهونا ، فالرفع من وجهين أحدهما قطع وابتداء ثمّ عطف
جملة على جملة بالواو ولم يحمله على أرى ، ولكن كقولك كان زيد منطلقاً وعمر
منطلق ، الساعة خبرت بخبر بعد خبر . والوجه الآخر أن تكون الواو وما بعدها
حالاً فيكون معناها إذ كما تقول رأيت زيداً قائماً وعمر منطلق ، وهذه الآية تحمل
على هذا المعنى وهو قول الله عزّ وجلّ : « يغشى طائفة منكم و طائفة قد أهمتهم
أنفسهم » (آل عمران : ١٤٨) والمعنى والله أعلم إذ طائفة في هذه الحال ، وكذلك قراءة
من قرأ « ولوأنّ ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر »
(لقمان : ٢٦) أي والبحر - بالرفع - هذه حاله ، ومن قرأ البحر - بالنصب - فعلى أنّ

وقوله : ودناهم مثل ما يقرضونا ، يقول : جزيناهم ، وقال المفسرون في
قوله عزّ وجلّ : « مالك يوم الدين » قالوا : يوم الجزاء والحساب ، و من أمثال
العرب : كما تدين تدان ، وأنشد أبو عبيدة (الشعر ليزيد بن الصعق الكلابي) :

واعلم وأيقن أن ملكك زائل واعلم بأن كما تدين تدان
وللدين مواضع منها ما ذكرنا ، ومنها الطاعة ودين الإسلام من ذلك يقال
فلان في دين فلان أي في طاعته، ويقال: كانت مكة بلداً القاحاً أي لم يكونوا في
دين ملك، وقال زهير :

لئن حملت بجو في بني أسد في دين عمرو وحالت بيننا فذاك
فهذا يريد في طاعة عمرو بن هند ، والدين العادة ، يقال : ما زال هذا ديني
ودأبي وعادتي وديدني وإجريائي ، قال المثنقبي العبدي :

تقول إذا درأت لها وضيئي أهدأ دينه أبدأ وديني
أكل الدهر حل وارتحال أما تبقى علي وما يقيني
وقال الكميت بن زيد :

على ذلك إجريائي وهي ضربيتي وإن أجلبوا طراً علي وأحلبوا
وقوله : قتلنا رضينا ابن هند رضينا ، يعني معاوية بن أبي سفيان وأمه هند
بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف .

وقوله : أن تدينوا له أي أن تطيعوه، وتدخلوا في دينه أي في طاعته .
وقوله : ومن دون ذلك خرط القتاد ، فهذا مثل من أمثال العرب ، و القتاد
شجيرة شاكة غليظة أصول الشوك فلذلك يضرب خرطه مثلاً في الأمر الشديد لأنه
غاية الجهد .

ومن قال : يفض الشئونا، فيفض يفرق ، تقول: فضضت عليه المال والشئون
واحدها شأن وهي مواصل قبائل الرأس و ذلك أن للرأس أربع قبائل أي قطع
مشعوب بعضها إلى بعض فموضع شعبها يقول له الشئون واحدها شأن. وزعم الأصمعي
قال : يقال إن مجاري الدموع منها ، فلذلك يقال : استهلث شئونه وأنشد قول
أوس بن حجر :

لا تحزنيني بالفراق فإني لاتستهلث من الفراق شئوني
ومن قال : يقر العيوننا ، ففيه قولان : أحدهما للأصمعي وكان يقول : لا يجوز

غيره يقال : قرّت عينه وأقرّها الله ، وقال إنّما هو بردت من القرّ وهو خلاف قولهم سخّنت عينه وأسخنها الله ، وغيره يقول قرّت هدأت وأقرّها الله أهدأها الله ، وهذا قول حسن جميل ، والأوّل أغرب وأطرف . انتهى قوله .

« كتاب أمير المؤمنين علي عليه السلام الى معاوية »

كتبه عليه السلام جواب الكتاب الذي كتب إليه معاوية ونقل هذا الكتاب نصر ابن مزاحم في صفين (ص ٣٣ من الطبع الناصري) و ابن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ٢٧٦ في كتاب الإمامة والسياسة (ص ١٠١ ج ١ طبع مصر ١٣٧٧ هـ) وأبو العباس المبرّد المتوفى سنة ٢٨٥ هـ في الكامل (ص ١٩٣ ج ١ طبع مصر) وهو :

بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم من عليّ إلى معاوية بن صخر أمّا بعد فقد أتاني كتاب امرئٍ ليس له نظر يهديه ، ولا قائد يرشده ، دعاه الهوى فأجابه ، وقاده فاتبعه ، زعمت أنّه أفسد عليك بيعتي خطيئتي في عثمان ولعمري ما كنت إلا رجلا من المهاجرين ، أوردت كما أوردوا ، وأصدرت كما أصدروا ، وما كان الله ليجمعهم على ضلالة ، ولا ليضربهم بالعمى ، وما أمرت فيلزمني خطيئة الأمر ، ولا قتلت فيجب عليّ القصاص .

وأما قولك : إنّ أهل الشام هم الحكّام على أهل الحجاز ، فهات رجلاً من قريش الشام يقبل في الشورى أو تحلّ له الخلافة ، فان زعمت ذلك كذبك المهاجرون والأَنْصار ، وإلاّ أتيتك به من قريش الحجاز .

وأما قولك : ادفع إلينا قتلة عثمان ، فما أنت وعثمان ، إنّما أنت رجل من بني أمية ، وبنو عثمان أولى بذلك منك ، فان زعمت أنك أقوى على دم أبيهم منهم فادخل في طاعتي ثمّ حاكم القوم إليّ أحملك وإيّاهم على المحجّة .

وأما تمييزك بين الشام والبصرة وبينك وبين طلحة والزبير فلعمري ما الأمر فيما هناك إلاّ واحد ، لأنّها بيعة عامّة لا يثنى فيها النظر ، ولا يستأنف فيها الخيار . وأمّا ولوعك بي في أمر عثمان فما قلت ذلك عن حقّ العيان ولا بعين الخبر . وأمّا فضلي في الإسلام وقرابتي من النبيّ عليه السلام وشرفي في قريش ، فلعمري

أو استطعت دفع ذلك لدفعته .

قال نصر : وأمر - يعني أمر أمير المؤمنين عليه السلام - النجاشي فأجابته في الشعر ، وقال المبرّد : ثم دعا النجاشي أحد بني الحرث بن كعب فقال له : إن ابن جميل شاعر أهل الشام وأنت شاعر أهل العراق فأجب الرجل ، فقال : يا أمير المؤمنين أسمعني قوله قال : إذن اسمعك شعر شاعر ثم أسمعك فقال النجاشي يجيبه :

دعن يا معاوي ما لم يكونا	فقد حقق الله ما تحذرون
أتاكم علي بأهل الحجاز	وأهل العراق فما تصنعونا
على كل جرداء خيفانة	وأشعث نهد يسر العيون
عليها فوارس تحسبهم	كأسد العرين حمين العرينا
يرون الطعان خلال العجاج	وضرب الفوارس في النقع دينا
هم هزموا الجمع جمع الزبير	وطلحة والمعشر الناكثينا
وقالوا يميناً على حلقة	لنهدى إلى الشام حرباً زبونا
تشيب النواصي قبل المشيب	وتلقي الحوامل منها الجنينا
فان تكرر هو الملك ملك العراق	فقد رضي القوم ما تكرهونا
فقل للمضلل من وائل	ومن جعل الغث يوماً سمينا
جعلتم علياً و أشياعه	نظير ابن هند ألا تستحونا
إلى أوّل الناس بعد الرسول	وصنو الرسول من العالمينا
وصهر الرسول ومن مثله	إذا كان يوم يشيب القرونا

واعلم أن بين نسختي صفيين والكامل في كتاب أمير المؤمنين عليه السلام اختلافاً في الجملة فما في الكامل : فكتب إليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام جواب هذه الرسالة « يعني رسالة معاوية » : بسم الله الرحمن الرحيم من علي بن أبي طالب .. ليس له بصريهديه .. زعمت أنك أنما أفسد ... وما كان الله ليجمعهم على ضلال ولا ليضربهم بالعمى ، وبعد فما أنت وعثمان إنما أنت رجل من بني أمية ، وبنو عثمان أولى بمطالبة دمه ، فان زعمت أنك أقوى على ذلك فادخل فيما دخل فيه

المسلمون ثم حاكم القوم إليّ، وأمّا تمييزك بينك وبين طلحة والزبير وأهل الشام وأهل البصرة فلعمري ما الأمر فيما هناك إلاّ سواء ، لأنّها بيعة شاملة لا يستثنى فيها الخيار ولا يستأنف فيها النظر ، وأمّا شرفي في الإسلام وقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله وموضعي من قریش فلعمري لو استطعت دفعه لدفعته .

أقول : والله درّ النجاشي كأنّما روح القدس نفث في روعه و نطق بلسانه

قائلاً :

جعلتم علياً و أشياعه نظير ابن هند ألا تستحونا

وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام كما يأتي في الكتاب التاسع الذي كتبه إلي معاوية : فيا عجباً للدّهْر إذ صرت يقرن بي من لم يسع بقدمي و لم تكن له كسابقتي التي لا يدلي أحد بمثلها إلاّ أن يدّعي مدّعي لا أعرفه ، ولاظنّ الله يعرفه والحمد لله على كلّ حال .

وأقول : يا عجباً للدّهْر ثمّ يا عجباً للدّهْر قد أصبح رأى يراعة تقوه بأنّ لها يراعة على يوح ، وخنقساء شمخت بأنفها وشمزت من الرّوح . سبحان الله ، ما للتراب وربّ الأرباب ، ما للذي عبد الله على حرف و الذي لو كشف الغطاء لما ازداد يقيناً ، ما لابن آكلة الأكماد والذي تاهت في بيداء عظمته عقول العباد .

لحي الله هذا الدّهْر من شرّ سائس عصابيره تُروى و تُظمى قشاعمه

تبّاً لأشباه رجال اتبعوا أهواءهم ، فضيّعوا دينهم بدنياهم ، فنصروا من اتّخذ

المضلين عضداً حتّى ردّوا الناس عن الإسلام القهقري .

زعم الشارح البحراني أنّ ذلك الكتاب المعنون للشرح أعني الكتاب السابع

ملفّق من بعض عبارات كتابين أحدهما ذلك الكتاب المنقول من الثلاثة ، وثانيهما

كتاب آخر .

والحقّ أنّه ليس جزءٌ منهما وإنّ كانا مشتركين في بعض الجمل والعبارات

وأنّه جزء من كتاب آخر له عليه السلام جواباً عن كتاب آخر من معاوية كما سيخبر

نقلهما ، وذلك الكتاب المنقول من هؤلاء الثلاثة مذکور في النهج ، واحتمال

أنهما كتاب واحد وجاء الاختلاف من النسخ بعيد عن الصواب ، لأنَّ بينهما بوناً بعيداً ، ومجرّد الاشتراك في بعض الجمل والعبارات لا يجعلهما كتاباً واحداً ولا يؤيد الاحتمال ، فدونك ما قاله الشارح البحراني في شرح هذا الكتاب :

هذا جواب كتاب كتبه إليه معاوية صورته : من معاوية بن أبي سفيان إلى عليّ بن أبي طالب .

أمّا بعد فلو كنت عليّ ما كان عليه أبو بكر وعمر إذن ما قاتلتك ، ولا استحللت ذلك ، ولكنّه إنّما أفسد عليك بيعتي خبيثتك في عثمان بن عفان ، وإنّما كان أهل الحجاز الحكّام على الناس حين كان الحقّ فيهم ، فلمّا تركوه صار أهل الشام الحكّام على أهل الحجاز وغيرهم من الناس ، ولعمري ما حجبتك على أهل الشام كحجبتك على أهل البصرة ، ولا حجبتك عليّ كحجبتك على طلحة و الزبير ، لأنّ أهل البصرة قد كان بايعوك ولم يبايعك أهل الشام ، وأنّ طلحة و الزبير بايعاك ولم أبايعك ، وأمّا فضلك في الاسلام وقرابتك من رسول الله و موضعك من هاشم فلمست أدفعه ، والسلام .

قال : فكتب عليه السلام جوابه : من عبدالله عليّ أمير المؤمنين إلى معاوية بن صخر أمّا بعد فإنّه أتاني كتابك كتاب امرئ - إلى قوله : خابطاً ، ثمّ يتصل به أن قال : زعمت أنّه إنّما أفسد عليّ بيعتك كما أصدروا ، « كذا » وما كان الله ليجمعهم على ضلال ولا يضر بهم بعمى ، وأمّا ما زعمت أنّ أهل الشام الحكّام على أهل الحجاز فهات رجلين من قريش الشام يقبلان في الشورى ارتحل لهما الخلافة ، فان زعمت ذلك كذبك المهاجرون والأنصار ، وإلاّ فأنا آتيك بهما من قريش الحجاز . وأمّا ما ميّزت بين أهل الشام وأهل البصرة وبينك وبين طلحة و الزبير فلعمري ما الأمر في ذلك إلاّ واحد .

قال : ثمّ يتصل به قوله لأنّها بيعة عامّة إلى آخره ، ثمّ يتصل به : وأمّا فضلي في الاسلام وقرابتي من الرسول وشرفي في بني هاشم فلو استطعت دفعه لفعلت والسلام .

قال : وأمّا قوله : أمّا بعد فقد أتتني - إلى قوله : بسوء رأيك ، فهو صدر

كتاب آخر أجاب به معاوية عن كتاب كتبه إليه بعد الكتاب الذي ذكرناه، وذلك أنه لما وصل إليه هذا الكتاب من علي عليه السلام كتب إليه كتاباً يعظه فيه وصورته :
 أمّا بعد فاتق الله يا علي ودع الحسد فإنه طالما ينتفع به أهله ، ولا تقسد
 سابقة قديمك بشر من حديثك فإن الأعمال بخواتيمها ، ولا تلحدن بباطل في حق
 من لاحق لك في حقه ، فانك إن تفعل ذلك لاتضل إلا نفسك ، ولا تمحق إلا
 عملك ، ولعمري أن ما مضى لك من السوابق الحسنة لحقيقة أن تردك وتردك
 عما قد اجترأت عليه من سفك الدماء وإجلاء أهل الحق عن الحل والحرام
 فاقراً سورة الفلق وتعوذ بالله من شر ما خلق ومن شر نفسك الحاسد إذا حسد
 قفل الله بقلبك ، وأخذ بناصيتك ، وعجل توفيقك ، فانني أسعد الناس بذلك ، والسلام
 قال : فكتب عليه السلام جوابه :

أمّا بعد فقد أمتني منك موعظة - إلى قوله : سوء رأيك ، ثم يتصل به وكتاب
 ليس ببعيد الشبه منك ، حملك عليّ الوثوب على ما ليس لك فيه حق ، ولولا علمي
 بك وما قد سبق من رسول الله صلى الله عليه وآله فيك مما لامرّد له دون انفاذه إذن لوعظتك
 لكن عظني لاتنفع من حقت عليه كلمة العذاب ، ولم يخف الله العقاب ، ولا يرجو الله
 وقاراً ، ولم يخف له حذاراً ، فشأنك وما أنت عليه من الضلالة والحيرة والجهالة
 تجد الله ذلك بالمرصاد من دنيا المنقطعة وتمنيك الأباطيل ، وقد علمت ما قال النبي
 صلى الله عليه وآله وفي أمك وأبيك ، والسلام .

قال : ومما ينبت عليّ أن هذا الفصل المذكور ليس من الكتاب الأوّل
 أن الأوّل لم يكن فيه ذكر موعظة حتى يذكرها عليه السلام في جوابه ، غير أن السيد
 رحمه الله - أضافه إلى هذا الكتاب كما هو عادته في عدم مراعاة ذلك و أمثاله .
 انتهى كلامه .

أقول : وكذلك نقل هذا الكتاب من معاوية أعني قوله : أمّا بعد فاتق الله
 يا علي ودع الحسد - الخ . وجواب أمير المؤمنين عليه السلام عنه أعني قوله : أمّا بعد
 فقد أمتني منك موعظة موصلة - الخ ، في بعض الجوامع أيضاً على الصورة التي

نقله الشارح البحراني .

وكذا ما نقلنا قبلهما من كتاب معاوية أعني قوله : من معاوية بن صخر إلى علي بن أبي طالب : أمّا بعد فلعمري لو بايعك القوم - الخ ، و جواب أمير المؤمنين عليه السلام عنه أعني قوله : من علي إلى معاوية بن صخر : أمّا بعد فقد أتاني كتاب امرئ ليس له نظر - الخ ، وكان في سائر نسخ الجوامع على تلك الصورة التي نقلناها والاختلاف يسير لا يعاب به .

ولكن نصر بن مزاحم المنقري قال في كتاب صفين (ص ٥٩ من الطبع الناصري) إن معاوية كتب كتابه : أمّا بعد فاتق الله يا علي ودع الحسد فإنه طالما ينتفع به الخ - جواباً عن كتاب آخر من أمير المؤمنين علي عليه السلام كتبه إلى معاوية وهو الكتاب الذي جعله السيد رحمه الله الكتاب العاشر من بساب المختار من كتبه ورسائله عليه السلام أو له : وكيف أنت صانع إذ اتكشفت عنك جلايب ما أنت فيه من دنيا قد تبهت بزيمنتها - الخ ، وسيجيء اختلاف النسخ وأقوال آخر فيه أيضاً في شرحه إن شاء الله تعالى .

فهذا القول من نصر بن مزاحم يناقض ما ذهب إليه الشارح البحراني ، ونصر كان من الأقدمين قد أدرك الامام سيّد الساجدين علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام وكان قريب العهد من واقعة صفين ، وكلّما أتى به في كتابه فهو الأصل في ذلك وكلّ من أتى بعده وكتب كتاباً في صفين أخذ عنه واقتبس منه جلّ المطالب المهمة .

على أنه نقل في جوامع الفريقين أنه عليه السلام كتب كتاباً إلى معاوية جواباً عن كتاب آخر من معاوية إليه وفي ذلك الكتاب من أمير المؤمنين عليه السلام مذكور جميع ما أتى به السيّد في المقام أعني في هذا الكتاب السابع المعنون للشرح بلا زيادة ونقصان أجاب عليه به عن الأباطيل التي أتى بها معاوية في كتابه إليه فاندفع ما أوردها الشارح البحراني بحذفها .

والحق أن كتابه عليه السلام : من علي إلى معاوية بن صخر : أمّا بعد فقد أتاني

كتاب امرئ - الخ ، المنقول آنفاً من نصر في صفين والمبرّد في الكامل والدينوري في الإمامة والسياسة ليس بمذكور في النهج وإن كان في بعض الجمل والعبارات مشاركاً لهذا الكتاب السابع ، وإن أبيت إلاّ جعلهما كتاباً واحداً فما اعترض الشارح البحراني عليه السلام على السيد في المقام وما زعم من أن هذا الكتاب ملفق من صدر كتاب وذيل آخرفليس بصواب ، فعليك بما كتب عليه السلام جواب كتاب معاوية :

« نسخة كتاب أمير المؤمنين علي عليه السلام الى معاوية »

« جواباً عن كتاب كتبه معاوية اليه »

نقلهما غير واحد من رجال الأخبار والسير في جوامعهم ، و نقلهما الفاضل الشارح المعتزلي في شرحه على النهج ، وقد كتبه عليه السلام إلى معاوية جواباً عن كتاب كتبه معاوية إليه عليه السلام في أواخر حرب صفين لما اشتدّ الأمر على معاوية وأتباعه وكادوا أن ينهزموا ويولّوا الدّبر .

وكان كتاب معاوية : من عبدالله معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبيطالب أمّا بعد فإنّ الله تعالى يقول في محكم كتابه « ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطنّ عملك ولتكوننّ من الخاسرين » .
وإنّي أحتدّرك الله أن تحبط عملك وسابقتك بشقّ عصا هذه الأمة و تفريق جماعتها .

فاتق الله واذكر موقف القيامة واقلع عمّا أسرفت فيه من الخوض في دماء المسلمين ، وإنّي سمعت رسول الله يقول : لو تمالأ أهل صنعاء وعدن على قتل رجل واحد من المسلمين لأكتبهم الله على مناخرهم في النار ، فكيف يكون حال من قتل أعلام المسلمين ، وسادات المهاجرين ، بله ما طحنت رحاء حربهم من أهل القرآن وذي العبادة والإيمان من شيخ كبير ، وشابّ غرير ، كلهم بالله تعالى مؤمن ، و له مخلص ، و برسوله مقرّ عارف .

فإن كنت أباحسن إنمّا تحارب على الإمرة والخلافة فلعمري لو صحّت خلافتك لكنك قريباً من أن تعذر في حرب المسلمين ، ولكنّها ما صحّت لك وإنّي

بصحتها وأهل الشام لم يدخلوا فيها ولم يرتضوا بها ، وخف الله وسطواته ، واتق بأسه ونكاله ، واغمد سيفك عن الناس ، فقد والله أكلتهم الحرب فلم يبق منهم إلا كالشم في قرارة الغدير ، والله المستعان .

فكتب أمير المؤمنين علي عليه السلام جواباً عن كتابه : من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان .

أما بعد فقد أتنني منك موعظة موصلة ، ورسالة محيرة ، نمقتها بضالك وأمضيتها بسوء رأيك ، وكتاب امرئ ليس له بصريهديه ، ولا قائد يرشده ، دعاه الهوى فأجابه ، وقاده الضلال فاتبعه ، فهجر لاغطاً ، وضلّ خابطاً .

فأما أمرك بالتقوى فأرجو أن أكون من أهلها ، وأستعيز بالله من أن أكون من الذين إذا امروا بها أخذتهم العزة بالإثم .

وأما تحذيرك إياي أن يحبط عملي وسابقتي في الاسلام ، فلمعري لو كنت الباغي عليك لكان لك أن تحذرنني ذلك ، ولكنني وجدت الله تعالى يقول « فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله » فنظرنا إلى الفئتين ما الفئة الباغية فوجدناها الفئة التي أنت فيها ، لأن بيعتي بالمدينة لزمك وأنت بالشام كما لزمك بيعة عثمان بالمدينة وأنت أمير لعمر على الشام ، وكما لزمت يزيد أخاك بيعة أبي بكر وهو أمير لأبي بكر على الشام ، وأما شق عصاهذه الأمة فأنا أحق أن أنهاك عنه ، فأما تخويفك لي من قتل أهل البغي فإن رسول الله صلى الله عليه وآله أمرني بقتالهم و قتلهم وقال لأصحابه : إن فيكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله ، وأشار إليّ وأنا أولى من اتبع أمره .

وأما قولك إن بيعتي ام تصح لأن أهل الشام لم يدخلوا فيها ، كيف وإنما هي بيعة واحدة تلزم الحاضر والغائب ، لا يستثنى فيها النظر ، ولا يستأنف فيها الخيار ، الخارج منها طاعن ، والمرؤي فيها مدهان ، فاربع على ظلمك ، وانزع سربال غيئك ، واترك ما لاجدوى له عليك ، فليس لك عندي إلا السيف حتى تفيء إلى أمر الله صاعراً ، وتدخل في البيعة راغماً ، والسلام .

المعنى

قوله عليه السلام : (فقد أتتني منك موعظة موصلة) كأنما شبهه عليه السلام كتابه بثوب موصّل أي مرّقع والمراد أنّها ملفّقة من كلمات مختلفة وجمال غير مناسبة وصل بعضها ببعض .

أو المراد أنّها موعظة مجموعة ملتقطة من ألفاظ الناس ، لا أنّها من منشأته وممّا تكلم بها مرتجلاً ، وكأنّما المعنى الأوّل أظهر .

قوله عليه السلام : (ورسالة محبّرة) أي أتتني منك رسالة أتعبت نفسك في تقريرها وزيّنت ألفاظها بالتكلف والتصنع ، لما دريت في بيان اللّغة أنّ المحبّر من يحسّن الشعر والخطّ وغيرهما ، وبالجملة فيه إشارة لطيفة إلى أنّ الرّجل كان في ميدان الكلام راجلاً لا مرتجلاً .

قوله عليه السلام : (نمتقتها بضالك) قد بينّا في الاعراب أنّ الباء هذه سببيّة ، والمعنى أتتني رسالة زيّنتها وزوّفتها بسبب ضالك ، وسرّ ذلك أنّ كلّ فعل إذا لم يكن على اعتقاد وحقيقة لا يقع في محله على ما ينبغي ، ولا يصدر من الفاعل على ترتيب حسن و نظم متين ، لأنّه عمل قسريّ خارج عن سجيّة الطبع واقع بالتكلف فلا يرجى منه حسن الوقوع والنضد ، نظير ما قاله أبو الحسن عليّ بن محمّد التهامي :

ومكّلف الأيام ضدّ طباعها

متطلب في الماء جذوة نار

فاذا لابدّ لهذا العامل من غير طويّة الطبع أن ينمّق عمله ثانياً وزيّنه ليقرب من موقع ما وقع بغير تكلف .

فمقول : لمّا كان معاوية عالماً بأنّ أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام كان على بيّنة من ربّه ، وأنّ الحقّ كان معه عليه السلام حيث دار كان كتابه الذي كتبه إليه عليه السلام على التكلف والتصنع لامحالة ، فلولا ضلاله عن الحقّ لما يحتاج كتابه إلى التتميق لأنّه كان كتاباً صادراً بالطبع ولم يكن مضطرباً مشوشاً حتّى يلوح منه أثر الكلفة المحتاج إلى التزيين .

قوله عليه السلام : (وأمضيتها بسوء رأيك) أي أتقدت تلك الرسالة وبعثتها إليّ بسبب سوء رأيك بي ، ومن سوء رأيه به اختلق عليه عليه السلام بأنّه قتل عثمان وأعرض عن

إجماع المهاجرين والأنصار في المدينة على بيعته ﷺ للخلافة وفعل ما فعل .
 قوله ﷺ : (وكتاب امرىء ليس له عقل يهديه - إلى قوله : خابطاً) عطف
 على موعظة أي أتاني كتاب امرء ليس له عقل يهديه إلى الحق أي يقوده إليه
 والهادي هو الذي يتقدم فيدل ، والهادي هو الذي يتأخر فيسوق .
 وإنما حملنا البصر على العقل لا العين لأن العقل هو لطيفة مجردة إلهية
 وجوهرة ثمينة نورانية ربانية يقود الانسان إلى الرشاد ، ويهديه إلى السداد
 ويدعوه إلى الاتصاف بالصفات الإلهية ، والتخلق بالأخلاق الربوبية ، لأن العقل
 ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان ، فمن لم يكن له نور العقل ينجيه من
 المهالك ، فلا جرم يتبع الجهل والهوى ، لأن بعد الحق ليس إلا الضلال ، وبعد
 نور العقل ليس إلا ظلمة الجهل قال عز من قائل : « وماذا بعد الحق إلا الضلال »
 (يونس - ٣٣) .

وكما أن العاقل يتفوه وينطق بما يعنيه وهوفي أقواله وأعماله على الصراط
 السوي ، والنهج القويم كذلك تابع الهوى لفقدان بصيرته وعميان سريره لا بد
 أن يهجر ويهذي في نطقه ويضل عن سبيل الله في فعله وقوله لاقتضاء الهوى ذلك
 ففاقد البصر يجيب داعي الهوى ويتبع قائد الضلال فيلزمه أن يهجر لاغطاً
 ويضل خابطاً ، وبذلك ظهر سر قول أمير المؤمنين علي ﷺ كما رواه الصدوق
 رضوان الله عليه في الخصال : المؤمن ينقلب في خمسة من النور : مدخله نور ،
 ومخرجه نور ، وعلمه نور ، وكلامه نور ، ومنظره يوم القيامة إلى النور .

« بحث روائي مناسب للمقام »

رواه ثقة الاسلام محمد بن يعقوب الكليني قدس سره في أصول الكافي : أحمد
 ابن إدريس ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن بعض أصحابنا رفعه إلى أبي عبد الله ﷺ
 قال : قلت له : ما العقل ؟ قال : ما عبد به الرحمن ، واكتسب به الجنان ، قال :
 قلت : فالذي كان في معاوية ؟ فقال : تلك النكراء تلك الشيطنة وهي شبيهة بالعقل
 وليست بالعقل .

بيان : سأل أبا عبد الله عليه السلام سائل عن معرفة العقل ، ولما كان درك حقيقته و عرفان ذاته للسائل في غاية الصعوبة والتعسر جداً ، بل قد أعجز الحكماء الراسخين وتحير عقول المتألمين النيل إلى عرفان ذاته ولذا تحيروا في تحديده و اختلفوا فيه ، عرفه بعض آثاره و خواصه ، وهذا تعريف بالرسم في اصطلاح أهل الميزان .

قال المحقق الطوسي في أوائل شرحه على منطق الإشارات للشيخ الرئيس : قد يختلف رسوم الشيء باختلاف الاعتبارات ، فمنها ما يكون بحسب ذاته فقط ومنها ما يكون بحسب ذاته مقيساً إلى غيره كفعله أو فاعله أو غايته أو شيء آخر مثلاً يرسم الكوز بأنه وعاء صفري أو خزفي كذا وكذا وهو رسم بحسب ذاته ، وبأنه آلة يشرب بها الماء ، وهو رسم بالقياس إلى غايته وكذا في سائر الاعتبارات . انتهى كلامه .

فنقول : تعريفه عليه السلام العقل في الحديث بأنه ما عبد به الرحمن و اكتسب به الجنان رسم له بغايته فإن ما ينبغي للسائل أن يعرفه أو يتأتمن له عرفانه هذا الرسم له نحو قوله تعالى : « يسئلونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج » (البقرة آية ١٨٧) .

وإنما رسمه بذلك لأن اقتضاء العقل الناصع أعني المجرد عن شوائب الأمور المادية الدنيوية الموجبة لبعده عن ساحة جناب الرب جل جلاله هو ميله وارتقائه إلى الله تعالى ، لأنه من عالم الأمر يرتقي بالطبع إليه كما أن الحجر مثلاً بالطبع يهبط إلى مكانه الطبيعي له قضاء لحكم الجنسية ، ونعم ما أشار إليه العارف الرومي :

ذره ذره كاندرين أرض وسما است جنس خود را هم چو كاه و كهر با است
جان گشاید سوي بالا بالها تن زده اندر زمين چنگالها

ولذا يستلذُّ العقل من استفاضته من عالم القدس ، ويقوي ويتسع وجوداً من إفاضة الاشراق التورية الإلهية عليه ، فمقتضى طويته وسجيته التقرب إلى

الله تعالى واتصافه بصفاته العلياء ، فهو الهادي إليه تعالى ، ولذا قال عليه السلام : ما عبد به الرحمن لأنّ العبادة فرع المعرفة ولذا فسروا قوله تعالى : «وما خلقت الجنّ والانس إلاّ ليعبدون» (الذاريات- ٥٧) بقولهم: ليعرفون، فبالعقل يعرف الله ويعبد فهو مبدء جميع الخيرات الموجهة للسعادة الأبدية ، فيه يكتسب الجنان لما دريت من أنّ العقل يهدي إلى سواء السبيل ، فالعقل على الجادة الوسطى والطريقة المثلى لا يسلك مسلكي الإفراط والتفريط ، بل يعمل ما هورضى الله تعالى .

ولذا قال الامام أبو عبدالله جعفر بن محمد الصادق كما رواه ثقة الاسلام الكليني في أصول الكافي : من كان عاقلاً كان له دين ومن كان له دين دخل الجنة .
فينتج على هيئة قياس منطقي شرطي اقتراني من أعلى ضروب الشكل الأوّل فمن كان عاقلاً دخل الجنة .

ثمّ إنّ قوله عليه السلام : ما عبد به الرحمن ، إشارة إلى كمال القوّة النظرية وقوله عليه السلام : واكتسب به الجنان إلى العقل العملي ، لأنّ الأوّل مقدّم بالرتبة على الثاني كما عرفت ، وبالقوّة النظرية يعلم المعارف الكلية الإلهية ، والأحكام الشرعية . والأخلاق الحسنة ، والثانية يعمل بها ، وهاتان القوتان بمنزلة جناحين للمعقل يطير بهما من حضيض الناسوت إلى أوج القدس .

وقد تظافت الأخبار في العقل وآثاره وخواصه بعبارات عذبة لطيفة علمية من خزنة العلم أئمتنا عليهم السلام أتى بجلّها المحدث العالم لخبير الثقة الكليني رضوان الله عليه في الكافي وجعل كتابه الأوّل في العقل والجهل ، ومن تأمل علم أنّ تلك الأخبار علوم لدنيّة فاضت من سحاب وجود الذين هم وسائط الفيض بين الله تعالى وعباده .

ثمّ السائل سأله عليه السلام عن الذي كان في معاوية بقوله: قلت: فالذي كان في معاوية أي فالذي كان في معاوية ما هو على أن يكون الموصول مبتداء حذف خبره، وفي بعض النسخ كما في مرآة العقول للمجلسي -ره فما الذي كان في معاوية فعلى هذه النسخة فلا يحتاج إلى تقدير الخبر.

وبالجملة : أنَّ السائل لما رأى جربزة معاوية ودهاء و مكره و احتياله في الأمور وطلب الفضول في الدنيا التبس عليه الأمر فزعم أن تلك الروية الرديئة الدينية الدنيوية كانت في معاوية عقلاً فعدّه من العقلاء كما يزعم الجهال لبعدهم عن الأنوار العلمية من كان له شيطنة في اقتراف الأغراض الشهوانية والزخارف الدنياوية عاقلاً ، فأجابهُ عليه السلام دفعاً لالتباسه و توضيحاً لمسألته أن تلك القوة الحاكمة على معاوية هي النكراء .

والنكراء بفتح الأ و قل وسكون الثاني الدهاء والغفظة والمنكر ، قال الجوهرى في الصحاح : النكر « بضم الأ و قل وسكون » المنكر ، قال الله تعالى : « لقد جئت شيئاً نكراً » (الكهف - ٧٥) وقد يحرّك مثل عُسْر وعُسْر . قال الشاعر : وكانوا أتوني بشيء نكر ، والنكراء مثله . انتهى قوله .

أقول : والمنكر كلُّ فعل وقول تقبّحهما العقول الصحيحة الناصعة أو ما تعجز عن درك استحسانه واستقباحه فتتوقف فيه فيحكم بقبحه الشرع ، فالنكراء كلُّ ما قبّحهُ العقل أو الشرع .

ثم أعاد عليه السلام اسم الإشارة تأكيداً وتنصيماً بأن تلك القوة النكراء شيطنة أي الأفعال البارزة من معاوية ليست ممّا يأمره العقل لأنَّ العقل يسلك إلى ما فيه عبادة الرحمن واكتساب الجنان ، وكلُّ ما ليس كذلك فلا يأمر به بل ينكره وينهى عن ارتكابه ، ومنهيات العقل ومنكراته ما يوسوس بفعلها الشيطان السائق إلى التمرد والعصيان .

ولمّا كان الجهال رأوا أن علل المعلولات المختلفة تجب أن تكون مختلفة وزعموا بالقياس أن الآثار المتقاربة والمعلولات المتشابهة تجب أن تكون مستندة إلى العلل المتشابهة أيضاً ، وما زادهم ذلك القياس إلا بعداً عن الحق ، ولذا يعدّون معاوية وأشباهه السفهاء من العقلاء ، بين الإمام عليه السلام بأن المعلولات المتشابهة قد تكون مستندة إلى العلل المختلفة أيضاً . فمجرّد اشتراك القوتين في بعض الآثار كجلب نفع ودفع ضرر وسرعة التفتّح وجودة الحدس وأمثالها لا يوجب

اتحادهما حقيقة، لأنّ المنافع مثلاً قد تتعلق بالدنيا كما قد تتعلق بالآخرة فالنفع الذي يجلبه معاوية إلى نفسه مشوب بالهوى، قاده إليه الشيطنة والضلّال وهو عند أولي الألباب منكر محض وضرر صرف، فأين هذا من ذلك؟! ولذا قال عليه السلام: هي شبيهة بالعقل، وآكده توضيحاً وصرّح به ثانياً بقوله: وليست بالعقل، فبينهما بون بعيد ومسافة كثيرة. و حرف التعريف في العقل للعهد أي ليست تلك القوّة الشيطنة النكراء هي تلك اللطيفة النورية الإلهية، أي العقل الذي عرفناه بالرسم بأنّه ما عبد به الرّحمن واكتسب به الجنان.

قال الجاحظ في البيان والتبيين (ص ٢٥٨ ج ٣ طبع مصر ١٣٨٠هـ): قيل لشريك بن عبدالله: كان معاوية حليماً، قال: لو كان حليماً ماسفه الحقّ ولاقاتل عليّاً، ولو كان حليماً ما حمل أبناء العبيد على حرّمه ولما أنكح إلاّ الأكفاء.

قوله عليه السلام: (لأنّها بيعة واحدة - الخ) هذا ردٌّ على كلام معاوية حيث قال في كتابه المقدم ذكره: فلعمري لو صحّت خلافتك لكنت قريباً من أن تعذر في حرب المسلمين ولكنها ما صحّت لك وأنتى بصحّتها وأهل الشام لم يدخلوا فيها ولم يرتضوا به.

وبيان الرّدّ إنّما هو على حدّ ما قدّمنا في شرح الكتاب السادس من أنه عليه السلام احتجّ على الخصم بما كان يعتقد من أنّ أمر الإمامة ومبنى الخلافة إنّما هو بالبيعة دون النصّ فالزم معاوية بما أثبت به هو والناس خلافة أبي بكر وعمر وعثمان من أنّ أهل الشورى من المهاجرين والأنصار وهما أهل الحلّ والعقد من أمة محمد عليه السلام، كما اتّفقت كلمتهم على خلافة الثلاث واتّبعم الناس ولم ينكروا عليهم ولم يكن للشاهد أن يختار غير من اختاروا، ولا للغائب أن يردّ من بايعوه للإمامة بل إن خرج من أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردّوه إلى ما خرج منه، فان أبي قاتلوه على اتّباعه غير سبيل المؤمنين، كذلك اتّفاقهم على إمامته عليه السلام بعد عثمان حجّة على الشاهد والغائب، فلا يجوز لمعاوية وأتباعه من

أهل الشام أن يردوا من نصبه أهل الحل والعقد من المهاجرين والأنصار لأنّها بيعة واحدة لا ينشئ فيها النظر ولا يستأنف فيها الخيار كما كان الأمر في بيعة الناس مع الثلاث كذلك، فقد أهجر معاوية في قوله: وأنتى بصحتّها وأهل الشام لم يدخلوا فيها ولم يرتضوا بها.

قوله عليه السلام: (الخارج منها طاعن) أي الخارج من البيعة طاعن فيما اتفق عليه كلمة أهل العقد والحل وإجماعهم، فعليهم أن يردوه إلى ما خرج منه فإن أبي فعليهم أن يقاتلوه. كأنما إشارة إلى قوله تعالى: «وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون» (التوبة- ۱۲).

قوله عليه السلام: (والمرؤي فيها مداهن) أي الذي يتفكر و يرتأي في صحّة البيعة بعد تحققها واستقرارها خادع خائن منافق.

الترجمة

این یکی از نامه های امیرالمؤمنین علی عليه السلام است که در جواب نامه معاویه نوشت و بسویش ارسال داشت. این نامه معاویه و جواب آن در اواخر جنگ صفین وقوع یافت و صورت آن چنین است:

چون معاویه دید که علی و سربازانش در صفین عرصه را بر او و پیروانش چنان تنگ کردند که راه گزیری جز گریز برایشان نمانده بود بدر عجز در آمده نامه ای باین مضمون به امیرالمؤمنین نوشت:

این نامه ایست که بنده خدا معاویه بن ابی سفیان به علی بن ابیطالب نوشت اما بعد خداوند در کتاب استوارش فرمود «لقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين» (الزمر: ۶۵) أي پیغمبر بتو و به پیغمبران پیش از تو وحی شد که اگر شرک آوری عملت تباه خواهد شد و من تورا ای علی از خدا تحذیر مینمایم و بیم میدهم که مبدا عمل و سابقه ات در اسلام بایجاد شکاف در وحدت اُمت و پراکنده کردن جماعتشان که همسنگ شرک

است تباه شود . پس از خدا بترس و موقف قیامت را بیاد آر و از ریختن خون اینهمه مسلمانان دست بدار که من از پیغمبر شنیدم اگر اهل صنعاء و عدن بر کشتن مسلمانی همدست شوند خداوند همه آنها را برو در آتش جهنم در اندازد ، پس چگونه خواهد بود حال کسیکه اینهمه اعلام مسلمین و بزرگان مهاجرین را کشته است .

ای علی دست بدار از جنگی که چون آسیا اینهمه از اهل قرآن و عبادت کنندگان و افراد با ایمان از پیر و جوان که مؤمن مخلص و مقرر و عارف بخدا و پیغمبرش بودند آرد کرده است .

ای ابوالحسن اگر از آن روی خویشتن را امیر و خلیفه میپنداری جنگی این چنین روا میداری ، بجانم سوگند که اگر خلافت تو صحیح بوقوع می پیوست گویا جای آن بود که توان گفت در ریختن خون مسلمانان معذور باشی ، و لکن چگونه بصحت رسیده باشد با اینکه اهل شام در بیعت تو در نیامدند و بدان راضی نشدند . بترس از خدا و قهرش ، و پرهیز از سخت گیری و گوشمال دادنش و شمشیر را از روی مردم در غلاف نه که آتش جنگ مردمان را در ربود ، و از آن دریا لشکر باندازه مشت آبی در تک گودالی بیش نمانده ، خدا مستعان است .

امیر المؤمنین علیه السلام در جواب او نوشت :

این نامه ایست از بنده خدا علی امیر مؤمنان بمعاونیه پوربوسقیان . اما بعد نامه ای بآندرز از تو بما آمده که عبارات آن از گفتار این و آن چون جامه پینه دار بهم بردوخته ، و نوشته ای بتکلف انشاء شده بآلفاظ نامربوط آراسته بود آنرا بگمراهی خود زینت داده ای و بساندیشه بد خود فرستاده ای (در شرح گفته ایم که هر عمل در لباس حقیقت نباشد ناچار باید آنرا بیاریند تا بظاهر رنگ حقیقتش دهند و در معرض ترویجش در آورند) .

نامه مردی که نه بصیرتی دارد تا هدایتش کند و نه رهبری تا ارشادش نماید هوای نفس دعوتش کرد ، و اوهم إجابتش ، گمراهی افسار او را در دست گرفت و او نیز در پیش روان شد ، از این روی ژاژ خایید و یاوه گفت و بانگ بیهوده

بر آورد .

أما آنکه مرا بتقوی خوانده ای امید وارم که اهل آن بوده ، و پناه میبرم که از کسانی باشم چون بتقوی دعوت شوند حمیت آنانرا بگناه بدارد (اشاره است بآیه کریمه ۲۰۷ سوره بقره : و اذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد) .

وَأما پاسخ بیم دادن مرا از خدا که مبدا عمل و سابقه من در اسلام تباه شود اینکه بجانم سو گند اگر بر تو ستمکار بودم حق داشتی که مرا تحذیر کنی و بیم دهی ، ولكن می بینم که خدا میفرماید «فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله» (الحجرات - ۹) یعنی پس کارزار کنید با آن فرقه ای که ستم میکنند تا بامر خدا برگردند ، و فرقه ستم کننده کسانی اند که تو در آنهایی چه بیعت مردم با من در مدینه بر تو نیز که در شام بودی لازم شد چنانکه بیعت با عثمان در مدینه بر تو که از طرف عمر امیر شام بودی لازم شده بود ، و چنانکه برادرت یزید را که از طرف ابوبکر امیر شام بود بیعت ابوبکر لازم شده بود (کذا) .

أما پاسخ ایجاد شکاف در وحدت اُمت اینکه من سزاوارترم که تو را از آن نهی کنم (زیرا که معاویه آتش فتنه بپا کرد و مردم را باختلاف و قتال کشانید) .
 أما پاسخ ترساندن مرا از کشتن ستمکاران اینکه پیغمبر صلی الله علیه و آله مرا بکارزار با آنان و کشتنشان امر کرد و فرمود « إن فيكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله وأشار إلي » یعنی در میان شما کسی است که بر تأویل قرآن قتال میکند چنانکه من بر تنزیل آن قتال کردم و اشاره بسوی من فرمود که آن کس علی است .

وَأما پاسخ گفتارت که بیعت صحیح بوقوع نپیوست از آن روی که شامیان بیعت نکردند اینکه آن يك بیعت است و بر حاضر و غائب لازم ، نظر در آن دو نمی شود و استیناف در آن راه ندارد ، هر که از آن سر پیچید و بدر رفت طعن در بیعت و آئین مسلمانان زد ، و هر که در آن اندیشه ناك و دو دل است خائن و منافق است .

(احتجاج امام عليه السلام برسبيل مماشاة بآنچه خصم بدان معتقد است میباشد وگرنه در امام عصمت شرط است که باید از جانب خدا ورسول منصوب ومنصوب باشد چنانکه در شرح کتاب ششم گفته ایم) .
 أي معاوية آرام گیر ، وجامه گمراهی از تن بدر کن ، وآنچه که در آن توراسودی نیست ترك گوی ، وبرای تو در نزدم جز شمشیر چیزی نیست تا اینکه بامر خدا بر گردی ، و بذلت در بیعت در آئی ، درود بر آنکه سزاوارش است .

ومن كتاب له عليه السلام الى جرير بن عبد الله البجلي
 لها أرسله الى معاوية، وهو الكتاب الثامن من
 باب المختار من كتبه عليه السلام ورسائله

أَمَا بَعْدُ فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَاحْمِلْ مُعَاوِيَةَ عَلَى الْفِصْلِ ، وَخُذْهُ
 بِالْأَمْرِ الْجَزْمِ ، ثُمَّ خَيْرُهُ بَيْنَ حَرْبٍ مُجَلِيَّةٍ ، أَوْ سِلْمٍ مُخْزِيَّةٍ [أَوْ سِلْمٍ
 مُخْطِيَّةٍ - خ ل] فَإِنْ اخْتَارَ الْحَرْبَ فَانْبِذْ إِلَيْهِ ، وَإِنْ اخْتَارَ السِّلْمَ فَخُذْ
 بِنِعْتِهِ ، وَالسَّلَامُ .

اللغة

(فاحمل معاوية على الفصل) يقال : حملة على الأمر إذا أغراه به . والفصل القطع أي إبانة أحد الشئيين من الآخر حتى تكون بينهما فرجة يقال : فصلت الشيء فانفصل أي قطعه وانقطع . والقضاء بين الحق والباطل من حيث إنه يفصل بين الحق والباطل ، ومنه قوله تعالى « إنه لقول فصل » (الطارق - ١٤) أي فاصل قاطع ، وحديث وفد عبد القيس : فمرنا بأمر فصل ، أي لارجعة فيه ولا مرد كما في النهاية الأثرية .

وقوله تعالى « هذا يوم الفصل » (المرسلات - ٣٨) أي اليوم يبين الحق من الباطل ويفصل بين الناس بالحكم، فالمراد: فأحمل معاوية على الحكم القطعي من الطاعة أو العصيان ويقرب منه معنى قوله : (وخذ بالأمر الجزم) يقال : جزم الأمر أي قطع به قطعاً لا عودة فيه . تقول : أمرته أمراً جزمياً وهذا حكم جزم و حلف يميناً جزمياً ، فالمراد : خذ بالأمر المقطوع به إما الحرب أو السلم .

(مجلية) من الإجلاء وهو الإخراج من الوطن قهراً . يقال: أجلى فلان القومَ عن بلدهم وديارهم إذا أخرجهم عنها قهراً .

(مخزية) أي مهينة مذلة فاضحة من الخزي بالكسر فالسكون بمعنى الهوان والذللّ يقال : أخزاه إخزاء إذا أوقعه في الخزي ، وأخزى الله فلاناً أي فضحه . وفي نسخة نصر في كتاب صفين الآتي ذكرها : محظية . من الحظوة بضمّ الحاء وكسرهما ، والحظة كالعدة : المكانة والحظ من الرزق يقال : أحظاه أي جعله زاخطوة، وأحظاه به أي تفضلّ عليه به ، وروي أيضاً : مجزية ، بالجيم أي كافية . (فانبد إليه) نبذت الشيء من يدي من باب ضرب إذا طرحته ورميت به . قال أبو كبير الهذلي (الحماسة ١٢) :

وإذا نبذت له الحصاة رأيتَه فزعاً لوقعتها طُمُور الأخيَل

والنبد أيضاً إلقاء الخبر إلى من لا يعلمه . وقال الفيومي في المصباح : نبذت العهد لهم نقضته : وقوله تعالى : « فانبد إليهم على سواء » (الأتقال - ٦١) معناه إذا هادنت قوماً فعلمت منهم النقض للعهد فلا توقع بهم سابقاً إلى النقض حتى تعلمهم أنك نقضت العهد ، فيكون في علم النقض مستويين ثم أوقع بهم .

الاعراب

الفاء الأولى جواب أما ، والثانية جواب إذا ، والثالثة للتفصيل ، والأخيران جوابا للشرط كالأولين . مجلية صفة للخراب والحرب تؤنث وقد تذكّر ، قال الله تعالى : « حتى تضع الحرب أوزارها » (سورة محمد - ٦) . قال الجوهري في الصحاح قال المبرد : الحرب قد تذكّر وأنشد :

وهو إذا الحرب هفا عقابه
مِرْجَمَ حرب تلتقى حرابه
قال الخليل : تصغيرها حريب بلاهاء رواية عن العرب ، قال المازني : لأنه
في الأصل مصدر وقال الفيومي في المصباح : إنما سقطت الهاء كيلا يلتبس بمصغر
الحربة التي هي كالرمح .

مخزية صفة للسلام قال الجوهرى في المصباح : السلم : الصلح ، يفتح ويكسر
ويذكر ويؤنث قال الله تعالى : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها » (الأنفال - ٦٤)
وفي أقرب الموارد : ويؤنث حملاً على نقيضه الحرب وقال بعض أهل الأدب :
تأنيث الحرب باعتبار المحاربة والسلام للمسالمة .

ضمير إليه يرجع إلى معاوية . والسلام مبتداء وخبره محذوف ، أي والسلام
لأهله ككتابه الآتي بعد هذا . أو والسلام على من اتبع الهدى ونحوهما .

« سند الكتاب »

رواه نصر بن مزاحم المنقري في كتاب صفين (ص ٣٢ من الطبع الناصري)
عن محمد بن عبيد الله وصالح بن صدقة مسنداً ، وعلي نسخة نصر كان مكان قوله عليه السلام
(أو سلم مخزية) أو سلم محظية ، ومكان قوله (فابند إليه) فابند له .

ونقل الكتاب ابن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ٢٧٦ هـ في الإمامة والسياسة
على صورة أخرى ، قال : وذكروا أن علياً كتب إلى جرير : أما بعد فإن معاوية
إنما أراد بما طلب ألا يكون لي في عنقه بيعة وأن يختار من أمره ما أحب ، وقد كان
المغيرة بن شعبة أشار علياً وأنا بالمدينة أن أستعمله على الشام فأبيت ذلك عليه
ولم يكن الله ليراني أتخذ المصلين عضداً ، فإن بايعك الرجل والإفأقبل (ص ٩٥ ج
١ طبع مصر ١٣٧٧ هـ) .

أقول : قد ذكرنا هذا الكتاب في شرح الكتاب السابع منقولاً عن كتاب صفين
لنصر بن مزاحم . وبين النسختين اختلاف في الجملة . ثم يمكن أن يكون أنه عليه السلام
أرسل إلى جرير في تلك الواقعة كتابين أو أنهما كانا كتاباً واحداً فتشئت كما
ذكرنا نبذاً من نظائره فلاحاجة إلى جعلهما كتاباً واحداً . ونقل هذا الكتاب

المجلسي رحمه الله في البحار عن كتاب صفين لنصر أيضاً (ص ٤٧٠ ج ٨ من الطبع الكمباني) .

المعنى

قال أبو العباس المبرّد في الكامل (ص ١٩٠ ج ١ من طبع مصر، أوّل الباب ٢٧) : وجه علي بن أبي طالب عليه السلام إلى معاوية يأخذه بالبيعة له فقال له : إن حولي من ترى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من المهاجرين و الأنصار ، و لكنني اخترتك لقول رسول الله صلى الله عليه وآله فيك : خير ذي يمن : ائت معاوية فخذ بالبيعة . فقال جرير : والله يا أمير المؤمنين ما أدّخرك من نصرتي شيئاً و ما أطمع لك في معاوية . فقال علي عليه السلام : إنّما قصدي حجة أقيمها عليه .

وقال اليعقوبي في التاريخ (ص ١٦٠ ج ٢ طبع النجف ١٣٥٨ هـ) : خرج علي عليه السلام من البصرة متوجّهاً إلى الكوفة و قدم الكوفة في رجب سنة ست و ثلاثين و كان جرير بن عبد الله على همدان فعزله ، فقال لعلي عليه السلام : وجهني إلى معاوية فإنّ جلّ من معه قومي فلعلي أجمعهم على طاعتك . فقال له الأشر: يا أمير المؤمنين لا تبعه فإنّ هواه هواهم . فقال : دعه يتوجه فإن نصح كان ممّن أدّى أماتته ، وإنّ داهن كان عليه وزر من أوّتمن و لم يؤدّ الأمانة و وثق به فخالف الثقة و يايوئحهم مع من يميلون و يدعونني فوالله ما أردتهم إلاّ على إقامة حقّ ، و لا يريدونهم غيري إلاّ على باطل .

قال المبرّد : فلما أتى جرير معاوية دافعه معاوية فقال له جرير : إنّ المنافع لا يصلي حتى لا يجد من الصلاة بدءاً ، و لأحسبك تباع حتى لا تجد من البيعة بدءاً ، فقال له معاوية : إنّها ليست بخدعة الصبيّ عن اللّبن ، إنّ أمر له ما بعده فابلعني ريقى .

فناظر عمرأ - يعني عمرو بن العاصي - فطالت المناظرة بينهما ، و ألحّ عليه جرير فقال له معاوية : ألقاك بالفصل في أوّل مجلس إن شاء الله تعالى . ثمّ نقل كتاب معاوية إلى أمير المؤمنين عليه السلام و جوابه عليه السلام عن كتابه كما ذكرناهما في

شرح الكتاب السابع .

وقد نقلنا عن نصر في شرح الكتاب السابق أن جريراً أبطأ عند معاوية حتى اتهمه الناس ، وقال علي عليه السلام : وقت لرسولي وقتاً لا يقيم بعده إلا مخدوعاً أو عاصياً وأبطأ على علي عليه السلام حتى أيس منه .

قال نصر : وفي حديث محمد بن عبيدالله و صالح بن صدقة قالا : وكتب علي عليه السلام عليه السلام إلى جرير بعد ذلك : أما بعد فإذا أتاك كتابي - الخ .

وبالجملة لما أتى جرير معاوية يأخذه بالبيعة لأمر المؤمنين عليه السلام سوف معاوية وما طل في البيعة ولما رأى أمير المؤمنين عليه السلام ذلك كتب إليه ذلك الكتاب قوله عليه السلام : (فإذا أتاك كتابي فاحمل معاوية على الفصل و خذ بالأمر الجزم) يعني لا تترك معاوية يسوّف في البيعة ويماطلك بها وتدعك حيران لا تدري كيف يعامل بك ، بل احمله على الحكم القطعي والأمر المقطوع به إما أن يدخل في الطاعة فيبايع ، وإما أن يأذن بالحرب .

قوله عليه السلام : (ثم خيرته بين حرب مجلبة أو سلم محظية) لا يخفى حسن صنيعته عليه السلام حيث أمر جريراً أن يوقع معاوية بين الخوف والرجاء والتخويف والإستعطاف أي إن عصى وتمرّد عن البيعة فلا بدّ له من أن يحاربنا و الحرب تجليه عن التي اتخذها وطناً وهي الشام .

وهذا تهديد وتفريع له بأنّه إن اختار الحرب يجليه جنود الحقّ أي أنصار أمير المؤمنين علي عليه السلام وأعوانه عن بلده قهراً ، فأسناد الإجلاء إلى الحرب مجاز وإن أسلم فاختار السلم والصلح فاعزاز وإفضال باطاعته ، فنسبة الإحطاء إلى السلم مجاز أيضاً فتفسير كلامه عليه السلام على هذا الوجه يبيّن لاغبار عليه ولا يخلو من لطف .

وأما على نسخة المخزنية ، بالزاء فقيل : السلم المخزنية الصلح الدالّ على العجز والخطل في الرأي الموجب للخزي .

والظاهر أن مراده من هذا التفسير هو ما ذكره الفاضل الشارح المتعزلي حيث قال : وإنّما جعل السلم مخزنية لأنّ معاوية امتنع أوّلاً من البيعة ، فإذا

دخل في السلم فإنما يدخل فيها بالبيعة ، وإذا بايع بعد الامتناع فقد دخل تحت الهضم ورضى بالضم ، وذلك هو الخزي .

أقول : وعلى هذه النسخة عرض أمير المؤمنين عليه السلام له في قوله هذا بأنه سواء كان بايع أم لم يبايع مهان ذليل مقهور ، لأنه إن بايع فالسلم تخزيه ، وإن أبى واستكبر وأذن بالحرب فالحرب تجليه ، و أما على رواية الجيم فواضح . قوله عليه السلام : (فان اختار الحرب - الخ) هذا تفصيل لقوله : ثم خيرته . أي إذا خيرته بين الحرب والسلم فإن اختار الحرب فارمها إليه . وإن اختار السلم فخذ بيعته . والسلام لأهله .

أو أن قوله عليه السلام : فانبد إليه ، إشارة إلى قوله تعالى : « وإما تخافن من قوم خيانة فانبد إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين » (الأتقال - ٦٦) وذلك أن المراد من الخيانة في الآية نقض العهد بدليل سياق الآيات المتقدمة عليها ونظمها في ذلك ، وإجماع المفسرين عليه .

والآيات المتقدمة قوله تعالى : « إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون » الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة . وهم لا يتقنون ، فإما تنقضهم في الحرب فشر د بهم من خلفهم لعلمهم بذلك . وإما تخافن ، الآية والنسب إلى لقاء الخبر إلى من لا يعلمه . وبمعنى نقض العهد أيضاً كما مر .

فمعنى الآية : وإن خفت من قوم معاهدين أي قوم بينك وبينهم عهد لأن نقض العهد يدل على تقدم العهد ، نقض العهد لم يظهر منهم بعد ، وذلك لأن قوله تعالى : وإن خفت ، يدل على عدم ظهوره بل يخاف ذلك منهم بأمارات تلوح فيه فانبد إليهم على سواء ، أي ألق إليهم العهد الذي بينك وبينهم ، يعني أعلمهم جهاراً وأخبرهم إخباراً مكشوفاً بأنك قد نقضت ما شرطت لهم على سواء ، أي على سواء في العلم بمعنى أن يكون الفريقان متساويين في العلم بنقض العهد ، أو معناه على طريق قصد مستوي في العداوة وهذا يرجع إلى الأول أيضاً .

وبالجملة أمره الله تعالى أن لا يبدأ القوم بالقتال وهم على توهم بقاء العهد

بل يعلمهم إعلاماً مكشوفاً بنقض العهد أو لئلاً ثم يوقع بهم، فإن المناجزة قبل الاعلام به خيانة ، إن الله لا يحب الخائنين .

فالمراد من قوله عليه السلام : فإن اختار الحرب فانبذ إليه ، أن معاوية إن اختار الحرب فاطرح إليه عهد الأمان وأعلنه أنت بالحرب أيضاً مجاهراً وأخبره إخباراً مكشوفاً من غير مداينة حتى يتم الحجّة عليه بإعلام نقض العهد ولا يتوهم متوهم أن مناجزتنا إيّاه كانت خيانة وخذعة .

إن قلت : لم يكن بينه عليه السلام وبين معاوية عقد عهد حتى يستفاد هذا المعنى من قوله عليه السلام ، فكيف التوفيق ؟ .

قلت : قد احتج أمير المؤمنين عليه السلام في الكتاب السادس عليه بأن أهل الشورى من المهاجرين والأنصار لما اجتمعوا على خلافته وإمامته كان ذلك الإجماع لله تعالى رضى وحجّة على الغائب والشاهد كما في الخلفاء الذين سبقوه عليه السلام بالزّمان حتى لو خرج من إجماعهم خارج بطعن أو بدعة كانوا يردّونه على ما خرج منه فإن أبى قاتلوه .

وقد بينا في شرح ذلك الكتاب أن هذا الاحتجاج إنّما كان على سبيل المماشاة والإلزام ، وفي اصطلاح أهل الميزان على طريق القياس الجدلي ، فلزم معاوية وأتباعه على قبول خلافة أمير المؤمنين عليه السلام وإمامته والتسليم والانقياد لأمره على ما عاهده عليه أهل الحلّ والعقد من أمة محمّد صلى الله عليه وآله كما لزمهم قبول خلافة من سبق منه والتسليم لهم، فوقع بين أمير المؤمنين عليه السلام وبين معاوية عهد .

« جرير بن عبدالله البجلي من هو ؟ »

قال ابن الأثير في اسد الغابة : جرير بن عبدالله بن جابر البجلي أسلم قبل وفاة النبي صلى الله عليه وآله بأربعين يوماً ، وكان حسن الصورة . وقال النبي صلى الله عليه وآله لما دخل عليه جرير فأكرمه : إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه . وكان له في الحروب بالعراق القادسية وغيرها أثر عظيم . ومات في قرقيسيا ، وقيل : مات بالسرّاء ، وروى عنه بنوه: عبدالله ، والمنذر ، وإبراهيم، وروى عنه قيس بن أبي حازم ، والشعبي، وهمام

ابن الحارث، وأبو وائل، وأبو زرعة بن عمرو بن جرير وغيرهم. وأرسله رسول الله صلى الله عليه وآله إلى ذي الخليفة وهي بيت فيه صنم لخنعم ليهدمه، فخرج في مائة وخمسين راكباً من قومه فأحرقها.

ثم روى ابن الأثير باسناده عن قيس بن أبي حازم، عن جرير بن عبد الله قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة البدر فقال: إنكم ترون ربكم يوم القيامة كما ترون هذا لاتصامون في رؤيته.

قال: وتوفى جرير سنة إحدى وخمسين، وقيل: سنة أربع وخمسين. انتهى ما أردنا من نقل كلام ابن الأثير في ترجمة جرير ملخصاً.

قال نصر في صفين (ص ١٧ من الطبع الناصري): عن عمر بن سعد، عن نمير بن وعلة، عن عامر الشعبي أن علياً عليه السلام حين قدم من البصرة نزع جريراً عن همدان، فجاء حتى نزل الكوفة فأراد علي عليه السلام أن يبعث إلى معاوية رسولا فقال له جرير: ابعثني إلى معاوية فإنه لم يزل لي مستنصحاً ووداً نأتيه فأدعوه على أن يسلم لك هذا الأمر ويجمعك على الحق على أن يكون أميراً من أمراءك وعاملاً من عمالك ما عمل بطاعة الله واتبع ما في كتاب الله، وأدعو أهل الشام إلى طاعتك ولايتك، وجلبهم قومي وأهل بلادي وقد رجوت أن لا يعصوني.

قال: فقال له الأشر: لا تبعه ودعه ولا تصدقه فوالله إنني لأظن هواه هوهم ونيتهم نيتهم.

فقال له علي عليه السلام: حتى ننظر ما يرجع به إلينا.

نصر: صالح بن صدقة باسناده قال (ص ٣٤): لما رجع جرير إلى علي عليه السلام كثر قول الناس في التهمة لجرير في أمر معاوية، فاجتمع جرير والأشر عند علي عليه السلام فقال الأشر: أما والله يا أمير المؤمنين لو كنت أرسلتني إلى معاوية لكنت خيراً لك من هذا الذي أرخا من خناقه وأقام حتى لم يدع باباً يرجو روجه إلا فتحه، أو يخاف غمته إلا سدّه.

فقال جرير: والله لو أتيتهم لقتلوك، وخوفه بعمره وذي الكلاع و حوشب

ذي ظليم وقد زعموا أنك من قتلة عثمان .

فقال الأشر : لو أتيته والله يا جرير لم يعينني جوابها ولم تثقل عليّ محملها ولحملت معاوية على خطة أعجله فيها عن الفكر . قال : فأتهم إذا . قال : الآن وقد أفسدتهم ووقع بينهم الشر .

نصر عمر بن سعد ، عن نمير بن وعلة ، عن عامر الشعبي قال : اجتمع جرير والأشر عند عليّ عليه السلام فقال الأشر : أليس قد نهيتك يا أمير المؤمنين أن تبعث جريراً وأخبرتك بعداوته وغشّه ، وأقبل الأشر يشتمه ويقول : يا أخا بجيلة إن عثمان اشترى منك دينك بهمدان ، والله ما أنت بأهل أن تمشي فوق الأرض حياً ، إنما أتيتهم لنتخذ عندهم يدك بمسيرك إليهم ثم رجعت إليهم عندهم تهددنا بهم ، وأنت والله منهم ، ولا أرى سعيك إلا لهم ، ولئن أطاعني فيك أمير المؤمنين ليحبسناك وأشباك في محبس لا تخرجوا منه حتى تستين هذه الأمور ، ويهلك الله الظالمين . قال جرير : وددت والله أنك كنت مكاني بعثت إذا والله لم ترجع . قال : ولما سمع جرير ذلك لحق بقرقيسا ولحق به أناس من قيس فسرّ من قومه ولم يشهد صفين من قيس غير تسعة عشر ، ولكن أحمس شهدا منهم سبع مائة رجل ، وخرج عليّ إلى دار جرير فشعث منها ، وحرّق مجلسه وخرج أبو زرعة بن عمرو ابن جرير فقال : أصلحك الله إن فيها أرضاً لغير جرير ، فخرج عليّ منها إلى دار ثوير بن عامر فحرّقها وهدم منها وكان ثوير رجلاً شريفاً وكان قد لحق بجرير . قال : وقال الأشر فيما كان من تخويف جرير إياه بعمره وحوشب ذي ظليم وذي الكلاع :

و صاحبه معاوية الشامي
أخفّ عليّ من زفّ النعام
و عن بازٍ مخالفه دوام
و كيف أخاف أحلام النيام
من الدنيا وهمي ما أمامي

لعمرك يا جرير لقول عمرو
و ذي كلع وحوشب ذي ظليم
إذا اجتمعوا عليّ فخلّ عنهم
فلست بخائف ماخوّن فوني
و همّهم الذي حاموا عليه

فان أسلم أعمهم بحرب
 وإن اهلك فقد قدمت أمراً
 وقد زادوا إلىّ وأوعدونى
 ويشب لهو لها رأس الغلام
 أفوز بفلجه يوم الخصام
 ومن ذامات من خوف الكلام

والمقول عن ابن قتيبة في المعارف أن جريراً قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله سنة عشر من الهجرة في شهر رمضان فبايعه وأسلم ، و كان طوالاً ينقل في ذروة البعير من طوله ، وكانت نعله زراعاً ، وكان يخضب لحيمته بالزعفران من الليل ويغسلها إذا أصبح ، فتخرج مثل لون التبر ، واعتزل علياً عليه السلام ومعوية وأقام بالجزيرة ونواحيها حتى توفي بالشراة سنة أربع و خمسين في ولاية الضحاك بن قيس على الكوفة .
 وفي شرح المعتزلي عند شرح قوله عليه السلام : أما أنه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب البلعوم مند حق البطن - الخ : أن أشعث بن قيس الكندي وجرير بن عبد الله البجلي يبغضانه وهدم علي عليه السلام دار جرير بن عبد الله ، قال إسماعيل بن جرير : هدم علي عليه السلام دارنا مرتين .

وروى الحارث بن حزيمة أن رسول الله صلى الله عليه وآله دفع إلى جرير بن عبد الله نعلين من نعاله وقال : احتفظ بهما فإنّ ذهابهما ذهاب دينك ، فلما كان يوم الجمل ذهبت إحداهما ، فلماً أرسله علي عليه السلام إلى معاوية ذهبت الأخرى . ثمّ فارق علياً عليه السلام واعتزل الحرب .

((بحث حكيمى عقلى فى ابطال رؤيته تعالى))

« بالابصار فى الدنيا والاخرة ويتبعه بحث روائى فى ذلك »

ما روى ابن الأثير عن جرير من حديث الرؤية أوجب علينا البحث عن معنى الرؤية وتحقيقها في المقام ، فإنّ ظاهر الرواية يزل الأقدام عن صوب الصواب . قال ابن الأثير فى مادّة « ضم » من النهاية : فى حديث الرؤية : لاتضامون فى رؤيته ، يروى بالتشديد والتخفيف ، فالتشديد معناه لاينضمّ بعضكم إلى بعض تزدهمون وقت النظر إليه ، ويجوز ضمّ التاء وفتحها على تفاعلون و تتفاعلون

و معنى التخفيف لاينا لكم ضيم في رؤيته فيراه بعضكم دون بعض ، والضيم : الظلم .
قال الشهرستاني في الملل والنحل عند ترجمة الطائفة الحائضية (ص ٢٨
طبع ايران ١٢٨٨ هـ) : و من ذلك أصحاب أحمد بن حائط ، وكذلك الحديثية
أصحاب فضل الحديثي كانا من أصحاب النظام ، وطالعا كتب الفلاسفة أيضاً ، وضماً
إلى مذهب النظام ثلاث بدع - إلى أن قال : البدعة الثالثة حملهما كلهما ورد في
الخبر من رؤية الباري تعالى مثل قوله ﷺ « إنكم سترون ربكم كما ترون القمر
ليلة البدر لا تضامون في رؤيته » على رؤية العقل الأوّل الذي هو أوّل مبدع ،
وهو العقل الفعّال الذي منه تفيض الصور على الموجودات ، وإيأاه عنى النبي ﷺ :
أوّل ما خلق الله العقل فقال له : أقبل فأقبل ، ثمّ قال له : أدبر فأدبر ، فقال
وعزّتي وجلالي ما خلقت خلقاً أحسن منك ، بك أعزُّ وبك أدلُّ ، وبك أعطي ، وبك
أمنع ، فهو الذي يظهر يوم القيامة و ترتفع الحجب بينه وبين الصور التي فاضت
منه ، فيرونه كمثّل القمر ليلة البدر ، فأما واهب العقل فلا يرى ألبتة ولا يشبهه إلا
مبدع . انتهى ما أردنا من نقل كلامه .

واعلم أننا تشعبت الآراء في رؤيته تعالى على أقوال و كادت أن تنتهي إلى
أكثر من عشرة أقوال ، فذهبت الحكماء و الامامية و المعتزلة إلى استحالة رؤيته
تعالى بالأبصار في الدنيا و الآخرة ، لتجرّده تعالى ، وهذا هو المذهب المختار
الحقّ ذهب إليه جلّ الحكماء المتألهين ، والعلماء الشامخين ، و بذلك شهد العقل
و حكم به جميع الأنبياء و المرسلين ، و نطق القرآن الكريم ، و تواترت الأخبار
عن أمّتنا الهدى صلوات الله عليهم أجمعين ، و سند كرتائفة من تلك الأخبار و شرحها
بعون الله تعالى .

و إنما قيّدنا الرؤية بالأبصار لأنّ الرؤية إذا كانت بمعنى الشهود العقلي والحضور
العلمي والإنكشاف التام بالبصيرة القلبية لا بالبصر الحسي والخيالي فلا كلام في
صحّتها ووقوعها للكاملين من الموحّدين كما سيّتضح لك في البحث الآتي عن الأخبار
إنشاء الله تعالى .

و ذهبت المجسّمة و الكرامية إلى جواز رؤيته بالبصر مع المواجهة فقالت الكرامية والحابلة : يرى في جهة فوق .

قال الشهرستاني في الملل والنحل عند ترجمة الفرقة المشبهة (ص ٤٨ طبع إيران ١٢٨٨ هـ) : و أمّا مشبه الحشويّة فحكى الأشعري عن محمد بن عيسى أنه حكى عن مضر و كهمش و أحمد الهجيمي أنهم أجازوا على ربهم الملامسة والمصافحة و أنّ المخلصين من المسلمين يعانقونه في الدنيا و الآخرة إذا بلغوا في الرياضة و الاجتهاد إلى حدّ الإخلاص والاتحاد المحض .

و حكى الكعبي عن بعضهم أنه كان يجوز الرؤية في الدنيا و أن يزوروه و يزورهم .

و حكى عن داور الجوارى أنه قال : اعفوني عن الفرج و اللحية و أسألوني عمّا وراء ذلك و قال : إنّ معبوده جسم و لحم و دم و له جوارح و أعضاء من يد و رجل و رأس و لسان و عيين و أذنين ، و مع ذلك جسم لا كالأجسام ، و لحم لا كاللحم ، و دم لا كالدّماء ، و كذلك سائر الصفات ، و هو لا يشبه شيئاً من المخلوقات و لا يشبه شيء .

و يحكى عنه أنه قال : هو أجوف من أعلاه إلى صدره ، مصمت ما سوى ذلك و أنّ له وفرة سوداء ، و له شعر قطط .

و أمّا ما ورد في التنزيل من الإستواء و اليدين و الوجه و الجنب و الطحجى و الاتيان و الفوقيّة و غير ذلك فأجروها على ظاهرها أعني ما يفهم عند الإطلاق على الأجسام . و كذلك ما ورد في الأخبار من الصورة في قوله عليه السلام : خلق الله آدم على صورة الرحمن . و قوله : حتى يضع الجبار قدمه في النار . و قوله : وضع يده أو كفه على كتفي فوجدت (حتى وجدت - خ ل) برداً نامله بين ثديي (على كتفي - خ ل) إلى غير ذلك أجروها على ما يتعارف في صفات الأجسام .

ثمّ قال : و زادوا في الأخبار أكاذيب و ضعوها و نسبوها إلى النبي صلّى الله عليه وآله و أكثرها مقتبسة من اليهود ، فإنّ التشبيه فيهم طباع حتى قالوا : اشتكت عيناه

فعادته الملائكة و بكى على طوفان نوح عليه السلام حتى رمدت عيناه . و أن العرش ليأط من تحته كأطيظ الرّحل الحديد ، و أنه ليفضل من كل جانب أربع أصابع .

وروت المشبهة عنه عليه السلام أنه قال : لقيني ربّي فصافحني و كافحني و وضع يده بين كتفي حتى وجدت برداً نامله في صدري . انتهى ما أردنا من نقل كلامه . والأشاعرة مع أنهم اعتقدوا تجرّده تعالى قالوا بصحة رؤيته ، وخالفوا بذلك جميع العقلاء ، و لذا قالوا : إنه تعالى يرى لا كما قال هؤلاء القائلون بجسميته بل يرى وليس فوقاً ، و لا تحتاً ، و لا يميناً ، و لا شمالاً ، و لا أماماً ، و لا وراء ، و لا يرى كلّه و لا بعضه ، و لا هو في مقابلة الرائي ، و لا منحرفاً عنه ، و لا يصحّ الإشارة إليه إذا رأي و مع ذلك يرى و يبصر .

قال بعض الأشاعرة : فقال : ليس مرادنا بالرؤية الانطباع أو خروج الشعاع بل الحالة التي تحصل من رؤية الشيء بعد حصول العلم به ، و تحذلق بعضهم فقال : معنى الرؤية هو أن ينكشف لعباده المؤمنين في الآخرة انكشاف البدر المرئي . نقلهما الفاضل المقداد في شرحه الموسوم بالنافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر للعلامة النحليّ قدّس روحهما .

و ذهب ضرار بن عمرو إلى أن الله تعالى يرى يوم القيامة بحاسة سادسة لا بهذا البصر .

وقال قوم : يجوز أن يحوّل الله تعالى قوّة القلب إلى العين فيعلم الله تعالى بها ، فيكون ذلك الإدراك علماً باعتبار أنّه بقوّة القلب ، و رؤية باعتبار أنّه قد وقع بالمعنى الحالّ في الغير .

ثمّ القائلون برؤيته يوم القيامة اختلفوا في أنه هل يحوز أن يراه الكافر ؟ فقال أكثرهم : إن الكفار لا يرونه ، لأنّ رؤيته كرامة و الكافر لا كرامة له . و قالت السالمية و بعض الحشوية : إن الكفار أيضاً يرونه يوم القيامة .

و ذهب قوم إلى أنهم لا يرون الله تعالى و أنّ الناس كلّهم كافرهم

ومؤمنهم يرونه ولكن لا يعرفونه. وتحذلق بعضهم فقال: لا يجوز أن يرى بعين خلقت للفناء، وإنما يرى في الآخرة بعين خلقت للبقاء.

هذه نبذة من الأقوال والآراء في رؤيته تعالى وقد تمسك كل فرقة بظاهر بعض الآيات والأخبار، ولم يقدرُوا على الخروج من حكم الوهم إلى قضاء العقل والتمييز بينهما كما أشار إليه المحقق خوارجة نصير الدين الطوسي في كتابه قواعد العقائد حيث قال: وعند أهل السنة إن الله تعالى يصح أن يرى مع امتناع كونه في جهة من الجهات، واحتجوا لها بالقياس على الموجودات المرئية وبنصوص القرآن والحديث، انتهى ما أردنا من نقل كلامه.

ثم إننا لو تعرّضنا لهدم بنیان ما تمسك بها كل فرقة على البسط والتفصيل لطل بنا الخطب وخرجنا عن موضوع الكتاب، ولكن نذكر طائفة من الأصول الكلية العقلية الهادمة لما أسسوا وبنوا عليها تلك الآراء الردية ثم نعقبها بذكر ما روي عن أئمتنا المعصومين عليهم السلام لأن مقالاتهم موازين القسط في كل باب، ويفصل الخطاب في كل حكم لأولي الألباب.

واعلم أن المعتمد في أصول الإيمان هو العقل فقط والنقل إن وافقه وإلا فإن كان له محمل صحيح من وجوه الاستعارات والكنيات وغيرهما المتداولة في لسان العرب أو غيرهم المؤيدة بالشواهد والقرائن التي لها وجه وجيه وأدر كناها فنحمله عليه، وإلا إماماً نتوقف في تفسيره وتقريره كما لو كانت آية من آي القرآن المخالفة بظاهرها لحكم العقل الصريح ولم نصل إلى فهم مراده، ولكننا نعلم أن ظاهرها ليس بمراد كما نعلم أن لها معنى صحيحاً لو رزقنا إدراكه وجدناه معاضداً لحكم العقل، وإماماً نعرض عنه كالخبر الواحد المخالف للعقل والقرآن.

وهذا إلى ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وأئمتنا عليهم السلام فقد روى الشيخ أبو الفتوح الرازي في تفسيره حديثاً عن النبي صلى الله عليه وآله: إذا أتاكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله وحنة عقولكم، فإن وافقهما فاقبلوه، وإلا فاضربوا به عرض الجدار. وفي باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب من الكافي رويت عدة روايات في

ذلك عن أهل بيت العصمة و الطهارة حذروا الناس عن أخذ ماخالف كتاب الله، منها: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله عليه السلام: إن على كل حق حقيقة وعلى كل صواب نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فدعوه.

محمد بن يحيى، عن عبدالله بن محمد، عن علي بن الحكم، عن أبان بن عثمان عن عبدالله بن أبي يعفور قال: وحدثني حسين بن أبي العلاء أنه حضرا بن أبي يعفور في هذا المجلس قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن اختلاف الحديث يرويه من تثق به، ومنهم من لا تثق به، قال: إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهداً من كتاب الله أو من قول رسول الله عليه السلام، وإلا فالذي جاءكم به أولى به.

عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن خالد، عن أبيه، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن أيوب بن الحر قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: كل شيء مردود إلى الكتاب والسنة، وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف.

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن فضال، عن علي بن عقبة عن أيوب بن راشد، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف.

محمد بن اسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن الحكم وغيره عن أبي عبدالله عليه السلام قال: خطب النبي عليه السلام بمنى فقال: أيها الناس ما جاءكم عني يوافق كتاب الله فأنا قلته، وما جاءكم يخالف كتاب الله فلم أقله.

وفي باب اختلاف الحديث والحكم من الكافي باسناده عن أبان بن أبي عمير عن سليمان بن سليم بن قيس الهلالي، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنني سمعت من سلمان والمقداد وأبي ذر شيئاً من تفسير القرآن وأحاديث عن نبي الله غير ما في أيدي الناس، ثم سمعت منك تصديق ما سمعت منهم، ورأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن و من الأحاديث عن نبي الله أنتم تخالفونهم فيها و تزعمون أن ذلك كله باطل، أفترى الناس يكذبون على رسول الله عليه السلام متعمدين و يفسرون

القرآن بأرائهم؟

قال : فأقبل عليه السلام عليّ فقال : قد سألت فافهم الجواب إن في أيدي الناس حقاً وباطلاً ، وصدقاً وكذباً ، وناسخاً ومنسوخاً ، وعمماً وخاصاً ، ومحكماً ومتشابهاً ، وحفظاً وهمماً ، وقد كذب علي رسول الله صلى الله عليه وآله علي عهده حتى قام خطيباً فقال : أيها الناس قد كثرت عليّ الكذابة فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوء مقعده من النار ، ثم كذب عليه من بعده وإنما أتاكم الحديث من أربعة ليس لهم خامس :

رجل منافق يظهر الايمان متصنع بالإسلام لا يتأتم ولا يتحرج أن يكذب علي رسول الله صلى الله عليه وآله متعمداً فلو علم الناس أنه منافق كذاب لم يقبلوا منه ولم يصدّقوه ، ولكنهم قالوا : هذا قد صحب رسول الله صلى الله عليه وآله ورآه وسمع منه فيأخذون عنه وهم لا يعرفون حاله ، وقد أخبر الله عن المنافقين بما أخبره ووصفهم بما وصفهم فقال تعالى : « وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم » ثم بقوا بعده فتقرّبوا إلى أئمة الضلال والدعاة إلى النار بالزور والكذب والبهتان فولّوهم الأعمال ، وحملوهم علي رقاب الناس ، وأكلوا بهم الدنيا ، وإنما الناس مع الملوك والدنيا إلا من عصم الله ، فهذا أحد الأربعة .

و رجل سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً لم يحمل له علي وجهه وهم فيه ولم يتعمد كذباً فهو في يده يقول به ويعمل به ويرويه فيقول : أنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله ، فلو علم المسلمون أنه وهم لم يقبلوه ، ولو علم هو أنه وهم لرفضه . الي آخرهما أفاد عليه السلام .

وأتى بهذه الرواية الرّضي - ره - في باب الخطب من نهج البلاغة والصدوق في الباب الخامس والأربعين من رسالته في الاعتقادات وإنما أردنا نقل هذا المقدار من كلامه عليه السلام ليعلم أن الكذابة قد كثرت علي رسول الله صلى الله عليه وآله وأن هؤلاء المتكذبين اختلقوا الأخبار ، وافتروا علي الله ورسوله فلا يكون كل خبر مروى علي حياله حجة إلا ما يوافقه شاهد صادق كالعقل والقرآن والأحاديث الصحيحة .

و أوضح منه في مقصودنا هذا ماروي عن الحسن بن الجهم، عن الرضا عليه السلام أتى به الفيض قدس سره في باب اختلاف الحديث والحكم من الوافي (ص ٦٦ ج ١) قال : قلت له عليه السلام : يجيئنا الأحاديث عنكم مختلفة ، قال : ما جاءك عننا فأعرضه على كتاب الله عز وجل و أحاديثنا فان كان يشبههما فهو مننا وإن لم يشبههما فليس مننا . الحديث .

وقال ثقة الإسلام أبو جعفر الكليني قدس سره في أوائل الكافي :

يا أخي أرشدك الله أنه لا يسع أحداً تمييز شيء مما اختلف الرواية فيه عن العلماء عليهم السلام برأيه إلا على ما أطلقه العالم عليه السلام بقوله : اعرضوها على كتاب الله فما وافق كتاب الله عز وجل فخذوه ، وما خالف كتاب الله فردوه .
وقال العالم الرباني أبو جعفر محمد بن بابويه الملقب بالصدوق قدس سره الشريف في الباب الأول من رسالته في الاعتقادات :

اعلم أن اعتقادنا في التوحيد أن الله تعالى واحد ليس كمثله شيء ، قديم لم يزل ولا يزال سميعاً ، بصيراً ، عليمًا ، حكيمًا ، حيًا ، قيومًا ، عزيزًا ، قدوسًا عالمًا ، قادرًا ، غنيًا ، لا يوصف بجوهر ، ولا جسم ، ولا صورة ، ولا عرض ، ولا خط ولا سطح ، ولا ثقل ، ولا خفة ، ولا سكون ، ولا حركة ، ولا مكان ، ولا زمان فإنه تعالى متعال من جميع صفات خلقه خارج عن الحدّين حدّ الإبطال و حدّ التشبيه وأنه تعالى شيء لا كالأشياء ، أحد صمد لم يلد فيورث ، ولم يولد فيشارك ، ولم يكن له كفواً أحد ، ولا ندّ له ، ولا ضدّ ، ولا شبه ، ولا صاحبة ، ولا مثل ، ولا نظير ، ولا شريك له ، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ، ولا الأوهام وهو يدركها ، لا تأخذه سنة ولا نوم ، وهو اللطيف الخبير ، خالق كل شيء لا إله إلا هو له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ، و من قال بالتشبيه فهو مشرك ، و من نسب إلى الامامية غير ما وصف في التوحيد فهو كاذب ، و كلُّ خبر يخالف ما ذكرت في التوحيد فهو موضوع مخترع ، و كلُّ حديث لا يوافق كتاب الله فهو باطل ، و إن وجد في كتب علمائنا فهو مدلس والأخبار التي يتوهمها الجهال تشبيهاً لله تعالى بخلقها فمعانيها محمولة

على ما في القرآن من نظائرها ؛ إلى آخر ما قال .

أقول : لله دَرُه فانه - ره - أجاد و أفاد بما قضى به العقل الصريح والنقل الصحيح ، إلا أنه رحمه الله ذهب إلى أن من قال بالتشبيه فهو مشرك .
فإن عنى بذلك الشرك المصطلح عند المتشرعة بأن يكون قائله كافراً بحيث يترتب عليه أحكامه من النجاسة و عدم حلّ ذبيحته و سائر أحكامه التي دونت في الكتب الفقهية كما هو ظاهر كلامه - ره - فلانسلم ، لأنّ القائل برؤيته تعالى بالأبصار مثلاً و إن كان شبهه تعالى بالجسم و أثبت له صفات المخلوق المركب المرئي إلا أنه ذهب إليه من غير شعور بتلك التوالي الفاسدة و اللوازم الباطلة غير اللاتقة بذاته تعالى ، ولوتنبه بها أعرض عنها ، و ذلك القائل أطاع الوهم من حيث لا يشعر فأضله السبيل حيث رأى أن الأرض و الماء و الكواكب و غيرها مرئية محسوسة أو قابلة للرؤية ، قاده الوهم إلى أن كلّ ما هو موجود فهو مرئي محسوس فالله تعالى موجود فتصح رؤيته و ما درى أن ذلك القول ينتهي إلى التركيب و الإفتقار و سائر صفات الجسم في الله تعالى ولم يعلم من الشرع أن القائل بما تترتب عليه لوازم غير بيّنة من حيث لا يشعر مأخوذ ومحكوم بأحكام تلك اللوازم الشرعية ، بل المعلوم خلافه ، نعم لو كانت اللوازم بيّنة و مع ذلك مال إليها وشبهه تعالى بما يعلم توأله الفاسدة المترتبة على رأيه يمكن أن يقال إنه مشبه مشرك كافر .
وإن عنى معناه اللغوي العاري عن الأحكام الشرعية توسعاً ، أو أن هذا قول المشرك و هو لا يعلم به أو نظائر هذين الوجهين فلا كلام فيه إلا أن نحو هذا القائل ليس بمشرك كافر .

وقال - ره - في باب ما جاء في الرؤية من كتابه القيم المفيد في التوحيد (ص ١٠٨ طبع ايران ١٣٢١ هـ) : والأخبار التي رويت في هذه المعنى - يعنى في الرؤية - صحيحة و إنما ركت إيرادها في هذا الباب خشية أن يقرؤها جاهل بمعانيها فيكذب بها فيكفر بالله عزّ وجلّ وهو لا يعلم .

و الأخبار التي ذكرها أحمد بن محمد بن عيسى في نوادره و التي أوردها محمد بن أحمد بن يحيى في جامعه في معنى الرؤية صحيحة لا يردّها إلا مكذب بالحق أو جاهل به ، و ألفاظها ألفاظ القرآن ، و لكلّ خبر منها معنى ينفي التشبيه و التعطيل و يثبت التوحيد و قد أمرنا الأئمة صلوات الله عليهم أن لا نكلّم الناس إلا على قدر عقولهم .

و معنى الرؤية الواردة في الأخبار العلم ، و ذلك أن الدنيا دار شكوك و ارتياب و خطرات فإذا كان يوم القيامة كشف للعباد من آيات الله و أموره في ثوابه و عقابه ما يزول به الشكوك و يعلم حقيقة قدرة الله عزّ و جلّ ، و تصديق ذلك في كتاب الله عزّ و جلّ : « لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد » (ق - ٢٢) .

فمعنى ما روي في الحديث أنه عزّ و جلّ يرى أي يعلم علماً يقينياً كقوله عزّ و جلّ « ألم تر إلى ربك كيف مدّ الظلّ » (الفرقان - ٤٥) و قوله تعالى : « ألم تر إلى الذي حاجّ إبراهيم في ربه » (البقرة - ٢٥٨) و قوله تعالى : « ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت » (البقرة - ٢٤٣) و قوله تعالى : « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل » (الفيل - ٢) و أشباه ذلك من رؤية القلب وليست من رؤية العين . إلى آخر ما أفاد قدّس سرّه و إنّما نقلنا موضع الحاجة من كلامه .

أقول : قوله -ره- فيكفر بالله عزّ و جلّ وهو لا يعلم ، كأنما أراد به المعنى الثاني من المعنيين المتقدمين فلا بأس أن يجعل كلامه في التوحيد قرينة على حمل كلامه في الاعتقادات على ذلك أيضاً ، أي و من قال بالتشبيه فهو مشرك وهو لا يعلم .

فنقول : إن ما يدرك بالقوّة الباصرة لا بدّ من أن يكون جسماً كثيفاً ، لأنّ للرؤية شروطاً .

فمنها أن يكون المرئيّ مقابلاً للرائي أوفي حكم المقابل ، والثاني كروية

الانسان وجهه في المرآة ورؤية الأعراس ، لأنّ المقابل حقيقة هو الجسم واعراضه
مقابلة للرائي بالتبع فهي في حكم المقابل .

و منها عدم البعد المفرط .

و منها عدم القرب المفرط .

و منها عدم الصغر المفرط .

و منها عدم الحاجب بين الرائي والمرئي .

و منها أن يكون المرئي مضيئاً إمّا من ذاته أو من غيره .

و منها أن يكون المرئي كثيفاً أي مانعاً للشعاع من النفاذ فيه فلو لم يكن

كثيفاً لا يمكن رؤيته .

سواء قيل : إنّ الابصار بخروج الشعاع من العين على هيئة مخروط رأسه
عند مركز البصر وقاعدته عند سطح المبصر .

إمّا يكون ذلك المخروط مصمتاً أو مركباً من خطوط شعاعية مستقيمة أطرافه
التي يلي البصر مجتمعاً عند مركزه ثمّ تمتد متفرقة إلى البصر ، فما ينطبق عليه
من المبصر أطراف تلك الخطوط أدركه البصر وما وقع بين أطراف تلك الخطوط
لم يدركه .

و إمّا لم يكن الشعاع مخروطاً أصلاً بل هو خطّ مستقيم خارج من العين فإذا
انتهى إلى المرئي تحرك على سطحه في جهتي طول وعرضه حركة في غاية السرعة
ويتخيّل بحركته هيئة مخروطة كما يتخيّل القطر النازل خطاً مستقيماً والنقطة
الدائرة بسرعة خطأ مستديراً ، وهذا قول الرياضيين ذهب إلى كل واحد من الشعب
المذكورة طائفة منهم .

و سواء قيل : إنّ الابصار بالانطباع وهو مذهب الطبيعيين وهو المختار عند
أرسطو وأتباعه كالشيخ الرئيس حيث اختاره في الشفاء . .

أو قيل : إنّ المشف الذي بين البصر والمرئي يتكيف بكيفية الشعاع الذي
هو في البصر ويصير بذلك آلة للإبصار كما ذهب إليه طائفة من الحكماء .

أو قيل : لانطباع ولاشعاع وإنّما الابصار بمقابلة المستنير للبالصرة فيقع حيثنذ

لنفس علم اشراقيّ حضوريّ على المبصر كما مال إليه الشيخ الاشراقي شهاب الدين السهروردي .

أو أنّ الإبصار بإنشاء صورته مماثلة له بقدرته الله من عالم الملكوت النفساني مجردة عن المادة الخارجية حاضرة عند النفس المدركة قائمة بها قيام الفعل بفاعله لقيام المقبول بقابله .

و بالجملة أنّ المحسوس لكلّ حاسة هو الصورة الإدراكية المفارقة عن المادة، لا التي هي في مادة جسمانية ومع ذلك لا بدّ في الإبصار من مقابلة البصر لما يقع صورته عند القوة المدركة والبصر، ومن تحقّق سائر شروط الرؤية كما ذهب إليه المولى صدر المتألهين في السفر الرابع من الأسفار . وحجّة كلّ طائفة مذكورة في محالّها ولسنا الآن في ذلك المقام .

وقد أشار إلى تلك الآراء في كيفية الابصار الحكيم السبزواري قدس سرّه في غرر الفرائد بقوله منظوماً :

قد قيل الابصار بالانطباع	وقيل بالخارج من شعاع
مضطرب الآخر أو مخروطي	مصمت أو أثلّف من خطوط
لدى الجليديّة رأسه ثبت	قاعدة منه على المرئي حوت
تكيف المشف باستحالة	بكيف ضوء العين بعض قاله
و بانتساب النفس والاشراق	منها لخارج لدى الاشراقي
وصدر الآراء هورأى الصدر	فهو بجعل النفس رأياً يدري
للعضو أعداد إفاضة الصور	قامت قياماً عنه كالذي استتر

و كيف كان و لو جازت رؤيته تعالى بالأبصار لزم أن يكون جسماً ذا جهة لأنّ المرئي بالعين يجب أن يكون كثيفاً مقابلاً للرأي . وليس ذلك إلاّ الأشياء التي قبلنا ، فاذن يلزم تركيبه تعالى وتحديدّه و افتقاره وغيرها من التوالي الباطلة والمفاسد اللازمة على هذا الرأي السخيف ، تعالى الله عما يقول الجاهلون علواً كبيراً .

فلما كانت البراهين العقلية تمنعنا عن القول برويته تعالى بل برؤية المفارقات مطلقاً سواء كانوا عقولاً أو نفوساً بالأبصار فلا يصح لنا الأخذ بظواهر الأحاديث المروية في الرؤية بل بظاهر الآيات القرآنية الناطقة فيها ، وقد نعلم قطعاً أن الله تعالى وحججه ما أرادوا معانيها الظاهرة ، ولذلك تصدّى العقلاء إلى درك معانيها الحقيقية وحمل ظاهرها على ما يوافقها صريح العقل وصحيح النقل .

مثلاً أنهم بينوا في قوله تعالى : « وجوه يومئذ ناضرة ﴿٢٣﴾ إلى ربها ناظرة » (القيامة - ٢٣) الذي تمسك به الأشعري وأتباعه في القول بالرؤية وجوهاً من المعاني الصحيحة التي تناسب حكم العقل ولا يأبى عنها طباع الآية .

روى الصدوق قدس سره في الباب الحادي عشر من عيون أخبار الرضا عليه السلام بإسناده عن ابراهيم بن أبي محمود قال : قال علي بن موسى الرضا عليه السلام في قول الله تعالى « وجوه يومئذ ناضرة ﴿٢٣﴾ إلى ربها ناظرة » يعني مشرقة ينتظر ثواب ربها . وقال علم الهدى السيد المرتضى - ره - في كتابه غرر الفوائد ودرر القلائد (ص ١٦ طبع طهران ١٢٧٢ هـ) :

إن أصحابنا قد اعتمدوا في إبطال ما ظن أصحاب الرؤية في قوله تعالى « وجوه يومئذ ناضرة ﴿٢٣﴾ إلى ربها ناظرة » على وجوه معروفة ، لأنهم بينوا أن النظر ليس يفيد الرؤية ولا الرؤية من أجل احتمالاته . ودلوا على أن النظر ينقسم إلى أقسام كثيرة منها تغليب الحدقة الصحيحة حيال المرئي طلباً لرؤيته ، ومنها النظر الذي هو الانتظار ، ومنها النظر الذي هو التعطف والرّحمة ، ومنها النظر الذي هو الفكر والتأمل ، وقالوا : إذا لم يكن في أقسام النظر الرؤية لم يكن للقوم بظواهرها تعلق واحتجنا جميعاً إلى طلب تأويل الآية من غير جهة الرؤية ، وتأويلها بعضهم على الانتظار للثواب وإن كان المنتظر في الحقيقة محذوفاً والمتنظر منه مذكوراً على عادة للعرب معرفة وسلم بعضهم أن النظر يكون الرؤية بالبصر وحمل الآية على رؤية أهل الجنة لنعم الله تعالى عليهم على سبيل حذف المرئي في الحقيقة ، وهذا الكلام مشروح في مواضعه وقد بينا ما يورد عليه وما يجاب عن الشبهة المعترضة فيه في مواضع كثيرة .

قال : وهبنا وجه غريب في الآية حكي عن بعض المتأخرين - قيل : إن ذلك البعض هو صاحب بن عباد - لا يفتقر معتمده إلى العدول عن الظاهر أو إلى تقدير محذوف ، ولا يحتاج إلى منازعتهم في أن النظر يحتمل الرؤية أولاً يحتملها ، بل يصح الإعتقاد عليه ، سواء كان النظر المذكور في الآية هو الانتظار بالقلب أو الرؤية بالعين ، وهو أن يحمل قوله تعالى «إلى ربها» على أنه أراد به نعمتها لأنها الآلاء النعم وفي واحدتها أربع لغات يقال : ألى مثل قفا ، وإلى مثل معي وألى مثل ظبي ، وإلى مثل حسي : قال الأعشى بكر بن وائل :

أبيض لا يهرب الهزال ولا
يقطع رحماً ولا يخون إلى

أراد أنه لا يخون نعمة وأراد تعالى بألى ربها نعم ربها ، واسقط التنوين للإضافة .

قال : فإن قيل : أي فرق بين هذا الوجه وبين تأويل من حمل الآية على أنه أريد بها إلى ثواب ربها ناظرة يعني رائيةً لنعمه و ثوابه ؟

قلنا : ذلك الوجه يفتقر إلى محذوف لأنه إذا جعل إلى حرفاً ولم يعلقها بالرب تعالى فلا بد من تقدير محذوف وفي الجواب الذي ذكرناه لا يفتقر إلى تقدير محذوف ، لأن إلى فيه اسم تتعلق به الرؤية فلا يحتاج إلى تقدير محذوف غيره ، والله أعلم بالصواب ، انتهى كلامه رفع مقامه ، وذكر البيت الطبرسي -ره- أيضاً في التفسير واستشهد به بأن إلى في الآية اسم مفرد الآلاء .

وجميع الآيات التي تمسك بها الأشاعرة كان من هذا القبيل ، وكذا الأخبار الظاهرة في الرؤية ، ولو كان خبر ناصباً في مقصودهم بالفرض لرفضه ونضبه على الجدار لعلنا بأنه موضوع وإلا لما خالف العقل والقرآن .

على أن للروايات التي تعلقوا بها أيضاً معاني صحيحة كما سنشير إلى نبذة منها عند شرح الأحاديث الآتية المطروحة عن الأئمة عليهم السلام في إبطال رؤيته تعالى بالأبصار .

ثم إن الأشاعرة سلكوا في قولهم هذا مسلك قولهم في الكلام النفسي حيث

زعموا في ماهية كلامه تعالى أنه معنى قديم قائم بذاته ليس بحرف ولا صوت ولا أمر ولا نهي ولا خبر ولا استخبار وغير ذلك من أساليب الكلام ، لأنهم مع ذهابهم إلى تجرّده تعالى قالوا برؤيته بالأبصار ولكنه يرى لا كما يرى الأجسام بل يرى وليس فوقاً ولا تحتاً ولا يميناً - إلى آخر ما نقلنا من مذهبهم في الرؤية .

ثم إن بعض الأشاعرة لما التفتوا إلى سخافة رأي شيخهم في الرؤية تصدّى لحمل كلامه على وجه لعله يوافق حكم العقل فقال : ليس مرادنا بالرؤية الانطباع أو خروج الشعاع ، بل الحالة التي تحصل من رؤية الشيء بعد حصول العلم به .

و مراده من كلامه هذا أنه ليس المراد بالرؤية هو الانكشاف التام المسلم جوزاه عند الكل ، و لا ارتسام صورة المرئي في العين المسلم امتناعه عند الكل بل أمر آخر وراء ذلك يسمونه بالحالة التي تحصل من رؤية الشيء بعد حصول العلم كما صرّح به شارح الفصوص المنسوب إلى الفارابي ، والفخر الرازي في المحصل والرجلان من كبار الأشاعرة .

فقال الأوّل (ص ١٢٦ طبع طهران ١٣١٨ هـ) : مذهب أهل الحقّ وهم الأشاعرة أن الله تعالى يجوز أن يرى منزهاً عن المقابلة والجهة والمكان ، وخالفاً في ذلك سائر الفرق ، ولا نزاع للمنافين في جواز الانكشاف التام العلمي ، ولا للمثبتين في امتناع ارتسام صورة المرئي في العين ، و اتصال الشعاع الخارج من العين بالمرئي إنما محل النزاع إذا عرفنا الشمس مثلاً بحدّ أو رسم كان نوعاً من الإدراك ، ثم إذا بصرتها وغمضنا العين كان نوعاً آخر فوق الأوّل ، ثم إذا فتحتنا العين يحصل لنا من الإدراك نوع آخر فوق الأوّل ونسبها الرؤية ولا يتعلق في الدنيا إلا بما هو في جهة أو مكان ، فمثل هذه الحالة الإدراكية هل يصح أن يقع بدون المقابلة والجهة وأن يتعلق بذات الله تعالى منزهاً عن الجهة والمكان أم لا فالأشاعرة يثبتونها والمعتزلة وسائر الفرق ينكرونها . انتهى كلامه .

ولا يخفى عليك أنه لم يأت بما يغنيهم و ينجيهم من مهالك رأيهم الكاسد ، وأورد عليه الفخر في المحصل اعتراضات كثيرة مع أنه حرّر البحث أيضاً مثل ذلك

الرجل و قال : محل النزاع ذلك الأمر الآخر لا الأول ، و اختار آخر الأمر أن المعتمد في مسألة الرؤية الدلائل السمعية .

و نقل كلامه و إن كان مفضياً إلى إطناب ، ولكن لما كان الرجل من أعظم الأشعرية ، و قوله يعنى به في تقرير مذهبوا إليه يعجبني نقله حتى يعلم منه أنهم لما رأوا كرامة رأي رئيسهم تصدوا إلى تحصيل مخلص ، فتراهم أنهم في كل واد يهيمون ، فذهب بعضهم إلى أن المراد من الرؤية تلك الحالة ، و الآخر إلى أنه الكشف التام ، وثالث إلى أن المعتمد الدلائل السمعية مع أن شيخهم أبا الحسن علي بن إسماعيل الأشعري اعتقد خلاف ما بينوه .

قال الشهرستاني في الملل و النحل (ص ٤٥ طبع ايران ١٢٨٨ هـ) : و من مذهب الأشعري أن كل موجود فيصح أن يرى ، فإن المصحح للرؤية إنما هو الرجود ، و الباري تعالى موجود فيصح أن يرى ، و قد ورد السمع بأن المؤمنين يرونه في الآخرة قال الله تعالى « وجوه يومئذ ناظرة إلى ربها ناظرة » إلى غير ذلك من الآيات و الأخبار . قال : ولا يجوز أن تتعلق به الرؤية على جهة و مكان و صورة و مقابلة و اتصال شعاع أو على سبيل انطباع فإن ذلك مستحيل . انتهى قوله .

و أقول : إن قول الأشعري يضاها ما ذهب إليه الملحدون قديماً و حديثاً حيث قالوا : كل ما يرى فهو موجود ، فلو كان الله موجوداً كان مرئياً ، فحيث لم نره فليس بموجود .

على أنه يرد على الأشعري أن المعاني و المشمومات و المسموعات و كثيراً من الأجسام كالهواء و الفلك و جميع المشف الذي ينفذ فيه نور البصر لا تصح أن ترى ، اللهم إلا أن يقال : إن الرجل لما كان يعتقد بالإرادة الجزائية و يجوز تخلف المسببات عن الأسباب إلا أن عادة الله جرت باحراق النار و تبريد الماء مثلاً لأن النار سبب للإحراق ، يقول في عدم رؤية تلك الأشياء أيضاً بتخلفها عن أسبابها و بأن إرادة الله لم تجر برؤيتها .

أمّا كلام الفخر الرازي في المحصل فقال (ص ١٣٧ طبع مصر ١٣٢٣ هـ) «مسألة» الله تعالى يصحُّ أن يكون مرئياً، خلافاً لجميع الفرق، أمّا الفلاسفة والمعتزلة فلا إشكال في مخالفتهم، و أمّا المشبهة والكرامية فلا نهم! نماجوزوا رؤيته لاعتقادهم كونه تعالى في المكان والجهة و أمّا بتقدير أن يكون هو تعالى منزهاً عن الجهة فهم يحيلون رؤيته، فثبت أن هذه الرؤية المنزهة عن الكيفية مما لا يقول به أحد إلا أصحابنا.

وقبل الشروع في الدلالة لا بدّ في تلخيص محلّ النزاع.

فإنّ لقائل أن يقول: إن أردت بالرؤية الكشف التامّ فذلك مسلم، لأنّ المعارف تصير يوم القيامة ضرورية، وإن أردت بها الحالة التي نجدها من أنفسنا عند اتصال الشعاع الخارج من العين إلى المرئي أو عن حالة مستلزمة لارتسام الصورة أو لخروج الشعاع وكلّ ذلك في حق الله تعالى محال، وإن أردت به أمراً ثالثاً فلا بدّ من إفادة تصوّره، فإنّ التصديق مسبوق بالتصوّر.

والجواب أننا إذا علمنا الشيء حال ما لا نراه ثم رأيناه فأننا ندرك تفرقة بين الحالين. وقد عرفت أنّ تلك التفرقة لا يجوز عودها إلى ارتسام الشبح في العين، ولا إلى خروج الشعاع منها، فهي عائدة إلى حالة أخرى مسمّاة بالرؤية فنُدعي أنّ تعلّق هذه الصفة بذات الله جائز، هذا هو البحث عن محلّ النزاع، والمعتمد أنّ الوجود في الشاهد علّة لصحة الرؤية فيجب أن يكون في الغائب كذلك. قال: وهذه الدلالة ضعيفة من وجوه:

أحدها أنّ وجود الله تعالى عين ذاته، وذاته مخالف لغيره فيكون وجوده مخالفاً لوجود غيره فلم يلزم من كون وجودنا علّة لصحة الرؤية كون وجوده كذلك. سلّمنا أنّ وجودنا يساوي وجود الله تعالى ومجرّد كونه وجوداً لكن لانسليم أنّ صحة الرؤية في الشاهد مفتقرة إلى العلّة، فإنّا بئسنا أنّ الصحة ليست أمراً ثبوتياً فتكون عدمية، وقد عرفت أنّ عدم لا يعمل.

سلّمنا أنّ صحة رؤيتنا معلّلة فلم قلت إنّ العلّة هي الوجود؟ قالوا: لأنّنا

نرى الجوهر واللون قداشتركا في صحّة الرؤية ، و الحكم المشترك لا بدّ له من علّة مشتركة ولا مشترك إلاّ الحدوث والوجود ، والحدوث لا يصلح للعلية ، لأنّه عبارة عن وجود مسبق بالعدم ، والعدم نفي محض ، والعدم السابق لا دخل له في التأثير فيبقى المستقلّ بالتأثير محض الوجود ، فنقول : لانسلّم أنّ الجوهر مرئيّ على ما تقدّم . سلّمناه لكن لانسلّم أنّ صحّة كون الجوهر مرئيّاً يمنع حصولها في اللون مرئيّاً ، فلم لا يجوز أن يقال : الصحتان نوعان تحت جنس الصحّة ؛ تحقيقه أنّ صحّة كون الجوهر مرئيّاً يمنع حصولها في اللون ، لأنّ اللون يستحيل أن يرى جوهرأ والجوهر يستحيل أن يرى لوناً ، وهذا يدلّ على اختلاف هاتين الصحتين في الماهية سلّمنا الاشتراك في الحكم فلم قلت : إنّه يلزم من الاشتراك في الحكم الاشتراك في العلّة ؟ بيانه ما تقدّم من جواز تعليل الحكمين المتمثلين بعلمتين مختلفتين .

سلّمنا وجوب الاشتراك فلم قلت : إنه لا مشترك سوى الحدوث و الوجود وعليكم الدلالة . ثمّ نحن نذكره وهو الإمكان ولاشكّ أنّ الإمكان مغاير للحدوث فان قلت : الامكان عدميّ قلت : فامكان الرؤية أيضاً عدميّ ؛ ولا استبعاد في تعليل عدميّ بعدميّ .

سلّمنا أنّه لا مشترك سوى الحدوث والوجود فلم قلت : إنّ الحدوث لا يصلح قوله لأنّه عبارة عن مجموع عدم ووجود ؛ قلنا : لانسلّم بل هو عبارة عن كون الوجود مسبوقاً بالعدم و مسبوقيّة الوجود بالعدم غير نفس عدم . والدليل عليه أنّ الحدوث لا يحصل إلاّ في أوّل زمان الوجود ، وفي ذلك الزمان مستحيل حصول عدم فعلمنا أنّ الحدوث كيفية زائدة على عدم .

سلّمنا أنّ المصحّح هو الوجود فلم قلت : إنه يلزم من حصوله في حقّ الله تعالى حصول الصحّة فانّ الحكم كما يعتبر في تحقيقه حصول المقتضي يعتبر فيه أيضاً انتفاء المانع ، فلعلّ ماهيّة الله تعالى أو ماهيّة صفة من صفاته ينافي هذا الحكم ومما يحقّقه إنّ الحياة مصحّحة للجهل والشهوة ، ثمّ إنّ حياة الله تعالى لا تصحّحها

إمّا لأنّ الاشتراك ليس إلاّ في اللفظ ، أو اشتراكاً في المعنى لكن ماهية ذات الله تعالى و ماهية صفة من صفاته ينافيهما ، وعلى التقديرين فإنه يجوز في هذه المسألة ذلك أيضاً .

سلمنا أنه لم يوجد المنافي لكن لم لايجوز أن يكون حصول هذه الرؤية في أعيننا موقوفاً على شرط يمتنع تحققه بالنسبة إلى ذات الله تعالى. فإنّ الأثر المرئي إلاّ إذا انطبعت صورة صغيرة متساوية للمرئي في الشكل في أعيننا ، و في المحتمل أن يكون حصول الحالة المسمّاة بالرؤية مشروطاً بحصول هذه الصورة أو كان مشروطاً بحصول المقابلة ، ولمّا امتنع حصول هذه الأمور بالنسبة إلى ذات الله لا جرم امتنع علينا أن نرى ذات الله تعالى
والمعتمد في المسألة الدلائل السمعية :

أحدها أنّ رؤية الله تعالى معلّقة باستقرار الجبل و هو ممكن و المعلق على الممكن ممكن فالرؤية ممكنة .
و ثانيها أنّ موسى عليه الصلاة والسلام سأل الرؤية ولولم تكن الرؤية جائزة لكان سؤال موسى عبثاً أو جهلاً .

و ثالثها قوله تعالى « وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة » انتهى ما أردنا من نقل كلامه في المسألة

فعلمت أنه صرّح بأنّ المراد بالرؤية عند الأشعري وأتباعه ليس الانكشاف التام ، ولا ارتسام صورة المرئي في العين ، لعدم الخلاف في صحّة الأوّل و بطلان الثاني بل المراد تلك الحالة الإدراكية التي فسّرت .
ولمّا كان هذا المعنى أيضاً غير مستقيم بوجوه أشير إلى بعضها عدل عنه الفخر و تمسك بظاهر الآيات الثلاث ، مع أنها لا تدلّ على مرادهم .

والعجب من الفخر كيف اعتمد على الآيات في إفادة ذلك المعنى الذي يأبى عنه العقل والنقل أيضاً كقوله تعالى « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير » . (الأنعام - ١٠٤) و كيف تدركه الأبصار وهو اللطيف الخبير . وفي كلمة

اللطف في المقام لطائف يفهمها من كان له قلب .

نعم الوجه الأول الذي بينه بعض آخر منهم من أن معنى الرؤية عندهم الكشف التام أي ينكشف لعباده المؤمنين في الآخرة انكشاف البدر المرئي متين غاية المتانة ، لما علمت آتفا من أن الدنيا دار شكوك وارتباب ، فاذا كان يوم القيامة كشف للعباد ما يزول به الشكوك .

قال بعض المحققين كما نقل المولى صدر اعنه في الفصل الرابع من الموقف السابع من السفر الرابع من الأسفار :

إنَّ الإنسان مادام في مضيق البدن وسجن الدنيا مقيداً بقيود البعد والمكان وسلاسل الحركة والزمان ، لا يمكنه مشاهدة الآيات الآفاقية والأنفسية على وجه التمام ولا يتلوها دفعة واحدة إلا كلمة بعد كلمة ، و حرفاً بعد حرف ، ويوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة .

فيتلو آية ويغيب عنه أخرى ، فيتوارد عليه الأوضاع ، ويتعاقب له الشؤون والأحوال ، وهو على مثال من يقرأ طوماراً و ينظر إلى سطر عقيب آخر ، وذلك لتصور نظره وقوة إدراكه عن الإحاطة بالتمام دفعة واحدة قال تعالى : « وذكّرهم بأيام الله إن في ذلك لآيات » (ابراهيم - ٥) .

فاذا قويت بصيرته وتكحلت عينه بمور الهداية والتوفيق كما يكون عند قيام الساعة فيتجاوز نظره عن مضيق عالم الخلق والظلمات إلى عالم الأمر والنور فيطالع دفعة جميع ما في هذا الكتاب الجامع للآيات من صور الكوان والأعيان كمن يطوى عنده السجل الجامع للسطور والكلمات ، وإليه الإشارة بقوله تعالى « يوم نظوي السماء كطي السجل للكتب » (الأنبياء - ١٠٤) وقوله : « والسموات مطويات بيمينه » .

وإنما قال بيمينه لأن أصحاب الشمال وأهل دار النكال ليس لهم نصيب في طي السماء بالقياس إليهم و في حقهم غير مطوية أبداً ، لتقيّد نفوسهم بالأمكنة والغواشي كما قال تعالى « لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواشي » (الأعراف - ٤٢)

فلو كانت الأشاعرة عنوا من قولهم هذا المعنى أعني ذلك الكشف التام الذي بينه ذلك البعض ، فنعم الوفاق ، وإلا فلا يتصور منه إلا الرؤية بالبصر وهو باطل عقلاً وسمعاً ، ولكن قد عرفت أن هذا المعنى اللطيف الصحيح ليس بمراد الأشعري وأتباعه كما صرح به الرجالان والشهرستاني في الملل وغيرهم .

ثم إن حمل الحائطية والحديثية خبر رؤية البارئ تعالى مثل قوله عليه السلام « إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لاتضامون في رؤيته » وأشباهه على رؤية العقل الأول كما نقل عنهما الشهرستاني في الملل على ما قدّمنا آنفاً فليس بصحيح أيضاً .

وذلك لأنهما حملا كلمة الرب في الحديث على العقل الأول من حيث إنه مرب لما دونه من الموجودات وهذا لا بأس به كما برهن في محله أن لكل نوع من الأمور التي تليها فرداً مجرداً عقلاً على صورته يسمى رب ذلك النوع وهو تعالى رب أرباب النوعيات ، ولكنهما أخطئا في هذا الرأي أيضاً من حيث إنهما اختاراه حذراً من الإشكال الوارد على ظاهر الحديث أعني ما يتبادر إليه الذهن من أن كلمة الرب هو الله تعالى رب العالمين وقد كبراً إلى ما فرأ منه ، لأن العقل الأول لا يمكن رؤيته بالأبصار ، لأنه من الموجودات النورية المحضة والمجردات الصرفة ، والمفارقات مطلقاً سواء كانوا عقولاً أو نفوساً لا يمكن رؤيتهم بالأبصار ، لأنهم ليسوا بجسم ولا جسماني ، وليس لهم جهة وكثافة وثقل وغيرها من أوصاف الجسم .

على أن الأجسام المشقة وكثيراً من الأعراف مع كونها في جهة لا ترى وحكم بما أشرنا إليه العقل وعاضده الشرع ، فقد قام البرهان على أن الصادر الأول لا يكون إلا عقلاً ، والعقل لا يكون إلا مجرداً . وقد قال الله تعالى : « ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها » (التوبة-٢٦) وقال تعالى : « فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها » (التوبة-٤٠) وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم

ريحاً و جنوداً لم تروها » (الأحزاب - ١٠)

و الجنود في الآيات الملائكة ، و ذلك أن الله تعالى قال : « لقد نصركم الله في مواطن كثيرة و يوم حنين إذا أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً و ضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم و لئتم مدبرين » ثم أنزل الله سكينته على رسوله و على المؤمنين و أنزل جنوداً لم تروها و عذب الذين كفروا و ذلك جزاء الكافرين ، (التوبة - ٢٥ و ٢٦) .

و من تلك المواطن بدر و قد قال الله تعالى : « و لقد نصركم الله بدر و أتمت أدلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون » إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين » بلى إن تصبروا و تتقوا و يأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ، (آل عمران ١٢١ - ١٢٣) .

و قال تعالى . إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين ، (الأتفال - ١٠) .

و قد قال أمير المؤمنين عليه السلام حين سئل عن العالم العلوي : صور عارية عن المواد ، خالية عن القوة و الاستعداد ، تجلى لها فأشرقت ، و طالها فتلاً لأت ، ألقى في هويتها مثاله ، و أظهر عنها أفعاله . الحديث .

و هذه الصور قد يعبر عنهم بالعقول ، و قد يعبر عنهم بالملائكة ، و إذا كانوا عارين عن المواد لا يمكن رؤيتهم بالأبصار ، لما أشرنا إليه آنفاً من أن المرئي بالبصر يجب أن يكون مادياً كشيئاً ، و قد قدمنا في المباحث السابقة نبذة من الكلام في ذلك (راجع ص ٧٩ ج ٢ من التكملة) .

و أمّا جواب الأقوال التي نقلها الشهرستاني من أن داود الجوارى ذهب إلى أن معبوده جسم و لحم و دم - الخ ، و أن مضرو كهمش و الهجيمي أجازوا على ربهم الملامسة و المصافحة ، و أن المخلصين يعاقونه في الدارين و غيرهما من أقوال المشبهة فهو أنهم شبهوه تعالى بأنفسهم .

على حدومأ أفاده مولانا الامام الخامس محمد بن علي الباقر عليه السلام : هل سمي عالماً قادراً إلا لما وهب العلم للعلماء، والقدرة للقادرين؟ وكلما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلكم .

وفي رواية أخرى عن الصادق عليه السلام : كلما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم، ولعل النمل الصغار تتوهم أن الله سبحانه زبانتين، فإن ذلك كما لها، و تتوهم أن عدمهما نقصان لمن لا يتصف بهما، وكذا حال العقلاء فيما يصفون الله سبحانه وتعالى به .

وأما الروايات الموعودة فقد رويت عن أئمتنا المعصومين عليهم السلام في إبطال رؤيته تعالى بالأبصار مطلقاً روايات لطيفة دقيقة لو تأمل فيها من كان له قلب سليم وسرقة نبي علم أن تلك الدقائق الحكمية والمعارف الحقة الالهية، والاشارات التوحيدية والأصول الكلية العقلية التي لم تبلغ إليها أفكار أوحدي الناس في تلك الأعصار فضلاً عن غيرهم، ولا يدركها الراسخون في العلوم الالهية والمعارف العقلية إلا بعد تلطيف سر، وتصفية فكر، وتجريد ذهن، ومدد سماوي إنما فاضت من سماء صدور الذين هم المستضيئون بأنوار الرحمن، والعارفون ببطون القرآن، والعالمون بالعلوم الدنيوية المستفاضة من لدن مبدء العالم عليهم وهم الذين فتحوا أبواب الاستدال العقلي على العلوم الربوبية .

و المتضلع في أقوال علماء الشرع ومباحثهم الكلامية المنقولة من الخاصة والعامة علم أن قصارى استدلالهم على اصول العقائد وغيرها كانت مقصورة بمفاهيم الآيات والأحاديث الظاهرة ولم يعهد منهم إقامة نحو تلك البراهين العقلية الماثورة عن آل محمد عليه السلام .

فعليك بما رواه عنهم ثقة الإسلام أبو جعفر الكليني في الكافي، والشيخ الأجل الصدوق في التوحيد والأمال، والشيخ الجليل الطبرسي في الاحتجاج، وبما استنبط منها المتألهون من مطالب عرشية رقيته، ونكات عقلية أنيقة مما يضيء العقل ويقويه ويحييه .

إذا شئت أن ترضى لنفسك مذهباً وتعرف صدق القول من كذب أخبار
 فوال أناساً قولهم و حديثهم روى جدُّ ناعن جبرئيل عن الباري
 ودونك شرح الحكيم المتأله المولى صدر الشيرازي ، و شرح الحكيم
 المولى محمد صالح المازندراني ، و شرح الحكيم الفيض في الوافي على أصول الكافي
 و شرح الحكيم القاضي السعيد القمي على كتاب التوحيد للصدوق ، و شروح غيرهم
 من فحول العلماء على الكافي و التوحيد وغيرهما مما رويت عن أئمتنا الطاهرين
 حتى يتبين لك أن المعارف الحقّة في الأصول الاعتقاديّة هي التي أفادوها و بينوها
 لأهلها ، و أن من حاد عنها فقد سلك طريقة عمياء قاده الهوى إليها ، و أطاع الوهم
 فأضله الجادّة الوسطى و أن من عزي إلى الإماميّة غير ما هدهم إليها أئمتهم
 فقد افتري .

فقد يخلق بنا الآن أن نذكر عدّة روايات في ذلك الموضوع المعنون
 و نفسرها بقدر الوسع على الإيجاز و الاختصار ، دون التطويل و الإكثار عسى أن
 ينفع طالب الرشد و باغي السداد فتقول و بالله التوفيق و عليه التكلان :
 إن الكليني قدّس سرّه قد نقل في الباب التاسع من كتاب التوحيد من
 جامعه أصول الكافي المترجم بباب إبطال الرؤية أحاديث عنهم عليهم السلام و أتى بطائفة
 منها الصدوق قدّس سرّه في التوحيد و الأمامي ، و الشيخ الجليل الطبرسي - ره -
 في الاحتجاج ، و العلامة المجلسي في البحار ، و نحن اخترنا منها ما نوردها ههنا
 و نبحت عن معانيها و نكشف القناع عن دقائقها و لطائفها بعون الله تعالى .

« الحديث الاول »

و هو الحديث الرابع من ذلك الباب من الكافي رواه باسناده عن أحمد بن
 إسحاق قال : كتبت إلى أبي الحسن الثالث عليه السلام أسأله عن الرؤية و ما اختلف فيه
 الناس ، فكتب عليه السلام : لا يجوز الرؤية ما لم يكن بين الرائي و المرئي هواء يتفذه البصر
 فاذا انقطع الهواء عن الرائي و المرئي لم تصح الرؤية ، و كان في ذلك الاشتباه ،
 لأن الرائي متى ساوى المرئي في السبب الموجب بينهما في الرؤية و جب الاشتباه

وكان ذلك التشبيه لأن الأسباب لا بد من اتصالها بالمسببات .

و روى الحديث الصدوق في باب ما جاء في الرؤية من كتابه التوحيد عن الحسين بن أحمد بن إدريس ، عن أبيه ، عن أحمد بن إسحاق أيضاً ، وبينهما اختلاف في الجملة و على ما في التوحيد : قال : كتبت إلى أبي الحسن الثالث عليه السلام عن الرؤية و ما فيه الناس - فإذا انقطع الهواء و عدم الضياء بين الرائي - و كان في ذلك التشبيه - الخ . و قال المجلسي - ره - في مرآة العقول : و في بعض النسخ لم ينفذه البصر .

ورواه أيضاً الشيخ الجليل الطبرسي في الاحتجاج عن أحمد بن إسحاق عنه عليه السلام : قال : كتبت إلى أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام أسأله عن الرؤية و ما فيه الخلق ، فكتب عليه السلام : لا يجوز الرؤية ، و في وجوب اتصال الضياء بين الرائي والمرئي وجوب الاشتباه ، والله منزّه عن الاشتباه ، فثبت أنه لا يجوز على الله تعالى الرؤية بالأبصار ، لأن الأسباب لا بد من اتصالها بالمسببات .

أقول : يعلم من عقد ذلك الباب في الكافي و التوحيد و في الغرر و الدرر للشريف المرتضى علم الهدى ، و في أوائل المقالات للشيخ الأجل المفيد ، و في غيرها من الكتب الكلامية و الروائية ، و من سؤال الناس الأئمة عليهم السلام عن الرؤية سيما من سؤال محمد بن عبيد أبالحسن الرضا عليه السلام عن الرؤية و ما ترويه العامة و الخاصة و من سؤال عبدالسلام بن صالح الهروي عنه عليه السلام رواه الطبرسي في الاحتجاج و الصدوق في أوئل الباب الحادي عشر من عيون أخبار الرضا عليه السلام قال : قلت لعلي بن موسى الرضا عليه السلام : يا ابن رسول الله ما تقول في الحديث الذي يرويه أهل الحديث أن المؤمنين يزورون ربهم الخ . و من سؤال أحمد بن إسحاق أبالحسن الثالث عليه السلام عن الرؤية و ما اختلف فيه الناس و غيرها مما سأيتي طائفة منها و بيانها أن البحث عن الرؤية كان دارجاً و رائجاً في تلك الأعصار جدّاً .

قال القاضي نورالله نورالله مرقدّه في المجالس عند ترجمة اسماعيل بن علي ابن إسحاق بن أبي سهل بن نوبخت البغدادي نقلاً عن النجاشي أنه صنف كتاباً في استحالة

رؤية القديم .

اغتر كثير من الناس بظاهر الآيات والأخبار ، و تفننت الآراء فيها وكان محضر الأئمة مختلف الناس يسألونهم عن الرؤية وكان الأئمة عليهم السلام يقودهم إلى الصراط السوي ، و يهديهم إلى مناهج الصدق ببراهين متقنة متفسنة على حسب اختلاف عقول الناس ووسعهم .

ثم لما كان ذلك البحث دائراً و مال غير فرقة إلى التشبيه والرؤية بالأبصار وكانت فطرة الناس السليمة تأتي عن قبول الرؤية والتشبيه وأشباههما التجأوا إلى الأئمة الهداة المهديين لعلمهم بأنهم عليهم السلام خزنة علمه تعالى و عيبة وحيه ، وبأنّ عندهم مفاتيح الحكمة و علم الكتاب و فصل الخطاب ، فتبصّر ثم استقم .

أبو الحسن الثالث هو الإمام العاشر عليّ بن محمد الهادي العسكري عليه السلام كما في رواية الطبرسي في الاحتجاج .

و أحمد بن إسحاق بن سهل القمي كان ثقة قال الكشي في الرجال : إنه عاش بعد وفاة أبي محمد (الحسن بن عليّ العسكري عليه السلام) .

سأله عليه السلام عن الرؤية هل يجوزها أم لا وعمّا اختلف فيه الناس من جوازها عند بعض و استحالتها عند آخر ، و المراد أنه سأله عليه السلام عن المذهب الحق في ذلك فكتب عليه السلام إليه بأنّ رؤيته تعالى بالأبصار مستحيلة . لأنّ الرؤية تلازم تجسّم الباري و تحيّزه ، و ذلك لأنّ الرؤية إنما تتحقّق إذا كان بين الرائي والمرئي هواء ينفذه البصر ، فإذا انقطع الهواء عن الرائي والمرئي بأن وقع بينهما حائل مثلاً لم تصحّ الرؤية ، فإذا لا بد أن يكون المرئي شبيهاً بالرائي من حيث انهما وقعا في طرفي امتداد فاصل هو الهواء و تتحقّق بينهما الوضع بمعنى تمام المقولة على هيئة مخصوصة لازمة للأبصار .

و المراد بالإشتباه هو هذا المعنى في المقام أي كون المرئي شبيهاً بالرائي في تلك الصفات الخاصّة بالأجسام من الوضع والمحاذاة والتقابل والطرف والجهة وغيرها يقال : اشتبه الشيطان إذا أشبه كلُّ منهما الآخر ، وكان ذلك الإشتباه تشبيهاً

تعالى بالأجسام وهو منزّه عن ذلك فلا تدرّكه الأَبصار .

وإنّما يجب في الرؤية واسطة الهواء بين الرائي والمرئي وكونهما طرفي الواسطة بحيث يساوي أي ساهمت الرائي المرئي، وذلك ككّله يكون موجبا لكون المرئي شبيهاً بالأجسام ، لأنّ الهواء المتوسط سبب للرؤية ، وهي سبب لمسامة الرائي والمرئي في طرفي الواسطة ، والمسامة سبب لكون كل منهما في حيز وجهة فهي أسباب لوجوب المشابهة بينه تعالى والأجسام ، والأسباب لا بدّ أن تكون متصلة بمسبباتها غير منفكّة عنها .

وبالجملة إنه عليه السلام احتجّ على بطلان رؤيته تعالى بالأبصار بقياسين: أحدهما قياس اقترانيّ مؤلّف من متصلتين ، والآخر قياس استثنائيّ مؤلّف من شرطية هي نتيجة الأوّل وحملية ، وصورتها :

كلّما كان الشيء مرئياً بالأبصار وجب أن يكون طرف الهواء المتوسط ومقابلاً للرائي ، وكلّما كان كذلك فهو جسم ، ينتج كلّما كان الشيء مرئياً بالأبصار فهو جسم ، ثمّ نقول : لو كان الله تعالى مرئياً بالأبصار فهو جسم ، لكنّه ليس بجسم فليس بمرئيّ .

إن قلت: قد يرى الأشياء وهي أوالرائي تحت الماء الصافية فليس بينهما إلاّ ماء ينفذها نور البصر ، وليس من شروط الإبصار أن يكون الواسطة هواء ليس إلاّ فكيف قال عليه السلام : ما لم يكن بين الرائي والمرئي هواء ينفذه البصر ؟

أقول : المذهب المنصور في الإبصار سواء كان بخروج الشعاع أوالإبصار أو غيرهما أنه لا بدّ من توسط جسم شفاف كما سيأتي برهانه ، وأمّا كونه هواءً فقط فليس بواجب ولكن لما كان أكثر ما يبصر بالقوّة الباصرة إنّما كان الهواء بينهما متوسطاً وكان أنس الناس به أكد لهج به عليه السلام على سبيل ذكر مصداق لا على سبيل الإحصار .

وذهب بعض أعظم العصر إليّ أنّ الهواء في الحديث ليس الهواء الذي هو أحد العناصر حيث قال : الهواء في لغة العرب هو الخلاء العرفي قال الله تعالى :

« وأفتدتهم هواء » أي خالية من العقل والتدبر ، وقال جرير : و مجاشع قصب هوت أجوافه أي خلت أجوافه ، وفي الصحاح كلُّ خال هواء ، وهذا هو المراد هنا لا الهواء المصطلح للطبيعيين و هو جسم رقيق شفاف كما حمله عليه صدر المتألمين قدس سره و هذا الهواء الذي هو جسم رقيق عند العرف بمنزلة العدم .

و الحاصل أنه لا بد للرؤية من فاصلة بين الرائي والمرئي ، ويتحقق الفاصلة بعدم وجود جسم كثيف ، والأجسام الفلكية غير مانعة للرؤية لأنها أشف وأرق من هذا الهواء المكتنف للأرض ، فهي بمنزلة الهواء فيكون الهواء في لغة العرب أقرب من البعد المفطور الذي يقول به بعض الفلاسفة ، انتهى موضع الحاجة من نقل كلامه .

أقول : لا كلام في أن الهواء أحد معانيه ما ذكره كما قدّمنا البحث عن ذلك في شرح الكتاب السابع ، ولكن ليس هذا المعنى بمراد في الحديث ، لبطان الخلاء أوّلاً ، و عدم تحقق الرؤية بلا واسطة جسم شفاف بين الرائي والمرئي ثانياً وإن ذهب بعض إلى أن الواسطة كلما كانت أرق كانت الرؤية أولى وأسرع كالمرئي في الهواء و الماء ثم قال بالقياس فلو كانت الواسطة خلاء محضاً لكانت الرؤية أكمل لكن حجته داحضة والحق أن في الرؤية لا بد من توسط جسم شفاف كما اختاره الحكيم المولى صدرا قدس سره في آخر الباب الرابع من السفر الرابع من الأسفار ، وأقام فيه برهاناً بما لا مزيد عليه حيث قال :

« فصل » في أنه لا بد في الابصار من توسط الجسم الشفاف . واعلم أن الحجّة على ذلك أن تأثير القوى المتعلقة بالأجسام في شيء و تأثرها عنه لا يكون إلا بمشاركة الوضع و منشأ ذلك أن التأثير والتأثر لا يكون إلا بين شيئين بينهما علاقة علّية و معلولية ، و هذه العلاقة متحققة بالذات بين القوة و ما يتعلق به من مادة أو موضوع أو بدن ، لأنّها إما علّة ذاته أو علّة تشخصه أو كماله ، و متحققة بالعرض بينها وبين ماله نسبة وضعيّة إلى ذلك المتعلق به ، فإن العلاقة الوضعيّة في الأجسام بمنزلة العلاقة العلّية في العقليات إذ الوضع هو بعينه نحو وجود الجسم و تشخصه

فإذا كان الجسمان بحيث يتجاوران بأن يتصل طرفاهما فكأنهما كانا جسماً واحداً
فإذا وقع تأثير خارجي على أحدهما فيسري ذلك التأثير إلى الآخر كما تسخن
بعض جسم بالنار فإنه يتسخن بعضه الآخر أيضاً بذلك التسخين ، و كما استضاء
سطح أحدها بضوء النير يستضيء سطح آخر وضعه إلى الأول كوضعه إلى
ذلك النير .

وإنما قيّدنا التأثير بالخارجي لأنّ التأثير الباطني الذي لا يكون بحسب
الوضع لا يسري فيما يجاور الشيء .

فإذا تقرّر هذا فنقول : إنّ الإحساس كالإبصار وغيره هو عبارة عن تأثير
القوى الحاسة من المؤثر الجسماني ، وهو الأمر المحسوس الخارجي فلا بدّ منها
من علاقة وضعيّة بين مادّة القوّة الحاسة وذلك الأمر المحسوس ، و تلك العلاقة
لا يتحقّق بمجرد المحاذاة من غير توسطّ جسم مادّي بينهما إذلا علاقة بين أمرين
لا اتصال بينهما وضعاً ولانسبة بينهما طبعاً ، بل العلاقة إمّا ربط عقلي ، أو اتصال
حسيّ فلا بدّ من وجود جسم واصل بينهما .

و ذلك الجسم إن كان جسماً كثيفاً مظلماً تسخن فليس هو في نفسه قابلاً
للأثر النوري فكيف يوجب ارتباط المبصر بالبصر أو ارتباط المنير بالمستنير فإنّ
الرابط بين الشئين لا بدّ وأن يكون من قبلهما ، لأن يكون منافياً لفعليهما ، فإذا
لا بدّ أن يكون بينهما جسم مشفّ غير حاجز ولامانع لوقوع أحد الأثرين أعني
النور من النير إلى المستنير أو من البصر إلى المبصر أو تأدية الشبح من المبصر
إلى البصر .

فعلى هذا يظهر فساد قول من قال : المتوسّط كلّما كان أرقّ كان أولى ، فلو
كان خلاء صرفاً لكان الإبصار أكمل حتى كان يمكن إبصارنا النملة على الصّماء .
لا بما ذكره في جوابه بأنّ هذا باطل فليس إذا أوجب رقّة المتوسّط زيادة
قوّة في الإبصار لزم أن يكون عدمه يزيد أيضاً في ذلك ، فإن الرقّة ليست طريقة
إلى عدم الجسم لأنّ اشتراط الرقّة في الجسم المتوسّط لو كان لأجل أن لا يمنع

نفوذ الشعاع فصحَّ أنه إذا كان رقعة الجسم منشأ سهولة النفوش كان عدم الجسم فيما بين أولى في ذلك و كانت الرقعة على هذا التقدير طريقاً إلى العدم .
بل فساده لأنه لو لم يكن بين الرائي والمرئي أمر وجودي متوسط موصل رابط لم يكن هناك فعل وانفعال .

فان قلت : إنَّ الشيخ اعترف بأنَّ هذا النوع من الفعل والافعال لا يحتاج إلى ملاقات الفاعل و المنفعل ، فلو قدّرنا الخلاء بين الحاسِّ و المحسوس فأبىُّ محال يلزم من انطباع صورة المحسوس في الحاسِّ ، بل الخلاء محال في نفسه والملاء واجب . ؟

قلنا : إنَّ ملاقاتهما ، وإن لم يكن واجباً لكن يجب مع ذلك إمَّا الملاقاة وإمَّا وجود متوسط جسمانيّ بينهما يكون مجموع المتوسط و المنفعل في حكم جسم واحد بعضه يقبل التأثير لوجود الاستعداد فيه ، وبعضه لا يقبل لعدم الاستعداد فلو فرض أن ليس بين النار و الجسم المتسخن جسم متوسط لم يتحقق هناك تسخين و تسخن ، لعدم الرابطة ، و كذا لو لم يكن بين الشمس و الأرض جسم متوسط لم يقبل الأرض ضوء ولا سخونة ، انتهى كلامه رفع مقامه .

وقد أشار إلى هذا البرهان اجمالاً العلامة الخواجه نصير الدين الطوسي في شرحه على أواخر النمط الثاني من الاشارات للشيخ الرئيس بقوله : الأجسام العنصرية قد تخلو عن الكيفيات المبصرة و المسموعة و المشمومة و المذوقة و السبب في ذلك أن إحساس الحواس الأربعة بهذه المحسوسات إنما يكون بتوسط جسم ما كالهواء و الماء - الخ .

ولعمري أن هذا كلام صدر من معدن تحقيق و فاض من عين صافية ، و عليه جل علماء هذه الأعصار من افرنج وغيره أيضاً ، حيث ذهبوا بأنَّ الاثر هو حامل النور من الشمس و القمر و الكواكب ، و هو منقوش بين السماء و الأرض ، فإذا أصاب النور الأجسام الكثيفة كالأرض مثلاً ينكسر قهراً ، و الانكسار مؤلّد للحرارة كما اختاره الرياضيون من سالف الدهر

وبالجمله لولم يكن بين الرائي و المرئي متوسط مشفٌ لا يمكن الرؤية ،
والمتوسط إما هواء أو ترأوغيرها ، والمخالف مكابر .
ثم إنَّ قوله عليه السلام : الأسباب لا بدُّ من اتصاليها بالمسببات . حكم كليُّ أصيل
عقليٌّ ردُّ على من زعم أنَّ القول بتأثير الأسباب والوسائط ينافي كونه تعالى مستغنياً
عن غيره ، و يفضي إلى إنكار معجزات الأنبياء عليهم السلام والشرك بالله تعالى وغيرها من
الأوهام الباطلة .

كما ذهب إليه الأشاعرة و قالوا : إنَّ استناد الآثار الصادرة عن الانسان
و عن الطبائع وغيرها من الممكنات جميعاً إلى واجب الوجود ابتداء من غير واسطة
حتى تسخين النار و تبريد الماء ، فلا النار سبب للإحراق ولا الماء للتبريد و لا
الفكر لتحصيل النتيجة و هكذا الكلام في سائر الأسباب فيقول بجواز تخلف الإحراق
عن النار و التبريد عن الماء و النتيجة عن المقدمات الفكرية إلا أنَّ عادة الله
جرت بترتب تلك الآثار عنها من غير تأثير لشيء منها فيها .

والعقل بفطرته الأصلية يكذب بهذا القول وينقر عنه و الكلمات الالهية تنادي
بأعلى صوتها بشناعته ، والموحد مع أنه يرى الكل من الله تعالى و يقول بحقائق
الايمان : ليس المؤثر في الوجود إلا الله ، يقول : أبى الله أن يجري الأمور إلاَّ
بأسبابها ، و يرى ما سواه معدّات مسخرات بأمره تعالى ، و المؤثر في الحقيقة هو
تعالى ومع ذلك يقول : لا يجوز تخلف المسببات عن الأسباب ، و نعم ما قاله الحكيم
السبزواري في اللآلئ المنتظمة عند الأقوال في نتيجة القياس :

والحقُّ ان فاض من القدسي الصور و إنما إعداده من الفكر
قال تعالى في القرآن الكريم : « الله الذي يرسل الرِّياح فتثير سبحاباً
فيسطه في السماء كيف يشاء و يجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله » (الروم -
٤٨) فهو تعالى أرسل الرِّياح ثمَّ أسند إليها أنها تثير سبحاباً .

و قال تعالى : « و هو الذي يرسل الرِّياح بشراً بين يدي رحمته حتى إذا
أقلت سبحاباً ثقلاً لا سقناه لبلد ميمت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات

كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون» (الاعراف - ٥٧) .
و الآيات الالهية من هذا القبيل كثيرة ، والمخالف يخالف فطرته ويكذبها
و نعم ما قيل :
إذا لم تكن للمرء عين صحيحة فلاغرو أن يرتاب والصبح مسفر

« الحديث الثاني »

و هو الثاني من ذلك الباب من الكافي أيضاً روى الكليني قدس سره عن
أحمد بن إدريس ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن صفوان بن يحيى قال : سألتني أبو
قرة المحدث أن أدخله إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام ، فاستأذنته في ذلك فأذن لي
فدخل عليه ، فسأله عن الحلال و الحرام و الأحكام حتى بلغ سؤاله إلى التوحيد
فقال أبو قرة : إننا روينا أن الله قسم الرؤية و الكلام بين نبيين ، فقسم الكلام
لموسى و لمحمد الرؤية ، فقال أبو الحسن عليه السلام : فمن المبلغ عن الله إلى الثقلين
من الجن و الانس لا تدر كه الأبصار ولا يحيطون به علماً و ليس كمثل شيء ، أليس
محمد ؟ قال : بلى ، قال : كيف يجيء رجل إلى الخلق جميعاً فيخبرهم أنه جاء
من عند الله و أنه يدعوهم إلى الله بأمر الله فيقول : لا تدر كه الأبصار ولا يحيطون
به علماً و ليس كمثل شيء ثم يقول : أنا رأيته بعيني و أحطت به علماً و هو على
صورة البشر ، أما تستحيون ما قدرت الزنادقة أن ترميه عليه السلام بهذا أن يكون يأتي
من عند الله بشيء ثم يأتي بخلافه من وجه آخر .

ثم قال أبو قرة : فانه تعالى يقول « ولقدر آه نزلة أخرى » فقال أبو الحسن
عليه السلام : إن بعد هذه الآية ما يدل على ما رأى حيث قال « ما كذب الفؤاد ما رأى »
يقول ما كذب فؤاد محمد عليه السلام ما رأت عيناه . ثم أخبر بما رأى فقال « لقد رأى من
آيات ربه الكبرى » فأيات الله غير الله ، و قد قال الله : ولا يحيطون به علماً ، فإذا
رأته الأبصار فقد أحاط به العلم و وقعت المعرفة

فقال أبو قرة : فنكذب بالروايات ؟ فقال أبو الحسن عليه السلام : إذا كانت الروايات
مخالفة للقرآن كذبتها وما أجمع المسلمون عليه أنه لا يحاط به علماً ولا تدر كه

الأبصار وليس كمثله شيء ، انتهى الحديث على ما في الكافي .

أقول : روى الحديث أبو جعفر محمد بن بابويه الصدوق في باب ما جاء في الرؤية من كتابه في التوحيد قال : حدثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق قال : حدثنا محمد بن يعقوب الكليني ، عن أحمد بن إدريس - الخ ، وفيه : بين اثنين مكان بين نبيين . إلى الثقلين الجن والانس ، ليس فيه كلمة من الجارية . قال : فكيف يجيء رجل ، مع كلمة الفاء ، ويقول لا تدر كه ، يمكن فيقول لا تدر كه . يأتي عن الله بشيء ، مكان يأتي من عند الله بشيء ، كذبت بهامكان كذبتها وما اجتمع المسلمون مكان و ما أجمع المسلمون .

و كذا رواه الطبرسي في الاحتجاج وبين النسخ اختلاف في الألفاظ في الجملة والحديث على ما في الكافي و التوحيد يكون على مقدار خمس ما في الأخير . وقد صرح الشيخ الطبرسي في الاحتجاج بأن أبا قرّة المحدث صاحب شبرمة وقد مضى في شرح المختار ٢٣٧ في البحث الروائي عن الأخبار الناهية عن العمل بالقياس في الدين أن عبدالله بن شبرمة القاضي كان يعمل بالقياس ، وقال أبو عبدالله عليه السلام : ضل علم ابن شبرمة عند الجامعة الخ .

ولكن ابن شبرمة هذا لم يدرك أبا الحسن الرضا عليه السلام قال المحدث القمي - ر - في مادة شبرم من السفينة : ابن شبرمة هو عبدالله البجلي الكوفي الضبي كان قاضياً لأبي جعفر المنصور على سواد الكوفة وكان شاعراً توفي سنة ١٤٤ هـ .

وقال الاستاذ الشعراني في تعليقه على شرح المولى صالح المازندراني على أصول الكافي : أبو قرّة و شبرمة كلاهما مجهولان وليس عبدالله بن شبرمة المتوفي سنة ١٤٤ على عهد الصادق عليه السلام لأنه لم يدرك الرضا عليه السلام ، وقد ذكر ابن حجر في التقريب موسى بن طارق القاضي المكنى بأبي قرّة من الطبقة التاسعة وهو معاصر للرضا عليه السلام فلعله هو . انتهى كلامه مدّ ظله .

و نقل في شرح المذكور عن بعض الأصحاب أن أبا قرّة هذا هو علي بن أبي قرّة أبو الحسن المحدث رزقه الله تعالى الاستبصار و معرفة هذا الأمر أخيراً ، ثم

قال الشارح : وإنما وصفه بالمحدث لثلاث يتوهم أنه أبوقرة النصراني اسمه يوحنا صاحب جاثليق .

قوله : فدخل عليه فسأله عن الحلال و الحرام والأحكام حتى بلغ سؤاله إلى التوحيد ، أقول : قد ذكرنا أن هذا الحديث يكون في الاحتجاج على مقدار خمسة أمثال ما في الكافي ، على أن الطبرسي لم ينقل الحديث بتمامه ولا بأس بذكره على ما في الاحتجاج لاشتماله على فوائد عظيمة في مسائل شتى .

قال الطبرسي -ره- : وعن صفوان بن يحيى قال : سألت أبوقرة المحدث صاحب شبرمة أن أدخله إلى أبي الحسن عليه السلام فاستأذنته فأذن له ، فدخل فسأله عن أشياء من الحلال والحرام والأحكام والفرائض حتى بلغ كلامه «سؤاله -خ ل» إلى التوحيد .

فقال له : أخبرني جعلني الله فداك عن كلام الله تعالى لموسى .

فقال : الله أعلم ورسوله بأي لسان كلمه بالسريانية أم بالعبرانية .

فأخذ أبوقرة بلسانه فقال : إنما سألك عن هذا اللسان .

فقال أبو الحسن عليه السلام : سبحان الله مما تقول ، ومعاذ الله أن يشبه خلقه

أو يتكلم بمثل ما هم به يتكلمون ، ولكنه عز وجل ليس كمثل شيء ولا كمثل قائل فاعل .

قال : كيف ذلك ؟

قال : كلام الخالق لمخلوق ليس ككلام المخلوق لمخلوق ، ولا يلفظ بشق

فم واللسان ، ولكن يقول له كن فكان بمشيئته ما خاطب به موسى من الأمر والنهي من غير تردد في نفس .

فقال له أبوقرة : فما تقول في الكتب ؟

فقال أبو الحسن عليه السلام : التوراة والانجيل والزبور والقرآن وكل كتاب

أنزل كان كلام الله أنزله للعالمين نوراً وهدى وهي كلها محدثة وهي غير الله حيث يقول «أويحدث لهم ذكراً» وقال «ما يأتهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه»

وهم يلعبون » والله أحدث الكتب كلها الذي أنزلها .

فقال أبوقرة : فهل تفنى ؟

فقال أبو الحسن عليه السلام : أجمع المسلمون على أن ماسوى الله فان و ماسوى الله فعل الله، والتوراة والانجيل والزبور و القرآن فعل الله ، ألم تسمع الناس يقولون ربُّ القرآن وأنَّ القرآن يوم القيامة يقول ياربُّ هذا فلان و هو أعرف به منه قد اظلمات نهاره و أسهرت ليله فشفقنى فيه و كذلك (فكذلك - خ ل) التوراة والانجيل و الزبور وهي كلها محدثة مبروبة أحدثها من ليس كمثله شيء هدى لقوم يعقلون ، فمن زعم أنهم لم يزلن فقد أظهر أن الله ليس بأوَّل قديم ولاواحد وأنَّ الكلام لم يزل معه ، وليس له بدؤٌ وليس با له .

قال أبوقرة: فإننا روينا أنَّ الكتب كلها تجيء يوم القيامة و الناس في صعيد واحد صفوف قيام لربِّ العالمين ينظرون حتى ترجع فيه لأنَّها منه وهي جزء منه فالله تصير .

قال أبو الحسن عليه السلام : فهكذا قالت النصارى في المسيح إنَّ روحه جزء منه و يرجع فيه ، و كذلك قالت المجوس في النار و الشمس إنَّهما جزء منه ويرجع فيه تعالى ربنا أن يكون متجزئاً أو مختلفاً ، وانما يختلف وياتلف المتجزئ لأنَّ كلَّ متجزئ متوهم والقلة و الكثرة مخلوقة دالة على خالق خلقها .

فقال أبوقرة: فإننا روينا أنَّ الله قسَّم الرؤية و الكلام بين نبيين ، فقسَّم لموسى الكلام ولمحمد الرؤية - الى آخر ما نقلناه عن الكافي و بعده : وسأله عن قوله تعالى « سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى » .

فقال أبو الحسن عليه السلام : قد أخبر الله أنه أسرى به ثمَّ أخبر لم اسرى به فقال « لنريه من آياتنا » فأيات الله غير الله فقد أعاد « أعذر - خ ل » و بيِّن لم فعل ذلك به و مارآه ، وقال « فبأيِّ حديث بعد الله و آياته يؤمنون » فأخبر أنه غير الله .

فقال أبوقرة : فأين الله ؟

فقال عليه السلام : الأين مكان و هذه مسألة شاهد عن غائب ، فالله ليس بغائب و لا يقدمه قادم ، و هو بكل مكان موجود مدبر صانع حافظ يمسك السماوات و الأرض .

فقال أبو قرة : أليس هو فوق السماء دون ماسواها ؟

فقال أبو الحسن عليه السلام : هو الله في السماوات و في الأرض و هو الذي في السماء إله وفي الأرض إله ، و هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء ، و هو معكم أينما كنتم ، و هو الذي استوى إلى السماء و هي دخان ، و هو الذي استوى إلى السماء فسوتهن سبع سموات ، و هو الذي استوى إلى العرش قد كان و لا خلق و هو كما كان إذ لا خلق لم ينتقل مع المتقلين .

فقال أبو قرة : فما بالكم إذا دعوتهم رفعتهم أيديكم إلى السماء ؟

فقال أبو الحسن عليه السلام : إن الله استعبد خلقه بضروب من العبادة و لله مفازع يفزعون إليه و مستعبد فاستعبد عباده بالقول و العلم و العمل و التوجه و نحو ذلك استعبدهم بتوجه الصلاة إلى الكعبة ووجه إليها الحج و العمرة ، و استعبد خلقه عند الدعاء و الطلب و التضرع ببسط الأيدي و رفعها إلى السماء لحال الاستكانة و علامة العبودية و التذلل .

قال أبو قرة : فمن أقرب إلى الله الملائكة أو أهل الأرض ؟

قال أبو الحسن عليه السلام : إن كنت تقول بالشبر و الذراع فإن الأشياء كلها باب واحد هي فعله لا يشتغل ببعضها عن بعض يدبر أعلى الخلق من حيث يدبر أسفله و يدبر أوله من حيث يدبر آخره ، من غير عناء و كلفة ، و لامؤنة و لا مشاورة و لا نصب ، و إن كنت تقول : من أقرب إليه في الوسيلة فأطوعهم له ، و أنتم تروون أن أقرب ما يكون العبد إلى الله و هو ساجد ، و رويتم أن أربعة أملاك التقوا : أحدهم من أعلى الخلق ، و أحدهم من أسفل الخلق ، و أحدهم من شرق الخلق و أحدهم من غرب الخلق ، فسأل بعضهم بعضاً فكلمهم قال : من عند الله أرسلني بكذا و كذا ، ففي هذا دليل على أن ذلك في المنزلة دون التشبيه و التمثيل .

فقال أبو قرة : أتقرُّ أن الله محمول؟

فقال أبو الحسن عليه السلام : كلُّ محمول مفعول و مضاف إلى غيره محتاج فالمحمول اسم نقص في اللفظ ، و الحامل فاعل و هو في اللفظ ممدوح ، و كذلك قول القائل : فوق و تحت و أعلى و أسفل ، و قد قال الله تعالى « وله الأسماء الحسنی فادعوه بها » (الأعراف - ١٨٠) ولم يقل في شيء من كتبه أنه محمول ، بل هو الحامل في البرِّ و البحر و الممسك للسموات و الأرض ، و المحمول ماسوى الله ولم نسمع أحداً آمن بالله و عظّمه قطُّ قال في دعائه : يا محمول .

قال أبو قرة : أفتكذب بالرواية إن الله إذا غضب إنما يعرف غضبه أن الملائكة الذين يحملون العرش يجدون ثقله على كواهلهم ، فيخرون سجداً ، فإذا ذهب الغضب خفّ فرجعوا إلى مواضعهم ؟

فقال أبو الحسن عليه السلام : أخبرني عن الله تعالى مندلعن إبليس إلى يومك هذا وإلى يوم القيامة غضبان هو على إبليس و أوليائه أو عنهم راضٍ ؟
فقال : نعم هو غضبان عليه .

قال : فمتى رضي فخفّ و هو في صفتك لم يزل غضباناً عليه و على أتباعه . ثم قال : ويحك كيف تجتريء أن تصف ربك بالتغيير من حال إلى حال وأنه يجري عليه ما يجري على المخلوقين سبحانه لم يزل مع الزائلين و لم يتغير مع المتغيرين . قال صفوان : فتجسر أبو قرة و لم يجر جواباً حتى قام و خرج .

قوله « إنا روينا » بضم الراء و تشديد الواو المكسورة مبنية للمفعول من التروية قال الشهاب الفيومي في المصباح المنير : روى البعير الماء يرويه من باب رمى حملة فهو راوية ، و الهاء فيه للمبالغة ثم اطلقت الراوية على كل دابة يستقى الماء عليها ، و منه قيل ، رويت الحديث إذا حملته و نقلته و يعدى بالتضعيف فيقال : رويت زيداً الحديث ، و يبنى للمفعول فيقال : رويت الحديث . انتهى كلامه .

قوله : « إن الله قسم الرؤية و الكلام بين نبيين فقسّم الكلام لموسى و لمحمد الرؤية » فهم أبو قرة أن المراد بالرؤية رؤيته تعالى بالأبصار ولذا تصدّى الإمام عليه السلام

على عدم صحتها مستدلاً عليه بما سيأتي شرحه . فجوابه عليه السلام إنما كان على حدو زعم أبي قرة وإلا فالرؤية القلبية التي هي الانكشاف التام للمخلصين والكمثلين فلا كلام في صحتها كما سيجيء بيانه من الأئمة الهداة المهديين عليهم السلام ثم لما كان على مشرب العرفان للحق سبحانه و تعالى في كل خلق ظهور خاص به وهو تعالى متجل للعباد على حسب استعداداتهم المتنوعة بالعطايا والأسمائية الفائضة عليهم بالفيض المقدس، بل له تعالى بحسب كل يوم هو في شأن شؤونات وتجليات في مراتبه الإلهية وقد قال الامام جعفر الصادق عليه السلام : إن الله تعالى قد يتجلى لعباده في كلامه ولكنهم لا يعلمون كما نقله عنه عليه السلام القيصري في شرحه على فصوص الحكم لمحي الدين في أوّل فصّ حكمة سبوحية في كلمة نوحية . ولما كان وجود العالم مستنداً إلى الأسماء لأن كل فرد من أفراد الموجودات تحت تربية اسم خاص من أسماء الله تعالى وقد تقرّر في محله أن للأسماء دوراً بحسب ظهوراتها وظهور أحكامها اتّصف كل موجود بمقتضى الاسم الخاص الغالب عليه، فبتلك الاشارات يعلم إجمالاً سرّ اتّصاف بعض الأنبياء والأولياء ببعض الأوصاف دون بعض كما وصف آدم عليه السلام بصفي الله ، و نوح عليه السلام بنجي الله ، وإبراهيم عليه السلام بخليل الله ، ، و موسى عليه السلام بكليم الله ، ومثل ما وصف الامام علي بن الحسين عليهما السلام بالسجاد ، وابنه الامام أبو جعفر عليه السلام بباقر العلوم .

و لما كان خاتم النبيين عليه السلام منفرداً بمقام الجمعية الإلهية الذي ما فوقه إلا مرتبة الذات الأحدثية لأنه عليه السلام مظهر اسم الله ، وهو الاسم الجامع للأسماء والنسب كلها ، فتخصيص الكلام و سائر النعوت الكمالية بموسى عليه السلام وغيره من الأنبياء غير ثابتة بل هي ثابتة له عليه السلام أيضاً .

قوله : « فقال أبو الحسن عليه السلام فمن المبلّغ عن الله الثقلين من الجنّ والانس لاتدر كه الأبصار - الى قوله - وهو على صورة البشر » لما زعم أبو قرة الرؤية بالأبصار احتجّ عليه الامام، أبو الحسن الرضا عليه السلام : بتلك الآيات المنزلة من عند الله تعالى بلسان نبيه الخاتم و سأله على صورة الاستفهام للتقرير بأن مبلّغها ليس عليه السلام

عليه السلام ؟ قال : بلى ، أي هو عليه السلام مبلّغها .

ثم سألته على صورة الاستفهام للإينكار كيف يخبر الخلائق عن الله تعالى رسوله المبعوث إليهم بأن الأبصار لاتدرکه ثم يقول هو : و رأيتہ بعيني كما تكلم المنكلمون في رؤيته عليه السلام ربّه تعالى ليلة الاسراء ، فذهب بعضهم كأبي الحسن الأشعري أنه عليه السلام رآه بعيني رأسه .

ثم إن ضمير هو في قوله : و هو على صورة البشر ، يرجع إلى الله تعالى أعني أن الجملة الأخيرة مقولة الرجل أي النبي عليه السلام كالأوليين لأنهما مقولة الامام عليه السلام حتى تكون حاليّة ، وإنه عليه السلام ترتب ثلاثة أمور على الآيات الثلاث على اللف و النشر المرّتين فرتب أنا رأيتہ بعيني على لاتدرکه الأبصار ، وأحطت به علماً على لا يحيطون به علماً ، وهو على صورة البشر على ليس كمثله شيء .

أمّا وجه دلالة الآية الأولى على نفي الرؤية بالعين فلأن إدراك كل قوّة من قوى ظاهريّة كانت أو باطنيّة على حسبها ، فإذا سمعت الأذن كلاماً فقد أدركته وإذارت العين شيئاً فقد أدركته و ان كان المدرك في الحقيقة هو النفس و القوى آياتها ، لأن الإدراك إذا تعلق بما يكون مادياً تدرکه النفس بآلة تخصّه ، وإلا تدرکه النفس بذاتها ، وعلى الأوّل يكون حقيقة ذلك الشيء متمثلة عند المدرك أي النفس بواسطة الحسّ بانتزاعها صورته من نفس حقيقته على تجريد بين في محله .

و لذا قال الشيخ في الإشارة الثالثة من النمط الثالث من الاشارات : إدراك الشيء هو أن يكون حقيقته متمثلة عند المدرك يشاهداهما به يدرك ، والفعل في سياق النقي كالنكرة في سياقه يفيد العموم ، فالحجّة أن النبي عليه السلام أخبر عن الله بأنه لاتدرکه عين فكيف يقول هو : رأيتہ تعالى بعيني و هل هذا إلا التناقض في قوله . و أمّا الآية الثانية فوجه الاحتجاج بها أن النبي عليه السلام أخبرهم بأنهم لا يحيطون به علماً ، فكيف يقول هو بالتناقض : إنّي أحطت به علماً .

سواء كانت تلك الإحاطة بالأبصار لأنّ إبصار الشيء إحاطة ماعلميّة به كما

صرح به الامام عليه السلام في قوله الآتي : فاذا رآته الأبصار فقد أحاط به العلم ووقعت المعرفة .

أو كانت بادراك آخر من غير إبصار كالوهم و العقل فإن إحاطته تعالى بأية قوّة مدركة كانت مستحيلة ، فالآية الثانية تدلّ على نفي الرؤية أيضاً .
وأمّا الآية الثالثة فوجه الاحتجاج بها أنّه تعالى أخبرهم بأمره تعالى بأنه ليس كمثل شيء فكيف يقول: إنّه تعالى على صورة البشر .

وهذا إشارة إلى ردّ ما رووا عن رسول الله صلى الله عليه وآله من أنّ الله تعالى خلق آدم على صورته كما في الملل و النحل للشهرستاني عند الكلام في المشبهة (ص ٤٨ طبع ايران ١٢٨٨ هـ) ، و إلى ردّ ما رووا عنه صلى الله عليه وآله من أنّه قال : رأيت ربّي في أحسن صورة . نقله الشهرستاني أيضاً في ص ٤٩ من الكتاب . و نقل بعضهم عنه صلى الله عليه وآله أنّه رآه تعالى ليلة المعراج على صورة شاب حسن الوجه أو على صورة الشاب المراهق ونحوهما من المنقولات الظاهرة في أنّه تعالى على صورة البشر .

روي في عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق وفي الاحتجاج للطبرسي قدس سرهما عن الحسين بن خالد أنّه قال : قلت للرضا عليه السلام : إنّ الناس يقولون : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : إنّ الله خلق آدم على صورته ، فقال : قاتلهم الله لقد حذفوا أوّل الحديث إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله مرّ برجلين يتسابان فسمع أحدهما يقول : قبّح الله وجهك ووجه من يشبهك فقال صلى الله عليه وآله له : يا عبد الله لا تنقل هذا أخيك فإنّ الله خلق آدم على صورته .

روى الكليني في باب النهي عن الصفة بغير ما وصف به نفسه من جامع الكافي باسناده عن إبراهيم بن محمد الخزاز و محمد بن الحسين قالوا : دخلنا على أبي الحسن الرضا عليه السلام فحكينا له أنّ محمد صلى الله عليه وآله رأى ربه في صورة الشاب الموفق في سنّ أبناء ثلاثين سنة - الى أن قال: ثمّ قال عليه السلام : يا محمد إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حين نظر إلى عظمة ربه كان في هيئة الشاب الموفق و سنّ أبناء ثلاثين سنة؟! يا محمد عظّم ربّي عزّ وجلّ أن يكون في صفة المخلوقين - الى أن قال عليه السلام : يا محمد ما شهد له الكتاب والسنة

فحن القائلون به .

فبما حققنا دريت أن الآية الأولى مطابقة للسؤال عن الرؤية ، والأخيرتين إنما ذكرتا على نحو التمثيل والتنظير ، وهذا الدأب ليس بعزيز في الاحتجاجات وإن كان مورد السؤال نفي الرؤية ، على أنه يمكن إرجاع الآيات الثلاث إلى دلالتها على نفي الرؤية أيضاً ضمناً .

أما وجه دلالة الأولين عليه فقد علم ، و أمادلالة الأخيرة عليه فلا نهلو تعلق الإدراك بالبصر عليه تعالى لزم أن يكون مماثلاً لأجسام كشيقة حتى يتحقق الرؤية بالعين ، لما علم في شرح الحديث الأول من أن الرؤية إنما تعلق على الأجسام التي لا يتخذ عنها نور البصر ، فلا تكون إلا كشيقة ذا وضع وجهة فيلزم من القول بالرؤية أن يكون له تعالى مماثل من الأجسام ، لأن كلما يدرك بالأبصار فهو ذومثل، وهذه الدقيقة مستفادة ضمناً ويؤيده قوله عليه السلام بعدذا : فاذا رآته الأبصار فقد أحاط به العلم ووقعت المعرفة .

و يحتمل بعيداً أن يرجع ضمير هو في « وهو على صورة البشر » إلى الرّجل أي النبي عليه السلام بأن تكون الجملة حالية والآيات الثلاث استشهد بها لدالتها على نفي الرؤية ومنساقه إليه رأساً ، لأنه يستفاد ضمناً كما ذهب إليه جم غفير من شراح الحديث .

فيكون المعنى أنه عليه السلام أخبرهم عن الله تعالى بأمره ، لاتدر كه الأبصار ولا يحيطون به علماً وليس كمثل شيء ، تدل كل واحدة منها على نفي رؤيته تعالى بالأبصار ، ثم يقول ذلك المخبر أنا رأيت الله بعيني وأحطت به علماً برؤيتي إياه بعيني أيضاً والحال أنه على صورة البشر أي إذا لم يكن للبشر إدراكه وإحاطته بالأبصار فكيف يجوز له عليه السلام وهو من البشر أيضاً .

و لكن طبع الحديث يأبى عن هذا احتمالاً جداً كما لا يخفى على المتدرب

بصناعة الكلام من متن الحديث وأسلوبه ، والمختار هو المتعين .

و بعض نسخ الكافي بلا ضمير هو ، أي وأحطت به علماً على صورة البشر فعلى

هذا الوجه إما أن تتعلق على ضمير الفاعل في أحطت فيكون الرائي أي النبي ﷺ على صورة البشر ، وإما أن تتعلق بالضمير المجرور في به فيكون المرئي أي الله تعالى على صورة البشر .

و بما حققناه يعلم أن تلك النسخة ليست بصواب و اسقط الضمير من الكاتب و كم له من نظير .

قوله ﷺ : «أما تستحيون ما قدرت الزنادقة أن ترميه ﷺ بهذا أن يكون يأتي من عند الله بشيء ثم يأتي بخلافه من وجه آخر» و في بعض النسخ أما تستحون وهي صحيحة أيضاً لأنها مخففة الأولى و لغة منها . و كلمة ما في قوله : ما قدرت ، نافية .

قوله : أن ترميه ﷺ بهذا أي تنسبه به والضمير يرجع إلى رسول الله ﷺ و قال العلامة المجلسي - ره - في مرآة العقول : و إرجاع الضمير إلى الله بعيد جداً . و أقول : بل هو وهم رأساً لعدم مناسبه الحجّة واللفظ الحديث . قوله : أن يكون «اه» بدل لقوله هذا و بيان و تفصيل له . و المراد أن الزنادقة مع كفرهم و عنادهم لا ينسبونه ﷺ إلى ما نسبتوه إليه من المناقضة في أقواله و كذبه على الله تارة يقول من أمر الله لا تدركه الأبصار و تارة يقول إني رأيت ببصري فكيف أنتم مع اعترافكم بنبوته ﷺ ترمونه به .

قوله : «ثم قال أبو قرة فإنه تعالى يقول و لقد رآه نزلة أخرى» لمّا بين الإمام ﷺ استحالة إدراكه تعالى بالأبصار استدلالاً بوقرة في مقام المعارضة بقوله تعالى على أن رسول الله ﷺ رآه تعالى بعينه بناء على أن ضمير المفعول في رآه راجع إليه تعالى ، فأجاب به الإمام ﷺ بأن القرآن يفسر بعضه بعضاً وأن بعد هذه الآية ما يدل على ما رأى حيث قال تعالى «ما كذب الفؤاد ما رأى» وفسرها ﷺ بقوله ما كذب فؤاد محمد ما رأت عيناه ، ثم استشهد بالآية التالية المبيّنة لما رأت عيناه ﷺ «ما زاغ البصر و ما طغى» لقد رأى من آيات ربه الكبرى» ضمير المفعول في رآه راجع إلى المخلوق لا إلى الخالق حيث قال: لقد رأى من آيات

ربه الكبرى و آيات الله غير الله . ثم احتج عليه بقوله تعالى « ولا يحيطون به علماً » ثم فسره زيادة توضيح و بيان في دلالة الآية على نفي الرؤية بالأبصار بقوله : فاذا رآته الأبصار فقد أحاط به العلم و وقعت المعرفة .

ثم إن كثيراً من نسخ مخطوطة و مطبوعة من الكافي متفقة في تأنيث فعل أحاط أي « فقد أحاطت به العلم » ولكنها من تصحيف النسخ ظناً منهم أن ضمير الفعل راجع إلى الأبصار ، و هو وهم لأن العلم فاعله و إلا يلزم أن يكون العلم تميزاً و التمييز يجب أن يكون نكرة .

قال الجوهري في الصحاح : أحاط به علمه ، و أحاط به علماً ، و أحاطت الخيل بفلان ، و احتاطت به أي أهدت . و في الوحي الإلهي « ولا يحيطون به علماً » و « أن الله قد أحاط بكل شيء علماً » .

قوله : « فقال أبو قرة فتكذب بالروايات » لما استدل الإمام عليه السلام بالدليلين العقلي و النقل على استحالة رؤيته تعالى بالأبصار و لم يبق لأبي قرة دليل يستدل به على مطلوبه اعترض على الإمام فقال على صورة الاستفهام للانكا : أفتكذب بالروايات ؟ يعني إذا لم تكن تلك الروايات دالة على رؤيته تعالى لزم تكذيبها أي القول بعدم اسنادها إلى النبي صلى الله عليه وآله .

فأجابه الإمام بالتزامه فقال : إذا كانت مخالفة للقرآن كذبتها ، و ذلك لأنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، فهو الأصل الصدق و المعيار الحق و لا يعارضه الأخبار المتخالفة المختلفه ، و لا يجوز التجاوز في التوحيد عما في القرآن المجيد و قد أدب الأئمة عليهم السلام أصحابهم بذلك .

ففي الحديث الحادي و الثلاثين من الباب الأوّل من كتاب التوحيد للصدوق -ره- باسناده عن الفضل بن شاذان ، عن ابن أبي عمير قال : دخلت على سيدي موسى ابن جعفر عليه السلام فقلت له : يا ابن رسول الله علمني التوحيد ، فقال : يا أبا أحمد لا تتجاوز في التوحيد ما ذكره الله تعالى في كتابه فتهلك ، الحديث .

فما وافقته من الأخبار وإلا تضرب بالجدار ، ولا يخفى أن الأخبار التي يمكن الجمع بينها وبين الكتاب ليست بمخالفة له ، ونسخة التوحيد للصدوق: كذبت بها ، وهي أنسب بقول أبي قره فتكذب بالروايات مطابقة .

قوله : « وما أجمع المسلمون عليه أنه لا يحاط به علماً ، ولا تدر كه الأبصار وليس كمثل شيء » قوله ~~إلا~~ أنه لا يحاط به علماً إشارة إلى قوله تعالى « يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علماً » (طه - ١١١) .

ولا تدر كه الأبصار بعض آية ١٠٤ من الأنعام قوله تعالى : « لا تدر كه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير » .

وليس كمثل شيء بعض آية ١٠ من الشورى قوله تعالى : « فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذروكم فيه ليس كمثل شيء وهو السميع البصير » .

وكلمة ماموصولة اسمي مبتداء وخبره كل واحد من أنه لا يحاط به علماً ولا تدر كه الأبصار ، وليس كمثل شيء ، وليست معطوفة على القرآن حتى يكون التقدير : إذا كانت الروايات مخالفة لما أجمع المسلمون عليه كذبت بها ، ولو كانت معطوفة عليه لوجب أن تقدم على كذبت بها .

ومعنى العبارة أن القرآن لما كان منزلاً من عند الله تعالى وأجمع المسلمون قاطبة على تسليم ما فيه ومنه قوله تعالى : لا يحيطون به علماً ، ولا تدر كه الأبصار وليس كمثل شيء ، لم يجز الاعراض عنه وخرقه بروايات تنافيه وتخالفه ومن تمسك بها خالف القرآن وإجماع المسلمين .

وإلى هنا تمت الحجّة على أبي قره على أتم بيان وأكمل برهان في استحالة إدراكه تعالى بالأبصار ما فاه بشيء من مناقضة أو معارضة في المسألة أصلاً ، بل انتقل إلى أسئلة أخرى قد منها من رواية الطبرسي في الاحتجاج وفي آخرها : قال صفوان : فتحيّر أبو قره ولم يجر جواباً حتى قام وخرج .

«تقديم مطالب يليق أن يشار إليها»

الأول: أن قوله عليه السلام: «فمن المبلغ عن الله إلى الثقلين من الجن والإنس وقوله عليه السلام «كيف يجيء رجل إلى الخلق جميعاً» أفادا ثلاثة أمور .
الأول: أن الثقلين بفتحين هما الجن والإنس وعليه إجماع أهل اللغة والتفسير في قوله تعالى: «سنفرغ لكم أيها الثقلان» (الرحمن - ٣٣)
و يفسر الثقلين بالجن والإنس آيات أخرى من سورة الرحمن كقوله تعالى «خلق الإنسان من صلصال كالفخار» وخلق الجن من نار» وقوله تعالى «يا معشر الجن والإنس» الآية . وقوله تعالى «فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان» .

قال القاضي البيضاوي في تفسير أنوار التنزيل: الثقلان الإنس والجن سمياً بذلك لثقلهما على الأرض، أولرزانة رأيهم وقدرهم، أولاً نهما مثقلان بالتكليف انتهى قوله .

والجن والإنس يؤنثان باعتبار أنهما طائفة أو جماعة، قال المرزوقي في شرح قول إياس بن مالك الطائي (الحماسة ١٩٤) .

كلا ثقلينا طامع بغنيمة

وقد قدر الرحمن ما هو قادر

قوله: كلا ثقلينا، أي كل واحد من جماعتينا، و الثقل بالتحريك

الجماعة . و الثقلان الجن والإنس .

الأمر الثاني: أن الجن مكلّفون بما كلف بها الأنس .

الأمر الثالث: أن رسول الله صلّى الله عليه وآله مبعوث إليهم أيضاً، والقرآن الكريم ناطق

بدين في عدة مواضع .

قال تعالى: «قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن

لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً» (الاسراء - ٩١)

وجه الاستدلال بالآية عليه أنهم لو لم يكونوا مكلّفين بما كلف بها الإنس

و لم يكن خاتم النبيين مبعوثاً إليهم أيضاً لما تحدّثهم الله تعالى بالآيات

بمثل القرآن .

وقال تعالى : « و يوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثوياًكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم » وكذلك نوّلي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون » يا معشر الجن و الإنس ألم ياتكم رسل منكم يقصّون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا و شهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين » (الانعام - ١٣٠ - ١٣٢)

أي اذكر يوم يحشرهم الله تعالى ، بالياء على قراءة حفص عن عاصم ، وعلى قراءة أبي بكر عنه يوم نحشرهم بالنون ، وضميرهم لمن يحشر من الثقلين .

ووجه الاستدلال بهما بيّن ، فإنّ لهم حشراً و ثواباً و عقاباً فهم مكلفون . والآية الأخيرة صريحة على أنّ رسلاً أرسلوا إليهم ، و أمّا أنّ هؤلاء الرسل المبعوثون إلى الإنس فلا تدلّ عليه هذه الآية صريحة و إنّ دلّت على أنّ رسول الله ﷺ مبعوث إليهم ، لأنّهم مخاطبون بالقرآن ، ولولا القرآن كتابهم و الرسول ﷺ بعث إليهم أيضاً لما خوطبوا به و إنّما الكلام في الرسل الذين كانوا قبله ﷺ .

و إنّما قلنا لا تدلّ الآية عليه صريحاً ، لا يمكن ارجاع الضمير في قوله : رسل منكم إلى الإنس خاصّة لما سنشير إليه بعيد هذا ، ولكنّ الآية ظاهرة في أنّ لكلّ طائفتين نبياً من جنسهما .

وقال تعالى في سورة الملك : « ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين » و أعدنا لهم عذاب السعير » وللذين كفروا بربّهم عذاب جهنم و بسّ المصير » إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهي تفور » تكاد تميز من الغيظ كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير » قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير » و قالوا لو كنّا نسمع أو نعقل ما كنّا في أصحاب السعير » فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السعير » .

فَالآيَاتُ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ لِلْجَنَّةِ ثَوَابًا وَعِقَابًا حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ، ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ نَذِيرًا أَيْضًا حَيْثُ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَشْمَلُهُمْ أَيْضًا بِدَلِيلِ قَوْلِهِمْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ وَقَالَ تَعَالَى أَوْ لَا: وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ فَأَصْحَابِ السَّعِيرِ شَامِلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنَ الْجَنَّةِ أَيْضًا وَتَدُلُّ أَيْضًا عَلَىٰ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ إِلَيْهِمْ بِدَلِيلِ الْمَخَاطَبَةِ وَالْإِنذَارِ، وَأَمَّا أَنَّ جَمِيعَ نَذْرِهِمْ هَلْ كَانُوا مِنْهُمْ أَوْ مِنَ الْإِنْسِ فَلَا تَدُلُّ الْآيَةُ عَلَيْهِ.

وَنظِيرُ هَذِهِ الْآيَاتِ الدَّالَّةُ عَلَىٰ أَنَّهُ كَانَ لَهُمْ نَذِيرٌ فِي كُلِّ زَمَانٍ قَوْلُهُ تَعَالَى « وَإِنَّ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ » (فاطر - ٢٣) لِأَنَّ الْجَنَّةَ أُمَّةٌ أَيْضًا بِلَا كَلَامٍ وَالْقُرْآنُ نَاطِقٌ بِذَلِكَ .

قَالَ تَعَالَى « فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَ كُورَ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرِيَهُمْ لِأُولِيهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ ضَلُّوا فَاذْنَبْنَا لَهُمْ عَذَابًا لِّئَلَّا يُكْفَرُوا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضَعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَقَالَتْ أُولِيهِمْ لِأَخْرِيَهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون » (الاعراف ٣٧ - ٣٩)

نَعَمْ وَلِقَائِلُ أَنْ يَقُولَ: إِنَّ جَمِيعَ نَذْرِهِمْ لَمْ يَكُونُوا مِنَ الْإِنْسِ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى « وَالْجَنَّةَ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَارِ السَّمُومِ » (الحجر - ٢٨) .

وَجِهَ الِاسْتِدْلَالُ أَنَّ الْجَنَّةَ خَلِقَ مِنْ قَبْلِ خَلْقِ الْإِنْسِ مِنْ نَارِ السَّمُومِ، وَقَالَ تَعَالَى « وَإِنَّ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ » فَكَانَ لَهُمْ نَذِيرٌ وَلَمْ يَكُنْ خَلْقُ الْإِنْسَانِ بَعْدَ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ، وَمَا وَتَيْمَانُ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا .

ثُمَّ إِنَّ الشَّيَاطِينَ فِي سُورَةِ الْمَلِكِ هُمْ بَعْضُ مَنْ طَائِفَةُ الْجَنَّةِ وَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى « فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنَنْحَضَنَّ عَنْهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًا » (مريم - ٧١) .

و ذلك لأنه تعالى قال : ولسليمان الرئفح عاصفة تجرف بأمره إلى الأرض التي باركناف ففها وكناف بكل شفاء العالمفن ؁ ومن الشفاطفن من فغوصون له وفعملون عملاً دون ذلك و كناف لهم حافظفن « (الانبفاء - ٨٢ و ٨٣) و كذا قال : « ولقد ففتنا سلفمان - الى قوله : فسخرنا له الرففح تجرف بأمره رخاء ففث أصاب ؁ والشفاطفن كل بناء و غواص ؁ و آخرفن مقرئفن فف الأصفاء « (ص ، ٣٥ - ٣٩) .

و إذا أضفناها إلى قوله تعالى « ولسليمان الرففح غدوفا شهر ورواحها شهر و أسلنا له عفن القطر و من الجن من فعمل بفن ففده باذن ربفه و من فزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعفر ؁ فعملون له ما فشاء من محارفب و تمائفل و ففان كالجبواب و قدور راسفان اعملوا آل داود شكرأ و قلفل من عبافف الشكور ؁ فلما قضفنا عفله الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأ كل منسأته فلما خر تبفبنت الجن أن لو كانوا فعلمون الغفب ما لبثوا فف العذاب المهن « (سباء ، ١٢ - ١٤) و إلى قوله تعالى : « و حشر لسلفمان جنوده من الجن و الانس و الطفر فهم فوزعون « (النمل - ١٩) و إلى قوله تعالى : « قال عفرفف من الجن أنا آففك فف قبل أن تقوم من مقامك « (النمل - ٤٢) فنتفح أن هؤلاء الشفاطفن كانوا من الجن . و كذا إذا أضفنا قوله تعالى : « ولقد رفبنا السماء الدنيا بمصافبف و جعلناها رجوماً للشفاطفن « (الملك - ٦) إلى قوله تعالى : « قل أوحف إلى أنه استمع نفر من الجن - إلى قوله تعالى مخبرأ عنهم : و أنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسأ شففداً و شهبأ ؁ و أنا كنا مقاعد للسمع فمن فستمع الآن فجدله شها بأرصدأ « (الجن ، ٢٠ - ١٠) فنتفح أن الشفاطفن طائفة من الجن .

و قال تعالى : « سففرغ لكم أففها الثقلان « (الرحمن - ٣٣) أفف سففرء لفسابكم و جزائفكم و ذلك فوم القفامة قال القاضف : و ففبه تفهفد مستعار من قولك لمن تفهءده : سافرغ لك فان المنفجرء للشفاء كان أقوى عفله و أءء فففه . ووجه الاستدلال به ظاهر .

و كذا آفة أخرى من تلك السورة و هف قوله تعالى « ففومئذ لا فسئل عن

ذنبه إنس ولاجان» بل المخاطب فيها الجن والانس في آيات فبأي آلاء ربكمما تكذبان، بدليل قوله تعالى: سنفرغ لكم أيها الثقلان، وقوله تعالى: يا معشر الجن والانس، وبعض آي أخرى وعليه إجماع المفسرين، ولولم يكن الرسول صلى الله عليه وآله مبعوثاً إليهم أيضاً لما خوطبوا بالقرآن الكريم.

وقال تعالى في سورة الجن: «قل أوحى إليّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنّا به ولن نشرك بربنا أحداً إلى قوله تعالى مخبراً عنهم: وأنا ممّا الصالحون ومنادون ذلك كنا طرائق قدأنا و أنا طننا أن لن نعجز الله في الأرض و لن نعجزه هزباً و أنا لما سمعنا الهدى أمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً و أنا ممّا المسلمون و ممّا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً و أمّا القاسطون فكانوا لجهنم حطباً».

وقال تعالى آخر الأحقاف: «و إذ صرفنا إليك نفرأ من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى و لّوا إلى قومهم منذرين و قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصداً قال ما بين يديه يهدي إلى الحق و إلى طريق مستقيم و يا قومنا أجيئوا داعي الله و آمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم و يجركم من عذاب أليم و من لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض و ليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين».

وجه الاستدلال بآيات هاتين السورتين ظاهر و أنها تدلّ مع كونهم مكلفين على أن القرآن كتابهم أيضاً فرسول الله صلى الله عليه وآله مبعوث إليهم أيضاً، بل ما في الأحقاف تدلّ على أن أنبياء السلف من الانس كانوا مبعوثين إليهم أيضاً حيث قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصداً قال ما بين يديه، كما تدلّ على أن هؤلاء النفر من الجن كانوا يهوداً ما آمنوا بعيسى صلى الله عليه وآله.

ولعلّ هؤلاء النفر هم القوم الذين أخبر الله تعالى عنهم: «ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق و به يعدلون» (الأعراف - ١٦١) أو أن هذه الآية تشملهم

أيضاً كقوله الآخر : « وممن خلقنا أمة يهدون بالحق و به يعدلون » (الأعراف - ٢٨٢) والله تعالى أعلم .

وقال تعالى : « ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين - الى قوله تعالى : قال اخرج منها مذموماً مدحوراً لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين » (الأعراف، ١٢-١٩) وجه الاستدلال به أن العقاب فرع التكليف ، وقال تعالى : لأملأن جهنم منكم أجمعين ، عدل عن الغيبة إلى الخطاب ليشمل الحكم و الخطاب كلا الفريقين من الجن و الانس .

نظير قوله تعالى أيضاً : و إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس إلى قوله : قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزأؤكم جزاء موفوراً (الاسراء - ٦٤-٦٦) و يفسره قوله تعالى آيات آخر ص : « فسجد الملائكة كلهم أجمعون » إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين - الى قوله تعالى : قال فالحق و الحق أقول لأملئن جهنم منك و ممن تبعك منهم أجمعين » و قوله تعالى : « و تمت كلمة ربك لأملئن جهنم من الجنة و الناس أجمعين » (هود - ١٢١) و قوله تعالى : « ولكن حق القول مني لأملئن جهنم من الجنة و الناس أجمعين » (السجدة - ١٥) و قوله تعالى : « ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن و الانس لهم قلوب لا يفقهون بها ، الآية (الأعراف - ١٨٠) .

وكذا يبين أن المراد كلا الفريقين قول أمير المؤمنين عليه السلام (الخطبة الأولى من النهج) : فقال سبحانه اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس و قبيله الخ ، وفي بعض النسخ إلا إبليس و جنوده .

و بالجملة أن الآيات القرآنية تدل على أن الجن مكلفون كالانس ولاريب أن من شرائط التكليف أن يكون المكلف عاقلاً ، فلمهم عقل و تمييز ولذا هدى هؤلاء النفر من الجن عقولهم إلى الهداية و الرشيد حيث قالوا « إننا سمعنا قرآناً عجبا يهدي إلى الرشيد فآمننا به ولن نشرك بربنا أحداً » وقال تعالى « ولقد

ذراًنا « الآية، والقلب في القرآن بمعنى العقل.

كما تدلُّ أنهم رجال وأناك كالانس حيث قال تعالى مخبراً عنهم: « وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن » (الجن - ٧) و أخبر تعالى أن بعضهم فرسانا والآخر مشاة حيث قال: « واستغرز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك » (الاسراء - ٦٧) .

فالآيات تنتج بأنهم ليسوا بمجردين ، لأن التكثر إنما يصح فيما كان له مادة .

على أن الله تعالى صرح بذلك أيضاً في قوله : « وخلق الجن من نار من نار (الرحمن - ١٦) وقوله تعالى : « والجن خلقناه من قبل من نار السموم (الحجر - ٢٨) وقوله تعالى : ولقد فتنا سليمان - إلى قوله تعالى : فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص » و آخرين مقرنين في الأصفاد » (الزمر ٣٥ - ٣٩) .

وجه الاستدلال به أن كونهم مقرنين في الأصفاد إنما يصح مع عدم تجربتهم ، وقال تعالى « و ترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد » (ابراهيم - ٥١) والله أعلم .

وكذا القرآن يدلُّ على أنهم يتوالدون ، لدلالة النارية على ذلك ، وقد قال الله تعالى : « و إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا » (الكهف - ٤٩) . وحيث قال عز من قائل: « فيهن قاصرات الطرف لم يطمهنّ إنس قبلهم ولا جان » (الرحمن - ٥٨) .

ثم إذا كانت الجن مادية جسمانية ومع ذلك أننا لانراهم وهم يرونا كما قال عز من قائل : « يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءآتهما إنه يريكم هو و قبيله من حيث لا ترونهم إنما جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون » (الاعراف - ٢٨) علمنا أنهم من الأجسام

اللطيفة و ليس بلازم أن يدرك بالأبصار كل ما هو جسم فإن بعض الأجسام الذي قبلنا انراه بالعين كالهواء مثلاً .

و الشيطان في الآية هو ابليس و ابليس من الجن^٢ بدليل قوله تعالى : « و إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس كان من الجن فسق عن أمر ربه » الآية المتقدمة . و قوله تعالى « و كذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس و الجن » (الانعام - ١١٣) . و قوله تعالى « ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس لم يكن من الساجدين - إلى قوله تعالى مخبراً عنه : قال فيما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم - إلى قوله تعالى : فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما من سواتهما » (الاعراف ١٢ - ٢١)

و كذا إذا أضفنا قوله تعالى : « و قال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق و وعدتكم فأخلفنكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم » الآية (ابراهيم - ٢٨) إلى قوله تعالى « و لقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين » و ما كان له عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك « الآية (سبأ - ٢١) ينتج أن الشيطان هو ابليس .

و قوله تعالى : (و اذ قلنا للملائكة اسجدوا فسجدوا إلا ابليس - إلى قوله تعالى : وعدهم و ما يعدهم الشيطان إلا غروراً) إن عبادي ليس لك عليهم سلطان و كفى بربك وكيلاً « (الاسراء ٦٤ - ٦٨) كالصریح بأن الشيطان هو ابليس .

فقد تحصل من الآيات المتقدمة أن الجن مكلّفون ولهم عقل و تمييز و أن رسول الله ﷺ مبعوث إليهم أيضاً ، و أن بعضهم مسلم و بعضهم قاسط و كافر كما اعترفوا في سورة الجن^٣ بذلك حيث قالوا : « و أنّا منّا المسلمون و منّا القاسطون » و قال تعالى في الآية المتقدمة من الكهف « فسجدوا إلا ابليس كان من الجن » الخ ، و قال تعالى « فسجدوا إلا ابليس أبى و استكبر و كان من الكافرين » (البقرة - ٢٤)

فبعض الجن كافر .

وأنَّ مَنْ كَانَ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ شَرِيرًا مَمْتَرًا دَأْبًا عَنِ اللَّهِ تَعَالَى فَهُوَ شَيْطَانٌ قَالَ تَعَالَى : « وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ » (البقرة - ١٤) وقال تَعَالَى : « وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ » (الانعام - ١٣) وَأَنَّ بَعْضَ أَنْبِيَاءِ الْإِنْسِ مَبْعُوثُونَ إِلَيْهِمْ أَيْضًا ، وَأَنَّ نَذِيرًا أَوْ نَذْرًا مِنْ جِنْسِهِمْ بَعُثُوا إِلَيْهِمْ .

ثمَّ ههنا يخلق بنا أن نبحت عن مسائل :

منها أنَّ أَنْبِيَاءَ الْإِنْسِ كَيْفَ بَعُثُوا إِلَى الْجِنِّ وَهَمَا لَيْسَا مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ ، وَقَدْ مَرَّ فِي شَرْحِ الْخُطْبَةِ ٢٣٧ (ص ٧٩ - ٨٢ ج ١٦) الْبَحْثُ عَنْ لَزُومِ التَّنَاسُبِ وَالتَّجَانُسِ فِي ذَلِكَ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى : « وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا » ﴿ ١٠٨ ﴾ (الاسراء - ٩٨) .

وحيث أنكر الناس أن يكون الرُّسُلُ شرأ قال تَعَالَى لِرَسُولِهِ عليه السلام « قُلْ ، جَوَابًا لِمَنْ شَبَّهْتَهُمْ « لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ » الْآيَةَ وَذَلِكَ لِتَمَكِينِهِمْ مِنَ الْجَمَاعَةِ بِالرُّسُولِ وَالتَّلَقُّي مِنْهُ . وَقَرِيبٌ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلِكًا لَجَعَلْنَاهُ رِجَالًا » (الأنعام - ١٠) .

ومنها أنَّ شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ كَيْفَ يَضَلُّونَ غَيْرَهُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ عَنْ سِوَاءِ الصِّرَاطِ ، وَعَلَى أَيِّ نَحْوٍ كَانَ سُلْطَانُهُمْ عَلَيْهِمْ ، وَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى « مِنْ شَرِّ الْمَوْسُوسِ الْخَنَّاسِ » الَّذِي يُوسِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ ؟ :

ومنها لم بعث بعض الأنبياء من الانس إليهم أيضاً و بعضهم الآخر من جنسهم و ماسر التبويض ، أو أنَّ قَوْلُهُ تَعَالَى : « يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسُلٌ مِنْكُمْ » الْآيَةَ (الانعام - ١٣١) .

ليس المراد أن بعث إلى كل من الثقلين رسل من جنسهم بل إنما المراد الرُّسُلُ مِنَ الْإِنْسِ خَاصَّةً ، وَلَكِنْ مَا جَمَعُوا مَعَ الْجِنِّ فِي الْخُطَابِ صَحَّ ذَلِكَ ، نَظِير

قوله تعالى « يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان » والمرجان يخرج من الملح دون العذب .
 أو أن الرسل من الجن رسل الرسل إليهم لقوله تعالى : « ولوا إلى قومهم منذرين » .
 ومنها أن الجن إذا كانوا مكلفين فلا بد لهم في كل زمان من نبي ، قال الله
 تعالى « ولو أننا أهلكناهم بعداب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع
 آياتك من قبل أن نذل ونخزى » (طه - ١٣٦) ولما كان بدؤ خلقهم قبل الانس
 بلا ارتياب فلا بد من أن يكون لهم نبي من جنسهم من قبل بلا كلام ، ويحمل قوله
 تعالى في سورة الأنعام « ألم يأتكم رسل منكم » على ظاهره .

وغيرها من المسائل التي يحتاج عنوانها وحلها والبحث عنها وعن الروايات
 المروية في المقام إلى تدوين كتاب على حدة ، ولعلنا نبحت عن بعضها في أثناء مباحثنا
 الآتية .

المطلب الثاني : أن احتجاجة عليه السلام على أبي قرة بقوله : إن بعد هذه
 الآية ما يدل على ما رأى - الخ ، تحريض الناس على التدبر في آيات القرآن
 الكريم ، وتعليمهم بأسلوب التنعم من تلك المأدبة الإلهية وقد فهمنا بعمله هذا أن
 القرآن يفسر بعضه بعضاً .

وقد مضى الكلام من سميته وجدته باب مدينة العلم أمير المؤمنين عليه السلام في
 ذلك عند شرحنا على المختار الأول من باب الكتب والرسائل قال عليه السلام : كتاب الله
 تبصرون به وتنطقون به وتسمعون به يفسر بعضه بعضاً ويشهد بعضه على بعض (ص
 ٢٥٤ ج ٢ من تكملة المنهاج) .

وكذلك قد تبين في (ص ٨٩ منها) أن الله تعالى نزل القرآن تبياناً لكل
 شيء ، وقال عز من قائل : « ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء » (النحل - ٩٢)
 وقال تعالى « وما فرطنا في الكتاب من شيء » (الانعام - ٣٩) .

فكيف لا يكون تبياناً لنفسه . والله تعالى حث عباده على التدبر في
 كلامه ، قال عز من قائل : « أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله
 لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » (النساء - ٨٥) . وقال تعالى : « أفلا

يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها» (تجـ ٢٧) . وقال سبحانه: « كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوالألباب » (ص - ٣٠) . فمما بيننا دريت أن من ذهب إلى عدم جواز التدبر في آيات الله و الأخذ بها إلا بما ورد تفسيره عنهم عليهم السلام خالف كتاب الله ، وقد ذهب إلى هذا القول الأخباريون على ما نقل الخوانساري في روضات الجنات عند ترجمة تجـ أمين الأخباري الأسترابادي عن الشيخ عبد الله بن صالح السماهيجي البحراني في الفروق بين المجتهدين والأخباريين (١) .

حيث قال : الفرق الخامس عشر إنهم يجوزون الأخذ بظاهر الكتاب بل يرجحونه على ظاهر الخبر والأخباريون لا يجوزون الأخذ إلا بما ورد تفسيره عنهم عليهم السلام . حتى أن بعض الأخباريين لا يعدُّ الكتاب من الأدلة أيضاً ويقتصر على السنة فقط، وهذا الفرق بينهما في التمسك بالكتاب وعدمه إنما هو في الفروع وأما في الأصول فإنهم لا يجوزون أخذ العقائد من القرآن وأخبار الآحاد، والأخباريون يقولون بعكس ذلك .

ولا يخفى عليك أن الأخباريين سلكوا في الفروع والأصول مسلكي الإفراط والتفريط . ولوقيل بجواز أخذ الأصول من الكتاب ليلزم الدور لأن اعتقاد أن رسول الله صلى الله عليه وآله مبعوث من عند الله تعالى مثلا لو كان بأخذ آية « يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً، الآية ، مثلا إنما يصح إذا اعتقد أنه رسول الله وكلامه وحى من عنده تعالى ، ولو كان الاعتقاد به من نفس هذه الآية ولم يثبت نبوته بعدمثلاً لكان هو الدور .

المطلب الثالث : أنه عليه السلام في جواب أبي قره لمأسأله فتكذب بالروايات؟ قال : إذا كانت الروايات مخالفة للقرآن كذبتها . وذلك أن القرآن هو معيار

(١) نقل ٢٩ فرقا فيما اختلف فيها المجتهدون و الاخباريون من كتاب السماهيجي

الحق وميزان الصدق ، وهو الأصل في المعارف وميزان كل شيء بحسبه ، فإذا كانت رواية لم يمضها القرآن ولو كانت من الكتب الأربعة لا يجوز الأخذ بها .
 وذهب الأخباريون إلى أن جملة ما فيها صحيحة ، فلو كانت دعواهم أن جميع الروايات المنقولة فيها موافقة لكتاب الله ففيه القطع بأن بعضها لا يوافق الكتاب ولا العقل ، فمجرد أن الرواية منقولة فيها لا يوجب صحتها والمعيار كتاب الله كما قدمنا البحث عن ذلك في صدر هذه المسئلة في الرؤية .

المطلب الرابع قوله عليه السلام : وما أجمع المسلمون عليه الى آخره دليل على حجية الاجماع ففي كل مسألة تحقق فيها إجماع المسلمين عليها فلا يجوز التخلف عنها ، وأجمعوا على حجية القرآن وهو ناطق بعدم إدراك الأبصار إياه تعالى ، والمتبع الإجماع المحقق .

والعجب من الأخباريين كيف يقتصرون في الأدلة على الكتاب والسنة بل بعضهم على الثاني فقط كما دريت و يدعون الإجماع والعقل مع شدة اهتمامهم بالتمسك بالأخبار ، وهذا هو خبر مروى في الكافي ذهب الأخباريون إلى أن جملة ما فيه صحيحة ، و ينادي الامام عليه السلام بأعلى صوته بأن ما أجمع المسلمون عليه لا يجوز الاعراض عنه ، فهل هذا إلا الاعراض عن الكتاب والسنة .

المطلب الخامس أن أباقر لما زعم من الرؤية ، الرؤية بالأبصار احتج الامام عليه السلام عليه على مقدار فهمه و حذاء زعمه بعدم رؤيته تعالى بها ، وإلغى أي أخبار آخر في صحة رؤيته تعالى بمعنى آخر أدق و أطف لا يعقله إلا الأوحدي من الناس .

« الحديث الثالث »

رواه الكليني قدس سره في باب إبطال الرؤية من جامعه الكافي عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن أبي هاشم الجعفري ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال سألت عن الله هل يوصف ؟ فقال : أما تقرأ القرآن ؟ قلت : بلى ، قال : أما تقرأ قوله تعالى « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ؟ » قلت : بلى ، قال : فتعرفون

الأبصار؟ قلت: بلى، قال: ماهي؟ قلت: أبصار العيون، فقال: إن أوهام القلوب أكبر من أبصار العيون، فهولاء تدر كه أوهام وهويدرك الأوهام .
 وقريب منه رواية أخرى في ذلك الباب من الكافي أيضاً رواها عن محمد بن أبي عبدالله، عن ذكره، عن محمد بن عيسى، عن داود بن القاسم أبي هاشم الجعفري قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: لا تدر كه الأبصار وهويدرك الأبصار؟ فقال: يا أبا هاشم أوهام القلوب أدق من أبصار العيون، أنت قد تدر كه بوهمك السند والهند والبلدان التي لم تدخلها ولا تدر كهها ببصرك، وأوهام القلوب لا تدر كه فكيف أبصار العيون .

وقد رواهما الصدوق قدس سره في باب ماجاء في الرؤية من كتابه في التوحيد فروى الأوتل باسناده عن محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد، عن محمد بن الحسن الصفار، عن أحمد بن محمد، عن أبي هاشم الجعفري، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام.
 والثاني عن علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق، عن محمد بن أبي عبدالله علي حذو ما في الكافي .

وروى في المجلس الرابع والستين من أماليه عن الحسين بن إبراهيم بن أحمد ابن هشام المؤدب قال: حدثنا أبو الحسين محمد بن جعفر الأسدي، قال: حدثني محمد ابن إسماعيل بن بزيع، قال: قال أبو الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام في قول الله عز وجل « لا تدر كه الأبصار وهويدرك الأبصار » قال: لا تدر كه أوهام القلوب فكيف تدر كه أبصار العيون .

بيان: أبو جعفر عليه السلام هو الامام التاسع محمد بن علي الرضا، بقريئة رواية أبي هاشم الجعفري عنه، وصرح به الصدوق في التوحيد حيث قال في ذلك الاسناد: عن داود بن القاسم عن أبي هاشم الجعفري قال: قلت لأبي جعفر ابن الرضا عليه السلام.
 الأوهام جمع وهم وهويطلق في الكتب الحكمية على القوة الوهية التي من شأنها إدراك المعاني الجزئية المتعلقة بالمحسوسات كعداوة زيد ومحبة عمرو قال الشيخ في الشفاء: القوة المسماة بالوهم هي الرئيسة الحاكمة في الحيوان حكماً

ليس فصلاً كالحكم العقلي، ولكن حكماً تخييلاً مقروناً بالجزئية وبالصورة الحسية وعنه يصدر أكثر الأفعال الحيوانية، انتهى كلامه .

وكما أن العقل رئيس الوهم ومخدومه كذلك الوهم رئيس الحواس الظاهرة والباطنة و مستعملها ومستخدمها ولذا بينوا أن آلتها الدماغ كله ولكن الأخص بها التجويف الأوسط على التفصيل الذي بين في محله .

ولكن المراد بالوهم في تلك الرّوايات معناه اللغوي أي ما يقع في القلب من الخاطر . قال الطريحي في مجمع البحرين : الوهم ما يقع في الخاطر يقال : وهمت الشيء أهمه وهما من باب ضرب أي وقع في خلدي . وقال الفيومي في المصباح : وهمت وهماً وقع في خلدي ، والجمع أوهام .

فالمراد بأوهام القلوب إدراكاتها ومنه قول الصادق و الباقر عليهما السلام : كلما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلكم - الحديث الذي ذكرناه في صدر هذا البحث .

وقدمت غير مرّة أن القلب في الآيات والأخبار بمعنى النفس والعقل . والوهم بذلك المعنى أعني الإدراك المتعلق بالقوة العقلية المتعلقة بالمعقولات في الأخبار غير عزيز بل شائع ذائع .

ولا يبعد أن يقال: وجه التعبير بالأوهام إن ما كان من جهة عدم إحاطة العقول به تعالى أعني أن هذا التعبير يشير ضمناً إلى أن تلك الإدراكات في صفة الباري تعالى أوهام من الوهم بمعنى الغلط وخيالات لأنّها حقائق ومعقولات صحيحة .

وإنما كان إدراكات القلوب أكبر من أبصار العيون لأن القلب أعني العقل مجرد والعقل قد لا يحتاج في إدراكه إلى المادة والجهة وغيرها مما يحتاج إليها غيره من القوى المدركة في إدراكاتها .

ولا يخفى أن إدراك البصر مثلاً مقصور على ما هو محصور في المادة ولا بد أن يكون ذا جهة و وضع وضوء ولون وأن لا يكون بعيداً مفراطاً عن محسنة الرؤية ولا قريباً منها كذلك، وأن لا يكون صغيراً جداً مما يحتاج في رؤيتها إلى الآلات

المكبيرة وأن لا يكون بينهما حاجب مما قدّمنا في صدر هذا البحث من شرائط الابصار
وأما العقل فيدرك ما هو مجرد عن المادة والجهة ولا يشترط في رؤيته وجود
الواسطة وعدم الظلمة وعدم القرب والبعد المفرطين ولا عدم الحاجب ، فانه يدرك
مطلقاً ولذا قال عليه السلام : أنت قد تدرك بوهمك أي بعقلك السند والهند الخ ، والمجرد
عن المادة يكون أدق وألطف وأكبر وأعظم وجوداً من إدراكات البصر، لأن
مدركاتها محبوسة محصورة .

وفي نسخة مخطوطة مصححة من توحيد الصدوق موجودة عندنا : أن أوهام
القلوب أكثر من أبصار العيون ، بالثناء المثلثة وهذا صحيح أيضاً ، و الكل يشير
إلى معنى واحد أي أوسع وجوداً .

وبالجملة أن كل ما تدركه أوهام القلوب لا تدركه العيون ، بخلاف العكس
وأن العقل مجرد عن المادة ومدركاتها كذلك ، وسائر القوى ليست في مرتبته ، وكذلك
مدركاتها .

فالمدركات العقلية أدق وأكبر وأكثر وجوداً من الحسية ، قل كلّ يعمل
على شاكلته ، فإذا لم يكن الوهم قادراً على إدراكه تعالى والإحاطة به فما ظنك
بالعيون التي دون الوهم بمراحل ، فنقي إدراكه تعالى بالوهم الذي هو أوسع
وجوداً وأتم إدراكاً يستلزم نفي إدراكه بالأبصار بطريق أولى ، فان نفي الأعم
يستلزم نفي الأخص ، كما أن نفي الحيوان يستلزم نفي الانسان على ما بين في
صنعة الميزان .

ثم لا يخفى على من ساعده التوفيق أن هذه الأخبار الصادرة من أهل بيت
العصمة تشير إلى تجرد الروح الانساني الذي به امتاز الانسان عن سائر الحيوانات
وبه كرم الله بني آدم عليهم ، فالحيوانات وإن كانت قوية في إدراكها الحسية
لكونها عاجزة عن نيل ما رزق به الانسان من تعقل المعقولات و إدراك الحقائق
المجردة والمعاني اللطيفة الخفية من فعل العقل ، والفرق بين المعاني الحسية
وبين المعاني العقلية شرفاً كالفرق بين الحاسة والعقل .

والمراد من سؤال أبي هاشم الجعفري أبا الحسن الرضا عليه السلام عن الله هل يوصف يعني هل يدرك سبحانه بالحواس والعقول ثم يوصف بأن يقال: إن الله ذاته كذا وصفاته كذا ولامحالة ينجر إلى محدوديته تعالى وإلى وصفه بالصورة والتخطيط وغيرها من صفات خلقه كما يستفاد من الأخبار الواردة في باب النهي عن الصفة بغير ما وصف به نفسه جلّ وعلا كما في الكافي والتوحيد وغيرهما .

ثم إن هذه الأخبار لا تفسر الأبصار بالأوهام ، بل لما انجر الكلام إلى إدراك الأبصار الحق تعالى قالوا عليهم السلام : إن أوهام القلوب لا تدركه تعالى فكيف الأبصار تقدر على إدراكه ، وكذا أنه تعالى يدرك أوهام القلوب مع دقتها وسعتها فكيف لا يدرك الأبصار ويظهر ما قلنا بأدنى تأمل في سياق تلك الأخبار ، فقدوهم من قال إنَّها فسّر الأبصار بأوهام القلوب .

نعم رواية أخرى منقولة في باب في قوله تعالى: «لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار» من الكافي وفي باب ما جاء في الرؤية من توحيد الصدوق بسند واحد ومتن واحد من غير اختلاف ظاهرة في أنَّها تفسر الأبصار بأبصار القلوب .

ففيهما باسنادهما عن محمد بن يحيى العطار ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن ابن أبي نجران ، عن عبدالله بن سنان ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله «لا تدركه الأبصار» قال : إحاطة الوهم ؛ ألا ترى إلى قوله : «قد جاءكم بصائر من ربكم» ليس يعني بصر العيون «فمن أبصر فلنفسه» ليس يعني من البصر بعينه «ومن عمي فعليها» ليس يعني عمي العيون إنما عنى إحاطة الوهم كما يقال : فلان بصير بالشعر ، وفلان بصير بالفقه ، وفلان بصير بالدراهم ، وفلان بصير بالثياب ، الله أعظم من أن يرى بالعين ، انتهى .

و كأنه عليه السلام أراد من قوله هذا مفسراً كما أن للعين بصراً كذلك للقلب بصر وبصر القلب يسمى بصيرة ، فالمراد من إحاطة الوهم إحاطة بصيرة القلب ومع ذلك لا يبعد أن يقال : إنه عليه السلام أراد من كلامه هذا التنبيه على إرادة أبصار القلوب بالآية أيضاً لا أبصار العيون فقط ، أي أن الأبصار في الآية تشمل أبصار العيون

والقلوب كليهما .

و أشار عليه السلام في صححة إرادة إدراك القلبي من الأَبصار إلى إطلاق البصر على بصيرة القلب في القرآن الكريم بقوله : ألا ترى إلى قوله تعالى « قد جاءكم بصائر من ربكم » الخ ، وإلى إطلاقه عليها في العرف أيضا بقوله : كما يقال : فلان بصير - الخ . وقوله : إنما عنى إحاطة الوهم ، أي إنما أراد الله من قوله : « لاتدركه الأَبصار » إحاطة الوهم .

إن قلت : هذه الأَخبار تكذب إدراكه تعالى بأوهام القلب ، و قد رويت أخبار أخر أن القلوب تدرکه بحقائق الايمان فكيف التوفيق ؟ .
قلت : المراد من الأَخبار النافية ، إدراكه تعالى بالاكتناه والإحاطة ، ومن الأَخبار المثبتة إدراكه بوجه بمعنى الانكشاف التام الحضور والشهود العلمي من غير اكتناه كما تتلوها عليك مبينة .

« الحديث الرابع »

في الكافي عن محمد بن أبي عبد الله ، عن علي بن أبي القاسم ، عن يعقوب بن إسحاق قال : كتبت إلى أبي محمد عليه السلام أسأله كيف يعبد العبد ربه وهو لا يراه؟ فوقع عليه السلام يا بايوسف جل سيدي ومولاي والمنعم علي وعلى آبائي أن يُرى ، قال : و سألته هل رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ربه؟ فوقع عليه السلام : إن الله تبارك و تعالى أرى رسوله بقلبه من نور عظمته ما أحب .

أقول : هذا هو الحديث الأول من باب في إبطال الرؤية من أصول الكافي

وقريب منه الحديث الثامن منه .

قال : محمد بن يعقوب وغيره عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن ابن أبي نصر ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لما أُسري بي إلى السماء بلغ بي جبرئيل مكاناً لم يطأه قط جبرئيل فكشف له فأراه الله من نور عظمته ما أحب .
ورواه الصدوق في التوحيد عن أبيه ، عن محمد العطار ، عن ابن عيسى ، عن البرزني عن الرضا عليه السلام .

بيان : محمد بن أبي عبدالله هو الذي أكثر المشايخ الثلاثة رضوان الله عليهم الرواية عنه ، وعلي بن أبي القاسم عبدالله بن عمران البرقي المعروف أبوه بما جيلويه يكنى أبا الحسن ، وذهب المولى صالح المازندراني والمولى صدرا الشيرازي في شرحهما على أصول الكافي إلى إن يعقوب بن إسحاق هو الشيخ أبو يوسف يعقوب بن إسحاق ابن السكيت الدورقي ، وابن السكيت هذا من أكابر علماء العربية وعظماء الشيعة وهو من أصحاب الجواد والهادي عليهما السلام ، ومؤلف كتاب إصلاح المنطق .

قال ابن خلكان في وفيات الأعيان : قال بعض العلماء : ما عبر على جسر بغداد كتاب من اللغة مثل إصلاح المنطق وقال : قال أبو العباس الطبري : ما رأيت للبغداديين كتاباً أحسن من كتاب ابن السكيت .

وقال الشيخ الجليل النجاشي في الفهرست : يعقوب بن إسحاق السكيت أبو يوسف كان مقدماً عند أبي جعفر الثاني وأبي الحسن عليهما السلام وكان يختصانه (وكان يختصانه - ظ) وله عن أبي جعفر عليهما السلام رواية ومسائل ، وقتله المتوكّل لأجل التشيع وأمره مشهور ، وكان وجيهاً في علم العربية واللغة ثقة مصدق لا يطعن عليه وله كتب ثم عدّ كتبه .

قال ابن النديم في الفهرست : وكان يعقوب بن السكيت يكنى بأبي يوسف وكان مؤدّباً لولد المتوكّل ويقال : إن المتوكّل ناله بشيء حتى مات في سنة ست وأربعين ومائتين ، وليعقوب ابن يقال له : يوسف نادى المعتضد وخصّ به ، انتهى ما أردنا من نقل كلامه .

وفي وفيات الأعيان وكان يميل في رأيه واعتقاده إلى مذهب من يرى تقديم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال أحمد بن عبيد : شاورني ابن السكيت في منادمته المتوكّل فنهيته ، فحمل قول علي الحسد وأجاب إلى ما دعى إليه من المنادمة فبينما هو مع المتوكّل يوماً جاء المعتزّ والمؤيد فقال المتوكّل : يا يعقوب أيما أحب إليك ابناي هذان أم الحسن والحسين ؟ فغضّ ابن السكيت من ابنيه وذكر الحسن والحسين رضي الله عنهما بما هما أهله ، فأمر الأتراك فداسوا بطنه فحمل إلى

داره فمات بعد غد ذلك اليوم ، وكان ذلك في سنة أربع وأربعين ومائتين - إلى أن قال :
وقد روي في قتله غير ما ذكرته أولاً ، فقيل : إن المتوكّل كان كثير
التحامل على علي بن أبي طالب رضي الله عنه وابنيه الحسن و الحسين رضي الله عنهم
أجمعين ، وكان ابن السكيت من المغالين في محبتهم و التوالي لهم ، فلما قال له
المتوكّل تلك المقالة قال ابن السكيت : والله إن قنبر خادم علي رضي الله عنه خير
منك ومن ابنك ، فقال المتوكّل : سلوا لسانه من قفاه ، ففعلوا ذلك به فمات
وذلك في ليلة الاثنين لخمس خلون من رجب سنة أربع وأربعين ومائتين ، وقيل : سنة
ثلاث وأربعين . وبلغ عمره ثمانياً وخمسين سنة .

وقال المجلسي - ره - في مرآة العقول : و ظن أصحاب الرجال أن يعقوب
ابن إسحاق هو ابن السكيت ، والظاهر أنه غيره ، لأن ابن السكيت قتله المتوكّل
في زمان الهادي عليه السلام ولم يلحق أباهم عليه السلام . انتهى كلامه - ره .

أقول : أبو محمد في الرّوايات هو الحسن بن علي العسكري الامام الحادي عشر
والد الامام المنتظر عليه السلام .

قال في الكافي : ولد أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام في شهر رمضان وفي نسخة
أخرى في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ، وقبض عليه يوم الجمعة لثمان
ليال خلون من شهر ربيع الأول سنة ستين ومائتين وهو ابن ثمان وعشرين سنة .

وفي الكافي أن والده أبا الحسن الثالث علي بن محمد الهادي الامام العاشر عليه السلام
قبض سنة أربع وخمسين ومائتين فكان أبو محمد عليه السلام عند وفات أبيه الهادي عليه السلام ابن
اثنتين وعشرين سنة ، وعند وفاة ابن السكيت ابن اثنتين وعشرين سنة ، فابن السكيت
لحق أباهم عليه السلام إلا أن نقل ابن السكيت عنه عليه السلام مستغرب في ظاهر الأمر فلا
يبعد احتمال المجلسي - ره - عن الصواب .

فالظاهر أن يعقوب بن إسحاق هذا هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي
فيلسوف الغرب المتوفى - ٢٤٦ هـ . ولما كان هو وابن السكيت في الاسم والكنية واسم
الوالد مشتركين ، وكانا أيضاً معاصرين اشتبه علي الشراح أحدهما بالآخر .

ومما يؤيد هذا الاحتمال الاحتجاج الذي وقع بين أبي محمد عليه السلام وبين الكندي لما أخذ في تأليف تناقض القرآن على زعمه نقله المجلسي رحمته - في احتجاجات البحار عن مناقب ابن شهر آشوب قال :

أبو القاسم الكوفي في كتاب التبديل إن إسحاق الكندي كان فيلسوف العراق في زمانه ، أخذ في تأليف تناقض القرآن وشغل نفسه بذلك وتفرّد به في منزله وأن بعض تلامذته دخل يوماً على الإمام الحسن العسكري عليه السلام فقال له أبو محمد عليه السلام : أما فيكم رجل رشيد يردع استاذكم الكندي عما أخذ فيه من تشاغله بالقرآن ؟ فقال التلميذ : نحن من تلامذته كيف يجوز منا الاعتراض عليه في هذا أو في غيره ؟ فقال أبو محمد عليه السلام : أتودّي إليه ما ألقيه إليك ؟ قال : نعم ، قال فصر إليه (فسر إليه - خل) وتلطّف في مؤانسته ومعونته على ما هو بسبيله ، فاذا وقعت المؤانسة في ذلك فقل : قد حضرتني مسألة أسألك عنها فإنّه يستدعي ذلك منك فقل له : إن أتاك هذا المتكلم بهذا القرآن هل يجوز أن يكون مراده بما تكلم به منه غير المعاني التي ظننتها أنك ذهبت إليها ؟ فإنّه سيقول : إنّه من الجائز لأنّه رجل يفهم إذا سمع ، فاذا أوجب ذلك فقل له : فما يدريك لعلّه قد أراد غير الذي ذهبت أنت إليه فتكون واضعاً لغير معانيه ، فصار الرجل إلى الكندي وتلطّف إلى أن ألقى إليه (عليه - خل) هذه المسألة فقال له : أعيد عليّ فأعاد عليه فتفكّر في نفسه ورأى ذلك محتملاً في اللّغة وسائغاً في النظر .

ومما يؤيد هذا الاحتمال أيضاً أن السؤال عن نحو هذه المسألة أنسب بحال الكندي من ابن السكيت لأنّه كان فيلسوفاً حكيماً ، وقد عدّ ابن النديم في الفهرست من كتبه الفلسفيّة أكثر من عشرين كتاباً ، وكأنّه أراد اختبار الإمام فيه تعالى فأجابهُ عليه السلام بما يناسبه .

ولكن مع ذلك كلّهُ ههنا كلاماً يختلج بالبال وهو أن عليّ بن أبي القاسم لم يكن ممن يروي عن الكندي أو يكون أحد تلامذته ولم نجد في الكتب الرّجاليّة والفهارس من عدّه من تلامذته أو رواه بل عدّوه من رواة ابن السكيت ومنهم المولى

الأردبيلي - ره - في جامع الرواة .

ثم إنَّ أبا محمد عليه السلام كان عند وفاة الكندي ابن أربع عشرة سنة لما مضى من تاريخ وفاتها ، وعند وفاة ابن السكيت ابن اثنين و عشرة سنة كما دريت ، فكان الفاصلة بين وفاة ابن السكيت والكندي سنتين ، فلو كان نقل ابن السكيت عنه عليه السلام مستغرباً لكان كذلك الكلام في نقل الكندي عنه كما لا يخفى وقول المجلسي - ره - إنَّ ابن السكيت لم يلحق أبا محمد ليس بصواب كما علم .

وقال بعضهم في تعليقة على جامع الرواة المذكور آنفاً في المقام ما هذا لفظه فيه اشتباه لأنَّ يعقوب بن إسحاق السكيت لم يرو عن أبي محمد جزءاً إذ كما صرح المؤلف أيضاً قتله المتوكل فكيف يمكن روايته عن أبي محمد عليه السلام ، فالظاهر أنَّه يعقوب بن إسحاق البرقي لأنَّه من رواة العسكري كما صرح « مح » انتهى قوله . وفيه أوَّلاً أنَّ ابن السكيت أدرك أبا محمد عليه السلام كما علم .

وثانياً أنَّ يعقوب بن إسحاق البرقي لم يكن بأبي يوسف ، على أنَّه مجهول الحال عدّه الشيخ - ره - في الفهرست بعنوان يعقوب بن إسحاق من أصحاب الهادي عليه السلام وبزيادة وصفه بالبرقي من أصحاب العسكري عليه السلام ، ولم يعلم من هو ومن روى عنه ولم يذكر أحد أنَّ علي بن أبي القاسم روى عنه . والله تعالى أعلم .

وأما سؤال أبي يوسف أبا محمد عليه السلام عن رؤيته تعالى ففيه كلام أيضاً ، لأنَّ السائل إن كان ابن السكيت فكيف لم يكن استحالة رؤيته تعالى بالأبصار معلومة له وهو أدرك الجواد والعسكريين عليه السلام وقال النجاشي : وله عن أبي جعفر الثاني عليه السلام رواية ومسائل .

نعم إن كان السائل الكندي فلا ضير فيه لأنَّه سأله اختباراً وكيف كان فأجابه عليه السلام بأنَّ الله تعالى جلَّ أن يرى بالأبصار ، لما دريت آنفاً أنَّ ما يدرك بالأبصار يجب أن يكون جسماً كثيفاً له ضوء ولون وجهة ومكان وسائر ما يشترط في الأبصار حتَّى يرى ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

ثمَّ سأله من باب المكاتبة أيضاً بدليل مقابله بالتوقيع هل رأى رسول الله صلوات الله

ربه وإنما سأل عن ذلك لأن طائفة من الروايات وبعض آيات النجم تدل على أنه ﷺ رآه تعالى ، ويتبادر وهم العامة في أمثال هذه المعاني إلى ما يتوهمونها في الأجسام فيزعمون أن كل ما هو موجود فهو مرئي فما لم يكن بمرئي فليس بموجود ، أو أن كل ما هو مرئي فهو مرئي بالأبصار فقط ، ولا يعلمون أن الرؤية بعين القلب أعني العقل أتم وأكمل وأشرف وأقوى وأبقى من الرؤية بعين الرأس ، والفرق بين الرؤيتين كالفرق بين المدركين من العقل والعين .

فأجابه عليه السلام بآتم بيان بأنه تعالى أرى رسوله بقلبه من نور عظمته ما أحب نفى رؤيته تعالى بالبصر وقال : أرى رسوله بقلبه ما أحب من نور عظمته .

ورؤية القلب أشرف من رؤية العين ، لعدم احتياجها إلى ما يشترط في الأبصار بالعين ، بل هو انكشاف تام و وصول لا يتأتى بيانه بالقلم يفهمه من كان له قلب وقال أبو الحسن الرضا عليه السلام في الحديث المتقدم ذكره : فكشفت له فأراه - الخ ، كأنه بيان لقول أبي محمد عليه السلام أرى بقلبه أي الإراءة ههنا هي الكشف التام .

وقوله عليه السلام : من نور عظمته ، بيان لكلمة ما قدّم عليها توسعة للظرف . وأسلوب الكلام يقتضي إرجاع ضمير أحب إليه تعالى لا إلى رسوله .

فبما حققنا في المقام علمت أن أبا الحسن عليه السلام احتج على أبي قرّة في الحديث المتقدم على زنة معرفته وقد رقبه ، ولو وجده الإمام أهلاً للإشارات الرقيقة لفسر له قوله تعالى « ما كذب الفؤاد ما رأى » بما رأى الفؤاد كما في الحديث الآتي .

وعلمت أيضاً أن ما جاء في الروايات بأنه ﷺ رآه تعالى ، فالمراد رؤيته بالقلب من غير إحاطة لا بالبصر جمعاً بين ما حكم به العقل الناصع وبين ظاهر النقل .

فنعم ما أشار إليه العالم الجليل الصدوق - ره - في باب ما جاء في الرؤية من كتابه في التوحيد حيث قال : حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد ، قال : حدثنا

إبراهيم بن هاشم ، عن ابن أبي عمير ، عن مرزم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سمعته يقول : رأى رسول الله ﷺ ربه عز وجل - يعني بقلبه - وتصديق ذلك ما حدثنا

به محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد ، قال : حدثنا محمد بن الحسن الصفار ، عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب ، عن محمد بن الفضيل قال : سألت أبا الحسن عليه السلام هل رأى

رسول الله صلى الله عليه وآله ربه عز وجل؟ فقال : نعم بقلبه رآه . أما سمعت الله عز وجل يقول « ما كذب الفؤاد ما رأى » أي لم يره بالبصر ولكن رآه بالفؤاد . انتهى ما أفاده -ره-

الحديث الخامس

في الكافي : عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر : عن أبي الحسن الموصلي ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : جاء حبر إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك حين عبدته؟ قال فقال : ويملك ما كنت أعبد ربياً لم أره ، قال : وكيف رأيتك؟ قال : ويملك لا تدركه العيون في مشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان .

أقول : هذه الرواية جاءت في الجوامع بطرق متعدّدة بينها اختلاف لفظاً وكمّاً في الجملة وما أتى به الكليني في هذا الباب من جامعه الكافي جزء ممّا نقل في الجوامع الأخر .

ثم إن الظاهر أنّ ذلك الحبر هو ذعبل اليماني و الحديث بعض حديث ذعبل المشهور رواه الخاصة والعامة بالفاظ مختلفة متقاربة وأسناده متعدّدة . نعم لا يبعد أن يذهب إلى أنّ ذلك السؤال والجواب وقع بينه عليه السلام وبين ذلك الحبر مرّة ، وبينه وبين ذعبل مرّة أخرى ، و لكن مشاركتهما في هيئة السؤال والجواب ونضد الألفاظ تباين بظاهرهما عن ذلك الاحتمال .

ففي باب التوحيد من الكافي وفي الوافي ص ٩٥ ج ١ في باب جوامع التوحيد وفي مرآة العقول ص ٩١ ج ١ : محمد بن أبي عبدالله رفعه عن أبي عبدالله عليه السلام قال :

بينما أمير المؤمنين يخطب على منبر الكوفة إذ قام إليه رجل يقال له : ذعبل دولسان بليح في الخطب شجاع القلب فقال : يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك؟ فقال : ويملك يا ذعبل ما كنت أعبد ربياً لم أره .

فقال : يا أمير المؤمنين كيف رأيتك؟

قال : ويملك يا ذعبل لم تره العيون بمشاهدة هذه الأبصار ، ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان ، ويملك يا ذعبل إن ربّي لطيف اللطافة لا يوصف باللفظ ، عظيم

العظمة لا يوصف بالعظم ، كبير الكبرياء لا يوصف بالكبر ، جليل الجلالة لا يوصف بالغلظ ، قبل كل شيء لا يقال شيء قبله ، وبعد كل شيء لا يقال له بعد ، شاء (شيئاً خ ل) الأشياء لا بهمة ، دراك لا بخديعة ، في الأشياء كلها غير متمازج بها ولا بائن منها ، ظاهر لا بتأويل المباشرة ، متجل لا باستهلال رؤية ، نائي لا بمسافة ، قريب لا بمدانة ، لطيف لا بتجسّم ، موجود لا بعد عدم ، فاعل لا باضطراب ، مقدّر لا بحركة مرید لا بهامة ، سميع لا بآلة ، بصير لا بأداة ، لا تحويه إلا ما كن ، ولا تضمنه إلا أوقات ولا تحده الصفات ، ولا تأخذ السنين ، سبق الأوقات كونه ، والعدم وجوده ، والإبتداء أزله ، بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له ، وبتجهيره الجواهر عرف أن لا جوهر له ، وبمضادته بين الأشياء عرف أن لا ضد له ، وبمقارنته بين الأشياء عرف أن لا قرين له ، صاد النور بالظلمة ، واليبس بالبلل ، والخشن باللين ، والصدرد بالحرور ، مؤلف بين متعادياتها ، مفرّق بين متدانياتها ، دالة بتفريقها على مفرّقها وبتأليفها على مؤلفها ، وذلك قول الله تعالى « و من كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » .

ففرّق بين قبل وبعد ليعلم أن لا قبل له ولا بعد ، شاهدة بغرائزها أن لا غريزة لمغريزها ، مخبرة بتوقيتها أن لا وقت طوقتها ، حجب بعضها عن بعض ليعلم أن لا حجاب بينه وبين خلقه ، كان رباً إذ لا مربوب ، وإلهاً إذ لا مألوه ، وعالملاً إذ لا معلوم وسميعاً إذ لا مسموع . انتهى ما في الكافي .

ورواه الصدوق في باب إثبات حدوث العالم من كتابه في التوحيد بطريقين وكل واحد منهما يشتمل على أكثر مما في الكافي إلا أن ما في الكافي واقع في أثناء الطريق الأول وأما الطريق الثاني فمبتدء بما في الكافي .

فعلى الثاني قال : حدّثنا علي بن أحمد بن محمد بن محمد بن عمران الدقاق - ره -

قال : حدّثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي قال : حدّثنا محمد بن إسماعيل البرمكي قال :

حدّثنا الحسين بن الحسن قال : حدّثنا عبد الله بن زاهر قال : حدّثني الحسين بن

يحيى الكوفي قال : حدّثني قثم بن قتادة ، عن عبد الله بن يونس ، عن أبي عبد الله عليه السلام

قال : بينما أمير المؤمنين عليه السلام يخطب على منبر الكوفة إذ قام إليه رجل يقال له ذعلب ذرب اللسان بليغ في الخطاب شجاع القلب - إلى آخر ما في الكافي ، إلا أن في التوحيد شائي الأشياء على صورة الفاعل ويمكن أن يكون ما في الكافي أيضاً على اسم فاعل منون كرام . وفي التوحيد : لاتصعبه الأوقات . ضار النور بالظلمة والجسو بالبلبل ، ليعلم أن لاحجاب بينه وبين خلقه غير خلقه .

وجاء ذيل الحديث بعد قوله وسميماً إذ لامسموع أبيات على هذا الوجه : ثم أنشأ يقول :

ولم يزل سيدي بالحمد معروفاً	ولم يزل سيدي بالحمد معروفاً
و كنت إذ ليس نور يستضاء به	و كنت إذ ليس نور يستضاء به
و ربنا بخلاف الخلق كلهم - م	و ربنا بخلاف الخلق كلهم - م
و من يرده على التشبيه ممثلاً	و من يرده على التشبيه ممثلاً
وفي المعارج يلتقى موج قدرته	وفي المعارج يلتقى موج قدرته
فاترك أخا جدل في الدين منعمقاً	فاترك أخا جدل في الدين منعمقاً
و اصحب أخا ثقة حياً لسيده	و اصحب أخا ثقة حياً لسيده
أمسى دليل الهدى في الأرض منتشراً	أمسى دليل الهدى في الأرض منتشراً

قال : فخر ذعلب مغشياً عليه ثم أفاق وقال : ماسمعت بمثل هذا الكلام ولا أعود إلى شيء من ذلك ، انتهى .

أقول : والأبيات المذكورة في الديوان المنسوب إلى الأمير عليه السلام ، و بين المنسختين اختلاف في الجملة .

وأما الطريق الأوّل فالظاهر من التوحيد - إن لم يكن صريحاً - أن حديث ذعلب إنما كان من جملة ما قالها عليه السلام في أوّل خطبة خطب بها الناس على المنبر بعد ما بايعوه .

قال الصدوق - ره - : حدثنا أحمد بن الحسن القطان و علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق - ره - قالوا : حدثنا أحمد بن يحيى بن زكريا القطان ، قال :

حدثنا محمد بن العباس ، قال : حدثني محمد بن أبي السري قال : حدثنا أحمد بن عبدالله بن يونس ، عن سعد الكناني ، عن الأصبع بن نباة قال : لما جلس علي عليه السلام الخلافة وبايعه الناس خرج إلى المسجد متعمماً بعمامة رسول الله صلى الله عليه وآله ، لا بساً بردة رسول الله صلى الله عليه وآله ، متنعلًا نعل رسول الله صلى الله عليه وآله ، متقلداً سيف رسول الله صلى الله عليه وآله فصعد المنبر فجلس عليه متمكناً ثم شبك أصابعه فوضعها أسفل بطنه ثم قال :

يا معاشر الناس سلوني قبل أن تفقدوني هذا سفظ العلم هذا لعاب رسول الله صلى الله عليه وآله وآله هذا ما زقني رسول الله زقاً زقاً ، سلوني فإن عندي علم الأولين والآخريين ، أما والله لو نسيت لي الوسادة فجلست عليها لأفتيت لأهل التوراة بتوراتهم حتى تنطق التوراة فنقول : صدق علي ما كذب لقد أفتاكم بما أنزل الله في . وأفتيت أهل الانجيل بانجيلهم حتى ينطق الانجيل فيقول : صدق علي ما كذب لقد أفتاكم بما أنزل الله في . وأفتيت أهل القرآن بقرآنهم حتى ينطق القرآن فيقول : صدق علي ما كذب لقد أفتاكم بما أنزل الله في . وأنتم تتلون القرآن ليلاً ونهاراً فهل فيكم أحد يعلم ما نزل فيه ، ولو لا آية في كتاب الله لأخبرتكم بما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة وهي هذه الآية « يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب » .

ثم قال : سلوني قبل أن تفقدوني فوالله الذي فلق الحبة و برأ النسمة لو سألتموني عن آية آية في ليل أنزلت ، أو في نهار أنزلت ، مكيتها ، ومدنيها ، سفرها وحضرها ، ناسخها ، ومنسوخها ، محكمها . ومتشابهها ، تأويلها ، وتنزيلها لأخبرتكم .

فقام إليه رجل يقال له : ذعلب وكان ذرب اللسان بليغاً في الخطب شجاع القلب فقال : لقد ارتقى ابن أبي طالب مرقة صعبة لأخجلته اليوم لكم في مسألتني إياه فقال : يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك ؟

قال : ويحك يا ذعلب لم أكن بالذي أعبد رباً لم أراه .

قال : فكيف رأيت صفه لنا ؟

قال : ويلك يا ذعلب إنَّ ربِّي لا يوصف بالبعد ، ولا بالحركة ، ولا بالسكون ولا بالقيام قيام انتصاب ، ولا بمجيء ولا ذهاب ، لطيف اللطافة لا يوصف باللطف ، عظيم العظمة لا يوصف بالعظم ، كبير الكبرياء لا يوصف بالكبر ، جليل الجلالة لا يوصف بالغلظ ، رؤوف الرحمة لا يوصف بالرفقة ، مؤمن لا بعبادة ، مدرك لا بمحسنة ، قائل لا باللفظ ، هو في الأشياء على غير ممازجة ، خارج منها على غير مبائة ، فوق كل شيء فلا يقال شيء فوقه ، وأمام كل شيء ولا يقال له أمام ، داخل في الأشياء لا كشيء في شيء داخل ، وخارج منها لا كشيء من شيء خارج .

فخرٌ ذعلب مغشياً ثم قال : تالله ما سمعت بمثل هذا الجواب والله لا عدت إلى مثله .

ثم قال عليه السلام : سلوني قبل أن تفقدوني .

فقام إليه الأشعث بن قيس فقال : يا أمير المؤمنين كيف يؤخذ من المجوس الجزية ولم ينزل عليهم كتاب ولم يبعث إليهم نبي ؟

قال : بلى يا أشعث قد أنزل الله عليهم كتاباً ، وبعث إليهم رسولاً حتى كان لهم ملك سكرذات ليلة فدعا بانبته إلى فراشه فارتكبها ، فلما أصبح تسامع به قومه فاجتمعوا إلى بابه فقالوا : أيها الملك دنست علينا ديننا فأهلكته فاخرج نظهرك وقيم عليك الحد . فقال لهم : اجتمعوا واسمعوا كلامي فإن يكن لي مخرج مما ارتكبت وإلا فشانكم ، فاجتمعوا فقال لهم : هل علمتم أن الله لم يخلق خلقاً أكرم عليه من أبينا آدم وأمنا حواء ؟ قالوا : صدقت أيها الملك . قال : أفليس قدزوح بنيه بناته وبناته من بنيه ؟ قالوا : صدقت هذا هو الدين فتعاقدوا على ذلك فمحيى الله ما في صدورهم من العلم ورفع عنهم الكتاب ، فهم الكفرة يدخلون النار بلا حساب والمنافقون أشدّ حالاً منهم .

قال الأشعث : والله ما سمعت لمثل هذا الجواب ، والله لا عدت إلى مثله أبداً .

ثم قال عليه السلام : سلوني قبل أن تفقدوني .

فقام إليه رجل من أقصى المسجد متوكئاً على عصاه فلم يزل يتخطى الناس

حتى دنا منه ، فقال : يا أمير المؤمنين دلني على عمل إذا أنا عملته نجاني الله من النار . فقال له : اسمع يا هذا ثم أفهم ثم استيقن قامت الدنيا بثلاثة : بعالم ناطق مستعمل لعلمه ، وبغني لا يبخل بماله على أهل دين الله ، و بفقير صابر . فإذا كتم العالم علمه ، وبخل الغني ، ولم يصبر الفقير فعندها الويل والثبور ، وعندها يعرف العارفون بالله أن الدار قد رجعت إلى بدئها أي الكفر بعد الإيمان .

أيها السائل فلا تغترن بكثرة المساجد وجماعة أقوام أجسادهم مجتمعة وقلوبهم شتى .

أيها الناس إنما الناس ثلاثة : زاهد ، وراغب ، وصابر ، فأما الزاهد فلا يفرح بشيء من الدنيا أتاه ولا يحزن على شيء منها فاتته ، وأما الصابر فيتمناها بقلبه فإن أدرك منها شيئاً صرف عنها نفسه لم «لماظ» يعلم من سوء عاقبتها ، وأما الراغب فلا يبالي من حل أصابها أم من حرام .

قال له : يا أمير المؤمنين فما علامة المؤمن في ذلك الزمان ؟ قال : ينظر إلى ما أوجب الله عليه من حق فيتولاه ، و ينظر إلى ما خلفه فيتبرأ منه وإن كان حميماً قريباً .

قال : صدقت يا أمير المؤمنين ثم غاب الرجل فلم نره فطلبه الناس فلم يجدوه فتبسّم عليّ ﷺ على المنبر ثم قال : ما لكم هذا أخي الخضر ﷺ . ثم قال : سلوني قبل أن تفقدوني فلم يقم إليه أحد فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ﷺ .

ثم قال للحسن ﷺ : يا حسن قم فاصعد المنبر فتكلم بكلام لا تجهلك قريش من بعدي فيقولون : إن الحسن بن علي لا يحسن شيئاً ، قال الحسن ﷺ : يا أباه كيف أصعد وأتكلم وأنت في الناس تسمع وترى؟ قال له : بأبي وأمي وأرى «أواريظ» نفسي عنك وأسمع وأرى وأنت لاتراني .

فصعد الحسن ﷺ المنبر فحمد الله بمحامد بليغة شريفة وصلى على النبي ﷺ

صلاة موجزة ثم قال :

أيها الناس سمعت جدِّي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها وهل تدخل المدينة إلا من بابها ، ثم نزل ، فوثب إليه عليٌّ عليه السلام فحمله وضمه إلى صدره .

ثم قال للحسين عليه السلام : يا بنيِّ قم فاصعد المنبر وتكلم بكلام لا تجهلك قریش من بعدي فيقولون : إنَّ الحسين بن عليٍّ لا يبصر شيئاً ، و ليكن كلامك تبعاً لكلام أخيك .

فصعد الحسين عليه السلام المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيِّه صلاة موجزة ثم قال :

يا معاشر الناس سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول : إنَّ علياً هو مدينة هدى فمن دخله نجى ومن تخلف عنها هلك . فوثب إليه عليٌّ عليه السلام فضمه إلى صدره وقبله ثم قال : معاشر الناس اشهدوا أنَّهما فرخا رسول الله و وديعته التي استودعنيها ، وأنا أستودعكموها ، معاشر الناس ورسول الله سائلكم عنهما . انتهى ما في التوحيد . وروى هذا الطريق في أوَّل المجلس الخامس والخمسين من أماليه بهذا الاسناد في التوحيد .

واعلم أنَّ كلامه عليه السلام في جواب ذعلب مذكور في النهج أيضاً ، و هو الكلام ١٧٧ من باب الخطب أوَّله : ومن كلامه عليه السلام وقد سأله ذعلب اليماني فقال : هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين ؟ فقال عليه السلام : أفأعبد ما لأرى ، قال : وكيف تراه . الخ . لكن ما في النهج يكون قريباً من ثلث ما في الكافي والتوحيد ، على أنَّ نسخة النهج لا يوافقها في الألفاظ والعبارات وبينهما تفاوت إلا في صدر الرواية حيث قال عليه السلام : لا تدر كه العيون بمشاهدة العيان ولكن تدر كه القلوب بحقائق الايمان . وأمَّا سائر كلامه هذا ليس بمذكور في النهج إلا أنَّ قوله عليه السلام : قامت الدنيا بثلاثة : بعالم ناطق مستعمل علمه - الخ ، شبيه بقوله عليه السلام لجابر بن عبد الله الأنصاري : يا جابر قوام الدنيا بأربعة : عالم مستعمل علمه - الخ ، وهو الحكمة ٣٧٢ من باب المختار من حكمه عليه السلام من النهج .

تتميمه : قد قدّمنا في شرح المختار الأوّل من كتبه عليه السلام (ص ٣٥٧ ج ٢ من تكملة المنهاج) اختلاف الأقوال في أوّل خطبة خطبها عليه السلام بعدما بويع له بالخلافة وقد حققنا هنالك أنّ الخطب : ٢١ و ٢٨ و ١٦٦ و ١٧٦ من النهج كانت جميعاً خطبة واحدة ، فيما نقلنا من رواية التوحيد ههنا علمت أنّ كلامه في جواب ذعلب أي ذلك الكلام ١٧٧ من باب الخطب أيضاً كان منها ، وأنّ الجميع ممّا قالها في جلسة واحدة حين صعد المنبر بعدما بويع له عليه السلام بالخلافة .

وروى الكليني في ذلك الباب من الكافي حديثاً عن أبي جعفر عليه السلام وقع بينه وبين رجل من الخوارج مثل ما وقع بين أمير المؤمنين عليه السلام و ذعلب فأجاب الرجل بما يقرب من كلام أمير المؤمنين عليه السلام .

قال : علي بن إبراهيم عن أبيه ، عن علي بن معبد ، عن عبد الله بن سنان ، عن أبيه قال : حضرت أبا جعفر عليه السلام فدخل عليه رجل من الخوارج فقال : يا با جعفر أي شيء تعبد ؟ قال : الله ، قال : رأيته ؟ قال : بلى لم تره العيون بمشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان ، لا يعرف بالقياس ، ولا يدرك بالحواس ، ولا يشبه بالناس ، موصوف بالآيات ، معروف بالعلامات ، لا يجور في حكمه ، ذلك الله لا إله إلا هو ، قال : فخرج الرجل وهو يقول : الله أعلم حيث يجعل رسالته . انتهى .

ورواه الصدوق في المجلس السابع والأربعين من أماليه وفي باب ما جاء في الرؤية من التوحيد أيضاً . وأبو جعفر هذا هو محمد بن علي الباقر عليه السلام لا الامام التاسع بقريّة رواية سنان عنه عليه السلام صرح به في اسناد الأمالي حيث قال : عن عبد الله بن سنان عن أبيه قال : حضرت أبا جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام .

قال الصدوق في التوحيد بعد نقل حديث ذعلب : في هذا الخبر ألفاظ قد ذكرها الرضا عليه السلام في خطبته ، وهذا تصديق قولنا في الأئمة عليهم السلام أنّ علم كلّ واحد منهم مأخوذ عن أبيه حتّى يتصل ذلك بالنبي صلى الله عليه وآله . انتهى قوله رحمه الله .

أقول : إنّ ما يجب أن يعتقد ويدعّن فيهم عليهم السلام أنّ علمهم من معدن واحد لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه ، ولقد أجاد الصدوق رحمه الله بما أفاد ، ولكن

ذلك الحديث المروي في الكافي عن أبي جعفر عليه السلام منسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام على نسق واحد .

روى الطبرسي في كتاب الاحتجاج في باب احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام فيما يتعلق بتوحيد الله وتنزيهه عما لا يليق به ما هذا لفظه :

وروى أهل السير أن رجلاً جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن الله رأيته حين عبدته ؟ فقال له أمير المؤمنين : لم أك بالذي أعبد من لم أره ، فقال له : كيف رأيته يا أمير المؤمنين ؟ فقال له : ويحك لم تره العيون بمشاهدة العيان ، ولكن رأته العقول بحقائق الايمان ، معروف بالذلالات ، منعت بالعلامات لا يقاس بالناس ، ولا يدرك بالحواس ، فانصرف الرجل وهو يقول : الله أعلم حيث يجعل رسالته ، انتهى .

والناقد في الأحاديث يرى أن زينك الحديثين واحد قاله أحدهما عليه السلام ووقعت تلك الواقعة لأحدهما وتعددت من سهو الراوي فتأمل والله تعالى أعلم .

أمّا بيان الحديث فيجوز قراءة الأبصار بالفتح والكسر ، فعلى الأول جمع وعلى الثاني مصدر ، وفي نسختي النهج والاحتجاج بمشاهدة العيان ، والمراد بالقلوب العقول كما في الاحتجاج ، وقد بينا في شرح المختار ٢٣٧ من باب الخطب أن المراد من القلب في الآيات والأخبار و اصطلاح الإلهيين هو اللطيفة القدسية الربانية التي يعبر عنها بالقوة العقلية ، لا الجسم اللّحمي الصنوبري .

قوله عليه السلام : لا تدر كه العيون في مشاهدة الأبصار . قد عرفت في شرح الأحاديث المتقدمة أن ما تدر كه الأبصار لا بد من أن يكون جسماً ذا ضوء ولون ، و ما يقبل الضوء واللون لا بد من أن يكون كثيفاً ، فلزم من رؤيته تعالى بالأبصار كونه جسماً ، والجسم مركب حادث ذو جهة و وضع ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

وأمّا قوله : ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان فاعلم أن السائل الحبر لما سأله عليه السلام هل رأيت ربك حين عبدته وأجابه عليه السلام ما كنت أعبد رباً لم أره ، حمل الرؤيه على الرؤية بالعين ، لأن المرتكز عند عامة الناس إنما تكون الرؤية

بهذا المعنى لأنهم يتبادرون إلى الأحكام التي تحسّ بمحسّته لحشرهم معها وأنسهم بها.

وأما التوجّه إلى ما وراء الطبيعة والسير إلى باطن عالم الشهود بقدم المعرفة فلا تيسر لهم إلا بعد تنبيهه وإيقاظ وإرشاد ، ولما رأى عليه السلام أنه حمل الرؤية على ذلك بيّن له أن المراد من الرؤية هو الرؤية القلبية لا العينية ، وقال عليه السلام رأته القلوب بحقائق الايمان .

وأما الرؤية القلبية بحقائق الايمان فالابدّ من أن نمهد مقدّمة في بيانه كي يتضح المراد وهي :

أن حقيقة تعالى غير معلومة لأحد بالعلم الحسولي الصوري كما أنها غير معلومة لأحد أيضاً بالعلم الاكتناهي أعني إحاطته تعالى بالعقل أو الحسّ أو غيرهما من القوى المدركة ، واتفق على امتناع ذينك العلمين به تعالى الحكماء الالهيين والعرفاء الشامخون .

أما الأوّل فلأن العلم الحسولي به تعالى إنّما يتمشّي فيما له ماهية حتى يصحّ تعدّد أنحاء الوجود لتلك الماهية فيحصل نحو من وجوده في الأذهان ، والعلم الحسولي هو حصول صورة الشيء وارتسامه في الذهن ، والعلم بالشيء ليس إلا نحو وجوده لدى الذات العاقلة المجرّدة ، فهذا الوجود الذهني نحو من وجود ذلك الشيء الخارجي ، غاية الأمر أن للذهني بالنسبة إلى الخارجي تجرّداً ما ، ولكن الواجب تعالى لما كان حقيقة وجوده العيني الخاص وتعيينه عين ذاته وإنيته ماهيته لا يتطرّق إليه التعدّد والكثرة ، فلا يرسم في الذهن ، فلا يكون معلوماً لأحد بالعلم الحسولي .

وأما الثاني فلأنّ ما سواه معلول له ، وأنّي للمعلول أن يحيط بعلمته وهو دونها وشأن من شأنها ، وهو تعالى لشدة نوريّة وجوده الغير المتناهي العيني الخاصّ به ونهاية كماله وسعة عظّمته وقاهريّة ذاته وتسلّطه على من سواه حجب العقول المجرّدة والنفوس الكاملة ، فضلاً عن الأوهام والأبصار عن الإحاطة به واكتناه ذاته

لقصورها وفتورها .

وفي الحديث : إنَّ الله قد احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار ، وأنَّ الملائمة الأعلى يطلبونه كما يطلبونه أنتم وفي الكتاب الإلهي « لا يحيطون به علماء و عنت الوجوه للحي القيوم » (طه - ١١٠) والعلم به تعالى على ما هو عليه مختص به .

سبحان من تحيّر في ذاته سواء فهم خرد بكنه كمالش نبرده راه
ازما قياس ساحت قدسش بود چنانك موری کند مساحت گردون زقعر چاه
وكما أنَّ أبصارنا عاجزة عن أن تملأ من نور الشمس المشرقة وعن إحاطة
الرؤية بها واكتناها ، كذلك بصيرتنا عن اكتناه ذاته تعالى .

على أنَّ هذا التمثيل للتقريب ، كيف ؟ وهو تعالى أجلُّ وأعلى عن التشبيه
والتمثيل والقياس بمخلوقاته « والله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم » (النحل - ٦١) .

اي برون از وهم وقال وقيل من خاك بر فرق من و تمثيل من
نكته : فاذا كان الأبصار عاجزة عن أن تملأها من نور الشمس المشرقة فما
ظنك برؤية من هو في شدة نوريته فوق ما لا يتناهى بما لا يتناهى .

وقد روى في ذلك الكليني في باب إبطال الرؤية من جامع الكافي و الصدوق
في باب ما جاء في الرؤية من كتابه في التوحيد عن أحمد بن ادريس ، عن محمد بن عبد
الجبار ، عن صفوان بن يحيى ، عن عاصم بن حميد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : زاكرت
أبا عبد الله عليه السلام فيما يروون من الرؤية ، فقال : الشمس جزء من سبعين جزءاً من
نور الكرسي ، والكرسي جزء من سبعين جزءاً من نور العرش ، و العرش جزء من
سبعين جزءاً من نور الحجاب ، والحجاب جزء من سبعين جزءاً من نور الستر ، فان كانوا
صادقين فليملؤوا أعينهم من الشمس ليس دونها سحب .

فاذا ساقنا البرهان إلى أنَّ العلم به تعالى حصولياً واكتناهيماً محال ، فلا
جرم يكون المراد من الرؤية القلبية بحقائق الايمان غير هذين النحويين من العلم
بلهي طور آخر أدق وألطف وهو :

أنَّ الرؤىة القلبيةَّة به تعالى هي الكشف التامَّ الحضورى وشهوده تعالى للعبد على مقدار تقرُّب به منه تعالى بقدم المعرفة و درج معارف العقل و عقائد حقانيَّة برهانيَّة ، فإنَّه عزَّ وجلَّ يتجلى للعبد بقدر وعائه الوجودى ، لأنَّه ربُّ العباد والطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق ، وهم فى وجودهم وبقائهم فى جميع الأحوال والعوالم ربط محض و فقر صرف ، والأوَّل تعالى لا ينتكُّ فيضه عليهم طرفة عين ، ويفيض عليهم على مقدار قابليتهم وسعة وجودهم وتقرُّب بهم ، والعارف السالك يشهده على مقدار حقائق إيمانه لا بالكنه ، وهذا الشهور الوجودى والانكشاف التامَّ الحضورى ذو درجات « يرفع الله الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات » (المجادلة - ١٢) .

وتنتهي هذه الدرَّجات إلى مرتبة يقول العبد السالك النائل بها على لسان صدق وقول حق : لو كشف الغطاء لما ازددت يقيناً .

قال يعقوب بن إسحاق الكندي فيلسوف العرب : إذا كانت العلة الأولى متصلة بنا لفيضه علينا وكننا غير متصلين به إلا من جهته ، فقد يمكن فيناملحظته على قدر ما يمكن للمفاض عليه أن يلاحظ المفيض ، فيجب أن لا ينسب قدر إحاطته بنا إلى قدر ملاحظتنا له ، لأنَّها أغزر وأوفر وأشدَّ استغراقاً .

وقال المحقق الشهرزورى فى الشجرة الإلهية : الواجب لذاته أجمل الأشياء وأكملها ، لأنَّ كلَّ جمال وكمال رشح وفيض وظلُّ من جماله وكماله ، فله الجلال الأرفع ، والنور الأقر ، فهو محتجب بكمال نوريته وشدة ظهوره ، و الحكماء المتألهون العارفون به يشهدونه لا بالكنه ، لأنَّ شدة ظهوره وقوَّة لمعانه وضعف ذواتنا المجردة النورية يمنعنا عن مشاهدته بالكنه كما منع شدة ظهور الشمس وقوَّة نورها أبصارنا اكتناها ، لأنَّ شدة نوريته حجابها ، ونحن نعرف الحقَّ الأوَّل ونشاهده ، لكن لانحيط به علماً كما ورد فى الوحي الإلهي « ولا يحيطون به علماً وعت الوجوه للحجى القيوم » . نقلهما صدر المتألهين عنهما فى الفصل الثالث من المنهج الثانى من أوَّل الأسفار .

والمراد من حقائق الايمان مراتبه لأنّ الايمان به في كلِّ مرتبة كان حقيقة وعقيدة حقّة .

فانّ قول الأعرابي حيث سئل عن الدليل علي وجود الصانع : البعرة تدلُّ على البعير وآثار الأقدام تدلُّ على المسير ، أفسماء ذات أبراج و أرض ذات فجاج لاتدلُّ على وجود اللطيف الخبير ، مرتبة من مراتب الايمان ، و هو استدلال بالآثار المحوجة إلى السبب الدالّ على وجوده تعالى ، وهو اعتقاد صدق وايمان حق . وقد سلك هذا المسلك أمير المؤمنين عليه السلام في مقام إرشاد من كان وعاء عقله يقتضي هذا القدر من الخطاب بقوله : البعرة تدلُّ على البعير ، والروثة تدلُّ على الحمير وآثار الأقدام تدلُّ على المسير فهيكلكل علويٌّ بهذه اللطافة ، و مركز ثقلها بهذه الكثافة كيف لا يدلّان على اللطيف الخبير؟ .

وكانّ قول الأعرابي مأخوذ من كلامه عليه السلام كما أشار إليه السيد نعمة الله الجزائري في تعليقه على أوّل كتابه الموسوم بالأ نوار النعمانية .
واستدلال المتكلمين بحدوث الأجسام والأعراض على وجود الخالق وبالنظر في أحوال الخليقة على صفاته تعالى واحدة فواحدة أيضاً مرتبة من الايمان ، وهذه المرتبة حقيقة من حقائق الايمان .

وهذا طريق إبراهيم الخليل عليه السلام في مقام هداية العباد ، فانه استدلال بالأفول الذي هو الغيبة المستلزمة للحرارة المستلزمة للحدوث المستلزما لوجود الصانع تعالى .

وما استدلال به الحكماء الطبيعيون من وجود الحركة على محرّك ، وبامتناع اتصال المحرّكات لا إلى نهاية على وجود محرّك أوّل غير متحرّك ، ثمّ استدلالوا من ذلك على وجود مبدء أوّل أيضاً حقيقة من حقائق الايمان ومرتبة من مراتبه وما استدلال به طائفة أخرى من الإلهيين كالعرفاء الشامخين من ذاته على ذاته من غير الاستعانة بابطال الدور والتسلسل ، أعني برهان الصديقين حقّ وحقيقة من مراتب حقائق الايمان . وأشار إليه في الكتاب الإلهي « سرّهم آياتنا في الآفاق

وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد « (فصلت - ٥٥) فعرّفوا بذاته ذاته و وحدانيّته شهد الله أنه لا إله إلا هو ، وبذاته عرفوا غيره ، أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد .

واعلم أن أظهر الموجودات وأجلاها عند أهل البصيرة هو الله تعالى ، ويستدلّون بذاته على وجود غيره لا بالعكس كما هو دأب من لم يصل إلى تلك المرتبة العلية وقد نطق ببرهان الصديقين على أوضح بيان إمام الموحدين سيّد الشهداء أبو عبد الله الحسين عليه السلام في دعاء عرفة : كيف يستدلُّ عليك بما هو في وجوده مفقّر إليك ، أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك ، متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدلُّ عليك ، ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك - الخ .

ونعم قال العارف الشبستري :

زهي نادان كه او خورشيد تابان ز نور شمع جوید در بیابان
ولا يخفى أن أتم مراتب الإيمان وحقائقه هذه المرتبة الأخيرة ، وهي أيضاً بحسب مراتب العرفان متفاوتة ، وقد كان الفائزون بهذه الرتبة العلية والنائلون بهذه النعمة العظمى يكتمونها عن غير أهلها مخافة أن تزل أقدامهم تسلك منازل السائرين ، وتضطرب أحلامهم لم ترق إلى مقامات العارفين .
قد روى الشيخ الجليل السعيد الصدوق قدس سره في باب ما جاء في الرؤية من كتابه في التوحيد حديثاً في ذلك .

قال : حدثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق ، قال : حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي ، قال : حدثنا موسى بن عمران النخعي ، عن الحسين بن يزيد النوفلي ، عن علي بن أبي حمزة ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : أخبرني عن الله عز وجل هل يراه المؤمنون يوم القيامة ؟ قال : نعم وقد رأوه قبل يوم القيامة . فقلت : متى ؟ قال : حين قال لهم : « ألسن بربكم قالوا بلى » (الأعراف ١٧٣) ثم سكت ساعة ثم قال : إن المؤمنين ليرونه في الدنيا قبل يوم القيامة

أُلت تراه في وقتك هذا؟ قال أبو بصير: فقلت له: جعلت فداك فأحدث بهذا عنك؟ فقال: لا فانك إذا حدثت به فأنكره منكر جاهل بمعنى ما نقوله ثم قدّر أن ذلك تشبيه كفر، وليست الرؤية بالقلب كالرؤية بالعين، تعالى الله عما يصفه المشبهون والملحدون.

بيان: قوله: فأحدث جملة استفهامية أو أن أداة الاستفهام محذوفة أي فأحدث بهذا عنك؟

وقوله عليه السلام: كفر، فعل ماض جزاء للشرط أعني إذا حدثت به. والمراد بالكفر، الكفر بأهل البيت عليهم السلام، لأنّ الجاهل بذلك المعنى الرقيق الذي أشار إليه الامام عليه السلام يعتقد أنهم عليهم السلام قائلون بالتشبيه المحال.

وفي الفتح الرابع من الفاتحة الأولى من شرح الميبدي على الديوان المنسوب إلى الأ مير عليه السلام أبيات منسوبة إلى الامام السجاد عليه السلام أنه قال:

إنّي لأكتم من علمي جواهره	كيلا يرى الحقّ ذوجهل فيفتنا
وقد تقدّم في هذا أبو حسن	إلى الحسين ووصى قبله الحسن
وربّ جوهر علم لوأبوح به	لقيل لي أنت ممّن يعبد الوثنا
ولاستحلّ رجال مسلمون دمي	يرون أقبح ما يأتونه حسناً

أو المراد بالكفر، الكفر بالله باعتقاد تشبيهه تعالى بسائر المرئيات بالأبصار كما مرّ في الحديث الأوّل عن أبي الحسن الثالث عليه السلام أنّ الرائي متى ساوى المرئي في السبب الموجب بينهما في الرؤية وجب الاشتباه وكان ذلك التشبيه، وكان الكفر بهذا المعنى أنسب بسياق العبارة.

وبما حقّقنا دريت أنّ معنى الرؤية القلبية هو الانكشاف التامّ الحضورى الذي شهد على صحته العقل والنقل، وأنّ الرؤية البصرية على أيّ نحو كانت محالة في حقّه تعالى بشهادة العقل والنقل أيضاً.

فقد أخطأ من فسّر قوله تعالى: « ما كذب الفؤاد ما رأى » (النجم - ١٢) بقوله: إنّ الله تعالى جعل بصر رسول الله في فؤاده أو خلق لفؤاده بصراً حتّى رآه

تعالى رؤية العين . ونسب هذا الرأي إلى النواوي من العامة .
ويرد عليه جميع ما يرد على إدراكه تعالى بالعين ، لأن الإدراك البصري
مجال فيه تعالى سواء كانت قوّة الإبصار في هذه البنية المخصوصة أعني العين أو في
غيرها ، وجعل العين في القلب لا يخرج الرؤية عن الإدراك البصري ولا يدخلها في
الرؤية القلبية ، بل هي رؤية بصرية بلا كلام .

مثلاً رؤيتنا زيداً في المنام وإن لم تكن بعين الرأس لكن ما يعتبر فيها حالة
اليقظة معتبر في المنام أيضاً ، فزيد المرئي في المنام محدود زوجة مسامت للرائي
فرؤيته في المنام بغيره هذه المحسنة أعني عين الرأس لا تخرج عن أحكام الرؤية
العينية ولا تدخل في الرؤية القلبية المجردة عن أوصاف الجسم .

ولو أراد هذا القائل من كلامه ذلك المعنى اللطيف الصحيح الذي بيناه آنفاً
فنعم الوفاق ولكن صرح غير واحد بأنه لم يرد ، ولفظه يأبى عن حمله عليه .

ودرت أيضاً أن الذين ذهبوا إلى عكس ما ذهب إليه النواوي أي إلى جواز
أن يحول الله تعالى قوّة القلب إلى العين فيعلم الله تعالى بها فيكون ذلك الإدراك
علماً باعتبار أنه بقوّة القلب ، ورؤية باعتبار أنه قد وقع بالمعنى الحال في العين
سلكوا طريقة عمياء أيضاً ، و يرد عليهم الإيراد من وجوه رأينا الاعراض عنها
أجدر .

ولما كان هذا البحث الحكمي العقلي حاوياً لتلك النكات الأنيقة والمطالب
الرقيقة ، أكثرها كان مستفاداً من كلمات الأئمة الهداة عليهم السلام ، رأينا أن نشير
إليها على حسب ما يقتضي المقام ، ولعمري من ساعده التوفيق وأخذت الفطنة بيده
اغتنم ذلك البحث العقلي الجامع لكثير من ضوابط عقلية تزيد بصيرة ورقياً
في معرفة الله تعالى وفقهاً في الأخبار المروية في الرؤية وغيرها مما يغتر المتسبون
إلى العلم بظاها . الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن
هدانا الله .

الترجمة

این نامه ایست که امیر المؤمنین علی علیه السلام بجرییر بن عبدالله بجلی گاهی که او را بسوی معاویه گسیل داشت تا از وی بیعت بگیرد ، نوشت .
معاویه در بیعت با آن بزرگوار به تسویف و مامله می گذرانید و ببها نه های بیجا امروز و فردا می کرد ، و بدین سبب جرییر مدتی دراز در شام سرگردان بود و امیر المؤمنین علیه السلام چون دید که معاویه در امر بیعت دودل است و به لعل و عسی روزگار می گذرانند این نامه را بجرییر نوشت :

أما بعد ای جرییر برسیدن نامه ام ، معاویه را وادار که قبول بیعت یا امتناع آنرا یکسره کند ، و فراگیرش که در اطاعت یا عصیان بجزم سخن گوید ، پس او را میان کارزاری که آواره اش کند ، و یا گردن نهادنی که ارجش دهد و بهره اش رساند ، (۱) مخیر گردان . اگر کارزار را برگزید عهد امان بسویش افکن و اعلام جنگ درده ، و اگر بصلح گراید بیعت از وی بستان . والسلام .

ومن كتاب له عليه السلام الى معاوية وهو الكتاب التاسع

من باب المختار من كتبه عليه السلام ورسائله

فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا ، وَاجْتِيَا حَ أَصْلِنَا وَهَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ ،
وَفَعَلُوا بِنَا الْأَفَاعِيلَ ، وَمَنَعُونَا الْعَذْبَ ، وَأَحْلَسُونَا الْخَوْفَ ،
وَاضْطَرُّونَا إِلَى جَبَلٍ وَعَرِيٍّ ، وَأَوْقَدُوا لَنَا نَارَ الْحَرْبِ ، فَعَزَمَ اللَّهُ لَنَا
عَلَى الذَّبِّ عَنْ حَوْزَتِهِ ، وَالرَّمِيِّ مِنْ وِرَاءِ حُرْمَتِهِ ، مُؤْمِنًا يَبْغِي بِذَلِكَ
الْأَجْرَ ، وَكَافِرُنَا يُحَامِي عَنِ الْأَصْلِ ، وَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قُرَيْشٍ خَلَوْ مِمَّا

(۱) بنا بر نسخه مخزیه : ویا گردن نهادنی که خوارش گرداند و رسوایش سازد .

نَحْنُ فِيهِ بِحَلْفٍ يَمْنَعُهُ ، أَوْ عَشِيرَةٍ تَقُومُ ذُوْنَهُ ، فَهُوَ مِنَ الْقَتْلِ
بِمَكَانٍ أَمْنٍ .

وَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا احْمَرَ الْبَاسُ ، وَ أَحْجَمَ النَّاسُ ، قَدَّمَ
أَهْلَ بَيْتِهِ ، فَوَقَى بِهِمْ أَصْحَابَهُ حَرَ السُّيُوفِ وَ الْأَسِنَّةِ ، فَقُتِلَ عُبَيْدَةُ
ابْنُ الْحَارِثِ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَ قُتِلَ حَمْزَةُ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَ قُتِلَ جَعْفَرُ يَوْمَ
مُوتَةَ ، وَ أَرَادَ مَنْ لَوْ شِئْتُ ذَكَرْتُ اسْمَهُ مِثْلَ الَّذِي أَرَادُوا مِنَ الشَّهَادَةِ ،
وَ لَكِنَّ آجَاهُمْ عَجَلَتْ ، وَ مَنِيَّتُهُ أَجَلَتْ (أَخْرَجَتْ - خ ل) .

فِيَا عَجَبًا لِلدَّهْرِ إِذْ صِرْتُ يُقْرَنُ بِي مَنْ لَمْ يَسْعَ بِقَدَمِي ، وَ لَمْ تَكُنْ
لَهُ كَسَابِقَتِي الَّتِي لَا يُدْرِي أَحَدٌ بِمِثْلِهَا إِلَّا أَنْ يَدْعِيَ مَدْعٍ مَا لَا أَعْرِفُهُ
وَ لَا أَظُنُّ اللَّهَ يَعْرِفُهُ ، وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ .

وَ أَمَّا مَا سَأَلْتَ مِنْ دَفْعِ قَتْلَةِ عُثْمَانَ إِلَيْكَ ، فَإِنِّي نَظَرْتُ فِي هَذَا
الْأَمْرِ فَلَمْ أَرَهُ يَسْعُنِي دَفْعُهُمْ إِلَيْكَ وَ لَا إِلَى غَيْرِكَ ، وَ لَعَمْرِي لَئِنْ لَمْ
تَنْزِعْ عَنِّيكَ وَ شِقَاقِكَ ، لَتَعْرِفَنَّهُمْ عَن قَلِيلٍ يَطْلُبُونَكَ ، لَا يُكَلِّفُونَكَ
طَلَبَهُمْ فِي بَرٍّ وَ لَا بَحْرٍ ، وَ لَا جَبَلٍ وَ لَا سَهْلٍ ، إِلَّا أَنَّهُ طَلَبُ يَسُوءِكَ
وَ جِدَانِهِ ، وَ زَوْرٌ لَا يَسْرُكُ لُقْيَانَهُ ، وَ السَّلَامُ لِأَهْلِهِ .

« سند الكتاب ونقله على صورته الكاملة وذكر ما »

« وقع من الخلط والشتات فيه »

ما أتى به السيد رضوان الله عليه من كتابه عليه السلام هذا فملتقط من كتاب طويل هو من محاسن كتابه عليه السلام بلا كلام كما سيملى عليك والرضيُّ - ره - أسقط كثيراً من هذا الكتاب وأتى بشرذمة قليلة منه ، وهذه عادته رضوان الله عليه ، لأنَّ غرضه التقاط الفصيح والبليغ من كلامه عليه السلام .

كتبه عليه السلام إلى معاوية جواب كتابه إليه ، ودفع معاوية كتابه إلى أبي مسلم الخولاني فقدم به على عليِّ أمير المؤمنين عليه السلام الكوفة و الكتابان مذكوران في كتاب صفين لنصر بن مزاحم المتقري التميمي الكوفي المتوفى في سنيِّ المائة الثانية من الهجرة (ص ٤٧ ، الطبع الناصري ١٢٠١ هـ) ونقل عنه المجلسي رحمه الله في المجلد الثامن من البحار (ص ٥٤٧ الطبع الكمباني) والرضيُّ توفى سنة ٤٠٦ من الهجرة .

ونحن نورد ما أتى به نصر في كتاب صفين : نصر : عن عمر بن سعد ، عن أبي روق أنَّ أبا مسلم الخولاني قام إلى معاوية في أناس من قرأه أهل الشام فقالوا يا معاوية على ما تقاتل علياً وليس لك مثل صحبتته ولا قرابته ولا سابقته ؟ .

قال لهم : ما أقاتل علياً وأنا أدعي أنَّ لي في الاسلام مثل صحبتته ولا هجرته ولا قرابته ولا سابقته ، ولكن خبروني عنكم ألستم تعلمون أنَّ عثمان قتل مظلوماً؟ قالوا : بلى . قال : فليدع إلينا قتلته فنقتلهم به ولا قتال بيننا وبينه . قالوا : فاكذب كتاباً يأتيه بعضنا .

فكتب إلى عليِّ هذا الكتاب مع أبي مسلم الخولاني ، فقدم به على عليِّ . ثمَّ قام أبو مسلم خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ثمَّ قال : أمَّا بعدك فانك قد قدمت بأمر وتوليته والله ما أحبُّ أنَّه لغيرك إن أعطيت الحقَّ من نفسك ، إنَّ عثمان قتل مسلماً محرماً مظلوماً ، فادفع إلينا قتلته وأنت أميرنا ، فإن خالفك أحد من الناس كانت أيدينا لك ناصرة ، وألسنتنا لك شاهدة ، وكنت ذاعذر وحبجة .

فقال له عليّ: اغد عليّ غداً فخذ جواب كتابك .
فانصرف ثمّ رجع من الغد ليأخذ جواب كتابه ، فوجد الناس قد بلغهم الذي
جاء فيه ، فلبست الشيعة أسلحتها ، ثمّ غدوا فملؤوا المسجد وأخذوا ينادون :
كلّنا قتل ابن عفّان ، وأذن لأبي مسلم فدخل على عليّ أمير المؤمنين فدفع إليه
جواب كتاب معاوية .

فقال له أبو مسلم : قد رأيت قوما مالك معهم أمر ، قال : وما ذاك ؟ قال :
بلغ القوم أنك تريد أن تدفع إلينا قتلة عثمان فضجّوا واجتمعوا ولبسوا السلاح
وزعموا أنهم كلهم قتلة عثمان .
فقال عليّ عليه السلام والله ما أردت أن أدفعهم إليك طرفة عين ، لقد ضربت هذا
الأمر أنفه وعينيه ما رأيته ينبغي لي أن أدفعهم إليك ولا إلى غيرك ، فخرج بالكتاب
وهو يقول : الآن طاب الضراب .

« كتاب معاوية إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام »

قال نصر بالسند المقدم : وكان كتاب معاوية إلى علي عليه السلام :
بسم الله الرحمن الرحيم من معاوية بن أبي سفيان إلى عليّ بن أبي طالب سلام
عليك يا نبيّ أحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو ، أما بعد فإنّ الله اصطفى عمّاً بعلمه
وجعله الأمين عليّ وحيه ، والرسول إلى خلقه ، واجتبي له من المسلمين أعواناً
أيّده الله بهم ، فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الإسلام .
فكان أفضلهم في إسلامه وأنصحهم لله ولرسوله الخليفة من بعده وخليفة خليفته
والثالث الخليفة المظلوم عثمان فكلمهم حسدت ، وعلى كلمهم بغيت ، عرفنا ذلك في
نظرك الشزر وفي قولك الهجر وفي تنفسك الصعداء ، وفي إبطائك عن الخلفاء ، تقاد
إلى كلّ منهم كما يقاد الفحل المخشوش حتى تباع وأنت كاره .
ثمّ لم تكن لأحد منهم بأعظم حسداً منك لابن عمك عثمان وكان أحقّهم أن
لا تفعل ذلك به في قرابته وصهره ، فقطعت رحمه ، وقبّحت محاسنه ، وآلّبت الناس
عليه ، وبطنت وظهرت حتى ضربت إليه آباط الإبل ، وقيدت إليه الخيل العرب

وحمل عليه السلاح في حرم رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقتل معك في المحلّة وأنت تسمع في داره الهائعة لاتردع الظنّ والتهمة عن نفسك فيه بقول ولافعل .

فأقسم صادقاً أن لو قمت فيما كان من أمره مقاماً واحداً تُسبّه الناس عنه ما عدل بك من قبلنا من الناس أحد ، ولمحى ذلك عندهم ما كانوا يعرفونك به من المجانبة لعثمان والبغى عليه .

وأخرى أنت بها عند أنصار عثمان ظنين إيواءك قتلة عثمان ، فهم عضدك وأنصارك ويدك وبطانتك ، وقد ذكر لي أنك تنصل من دمه ، فان كنت صادقاً فأمكننا من قتلته نقتلهم به ونحن أسرع إليك ، وإلاّ فانه ليس لك ولا لأصحابك إلاّ السيف .

والذي لا إله إلاّ هو لنطلبنّ قتلة عثمان في الجبال والرمال والبرّ والبحر حتى يقتلهم الله أولتلحقنّ أرواحنا بالله ، والسلام .

« جواب أمير المؤمنين عليه السلام الى معاوية »

قال نصر : فكتب إليه علي عليه السلام :

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان ، أمّا بعد ، فانّ أخا خولان قدم عليّ بكتاب منك تذكر فيه تحمداً صلى الله عليه وآله وما أنعم الله عليه به من الهدى والوحي ، فالحمد لله الذي صدّقه الوعد ، وتمّم له النصر وهكّن له في البلاد ، وأظهره على أهل العدى و الشنآن من قومه الذين وثبوا به (وثبوا عليه - خ ل) وشفنوا له ، وأظهروا له التكذيب ، و بارزوه بالعداوة ، وظاهروا على إخراجهم وعلى إخراج أصحابه ، وألبوا عليه العرب و جامعهم على حربته ، وجهدوا في أمره كلّ الجهد ، و قلبوا له الأمور حتّى ظهر أمر الله و هم كارهون ، وكان أشدّ الناس عليه إلبة أسرته والأدنى فالأدنى من قومه إلاّ من عصمه الله منهم .

يا ابن هند فلقد خبنا لنا الدهر منك عجباً ، ولقد قدمت فأفحشت ، إذظفقت

تخبّرنا عن بلاء الله تعالى في نبيّه صلى الله عليه وآله وفينا ، فكنت في ذلك كجالب التمر إلى

هَجَرَ ، أو كداعي مسدّده إلى النضال ، وذكرت أن الله اجتبى له من المسلمين أعواناً أيده الله بهم فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الإسلام ، فكان أفضلهم زعمت (كما زعمت - خل) في الإسلام وأنصحهم لله ورسوله الخليفة وخليفة الخليفة ، ولعمري إن مكانهما من الإسلام لعظيم ، وإن المصاب بهما الجرح في الإسلام شديد ، رحمهما الله وجزاهما بأحسن الجزاء (١) .

وذكرت أن عثمان كان في الفضل ثالثاً ، فإن يكن عثمان محسناً فسيجزيه الله بإحسانه ، وإن يكن مسيئاً فسيلقى رباً غفوراً لا يتعاطمه ذنب أن يغفره .
ولعمري (٢) إنني لأرجو إذا أعطى الله الناس على قدر فضائلهم في الإسلام ونصيحتهم لله ولرسوله أن يكون نصيبنا في ذلك الأوفر .

إن محمداً صلوات الله عليه وآله لما دعا إلى الإيمان بالله والتوحيد كنّا أهل البيت أوّل من آمن به وصدق بما جاء به ، فلبثنا أحوالاً مجرّمة وما يعبد الله في ربع ساكن من العرب غيرنا ، فأراد قومنا قتل نبيّنا واجتياح أصلنا ، وهمّوا بنا الهوموم ، وفعلوا بنا الأفاعيل .

فمنعونا المطيرة ، وأمسكوا عنّا العذب ، وأحلسونا الخوف ، وجعلوا علينا الأرصاء والعيون ، واضطرونا إلى جبلٍ وعري ، وأوقدوا لنا نار الحرب ، وكتبوا علينا بينهم كتاباً لا يواكلونا ، ولا يشاربونا ، ولا يناكحونا ، ولا يبايعونا ، ولا نأمن فيهم حتّى ندفع النبيّ صلوات الله عليه وآله فيقتلونه ويمثلوا به ، فلم نكن نأمن فيهم إلاّ من موسم إلى موسم .

فعرزم الله لنا على منعه والذّبّ عن حوزته ، والرّمّي من وراء حرّمته ،

(١) في البحار : وأنصحهم لله ولرسوله الخليفة الصديق ، وخليفة الخليفة الفاروق ولعمري ذكرت أمراً أن تم اعترك كله وان نقص لم يلحقك ثلثة ، وما انت والصدق فالصدق من صدق بحقنا وأبطل باطل عدونا ، وما انت والفاروق فالفاروق من فرق بيننا وبين أعدائنا و ذكرت أن عثمان كان في الفضل - الخ ، منه .

(٢) في البحار : ولعمري اني لارجو . منه

والقيام بأسيا فإنا دونه في ساعات الخوف والليل والنهار ، فمؤمنا يرجو بذلك الثواب وكافرنا يحامي به عن الأصل .

فأما من أسلم من قريش بعد فأنهم مما نحن فيه أخصياء فمنهم حليف ممنوع أو ذو عشيرة تدافع عنه ، فلا يبغيه أحد بمثل ما بغانا به قومنا من التلف ، فهم من القتل بمكان نجوة وأمن ، فكان ذلك ماشاء الله أن يكون .

ثم أمر الله رسوله بالهجرة ، وأذن له بعد ذلك في قتال المشركين ، فكان إذا احمرّ البأس ودُعيت نزال ، أقام أهل بيته فاستقدموا ، فوقى أصحابه بهم حرّ الأسنّة والسيوف .

فقتل عبدة يوم بدر ، وحمزة يوم أحد ، وجعفر وزيد يوم موتة ، وأراد الله من لوشئت ذكرت اسمه مثل الذي أرادوا من الشهادة مع النبي صلى الله عليه وآله غير مرة إلا أن آجالهم عجّلت ، ومنيته أخرجت ، والله وليّ الإحسان إليهم ، والمؤمنان عليهم بما قد أسلفوا من الصالحات .

فما سمعت بأحد ولا رأيت فيهم من هو أنصح لله في طاعة رسوله ، ولا أطوع لرسوله في طاعة ربه ، ولا أصبر على الأواء والضراء وحين البأس ومواطن المكروه مع النبي صلى الله عليه وآله من هؤلاء النفر الذين سميت لك ، وفي المهاجرين خير كثير نعرفه جزاهم الله بأحسن أعمالهم .

وذكرت (فذكرت - خل) حسدي الخلفاء وإبطائي عنهم ، بغيي عليهم ، فأما البغي فمعاذ الله أن يكون . وأما الإبطاء عنهم والكراهة لأمرهم فلمست أعتذر منه إلى الناس ، لأنّ الله جلّ ذكره لما قبض نبيّه صلى الله عليه وآله قالت قريش : منّا أمير وقالت الأنصار : منّا أمير ، فقالت قريش : منّا محمد رسول الله فنحن أحقّ بذلك الأمر ، فعرفت ذلك الأنصار فسلمت لهم الولاية والسلطان فإذا استحقّوها بمحمد صلى الله عليه وآله دنون الأنصار فإنّ أولى الناس بمحمد صلى الله عليه وآله أحقّ بهامنهم وإلا فإنّ الأنصار أعظم العرب فيها نصيباً فلا أدري أصحابي سلموا من أن يكونوا حقّي أخذوا ، أو الأنصار ظلموا عرفت أنّ حقّي هو المأخوذ وقد تر كته لهم تجاوز الله عنهم .

وأما ما ذكرت من أمر عثمان وقطيعتي رحمه وتاليبي عليه ، فإنَّ عثمان عمل ما بلغك ، فصنع الناس ما قد رأيت ، وقد علمت أنني كنت في عزلة عنه إلا أن تتجنس فتجنَّ ما بدالك .

وأما ما ذكرت من أمر قتلة عثمان فإنني نظرت في هذا الأمر وضربت أنفه وعينيه ، فلم أرَ دَفْعَهُم إِلَيْكَ ولا إِلَيَّ غيرك ، ولعمري لئن لم تنزع^١ عن غيبك و شقاقك لتعرفنهم عن قليل يطلبونك ولا يكلفونك أن تطلبهم في برِّ ولا بحر ولا جبل ولا سهل وقد كان أبوك أتاني حين ولَّى الناس أبا بكر فقال : أنت أحقُّ بعد محمد ﷺ بهذا الأمر وأنا زعيم لك بذلك على من خالف عليك ، ابسط يدك أبايعك فلم أفعل . وأنت تعلم أنَّ أباك قد كان قال ذلك وأراده حتى كنت أنا الذي أبيت لقرب عهد الناس بالكفر ، مخافة الفرقة بين أهل الإسلام ، فأبوك كان أعرف بحقِّي منك فإن تعرف من حقِّي ما كان يعرف أبوك تصب رشداً ، وإن لم تفعل ، فسيغني (فسيغني ظ) الله عنك والسلام .

انتهى كتابه الشريف برحمته على ما أتى به نصر في صفين وإذا قايست بينه وبين ما نقله الرضوي رضوان الله عليه في النهج يظهر لك أنه - ره - أسقط كثيراً من فصول الكتاب ونقل في النهج طائفة منه .

ثمَّ يوجد بعض فقرات هذا الكتاب في الكتاب الثامن والعشرين من هذا الباب أوَّلَه قوله : ومن كتاب له ﷺ إلى معاوية جواباً وهو من محاسن الكتاب ، أما بعد فقد أناني كتابك تذكرفيه اصطفاً - الخ .

اللغة

(الاجتياح) اجوف واويُّ يقال : جاحه من باب قال و اجتاحه بمعنى أي أهلكه واستأصله . والجوح : الاستيصال والاهلاك .

(الهمم) بالفتح : واحد الهموم أي القصد ، أو ما تُجِيلُ لفعله وإيقاعه ففكره والهم أيضاً مصدر هممت بالشيء من باب نصر إذا نويته وعزمت عليه وقصدته .

(الفعل) بالكسر اسم الحدث جمعه فعال مثل قيدح وقيداح و يجمع على الأفعال أيضاً ، ويجمع الأفعال على الأفاعيل . وقيل : الأفاعيل جمع أفعولة وهي

الفعل الذمّي ويقال لمن أثر آثاراً منكراً: فعل الأفاعيل .
 (العذب) بفتح أوّله وسكون ثانيه : قال الراغب : ماءٌ عذبٌ : طيبٌ بارد
 قال تعالى : «هذا عذب فرات سائغ شرابه - الفاطر ١٢» . عذب الماء عذوبةً من
 باب شرف : ساغ مشربه فهو عذوب واستعذبتّه رأيتّه عذباً وجمعه عذاب مثل سهم
 وسهام . والعذب أيضاً : المستساغ من الطعام . والطيب من العيش .
 (أحلسونا الخوف) قال المرزوقي في شرح الحماسة : الحليس واحد من
 أحلاس البيت . قال : قال الخليل : وهو ما يبسط تحت حرّ المتاع من مسح
 وجوّالقي ونحوهما .

وفي الصحاح عن الأصمعي : الحلس للبعير وهو كساء رقيق يكون تحت
 البرذاعة ، وأحلاس البيوت ما يبسط تحت حرّ الثياب . وفي الحديث : كن حلس
 بيتك ، أي لا تبرح ، وقولهم : نحن أحلاس الخيل أي نقتنيها ونلزم ظهورها ، وأحلست
 البعير أي ألبسته الحليس ، وأحلست فلاناً يميناً إذا أمررتها عليه . وأحلست السماء
 أي مطرت مطراً رقيقاً دائماً .

وفي النهاية الأثرية : وفي حديث الفتن عدّ منها فتنة الأحلاس ، الأحلاس
 جمع حلس وهو الكساء الذي يلي ظهر البعير تحت القتب ، شبهها به للزومها ودوامها
 ومنه حديث أبي موسى قالوا : يا رسول الله فما تأمرنا ؟ قال : كونوا أحلاس بيوتكم
 أي ألزموها . ومنه حديث أبي بكر : كن حلس بيتك حتى يأتبك يد خاطئة
 أو منية قاضية .

فتحصل مما قدّمنا في الحلس أن المراد من قوله عليه السلام «أحلسونا الخوف»
 أنهم جعلوا الخوف لهم كالحلس أي جعلوه ملازماً لهم من حيث إن الحلس ملازم
 ظهر البعير ، وأحلاس البيوت ملازمة لها . أو أنهم ألبسوها الخوف وهذا كالأول
 يفيد أنهم ألزموها الخوف .

(وعر) بفتح أوّله وسكون ثانيه: المكان الصلب الغليظ ضدّ السهل، يقال
 مكان وعر وطريق وعر ومطلب وعر ويقال بالفارسية : دشوار وسخت . قالت كنزة

(الحماسة ٢٤١) :

لهفي على القوم الذين تجمّعوا بذى السّيد لم يلقوا عليّاً ولا عمرا
فان يك ظنّي صادقاٌ وهو صادقي بشمله يحبسهم بها محبساٌ وعرأ
والوعر أيضاً : المكان المخيف الوحش . والجبل الوعر : الصعب المرتقى .

(الذب) : الدقّع والمنع . (حوزته) في الصحاح : الحوزة : الناحية
وحوزة الملك بيضته . (الحرمة) كلّفمة : ما لا يحلُّ انتهاكه . (يبغي) أي يطلب .
ومنه قوله ﷺ : ألا إن الله يحبُّ بغاة العلم (ج ١٦ من الوافي ص ٣٦) أي طلابه
جمع باغ كهداة وهادٍ . (أحجم الناس) أي نكصوا وتأخروا هيبةً وكفّوا عن الحرب
قال الجوهري : حجّمته عن الشيء أحجمه - بالضم - أي كفّفته عنه ، يقال :
حجّمته عن الشيء فأحجم أي كفّفته فكفّ ، وهو من النوادر مثل كبيته فأكبّ .

(لم يسع) من السعي . (لا يدلي) واويّ من دل و ، يقال : أدلى برحيمه
أي توسّل بقرابته ، وأدلى بحجّته أي أحضرها واحتجّ بها . وأدلى إلى الحاكم
بمال أي دفعه إليه ليجعله وسيلة إلى قضاء حاجته منه وفي القرآن الكريم : « ولا
تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلّوا بها إلى الحكّام » (البقرة - ١٨٩) والأصل
في ذلك من دلوت الدلو و أدلّيتها ثم استعير للمتوصّل إلى الشيء . وفي الشفاعة
يقال : دلوت بفلان أي استشفعت به ولا يقال حينئذ أدلّيت به .

قال عصام بن عبيدالله كما في الحماسة (الحماسة ٤٠٢) و على ما في البيان
والتيبين (ص ٣١٦ ج ٢) قال همّام الرّقاشي :

فقد جعلت إذا ما حاجتي نزلت بيباب قصرك أدلوها بأقوام
قال المرزوقي في معناه : إذا اتفق ما لا بدّ لي منك ومن معوتك من حاجة
أو عارض سبب فأنّي معتمد على غيري في التّنجيز والاستعفاف ، ومعنى « أدلوها »
من قولك دلوت الدلو إذا أخرجتها من البئر ، أي أتسبّب بغيري وأصون من
التبذّل عرضي .

(لعمري) العمر بالفتح : الحياة والدين ، قال في أقرب الموارد : ومنه

لعمرى فى القسم أى لدينى .

(لم تنزع عن غيبك) النزع عن الشيء : الكفُّ عنه . (الغي) : الضلال (الشقاق) الخلاف . التكليف : الأمر بما يشقُّ عليك من الكلفة بمعنى المشقة .

(زور) بالفتح جاء مصدراً وغير مصدر وعلى الثانى يستوي فيه المفعول والمثنى والجمع والمذكّر والمؤنث . يقال : رجل زور وقوم زور ونساء زور . قال الجوهريُّ : الزُّور ، الزائرُونَ يقال : رجل زائر وقوم زور وزوار مثل سافر وسفّر وسفار ، ونسوة زور أيضاً . زاره زوراً من باب قال : أتاه بقصد الإلتقاء به .

قال زياد بن حمل كما فى كتاب الحماسة لأبي تمام الطائي (الحماسة ٥٧٧) أو زياد بن منقذ كما قاله الجوهريُّ فى مادّة قزم من الصحاح :

زارت رؤيقة شعماً بعد ما هجعوا لدى نواحل فى أرساغها الخدم
وقمت للزور مرتاعاً وأرقني فقلت أهي سرت أم عادني حلم
والأصل فى ذلك زرت فلاناً أى تلقّيته بزوري أو قصدت زوره نحو وجهته
والزور أعلى الصدر .

(لقيان) بضمّ اللام وكسرهما مصدر من لقيت فلاناً من باب علم أى صادقته ورأيته .

الاعراب

الضميران فى حوزته وحرّمته يرجعان إلى النبي صلى الله عليه وآله كما يدلُّ عليه سياق الكلام ، وقوله عليه السلام بعد ذلك « والقيام بأسيافنا دونه فى ساعات الخوف والليل والنهار » على ما مرّ فى ذكر سند الكتاب .

« ومن أسلم » الواو للحال فالجملة حالية ، أصحابه مفعول لفعل وقى وحرّ السبوف مفعول ثان له .

قوله عليه السلام « أراد من » من فاعل أراد ، ومثل الذى مفعوله والضمير فى منيته راجع إلى من ، وفى أرادوا وآجالهم إلى عبدة ومن بعده ، وكلمة من فى

من الشهادة بيانية تبيين المثل .

والعمر بالفتح والضم وإن كانا مصدرين بمعنى إلا أن المفتح منهما يستعمل في القسم ، فإذا أدخلت عليه اللام رفعته بالإبتداء واللام لتوكيد الإبتداء والخبر محذوف والتقدير لعمرى قسمى أو ما أقسم به ، فإن لم تأت باللام نصبته نصب المصادر وفتحة الفاء في « لتعرفنهم » ليست علامة نصب ، بل هي لمكان النون المشددة المؤكدة ، لأن آخر الفعل المخاطب المذكور إذا كان مؤكداً بنوني التأكيد يفتح لثلاثاً يلبس بالجمع المذكور والمفرد المؤنث إذا كانا مؤكدين بهما .

واختلف في هذه الفتحة فقال ابن السراج والمبرد والفارسي : بناء للتركيب وقال سيويه والسيرافي والزجاج : عارضة للساكنين وهما آخر الفعل و النون الأولى ، ومحل يطلبونك نصب مفعولاً ثانياً لتعرفنهم بمعنى لتعلمنهم .

« طلبهم » منصوب ، أي لا يكلفونك في طلبك إياهم في بر ولا بحر الخ .

« لقيناه » الضمير فيه راجع إلى الزور فإن كان الزور مصدرأ كما هو الظاهر

من سياق الكلام حيث جعل قبال الطلب فالأمر ظاهر ، وإن كان اسم جمع بمعنى الزائرين فأفراد الضمير باعتبار أفراد لفظ الزور ، وهذا لا يخلو من تكلف .

المعنى

قد أشار ﷺ في هذا الكتاب المستطاب إلى طائفة من فضائله وحماية أهل بيت النبي من المسلم والكافر النبي ﷺ عن الأعداء ، وإلى نبذة مما دار بين المسلمين والمشركين وغيرها مما سنتلونها عليك . وقد أجاب ﷺ عن كل فصل من كتاب معاوية بفصل وذلك لما يلي :

قوله ﷺ : (بسم الله الرحمن الرحيم من علي أمير المؤمنين - إلى قوله

إلا من عصمه الله منهم) قد أشار في هذا الفصل بعد حمد الله وثنائه إلى ما فعل أهل العدى والشنآن من قومه ﷺ به حيث كذبوه و بارزوه بالعداوة وشنقوا له أي أبغضوه حتى ظاهروا على إخراجهم من مكة وحرصوا العرب على حربه ﷺ ، ولم يقصروا في شيء كان يؤذيه من قول أو فعل إلا فعلوه ، وكانت عداوتهم به ﷺ واغرة في

صدورهم حتى أجمعوا في قتله ، ولكنَّ الله تعالى صدَّقه الوعد ، و تمَّ له النصر
ومكَّن له في البلاد ، وأظهره عليهم ، قال : عزَّ من قائل « كتب الله لأغلبنَّ أنا ورسلي
إنَّ الله قويُّ عزيزٌ » (المجادلة - ٢٢) .

ثمَّ ذكر أنَّ أسرته أي أهله كانوا أشدَّ النَّاس به صلى الله عليه وآله إلبة وعداوة ، وفيه
تعريض بما فعل أبو سفيان وشيعته به صلى الله عليه وآله من أنحاء الايذاء وأنواع المعاداة ،
وكان أبو سفيان يحثُّ النَّاس ويحرِّضهم على قتاله وقتله .

ثمَّ استثنى عليه السلام من الأسرة من عصمهم الله ، أي حفظهم ووقاهم من إيذائه
صلى الله عليه وآله ، بل وفتحهم الله بنصره و عزم لهم على منعه و الذَّبَّ عن حوزته
والمراد من قوله عليه السلام : « إلاَّ من عصمهم الله منهم » هو من عصمهم الله بالاسلام
منهم وكانوا يومئذ قليلين ، كما في السيرة الهشامية (ص ٢٦٤ ج ١ طبع مصر ١٣٧٥هـ)
قال ابن اسحاق : فلمَّا بادى رسول الله صلى الله عليه وآله قومه بالاسلام وصدع به كما أمره
الله لم يبعد منه قومه ، ولم يردُّوا عليه - فيما بلغني - حتى ذكر آلهم وعابها
فلمَّا فعل ذلك أعظموه و ناكروه و أجمعوا على خلافه و عداوته إلاَّ من عصم الله
تعالى منهم بالاسلام وهم قليل مستخفون .

أو أراد بمن عصمهم الله نفسه وأباه أبا طالب والعباس وحمزة ممن حذب على
رسول الله صلى الله عليه وآله وقام دونه و وقاه عن أذى النَّاس وحماه وإن لم يكن بعضهم أسلم
بعد كما سيَتضح لك بَعِيد هذا .

قوله عليه السلام : (يا ابن هند فلقد - إلى قوله : أن يغفره) أجاب عليه السلام بهذا
الفصل عمَّا كتب إليه معاوية من : « أنَّ الله تعالى اجتبى له صلى الله عليه وآله من المسلمين
أعواناً أيده الله بهم فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الاسلام » .

غرضه أنَّ هذا الأمر كان له عليه السلام أوضح وأبين ، وأنَّه عليه السلام كان أعلم به من
غيره ، لأنَّه عليه السلام كان صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وآله في كلِّ زحف و كان أوَّل من
آمن به ، وأوَّل من صلى معه ، وما رأى أحد من المسلمين مثل عنائه في الحروب
ولم يشر كه أحد في حماية الدين والذبَّ عن حوزته وفي خذلان أهل الكفر والعدوان

وإرغام شيعة الشيطان .

و العجب من معاوية يخبره ﷺ بذلك ولم يكن له سعي في الدين و لذا قال له الأمير ﷺ تهكمًا به : يا ابن هند فلقد خبأ لنا الدهر منك عجباً .

قوله ﷺ : « كجالب النمر إلى هجر » مثل يضرب به لمن يجيء بالعلم إلى من هو أعلم منه ، ويأتي بشيء إلى من كان أصل ذلك الشيء عنده ، كما يقال بالفارسية : لقمان را حكمت آموخت ، قطره بدریا فرستاد ، زيره بكرمان برد خرما بعرستان فرستاد ، ولا ريب أن هذا العمل خطأ وعامله مخطيء .

قال الميداني في فصل الكف المفتوحة من الباب الثاني والعشرين من مجمع الأمثال في بيان مثل « كمستبضع التمر إلى هجر » : قال أبو عبيدة : هذا من الأمثال المبتدلة ومن قديمها وذلك أن هجر معدن التمر والمستبضع إليه مخطيء ، ويقال أيضاً : كمستبضع التمر إلى خيبر . قال النابغة الجعدي :

وإن امرأ أهدى إليك قصيدة
كمستبضع تمرأ إلى أهل خيبرا
وهجر محرّكة اسم بلد معروف باليمن . و قال آخر :

أهدى كمستبضع تمرأ إلى هجر
أو حامل وشي أبرادٍ إلى يمن
وقوله ﷺ : « أو كداعي مسدده إلى النضال » مثل كالأوّل ، أي كمن يدعو من يعلمه الرمي إلى المناضلة أي المراماة .

والغرض أن إخبار معاوية أمير المؤمنين علياً ﷺ بأن الله اجتبى للرسول أعواناً من المسلمين أيده الله بهم ، كمن جلب التمر إلى هجر أو كمن دعى مسدده إلى النضال ، لأنه ﷺ كان لرسول الله ﷺ ظهيراً في كل شدة وعناء من ابتداء دعوته ﷺ إلى الإسلام إلى لقاءه الملك العلام .

ولذا قال ﷺ : يا ابن هند فلقد خبأ لنا الدهر منك عجباً ، ولقد قدمت فأفحشت إذ طفقت تخبرنا عن بلء الله تعالى في نبيه محمد ﷺ وفينا ، فكنت في ذلك كجالب التمر إلى هجر - الخ ، ولا يخفى لطف كلامه ﷺ .

قوله ﷺ : « ولعمرك الله إنني لأرجو - إلى قوله : نصيبنا في ذلك الأوفر »

معنى لعمر الله ، أحلف ببقاء الله ودوامه ، والغرض من هذا الفصل جواب عما قال معاوية « من أن الله اجتبى للرسول عليه السلام أعواناً - إلي قوله : على قدر فضائلهم في الاسلام » .

ولمّا كان أمير المؤمنين عليه السلام عوناً لرسول الله صلى الله عليه وآله في الشدائد ، ولم يبلغ إلى رتبة حمايته عن الدين ولا إلى قدر فضيلته في الاسلام وزنة نصيحته لله ولرسوله أحد ، ولا اخال إنساناً ينكرها ، قال عليه السلام : إنني لأرجو إذا أعطى الله الناس على قدر فضائلهم في الاسلام ونصيحتهم لله ورسوله أن يكون نصيبنا في ذلك الأوفر .

قال المسعودي في مروج الذهب (ص ٤٩ ج ٢ طبع مصر ١٢٤٦ هـ) : والأشياء التي استحق بها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الفضل هي السبق إلى الإيمان ، والهجرة ، والنصرة لرسول الله صلى الله عليه وآله ، والقربى منه ، والقناعة ، و بذل النفس له والعلم بالكتاب والتنزيل ، والجهاد في سبيل الله ، والورع ، والزهد ، والقضاء والحكم ، والعفة ، والعلم ، وكل ذلك لعلني عليه السلام منه النصيب الأوفر والحظ الأكبر مضافاً إلى ما يتفرد به من قول رسول الله صلى الله عليه وآله حين آخى بين أصحابه : أنت أخي ، وهو عليه السلام لا ضدّ له ولا ندّ ، وقوله صلى الله عليه وآله : أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبئ بعدي ، وقوله صلى الله عليه وآله : من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، ثم دعاه صلى الله عليه وآله وقد قدّم إليه أنس الطائر : اللهم ادخل إليّ أحبّ خلقك إليك يا كل معي من هذا الطائر فدخل عليه عليّ عليه السلام إلى آخر الحديث ، فهذا وغيره من فضائله .

قوله عليه السلام : « إن محمداً صلى الله عليه وآله لما دعى إلى الإيمان بالله و التوحيد كنّا أهل البيت أوّل من آمن به وصدق بما جاء به » توافرت الأخبار من الفريقين أن عليّاً أمير المؤمنين عليه السلام كان أوّل ذكر أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وآله و أوّل من كان صلّى معه صلى الله عليه وآله . هذا لو سلمنا أنّه عليه السلام لم يكن أوّل من أسلم معه فقد قال أبو جعفر الطبري في التاريخ (ص ٥٦ ج ٢) : حدثنا أبو كريب قال : حدثنا وكيع عن شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي حمزة مولى الأنصار ، عن زيد بن أرقم قال :

أوّل من أسلم مع رسول الله ﷺ عليّ بن أبيطالب ﷺ . وبهذا الاسناد عن زيد بن أرقم يقول : أوّل رجل صلّى مع رسول الله ﷺ عليّ بن أبيطالب ﷺ .

وفي السيرة الهشامية (ص ٢٤٥ ج ١) : قال ابن اسحاق : ثمّ كان أوّل ذكر من الناس آمن برسول الله ﷺ وصلّى معه و صدّق بما جاءه من الله تعالى : عليّ بن أبيطالب بن عبدالمطلب بن هاشم رضوان الله وسلامه عليه ، وهو يومئذ ابن عشرين .

وفي السيرة الحلبية (ص ٣٠٣ ج ١) : في المرفوع عن سلمان أن النبي ﷺ قال : أوّل هذه الأمة وروداً عليّ الحوض أوّلها اسلاماً عليّ بن أبيطالب ﷺ .

وقال أبو جعفر الطبري في التاريخ : حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا إبراهيم ابن المختار عن شعبة ، عن أبي بلج ، عن عمرو بن ميمون ، عن ابن عباس قال : أوّل من صلّى عليّ .

وقال أيضاً : حدّثنا زكريا بن يحيى الضرير قال : حدّثنا عبد الحميد بن بحر قال : أخبرنا شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن جابر قال : بعث النبي ﷺ يوم الاثنين وصلّى عليّ يوم الثلاثاء .

وقال اليعقوبي في التاريخ : (ص ١٧ ج ٢) : كان أوّل من أسلم خديجة بنت خويلد من النساء ، وعليّ بن أبيطالب من الرّجال .

وقال أبو جعفر الطبري (ص ٥٦ ج ٢) : حدّثنا أحمد بن الحسن الترمذي قال : حدّثنا عبيد الله بن موسى قال : أخبرنا العلاء عن المنهال بن عمرو ، عن عباد بن عبد الله قال : سمعت علياً ﷺ يقول : أنا عبد الله ، وأخو رسوله ، وأنا الصديق الأكبر لا يقولها بعدي إلاّ كاذب مفتر ، صلّيت مع رسول الله ﷺ قبل الناس بسبع سنين .

وقال : حدّثني محمد بن عبيد المحاربي قال : حدّثنا سعيد بن خثيم عن أسد بن عبد البجلي ، عن يحيى بن عفيف ، عن عفيف قال : جئت في الجاهلية إلى مكة فنزلت على العباس بن عبدالمطلب قال : فلمّا طلعت الشمس وحلقت في السماء وأنا أنظر إلى الكعبة أقبل شابٌّ فرمى ببصره إلى السماء ، ثمّ استقبل الكعبة فقام مستقبلاً . فلم يلبث حتّى جاء غلام فقام عن يمينه ، قال : فلم يلبث حتّى جاءت امرأة فقامت

خلفهما ، فر كع الشاب فر كع الغلام والمرأة ، فر كع الشاب فر كع الغلام والمرأة فخر الشاب ساجداً فسجدامعه . فقلت : يا عباس أمر عظيم فقال : أمر عظيم ، أتدري من هذا ؟ فقلت : لا . قال : هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، ابن أخي ، أتدري من هذا ؟ فقلت : لا . قال : هذا علي بن أبي طالب بن عبد المطلب ، ابن أخي . أتدري من هذه المرأة التي خلفهما ؟ قلت : لا . قال : هذه خديجة بنت خويلد زوجة ابن أخي وهذا حدثنني إن ربك رب السماء أمرهم بهذا الذي تراهم عليه وأيم الله ما أعلم على ظهر الأرض كلها أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة .

أقول : وقد رواه ابن الأثير في أسد الغابة في ترجمة عفيف هذا وهو عفيف الكندي .

بيان : قوله : استقبال الكعبة ، واعلم أن الكعبة زادها الله شرفاً لم تكن عندئذ قبلة ، وأن النبي صلى الله عليه وآله صلى إلى بيت المقدس بعد النبوة ثلاث عشرة سنة بمكة وتسعة عشر شهراً بالمدينة ، ثم صرفه الله تعالى عن البيت المقدس إلى الكعبة .

وفي السيرة الهشامية (ص ٦٠٦ ج ١ طبع مصر ١٣٧٥ هـ) . قال ابن اسحاق :

ويقال : صرفت القبلة في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدم رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة .

وفي إزاحة العنة في معرفة القبلة لأبي الفضل شاذان بن جبرئيل القمي : قال معاوية بن عمار : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : متى صرف رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الكعبة ؟ قال : بعد رجوعه من بدر وكان يصلي بالمدينة إلى بيت المقدس سبعة عشر شهراً ثم أعيد إلى الكعبة .

وفي القانون المسعودي للعلامة أبي الريحان البيروني (ص ٢٥٦ ج ١ طبع حيدر آباد الدكن) : صرف القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة لصلاة العصر كان في اليوم السادس عشر من شعبان .

وقول عفيف بأنه صلى الله عليه وآله قام للصلاة مستقبل الكعبة يوافق ما روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله طول مقامه بمكة كان يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس إذا أمكن كما

رواه الشيخ الجليل في الاحتجاج باسناده إلى أبي محمد العسكري عليه السلام.

وفي السيرة النبوية لابن هشام : كان رسول الله صلى الله عليه وآله بمكة وقبلته إلى الشام فكان إذا صلى صلى بين الركن اليماني والحجر الأسود ، وجعل الكعبة بينه وبين الشام (ص ٢٩٨ ج ١ طبع مصر ١٣٧٥ هـ) .

ولنا رسالة مفردة في الوقت والقبلة أتينا فيها بجميع ما يجب أن يعلم فيهما من طرق معرفة خط الزوال تنتهي إلى ثلاثين طريقاً ، وطرق تحصيل سمت القبلة وبيان أخبارهما وغيرها ببراهين هندسية وأدلة فقهية ما إخال بغاة العلم يستغنون عنها أو يبعون لها بدلاً .

وقال أبو جعفر الطبري : حدثنا ابن حميد قال : حدثنا سلمة عن ابن إسحاق قال : كان أوّل ذكر آمن برسول الله صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب وهو يومئذ ابن عشر سنين وكان ممّا أنعم الله به على علي بن أبي طالب عليه السلام أنه كان في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله قبل الإسلام .

وقد تظافت الأخبار بأنّه عليه السلام قدر بيّ في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله قبل الإسلام ففي السيرتين وتاريخ الطبري وغير واحد من الكتب المدونة في ذلك من الفريقين وقد أتى أبو جعفر الطبري بما أتى به ابن هشام في السيرة من غير تغيير .

قال الطبري : حدثنا ابن حميد قال : حدثنا سلمة قال : حدثني محمد بن إسحاق قال . فحدثني عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد بن جبر أبي الحجاج قال : كان من نعمة الله على علي بن أبي طالب وما صنع الله له و أراد به من الخير أن قریشاً أصابتهم أزمة شديدة وكان أبو طالب ذاعيال كثير فقال رسول الله صلى الله عليه وآله للعباس عمّه وكان من أيسر بني هاشم : يا عباس إن أخاك أبا طالب كثير العيال وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة فانطلق بنا فلنخفف عنه من عياله آخذ من بنيه رجلاً وتأخذ من بنيه رجلاً فنكفهما عنه .

قال العباس : نعم فانطلقا حتى أتيا أبا طالب فقالا : إننا نريد أن نخفف

عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه .

فقال لهما أبوطالب : إذا تركتما لي عقيلاً فاصنعنا ما شئتما ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وآله علياً فضمه إليه ، وأخذ العباس جعفرأ فضمه إليه ، فلم يزل علي بن أبيطالب مع رسول الله صلى الله عليه وآله حتى بعثه الله نبياً فاتبعه علي فآمن به وصدقته ، ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه .

وقال : حدثنا ابن حميد قال : حدثنا سلمة قال : فحدثني محمد بن إسحاق قال : وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة وخرج معه علي بن أبيطالب مستخفياً من عمه أبيطالب وجميع أعمامه وسائر قومه ، فيصليان الصلوات فيها ، فاذا أمسيا رجعا ، فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا . ثم إن أباطالب عثر عليهما يوماً وهما يصليان ، فقال لرسول الله صلى الله عليه وآله : يا ابن أخي ما هذا الدين الذي أراك تدين به ؟ قال : أي عم هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أبينا إبراهيم ، أو كما قال صلى الله عليه وآله بعني الله به رسولا إلى العباد وأنت ياعم أحق من بذلت له النصيحة ودعوته إلى الهدى وأحق من أجبني إليه وأعانني عليه ، أو كما قال ، فقال أبوطالب : يا ابن أخي إنني لأستطيع أن أفارق ديني ودين آبائي وما كانوا عليه ، ولكن والله لا يخلص إليك بشيء تكرهه ما حييت انتهى مارواه أبو جعفر عن ابن إسحاق وفي السيرة الهشامية أتى بمثل ما أتى به الطبري إلا أن فيه « ما بقيت » مكان « ما حييت » يعني أن أباطالب قال له صلى الله عليه وآله ولكن لا يوصل إليك مكروه مادام لي الحياة والبقاء ، أي أذعنك شر الناس وأذاهم ، وسنشير إلى إسلام أبيطالب إنشاء الله تعالى .

وفي السيرة وتاريخ الطبري : ذكروا أن أباطالب قال لعلي عليه السلام : أي بني ما هذا الدين الذي أنت عليه ؟ فقال : يا أبت ، آمنت بالله و برسول الله صلى الله عليه وآله وصدقته بما جاء به ، وصليت مع الله واتبعته ، قالوا : فزعموا أنه قال له : أما إنته لم يدعك إلا إلى خير فالزمه .

في الإرشاد للمفيد قدس سره : فأما مناقب أمير المؤمنين علي عليه السلام الغنية لشهرتها وتواتر النقل بها وإجماع العلماء عليها عن إيراد أسانيد الأخبار فهي كثيرة يطول بشرحها الكتاب ، و في رسمنا منها طرفاً كفاية عن إيراد جميعها في الغرض الذي وضعنا له هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

فمن ذلك أن النبي ﷺ جمع خاصة أهله وعشيرته في ابتداء الدعوة إلى الإسلام ، فعرض عليهم الإيمان ، واستنصرهم على أهل الكفر والعدوان ، وضمن لهم على ذلك الخطوة في الدنيا والشرف وثواب الجنان ، فلم يجبه أحد منهم إلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، فنحله بذلك تحقيق الأخوة والوزارة ، والوصية والوراثة والخلافة ، وأوجب له به الجنة .

وذلك في حديث الدار الذي أجمع على صحته نقاد (نقله - خل) الآثار حين جمع رسول الله ﷺ بني عبدالمطلب في دار أبيطالب وهم أربعون رجلاً يومئذ يزيدون رجلاً أو ينقصون رجلاً فيما ذكره الرواة ، وأمر أن يصنع لهم طعاماً فخذشاة مع مد من بر ويعد لهم صاع من اللبن ، وقد كان الرجل منهم معروفاً بأكل الجذعة في مقام واحد وبشرب الفرق من الشراب في ذلك المقعد .

فأراد عليه وآله السلام بأعداد قليل الطعام والشراب لجماعتهم إظهار الآلية لهم في شعبهم وريتهم مما كان لا يشبع واحداً منهم ولا يرويه ، ثم أمر بتقديمه لهم فأكلت الجماعة كلها من ذلك اليسير حتى تملأوا منه ولم يبين ما أكلوه منه و شربوه فيه فبهرهم بذلك وبيّن لهم آية نبوته وعلامة صدقه ببرهان الله تعالى فيه .

ثم قال لهم بعد أن شعوا من الطعام ورووا من الشراب : يا بني عبدالمطلب إن الله بعثني إلى الخلق كافةً وبعثني إليكم خاصة فقال « وأنذر عشيرتك الأقربين » وأنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين في الميزان ، تملكون بهما العرب والعجم ، و تتقادلكن بهما الأمم ، و تدخلون بهما الجنة ، و تنجون بهما من النار : شهادة أن لا إله إلا الله وأنني رسول الله .

فمن يجيبني إلى هذا الأمر ويوازرني عليه وعلى القيام به يكن أخي ووصيبي

و وزيرى و وارثى و خليفتى من بعدى . فلم يجبه أحد منهم .

فقال أمير المؤمنين : فقامت بين يديه من بينهم و أنا إذ ذاك أصغرهم سنّاً ،
و أحمشهم ساقاً ، و أرمصهم عيناً ، فقلت : أنا يا رسول الله أو أوزرك على هذا الأمر .

فقال صلوات الله عليه : اجلس . ثم أعاد القول على القوم ثانية فأصمتوا ، فقامت أنا و قلت
مثل مقالتي الأولى ، فقال : اجلس ثم أعاد القول على القوم ثالثة فلم ينطق أحد
منهم بحرف فقامت و قلت : أنا أو أوزرك يا رسول الله على هذا الأمر ، فقال : اجلس
فأنت أخي و وصيى و وزيرى و وارثى و خليفتى من بعدى .

فنهض القوم وهم يقولون لا بيطالب : يا أبا طالب ليهنك اليوم ان دخلت في
دين ابن أخيك ، فقد جعل ابنك أميراً عليك .

ثم قال - ره - : و هذه منقبة جليمة اختص بها أمير المؤمنين عليه السلام ولم
يشر كه فيها أحد من المهاجرين الأولين ولا الأنصار ولا أحد من أهل الاسلام ،
وليس لغيره عدل لها من الفضل ، و لا مقارب على حال ، و فى الخبر به ما يفيد أن به عليه السلام
تمكن النبي صلوات الله عليه من تبليغ الرسالة ، و إظهار الدعوة ، و الصدع بالاسلام ، و لولاه
لم تثبت الملة ، و لا استقرت الشريعة ، و لا ظهرت الدعوة .

فهو عليه السلام ناصر الاسلام ، و وزير الداعي إليه من قبل الله عزّ وجلّ ، و بضمانه
لنبيّ الهدى عليه وآله السلام النصر تمّ له في النبوة ما أراد و فى ذلك من الفضل
ما لا يوازنه الجبال فضلاً ، و لا تعادله الفضائل كلّها محلاً و قدراً . انتهى كلامه - ره -
في الإرشاد .

تنبه : ما نقله المفيد رحمه الله في الإرشاد أتى به أبو جعفر الطبري في التاريخ
فراجع إلى - ص ٦٢ ج ٢ - منه ، فتبصر أن خليفة رسول الله صلوات الله عليه كان من بدء الأمر
متعيّناً و صرّح رسول الله صلوات الله عليه بأنّ علياً عليه السلام هو أخوه و وصيّه و وزيره و وارثه
و خليفته من بعده فمن قال بغيره فقد سلك غير سبيل الله و رسوله .

وقال ابن الأثير في اسد الغابة : وهو يعني أمير المؤمنين علياً عليه السلام أوّل الناس

إسلاماً في قول كثير من العلماء على ما ذكره - إلى أن قال : حدّثنا محمد بن عيسى حدّثنا محمد بن بشار وابن منثني قالا : حدّثنا محمد بن جعفر ، حدّثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي حمزة رجل من الأنصار ، عن زيد بن أرقم قال : أوّل من أسلم عليّ .
وروى بإسناده عن أبي بلخ عن ابن عباس قال : أوّل من أسلم عليّ .
وإسناده عن انس بن مالك قال : بعث النبي ﷺ يوم الاثنين وأسلم عليّ يوم الثلاثاء .

وإسناده عن حبة العرنبي قال : سمعت عليّاً يقول : أنا أوّل من صلّى مع النبي ﷺ .

وإسناده عن أبي أيوب الأنصاري قال : قال رسول الله ﷺ : لقد صلّت الملائكة عليّ وعلى عليّ سبع سنين وذاك أنه لم يصلّ معي رجل غيره .
والروايات من الفريقين في أنه ﷺ كان أوّل من أسلم وأوّل من صلّى معه صلّى الله عليه وآله أكثر من أن يحصى .

فان قلت : قد توجد روايات في أن أبا بكر كان أوّل من أسلم فكيف التوفيق ؟ قلت : من تتبّع الجوامع علم أن المسلم عند الفحول من المحققين هو ما قدّمنا ومن ذهب إلى خلافه فحجته داحضة بالامريّة وريب ، ولم يرض أحد ممّن جانب المرء والتعصب بتقدّم إسلام أبي بكر ، وكفاك في ذلك قول جلّ من كبار أهل السنّة بردّ من وهم ذلك .

قال الحلبيّ الشافعيّ في كتابه انسان العيون في سيرة الأئمة والمأمون المعروف بالسيرة الحلبيّة (ص ٣١١-١٦) بعد ما ذهب إلى أنه ﷺ كان أوّل من أسلم : وقول بعض الحفاظ أن أبا بكر أوّل الناس إسلاماً هو المشهور عند الجمهور من أهل السنّة لا ينافي ما تقدّم من أن عليّاً أوّل الناس إسلاماً بعد خديجة ، ثم مولاه زيد بن حارثة ، لأن المراد أوّل رجل بالغ ليس من الموالى أبو بكر ، ومن الصبيان عليّ ومن النساء خديجة ، ومن الموالى زيد بن حارثة ، إلى آخر ما قال .

ثم إن إسلامه عليه السلام وهو ابن عشرين أو ابن خمس عشرة سنة ، أو ابن ثمان سنين وإن كان الأخير فما دونه يخالف المشهور ويضاد المعروف و روايته شاذة مطرودة إنما كان لسعة قلبه وكمال عقله وشرح صدره ، و ليس ذلك ممن اجتبيه الله تعالى بمستنكر ، كيف وقد نطق القرآن الحكيم بنظائره :

قال في يحيى عليه السلام : « يا يحيى خذ الكتاب بقوة و آتيناك الحكم صبياً » (مريم - ١٣) وفي عيسى عليه السلام : « فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً » قال إنني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً ☆ و جعلني مباركاً أين ما كنت وأوصاني بالصلاة و الزكاة ما دمت حياً « الآيات (مريم ٣٠ - ٣٤) .

فكم ضلّ و نصب العداوة كالناصبة الذاهبة إلى أن أيمان عليه السلام في تلك الحالة إنما كان على وجه التقليد و التلقين وما كان بهذه المنزلة لم يستحق صاحبه المدحة ولم يجب له به الثواب و كان هو حيمئذ ابن سبع سنين فلم يكن كامل العقل ولا مكلفاً فراجع إلى البحار (ص ٣٢٧ ج ٩ من الطبع الكمباني) .

على أن ظاهر قوله تعالى : « وأنذر عشيرتك الأقربين » يدل على أنه عليه السلام كان في موضع التكليف و كان ممن دعاه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الاسلام ، و قد تقرّر في الفقه إمكان من بلغ عشراً عاقلاً من الذكور أن يبدومنه بعض آثار التكليف من إنبات الشعر و حصول الاحتلام و علامة البلوغ ليست بمنحصرة في العدد .

ثم لو لم يكن دالاً على أنه عليه السلام كان في موضع التكليف ليدل على كمال فضله و حصول معرفته بالله و برسوله و على أنه عليه السلام كان من آيات الله الخارقة للعادة و على اختصاصه و تأهيله لما رسخه الله له من الامامة و الحجّة على الخلق فجرى في خرق العادة مجرى عيسى و يحيى عليهما السلام كما قدّمنا ، فلولا أنه عليه السلام كان كاملاً وهو من أبناء عشر فما دونها لما كلفه رسول الله صلى الله عليه وآله من الاقرار بنبوته ، ولا دعاه إلى الاعتراف بحقّه ، ولا افتتح به الدعوة قبل جميع الرجال

قال المسعودي في مروج الذهب (ص ٤٠٠ ج ١ طبع مصر ١٣٤٦ هـ) : وقد تنوزع في علي بن أبي طالب عليه السلام ، فذهب كثير من الناس إلى أنه لم يشرك بالله شيئاً

فيستأنف الاسلام ، بل كان تابعاً للنبي ﷺ في جميع فعّاله ، مقتدياً به ، وبلغ وهو على ذلك . وأن الله عصمه وسدّده ووفقه لتبعية نبيه ﷺ ، لأنهما كانا غير مضطرين ، ولا مجبورين على فعل الطاعات ، بل مختارين قادرين فاختارا طاعة الربّ وموافقة أمره واجتناب منهيّاته .

ومنهم من رأى أنه أوّل من آمن ، وأن الرسول دعاه وهو موضع التكليف بظاهر قوله عزّ وجلّ : « وأندركم عشيرتك الأقرين » وكان بدوّه بعليّ ﷺ إذ كان أقرب الناس إليه وتبعهم له .

ومنهم من رأى غير ما وصفنا ، وهذا موضع قد تنازع الناس فيه من الشيعة وقد احتجّ كل فريق لقوله . ومنهم من قال بالنصّ في الإمامة والاختيار . وأرض (كذا) كل فريق و كفيّة إسلامه ومقدار سنه قد أتينا على الكلام في ذلك على الشرح والإيضاح في كتابنا المترجم بكتاب الصفة في الإمامة ، وفي كتاب الاستنصار ، وفي كتاب الزاهي ، وغيره من كتبنا في هذا المعنى . انتهى كلامه - ره - .

أقول : أمّا قوله - ره - : فذهب كثير من الناس إلى أنه ﷺ لم يشرك بالله شيئاً - الخ ، فكلام في غاية الحسن والجودة والامتانة لما برهننا في شرح المختار ٢٣٧ من باب الخطب أن النبيّ و وصيّه يجب أن يكونا معصومين مطلقاً فعلاً وقولاً وذاتاً من جميع ما يأبى وينقر عنه الطبع السليم والعقل الناصع ، ومن جميع الذنوب وأنحاء الظلم والشرك فإنّ الشرك لظلم عظيم ، ومن جميع ما يعتبر في التبليغ كالعصمة عن الخطأ في تلقي الوحي والرسالة إن كان نبياً ، والعصمة عن الخطأ في التبليغ سواء كان نبياً أو وصياً .

وأما قوله : ومنهم من رأى أنه أوّل من آمن - الخ ، فقد دريت أنه هو الحق . قوله : وأن الرسول دعاه وهو موضع التكليف ، فقد دريت تفصيل الكلام فيه و أمّا قوله : و كان بدوّه بعليّ - الخ ، فنعم ما تمسك فيه بقوله : إذ كان أقرب الناس إليه .

وأما قوله : ومنهم من قال بالنصّ - إلخ ، فقد علمت من مباحثنا السالفة يجب أن يكون الإمام منصوباً ومنصوفاً من الله تعالى ورسوله .

وأما قوله : وغيره من كتبنا في هذا المعنى فمن ذلك الغير رسالة اثبات الوصية لعليّ بن أبي طالب عليه السلام وقد عدّها النجاشي وغيره من مصنفي الكتب الرجالية من كتبه وقد طبعت هذه الرسالة في عاصمة طهران سنة ١٣١٨ هـ وقد شكّ فيها بأنّها هل هي تلك الرسالة من المسعودي أو هي غيرها لغيره .

وقد عدّه العامّة من علمائهم وعلى ظهر كتابه مروج الذهب المطبوع في مصر عدوه من الشافعية ، ولكنّه وهم ، وهو - ره - من كبار علماء الإمامية ومن فقهاءهم ، وقد نقل أقواله الفقيه صاحب الجواهر قدّس سرّه في غير موضع . كان رحمه الله معاصراً للصدوق وهو منسوب إلى مسعود الصحابي والد عبدالله بن مسعود كما في المقالة الثالثة من الفنّ الثالث من الفهرست لابن النديم فراجع إلى الكتب الرجالية للإمامية كفهرست النجاشي وخلاصة العلامة وجامع الرواة للأردبيلي ورجال المامقاني وفي الفائدة الثانية من خاتمة المستدرک للمحدث النوري ص ٣١٠ وغيرها .

قوله عليه السلام : « فلبثنا أحوالاً مجرّمة وما يعبد الله في ربع ساكن من العرب غيرنا » الحول : السنة يجمع على الأحوال ، والمجرّم التامّ الكامل أي سنين تامّة والربع : الدار والمحلّة وقيل : الربع المنزل في الربع خاصّة . وقد مضى الخبر عن أبي جعفر الطبري أنّاً في أنّ أمير المؤمنين عليه السلام صلّى مع رسول الله صلى الله عليه وآله قبل الناس بسبع سنين .

قوله عليه السلام : « فأراد قومنا قتل نبيّنا - إلى قوله وأوقدوا لنا نار الحرب » ما لقي رسول الله صلى الله عليه وآله من قومه من الأذى أكثر من أن يحصى وأشهر من أن يذكر حتّى قال صلى الله عليه وآله : ما أودى نبيّ مثل ما أوديت ، كيف لا وقد رموه بالسحر والجنون وهو خاتم النبيّين وأفضل الرّسل والعقل الكلّ .

ففي السيرة النبوية لابن هشام : قال ابن اسحاق : ثمّ إنّ قريشاً اشتدّ أمرهم

للشقاء الذي أصابهم في عداوة رسول الله ﷺ ومن أسلم معه منهم ، فأغروا برسول الله ﷺ سفهاءهم ، فكذبوه وآزوه ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون ، ورسول الله ﷺ مظهر لأمر الله لا يستخفى به ، مُبادٍ لهم بما يكرهون من عيب دينهم واعتزال أوثانهم وفراقه إيتاهم على كفرهم (ص ٢٨٩ ج ١) .

ثم قال في عدوان المشركين وقسوة قريش على من أسلم : قال ابن إسحاق : ثم إنهم عدوا على من أسلم واتبع رسول الله ﷺ من أصحابه ، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين ، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش ، وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر من استضعفوا منهم يفتنونهم عن دينهم ، فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذي يصيبه ، ومنهم من يصلب لهم ويعصمه الله منهم ، ثم ذكر تعذيب قريش بلالاً وعمارة بن ياسر وأباه وأمه سمية وغيرهم (ص ٣١٧ ج ١) .

وقال ابن إسحاق كما في السيرة لابن هشام : حدثني حكيم بن جبيرة عن سعيد بن جبيرة قال : قلت لعبد الله بن عباس : أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله ﷺ من العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم ؟ قال : نعم والله ، إن كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالساً من شدة الضر الذي نزل به حتى يعطيهم ما سألوه من القننة حتى يقولوا له : اللات والعزى إلهك من دون الله ؟ فيقول : نعم حتى أن الجعل ليمر بهم فيقولون له : أهذا الجعل إلهك من دون الله ؟ فيقول : نعم اقتداءً منهم مما يبلغون من جهده . (ص ٣٢٠ ج ١) .

وبالجملة أن إيداء القوم بالمسلمين بلغ إلى غاية ، أمر رسول الله ﷺ المسلمين أن يهاجروا إلى أرض الحبشة ، فخرجوا مخافة القننة وفراراً إلى الله بدينهم وأقام المسلمون بأرض الحبشة حتى ولد لهم الأولاد وجميع أولاد جعفر بن أبي طالب ولدوا بأرض الحبشة ولم يزالوا بها في أمن وسلامة .

والمروفي عن أحمد في مسنده عن ابن عباس قال : إن الملاء من قريش اجتمعوا في الحجر فتعاهدوا باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، وقد رأينا حجراً

قمنا إليه قيام رجل واحد فلا يفارقه حتى يقتله .

قال : فأقبلت فاطمة عليها السلام حتى دخلت عليه عليه السلام فأخبرته بقولهم وقالت له لو قد رأوك لقتلوك وليس منهم رجل إلا وقد عرف نصيبه من دمك ، فقال : يا بني أريني وضوءاً فتوضأ ثم دخل عليهم المسجد فلما رأوه غضوا أبصارهم ثم قالوا : هو ذا ، ثم لم يبق إليه منهم أحد فأقبل عليه السلام حتى قام على رؤوسهم فأخذ قبضة من تراب فحصبهم بها وقال : شأهت الوجوه ، فما أصاب رجل منهم شيء إلا قتل يوم بدر كافراً .

قال أبو جعفر الطبري : حدثنا ابن حميد قال : حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق (١) قال : لما رأى رسول الله عليه السلام ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية بمكانه من الله وعمه أبطال وأنه لا يقدر أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم أحد عنده وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه .

فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله عليه السلام إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً إلى الله عز وجل بدينهم ، فكانت أول هجرة كانت في الإسلام إلى أن قال :

ولما استقرت بالدين هاجروا إلى أرض الحبشة القرار بأرض النجاشي واطمأنوا تأمرت قريش فيما بينها في الكيد بمن ضوى إليها من المسلمين ، فوجهوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي إلى النجاشي لتسليم من قبله وأرضه من المسلمين إليهم ، فشخص عمرو وعبد الله إليه في ذلك فنقذا ما أرسلهما إليه قومهما فلم يصلوا إلى ما أمل قومهما من النجاشي ، فرجعا مقبوحين وأسلم عمرو بن الخطاب . فلما أسلم وكان رجلاً جليداً جليداً منيعاً ، وكان قد أسلم قبل ذلك حمزة بن عبد المطلب ووجد أصحاب رسول الله عليه السلام في أنفسهم قوة وجعل الإسلام يفسو في القبائل ، وحمى النجاشي من ضوى إلى بلده منهم .

(١) ونقله ابن هشام عن ابن إسحاق في السيرة ص ٣٢١ ج ١ .

اجتمعت قريش فائتمرت بينها أن يكتبوا بينهم كتاباً يتعاقدون فيه على أن لا ينكحوا إلى بني هاشم وبني المطلب ولا ينكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم . فكتبوا بذلك صحيفة وتعاهدوا وتواثقوا على ذلك ، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة تو كيداً بذلك الأمر على أنفسهم .

فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنوهاشم وبنوالمطلب إلى أبي طالب ، فدخلوا معه في شعبه واجتمعوا إليه في شعبه ، وخرج من بني هاشم أبو لهب عبد العزى بن عبدالمطلب إلى قريش وظاهرهم عليه فأقاموا على ذلك من أمرهم سنتين أو ثلاثا حتى جهدوا لا يصل إلى أحد منهم شيء إلا سراً مستخفياً به ممن أراد صلتهم من قريش . وفي السيرة النبوية لابن هشام عن ابن إسحاق : وكان كاتب الصحيفة منصور بن

عكرمة ، ويقال : النصر بن الحارث ، فدعا عليه رسول الله ﷺ فسل بعض أصحابه .

قال اليعقوبي في التاريخ (ص ٢٢ ج ٢) : وهمت قريش بقتل رسول الله ﷺ

وأجمع ملأها على ذلك وبلغ أباطال فقال :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم
ودعوتني وزعمت أنك ناصح
وعرضت ديناً قد علمت بأنه
حتى أوسد في التراب دفينا
ولقد صدقت و كنت ثم أمينا
من خير أديان البرية دينا

فلما علمت قريش أنهم لا يقدر على قتل رسول الله ﷺ ، وأن أباطال لا يسلمه وسمعت بهذا من قول أبيطالب ، كتبت الصحيفة القاطعة الظالمة أن لا يبيعوا أحداً من بني هاشم ولا يبايعوهم ولا يعاملونهم حتى يدفعوا إليهم محراً ﷺ فيقتلوه وتعاقدوا على ذلك وتعاهدوا و ختموا على الصحيفة بشمانين خاتماً ، وكان الذي كتبها منصور بن عكرمة فسلت يده .

ثم حصرت قريش رسول الله ﷺ وأهل بيته من بني هاشم وبني المطلب بن عبدمناف في الشعب الذي يقال له : شعب بني هاشم بعد ست سنين من مبعثه . فأقام معه جميع بني هاشم وبني المطلب في الشعب ثلاث سنين حتى أنفق رسول الله ﷺ ماله ، وأنفق أبوطالب ماله ، وأنفقت خديجة بنت خويلد ماله ، و صاروا إلى حد

الضرى والفاقة .

ثم نزل جبريل على رسول الله صلوات الله عليه فقال ، إن الله بعث الأريضة على صحيفة قريش فأكلت كل ما فيها من قطيعة و لا ظلم « كذا » إلا المواضع التي فيها ذكر الله فخبّر رسول الله صلوات الله عليه أباطال بذلك ، ثم خرج أبوطالب ومعه رسول الله وأهل بيته حتى صار إلى الكعبة فجلس بفنائها .

وأقبلت قريش من كل أوب فقالوا : قد آن لك يا أباطال أن تذكر العهد وأن تشتاق إلى قومك وتدع اللجاج في ابن أخيك .

فقال لهم : يا قوم احضروا صحيفتكم فلعلنا أن نجد فرجاً وسبباً لصلاة الأرحام وترك القطيعة ، وأحضرها و هي بخواتيمهم ، فقال : هذه صحيفتكم على العهد لم تنكروها ؟ قالوا : نعم . قال : فهل أحدثتم فيها حدثاً ؟ قالوا : اللهم لا . قال : فإن عهداً أعلمني عن ربه أنه بعث الأريضة فأكلت كلما فيها إلا ذكر الله أفرأيتم إن كان صادقاً ما ذا تصنعون ؟ قالوا : نكف ونمسك . قال : فإن كان كاذباً دفعته إليكم تقتلونه ، قالوا : قد أنصفت وأجملت . وفضت الصحيفة فإذا الأريضة قد أكلت كل ما فيها إلا مواضع بسم الله عز وجل . فقالوا : ما هذا إلا سحروما كنا قط أجد في تكذيبه منّا ساعتنا هذه ، وأسلم يومئذ خلق من الناس عظيم ، وخرج بنو هاشم من الشعب وبنو المطلب فلم يرجعوا إليه . انتهى كلام اليعقوبي .

وقريب مما أتى به اليعقوبي ذكره ابن هشام في السيرة ص ٣٧٧ ج ١ فعلم بما نقلنا أن قريشاً حصرت رسول الله صلوات الله عليه وأهل بيته وفعلت تلك الأفاعيل بحماته وأنصاره ليدفع إليهم رسول الله صلوات الله عليه فيقتلونه كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في الكتاب : حتى ندفع النبي صلوات الله عليه ويمثلوا به .

والظاهر من سياق الكلام وما نقله المورث خون في ماجرى على المسلمين أن الجبل الوعر في كلامه عليه السلام هو شعب أبطال .

والمراد من الموسم في قوله عليه السلام : فلم نكن نأمن فيهم إلا من موسم إلى

موسم، هو موسم الحجّ وهو من أشهر الحرم و كان أهل الجاهليّة أيضاً يحجّون فيه الظلم والقتال لحرمة .

قوله عليه السلام: « فمؤمننا يبغى بذلك الأجر » أي من آمن برسول الله صلى الله عليه وآله من بني هاشم و بني المطلب كأبي طالب و حمزة بن عبدالمطلب رضوان الله عليهما يطلب بمالقي من قريش من الأذي وبالذّب والدّفْع سيّما زمن الحصر في الشعب الأجر من الله تعالى قال عزّ من قائل: « من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجيّنّه حياة طيبة و لنجزينّهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » (النحل - ١٠٠) و كان أبوطالب رضوان الله عليه سيد المحصورين في الشعب ورئيسهم و هو الكافل والمحمي وقد عينه رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله : أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة . وقد روى الصدوق قدّس سرّه في المجلس الثالث والستين من الأمالى (ص ٢٤٤ الطبع الناصري) عن محمد بن موسى بن المتوكّل ، عن محمد بن يحيى العطار ، عن سهل بن زياد الآدمي ، عن سنان ، عن عمرو بن ثابت ، عن حبيب بن أبي ثابت رفعه قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على عمّه أبي طالب و هو مسجّى فقال : يا عمّ كفلت يتيماً ، وربيت صغيراً ، ونصرت كبيراً ، فجزاك الله عنّي خيراً ثمّ أمر عليّاً عليه السلام بغسله .

«اسلام أبي طالب رضوان الله عليه»

قد أجمعت أصحابنا الإماميّة رضوان الله عليهم أنّ أباطالب مات مسلماً وقد تضافرت الروايات عن أمّتنا عليها السلام بذلك . و إنّ عدم اظهاره الإسلام لم يكن من عناد ، بل إنّما كان من حسن تدبيره في دفع كيد القوم عنه صلى الله عليه وآله ولمصلحة الذّب عن رسول الله صلى الله عليه وآله و التمكن من حمايته ، ولا يخفي أنّه كان بذلك أقدر على إعانة النبي صلى الله عليه وآله لأنّه كان زعيماً نبياً حازماً سياسياً ، فقد قال الشيخ الجليل أبو الفتح الكراچكي في كنز الفوائد (ص ٨٤ طبع ايران ١٣٢٢ هـ) : و روي أنّه قيل لأكثم بن صيفي و كان حكيماً العرب : إنك لأعلم أهل زمانك وأحكمهم وأعقلهم وأحلمهم . فقال : و كيف لا أكون كذلك وقد جالست أباطالب بن

عبدالمطلب دهره ، و هاشماً دهره ، و عبدمناف دهره ، و قصياً دهره ، و كلش هؤلاء سادات أبناء سادات فتخلقت بأخلاقهم ، و تعلمت من حلمهم ، واقنيت سوددهم و اتبعت آثارهم .

فقد روى الكليني قدس سره في الكافي باسناده عن علي بن إبراهيم ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إن مثل أبي طالب مثل أصحاب الكهف أسروا الإيمان وأظهروا الشرك ، فأتاهم الله أجرهم مرتين (الحديث ٢٨ من أبواب تاريخ مولد النبي صلى الله عليه وآله ووفاته من أصول الكافي و ص ٣٦٨ ج ١ من مرآة العقول للمجلسي - ره - ، و ص ١٥٩ ج ٢ من الوافي) . و روى هذا الخبر الشيخ الصدوق - ره - في الأمامي باسناده عن الطالقاني عن أحمد الهمداني ، عن المنذر بن محمد ، عن جعفر بن سليمان ، عن عبدالله بن الفضل الهاشمي ، عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام كما في البحار ص ١٥ ج ٩ الطبع الكمباني .

قال العلامة المجلسي في مرآة العقول في بيان الحديث : المثل بالتحريك الحال العجيبة ، و قيل الايمان : التطوع القلبي بجميع ما جاء به الرسول فإنّ الأوّل لا يجتمع مع الجحد بخلاف الثاني كما قال تعالى : « جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم » (النمل-١٤) . وأظهروا الشرك أي عند من تجب التقيّة عنده لا عند جميع الناس . مرتين مرّة للإيمان ومرّة للتقيّة عند وجوبها ، فإنها من أفضل الطاعات لاسيما تقيّة أبي طالب عليه السلام لأنّها صارت سبباً لشدة اقتداره على إعانة الرسول صلى الله عليه وآله . والخبر يدلّ على أنّ أصحاب الكهف كانوا مؤمنين ولم يحدث إيمانهم عند خروجهم ، وهو المشهور أيضاً بين المفسرين وغيرهم . انتهى كلامه .

أقول : الظاهر أنّ قوله عليه السلام : فأتاهم الله أجرهم مرتين ، يشير إلى قوله تعالى : « أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا » (القصص آية ٥٦) و إن كلمة مرتين لا يراد بها حقيقة التثنية ، بل المراد بها كثرة الأجر ، نظير قولهم : لبسك سعيدك ، أي كلما دعوتني فأنا ذو إجابة بعد إجابة و ذوثبات بمكاني بعد ثبات

وقوله تعالى : « ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير »
(الملك آية ٥).

ويؤيد ما ذهب إليه من أن إخفاء أبي طالب إيمانه كان من تقيّة كـلام
اليعقوبي في تاريخه المعروف من أن معاوية لما وجه بسر بن أرطاة إلى المدينة
وأمره أن يقتل من لم يكن ليدخل في طاعته، انطلق جابر بن عبد الله الأنصاري
إلى أم سلمة زوج النبي ﷺ فقال : إنني قد خشيت أن أقتل وهذه بيعة ضلال
قالت : إذا فبايع فإن التقيّة حملت أصحاب الكهف على أن كانوا يلبسون الصلب
ويحضرون الأعياد مع قومهم (ص ١٧٣ ج ٢ طبع النجف).

ولكن إخفاء أبي طالب الإيمان وإن كان لمصلحة النبّ عن رسول الله
ﷺ وكان به أقدر على إعمائه لكن عدّه تقيّة ليس بمرضيّ فإن التقيّة كما
عرفها الشهيدرة - في القواعد: مجاملة الناس بما يعرفون وترك ما ينكرون حذراً
من غوائلهم ، وموردها الطاعة والمعصية غالباً فمجاملة الظالم فيما يعتقده ظلماً
والفاسق المتظاهر بفسقه اتقاء شرهما من باب المداهنة الجائزة لاتكاد تسمى
تقيّة وكيف كان عمله تقيّة وقد ذبّ عن رسول الله ﷺ وأبي إلا أن يحاميه جهاراً
وأخبر قريشاً بأنه غير مسلم رسول الله ﷺ إليهم ولا تاركه لشيء أبداً حتى
يهلك دونه ، كما صرّح به المورثون وأجمعوا عليه و منهم ابن هشام في السيرة
«ص ٢٧٢ ج ١» فتأمل.

وفي الكافي باسناده عن الحسين بن محمد و محمد بن يحيى ، عن أحمد بن إسحاق
عن بكر بن محمد الأزدي ، عن إسحاق بن جعفر ، عن أبيه ﷺ قال : قيل له :
إنهم يزعمون أن أبا طالب كان كافراً ، فقال ﷺ : كذبوا كيف كان كافراً
وهو يقول :

ألم تعلموا أننا وجدنا محمداً نبياً كموسى خطّ في أوّل الكتب

ثم قال : الكليني : وفي حديث آخر كيف يكون أبو طالب كافراً

وهو يقول :

لقد علموا أن ابننا لا مكذب
 لدينا ولا يعبأ بقول (بقيل خ) الأباطل
 وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
 ثمال اليتامى عصمة للأرامل
 أقول: والخبر مروى في الوافي (ص ١٥٩ ج ٢) وفي مرآة العقول (ص ٣٦٧ ج ١)
 وفي البحار عن الأمامي للصدوق وعن السيد فخار بن معد الموسوي عن شاذان بن
 جبرئيل بإسناده إلى ابن الوليد ص ١٥ ج ٩ طبع الكمباني.

والمراد أن أشعار أبي طالب دالة على إسلامه و إقراره بنبوته رسول الله عليه السلام
 ولا فرق في ذلك بين الكلام المنظوم والمنثور .

و البيت الأول من أبيات قالها أبو طالب رضوان الله عليه في قريش حين
 تظاهروا على رسول الله عليه السلام واجتمعوا واثتمروا بينهم أن يكتبوا صحيفة يتعاقدون
 فيها على بني هاشم و بني المطلب على أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ،
 ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم، كما مرّ خبر الصحيفة آنفاً .

و قد نقل الأبيات ابن هشام في السيرة النبوية (ص ٣٥٢ ج ١ طبع مصر

١٣٧٥ هـ) وهي :

ألا أبلغا عني على ذات بيننا
 ألم تعلموا أننا وجدنا محلاً
 وأن عليه في العباد محبة
 وأن الذي ألقتم من كتابكم
 أفيقوا أفيقوا قبل أن يحفر الثرى
 ولا تتبعوا أمر الوشاة و تقطعوا
 و تستجلبوا حرباً عواناً و ربّما
 فلسنا و ربّ البيت نسلم أحمداً
 و لمّا تبنا و منّا و منكم سوائف
 بمعترك ضيق ترى كسر القنا
 كأن مجال الخيل في حجراته

لؤياً و خصاً من لؤي بني كعب
 نبياً كموسى خطّ في أوّل الكتب
 و لا خير ممّن خصّه الله بالحب
 لكم كائن نحساً كراغية السقب
 و يصبح من لم يحن ذنباً كذي الذنب
 أو اصرنا بعد المودة و القرب
 أمرّ على من زاقه جلب الحرب
 لعزاء من عضّ الزمان و لا كرب
 و أيدٍ أترت بالقساسية الشهب
 به والنسور الطخّم يعكفن كالشرب
 و معمعة الأبطال معركة الحرب

أليس أبونا هاشم شدةً أزره
ولسنا نملُّ الحرب حتى تملنا
ولكننا أهل الحفاظ والنهي
ثم قال ابن إسحاق: فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً حتى جهدوا لا يصل إليهم شيء إلا سرّواً يستخفياً به من أراد صلّتهم من قريش.

والبيتان الآخران من أبيات قصيدته اللامية التي بلغت شهرة كالشمس في رابعة النهار، والقصيدة طويلة تنتهي إلى أكثر من تسعين بيتاً أتى بها ابن هشام في السيرة (ص ٢٨٢- إلى- ٢٧٠ ج ١) بعض أبيات تلك القصيدة ما يلي:

قال ابن هشام: فلما خشي أبو طالب دهماً العرب أن يركبوه مع قومه قال قصيدته التي تعوذ فيها بحرم مكة و بمكانه منها و تودّد فيها أشراف قومه وهو على ذلك يخبرهم و غيرهم في ذلك من شعره أنه غير مسلم رسول الله ﷺ ولا تاركه لشيء أبداً حتى يهلك دونه فقال:

و لمّا رأيت القوم لاودّ فيهم
وقد صار حونا بالعداوة والأذى
وقد حالقوا قوماً علينا أظنة
صبرت لهم نفسي بسمراء سمحة
وأحضرت عند البيت رهطي وإخوتي
إلى أن قال :

و نطعن أمركم في بلا بل
و لمّا نطاعن دونه و نناضل
و نذهل عن أبنائنا والحلائل
إلى أن قال :

يحوط الذمار غير ذرب مواكل
ثمال اليتامى عصمة للأرامل
و ماترك قومٍ ، لأبالك، سيّداً
و أبيض يستسقى الغمام بوجهه

يلوذبه الهلاك من آل هاشم

إلى أن قال :

لعمري لقد كلفت جداً بأحمد
فلا زال في الدنيا جمالاً لأهلها
فمن مثله في الناس أي مؤمل
حليم رشيد عادل غير طائش
فوالله لولا أن أجيء بسنة
لكننا اتبعناه على كل حالة
لقد علموا أن ابننا لا مكذب
فأصبح فينا أحمد في أرومة
حدثت بنفسه دونه وحميته
فأيده رب العباد بنصره

فهم عنده في رحمة و فواضل

و إخوته دأب المحب المواصل
وزيناً لمن والاه رب المشاكل
إذا قاسه الحكام عند التفاضل
يوالي إلهاً ليس عنه بغافل
تجرت على أشياخنا في المحافل
من الدهر جداً غير قول التهازل
لدينا ولا يعني بقول الأباطل
تقصر عنه سورة المتطاول
ودافعت عنه بالذرا والكلاكل
وأظهر ديناً حقه غير باطل

و من أبيات تدل على أن أباطال مات مسلماً ما نقله ابن هشام في السيرة
أيضاً (ص ٢٦٩ ج ١) قال : فلما رأى أبوطالب من قومه ما سره في جهدهم معه
و حذبهم عليه جعل يمدحهم و يذكر قديمهم و يذكر فضل رسول الله صلى الله عليه وآله فيهم
و مكانه منهم ليشد لهم رأيهم و ليحذبوا معه على أمره فقال:

فبعد مناف سرها و صميمها
ففي هاشم أشرافها و قديمها
هو المصطفى من سرها و كريمها
علينا فلم تظفر وطاشت حلومها
إذا ما تنوا صعر الخدود نقيمها
و نضرب عن أحجارها من يرومها
بأكنافا تندی و تنمی أرومها

إذا اجتمعت يوماً قريش لمفخر
و إن حصلت أشراف عبدمنافها
و إن فخرت يوماً فان محراً
تداعت قريش غشها و سمينها
و كنا قديماً لا نقر ظلامه
و نحمي حماها كل يوم كريمة
بنا انتعش العود الذواء و إنما

قال الطبرسي قدس سره في مجمع البيان في تفسير القرآن: قوله تعالى:

« وهم ينهون عنه و ينتنون عنه و إن يهلكون إلا أنفسهم و ما يشعرون » (الأ نعام آية ٢٦) قيل : عنى به أباطالب بن عبدالمطلب ، و معناه يمنعون الناس عن أذي النبي ﷺ و لا يتبعونه عن عطا و مقاتل . و هذا لا يصح ، لأن هذه الآية معطوفة على ما تقدمها « و منهم من يستمع إليك و جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه و في آذانهم و قرأ و إن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين ، وهم ينهون عنه - الخ » و ما تأخر عنها معطوف عليها « و لو ترى إذ ذوقوا على النار - الخ » . و كلها في زم الكفار المعاندين للنبي ﷺ هذا .

وقد ثبت إجماع أهل البيت ﷺ على إيمان أبي طالب و إجماعهم حجة لأنهم أحد الثقلين الذين أمر النبي ﷺ بالتمسك بهما بقوله : إن تمسكتم بهما لن تضلوا .

و يدل على ذلك أيضاً ما رواه ابن عمر أن أبابكر جاء بأبيه أبي قحافة يوم الفتح إلى رسول الله ﷺ فأسلم فقال ﷺ : ألا تترك الشيخ فأميته و كان أعمى ؟ فقال أبوبكر : أردت أن يأجره الله تعالى ، والذي بعنك بالحق لأنا كنت باسلام أبي طالب أشد فرحاً مني باسلام أبي النمس بذلك قرّة عينك . فقال ﷺ : صدقت . و روى الطبري باسناده أن رؤساء قريش لما رأوا ذب أبي طالب عن النبي ﷺ اجتمعوا عليه وقالوا : جئناك بفتى قريش جمالاً و جوداً و شهامة عمارة بن الوليد ندفعه إليك و تدفع إلينا ابن أخيك الذي فرق جماعتنا و سفنه أحلامنا فنقتله . فقال أبوطالب : ما أنصفتموني تعطوني ابنكم فأغذوه و أعطيتكم ابني فتقتلونه بل فإيات كل امرئ منكم بولده فأقتله و قال :

منعنا الرسول رسول المليك بيض تلالا كلمع البروق

أذود و أحمي رسول المليك حماية حام عليه شفيق

و أقواله و أشعاره المنبئة عن إسلامه كثيرة مشهورة لا تحصى فمن

ذلك قوله :

ألم تعلموا أننا وجدنا محمدًا - البيت
و قوله من قصيدة :

وقالوا لأحمد أنت امرؤ
ألا إن أحمد قد جاءهم
و قوله في حديث الصحيفة و هو من معجزات النبي صلى الله عليه وآله :

و قد كان في أمر الصحيفة عبرة
محي الله منها كفرهم و عقوقهم
و أمسى ابن عبد الله فينا مصدقاً
و قوله في قصيدة يحضُّ أخاه حمزة على اتباع النبي صلى الله عليه وآله و الصبر في طاعته.
فصبراً أبا يعلى على دين أحمد
فقد سررتني إذ قلت إنك مؤمن
و قوله من قصيدة :

أقيم على نصر النبي محمد
و قوله يحضُّ النجاشي على نصر النبي صلى الله عليه وآله :

و تعلم ملك الحبش أنَّ محمداً
أتى بهدىً مثل الذي أتياه
و إنكم تتلون في كتابكم
فلا تجعلوا لله ندأً و أسلموا

و قوله في قصيدة في وصيته و قد حضرته الوفاة :

أوصي بنصر النبي الخير مشهده
و حمزة الأسد الحامي حقيقته
كونوا فدىً لكم أمي و ما ولدت

في أمثال هذه الأبيات مما هو موجود في قصائده المشهورة و وصاياه و خطبه

يطول بها الكتاب .

على أن أباطالب لم ينأ عن النبي ﷺ قط بل كان يقرب منه و يخالطه و يقوم بنصرته فكيف يكون المعني بقوله : و يناون عنه .

و قال -ره- في تفسير قوله تعالى : « إنك لاتهدي من أحببت و لكن الله يهدي من يشاء و هو أعلم بالمهتدين » (القصص آية ٥٦)

قيل : نزلت قوله « إنك لاتهدي من أحببت » في أبي طالب فان النبي ﷺ كان يحب إسلامه فنزلت هذه الآية ، و كان يكره إسلام و حشي قاتل حمزة فنزل فيه « يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتنظروا من رحمة الله الآية (الزمر - ٥٤) فلم يسلم أبوطالب و أسلم و حشي ورووا ذلك عن ابن عباس و غيره .

و في هذا نظر كما ترى ، فان النبي ﷺ لا يجوز أن يخالف الله سبحانه في إرادته كما لا يجوز أن يخالفه في أوامره و نواهيه ، و إذا كان الله تعالى على ما زعم القوم لم يرد إيمان أبي طالب و أراد كفره ، و أراد النبي إيمانه فقد حصل غاية الخلاف بين إرادتي الرسول والمرسل ، فكأنه سبحانه يقول على مقتضى اعتقادهم إنك يا محمد تريد إيمانه و لا أريد إيمانه ، و لا أخلق فيه الايمان مع تكلفه بنصرتك و بذل مجهودة في إعانتك و الذب عنك و محبته لك و نعمته عليك ، و تكره أنت إيمان و حشي لقتله عمك حمزة و أنا أريد إيمانه و أخلق في قلبه الايمان و في هذا ما فيه .

و قد ذكرنا في سورة الأنعام أن أهل البيت ﷺ قد أجمعوا على أن أبا طالب مات مسلماً ، و تظاهرت الروايات بذلك عنهم ، و أوردنا هناك طرفاً من أشعاره الدالة على تصديقه للنبي ﷺ و توحيده ، فان استيفاء ذلك جميعه لاتتسع له الطوامير ، و ما روي من ذلك في كتب المغازي و غيرها أكثر من أن يحصى . يكاشف فيها من كاشف النبي ﷺ و يناضل عنه و يصحح نبوته .

و قال بعض الثقات : إن قصائده في هذا المعنى التي تنشق في عقد السحر و تعير وجه شعراء الدهر يبلع قدر مجلد و أكثر من هذا ، و لا شك في أنه لم يختر تمام مجاهرة الأعداء استصلاحاً لهم و حسن تدبيره في دفع كيادهم لئلا يلجئوا الرسول

إلى ما أُلجأُوه إليه بعد موته. انتهى كلامه -ره-

ومن تلك الأشعار قوله في أبيات كثيرة :

أنت النبيُّ محمدٌ	قرم أعزُّ مسودٌ
لمسودين أكارم	طابوا وطاب المولد
مازلت تنطق بالصواب	وأنت طفل أمرد

ومن تلك الأبيات قوله يخاطب رسول الله عليه السلام ويسكن جاشه ويحضه على

إظهار الدعوة ويغريه بها :

لايمنعنك من حقِّ تقوم به	أيد تصول ولا سلق بأصوات
فإن كفتك كفتي إن مليت بهم	ودون نفسك نفسي في الملمات

واعلم أن هذه الأشعار إن لم تكن آحادها متواترة فمجموعها يدلُّ على تواتر معنوي أعني أنها تدلُّ على أن أبا طالب مات مسلماً . و نظيره غير عزيز ، مثلاً أن الأخبار الدالة على شجاعة أمير المؤمنين عليه السلام وإن لم تكن آحادها متواترة لفظاً ، فمجموعها يدلُّ على أمر واحد مشترك يفيد العلم الضروري بشجاعته عليه السلام ، وكذلك الكلام في سخاء حاتم و نظائرهما .

ثم نقول: من جانب المرء والإعتساف ، و نظر نظرة في تلك القصائد بعين العدل والإنصاف. رأى أنها ما صدرت إلا من قلب مؤمن بما قال ، فإن الكلام الصادر ممن ليس مؤمناً به لا يتجلى بتلك التجلّيات الساطعة ، ولا يسبك بتلك الأساليب الباهرة ، بل يلوح منه التكلف والتعسف .

وفي الكافي : عليُّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي نصر ، عن إبراهيم بن محمد الأشعري ، عن عبید بن زرارة ، عن أبي عبد الله عليه السلام . قال : طساتوني أبو طالب نزل جبرئيل على رسول الله عليه السلام فقال : يا محمد اخرج من مكة فليس لك فيها ناصر ، وثار قريش بالنبي عليه السلام فخرج هارباً حتى جاء إلى جبل بمكة يقال له الحجون فصار إليه .

(الحديث ٣١ من أبواب تاريخ مولد النبي عليه السلام من أصول الكافي ، ص ٣٦٩ ، ج ١ من

مرآة العقول ، و في الوافي في باب ما جاء في عبد المطلب وأبي طالب ص ١٦٠ ج ٢) .

وروى قريباً من هذه الرواية المجلسي - ره - في البحار نقلاً عن إكمال الدين
باسناده عن ابن الوليد، عن الصفار، عن أيوب بن نوح، عن العباس بن عامر، عن
علي بن أبي سارة، عن محمد بن مروان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن أبا طالب أظهر
الشرك وأسر الأيمان. فلما حضرته الوفاة أوحى الله عز وجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله
أخرج منها فليس لك بها ناصر فهاجر إلى المدينة. (ص ١٧ ج ٩ الطبع الكمباني)
وفي الشرح المعتزلي: روي أن علي بن الحسين عليهما السلام سئل عن هذا، فقال:
واعجباً إن الله تعالى نهى رسوله أن يقر مسلماً على نكاح كافر، وقد كانت فاطمة
بنت أسد من السابقات إلى الإسلام، ولم تنزل تحت أبي طالب حتى مات.
أقول: وذلك أن أبا طالب رضوان الله عليه توفي في آخر السنة العاشرة من
المبعث بعد الخروج من الشعب بشهرين.

وروي أن رجلاً من رجال الشيعة وهو أبان بن محمود كتب إلى علي بن موسى
الرضا عليه السلام: جعلت فداك إني قد شككت في إسلام أبي طالب، فكتب إليه «ومن
يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين» الآية (النساء -
١١٦) وبعدها، إن لم تقر بايمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار.
وجملة الأمر أن الأخبار من أئمتنا عليهم السلام متظافرة بأنه مامات إلا مسلماً
كأشعاره الدالة على ذلك، وإنما بقي في المقام أخبار مروية من القوم، بأنه مات كافراً
وأتى بطائفة منها المفسرون منهم في تفسير قوله تعالى: «ما كان للنبي والذين
آمَنوا معه أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم
أصحاب الجحيم» وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعد لها إياه
فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه» الآية (التوبة - ١١٦).

وفي تفسير قوله تعالى: «وهم ينهون عنه ويتنون عنه» الآية (الأنعام - ٢٦).
وفي تفسير قوله تعالى: «إنك لا تهدي من أحببت» الآية (القصص - ٥٦).
وتلك الأخبار المروية عنهم تناقض بعضها بعضاً وبعضها لا يناسب ذكره في

نزول الآيات أصلاً ولا حاجة إلى نقلها و ردّها و لاطائل تحت إطالة الكلام بعد وضوح الحقّ، فلو أنّ بيتاً من أبي طالب رضوان الله عليه أو رواية تدلّ بظاهرهما على كفره فالجواب عنهما ما ذكرنا من أنّ اظهاره الشرك إنّما كان لمصلحة الذبّ عن رسول الله ومن حسن تدبيره في دفع كيد القوم عنه صلى الله عليه وآله.

على أنّ مقابلتهما إجماع أهل البيت عليهم السلام على إسلامه وقد علمت أنّ إجماعهم حجة، و أشعاره الدالة صريحة على إسلامه وماذا أوجب علينا أن نعرض عن أشعاره المصروفة المنصوطة على إسلامه و تتمسك بما هي تنبيء بظاهرها على كفره، و ليست بدالة عليه و صريحة فيه، بل نعلم أنّه أبطن الإسلام فيها ليتمكن من نصرته النبي صلى الله عليه وآله و القيام دونه جمعاً بين الطائفتين من أشعاره على ما هدا لنا لهذا أهل بيت العصمة. أو أنّ نعرض عن كلام أهل البيت وهم أدري بما في البيت و نأخذ بالمرويّ عن زيد وعمرو المناقض بعضه بعضاً.

«سبب اسلام حمزة رضوان الله عليه»

و كان سبب إسلامه ما نقل ابن هشام في السيرة النبوية ج ١ ص ٢٩١ وابن الأثير في اسد الغابة عن ابن إسحاق من أنّ أبا جهل اعترض رسول الله صلى الله عليه وآله عند الصفا فأذاه و شتمه و نال منه بعض ما يكره من العيب لدينه والتضعيف لأمره ، فلم يكلمه رسول الله صلى الله عليه وآله و مولاة لعبد الله بن جدعان التميمي في مسكن لها فوق الصفا تسمع ذلك ، ثمّ انصرف عنه فعمد إلى نادٍ لقريش عند الكعبة فجلس معهم. فلم يلبث حمزة بن عبدالمطلب رضوان الله عليه أن أقبل متوشحاً قوسه راجعاً من قنص له، و كان صاحب قنص يرميه و يخرج له، و كان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتّى يطوف بالكعبة، و كان إذا فعل ذلك لم يمرّ على نادٍ من قریش إلاّ وقف و سلّم و تحدّث معهم، و كان أعزّ فتى في قریش و أشدّ شكيمه ، و كان يومئذٍ مشركاً على دين قومه ، فلما مرّ بالمولاة وقد قام رسول الله صلى الله عليه وآله فرجع إلى بيته، قالت له : يا أبا عماره - وقد كان حمزة يكتسى بابنيه : يعلى و عماره فكنتى بأبي يعلى تارة و بأبي عماره أخرى - لورأيت ما لقي ابن أخيك محمد آنفاً من أبي

الحكم بن هشام - وأبو الحكم هو أبو الجهل - وجده ههنا جالساً فأذاه و سبته و بلغ منه ما يكره ، ثم انصرف عنه ولم يكلمه محلاً .

فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله به من كرامته ، فخرج يسعى ولم يقف على أحد كما كان يصنع يريد الطواف بالبیت ، معداً لأبي جهل إذا لقيه أن يوقع به ، فلما دخل المسجد نظر إليه جالساً في القوم ، فأقبل نحوه حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضر به بها فشجته شجّة منكرة ، ثم قال : أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول ، فردّ ذلك عليّ إن استطعت ؟

وقامت رجال من قريش من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل فقالوا : ما نراك يا حمزة ، إلا قد صبأت ، فقال حمزة : وما يمنعني وقد استبان لي منه ذلك أنا أشهد أنه رسول الله وأنّ الذي يقول الحق ، فوالله لأنزعه فامنعوني إن كنتم صادقين .

فقال أبو جهل : دعوا أبا عمارة فإني نبيّ والله لقد سميت ابن أخيه سباً قبيحاً .
وتمّ حمزة رضوان الله عليه على إسلامه . فلما أسلم حمزة عرفت قريش أنّ رسول الله ﷺ قد عزّ و امتنع ، وأنّ حمزة سيمنعه فكفّوا عن بعض ما كانوا ينالون منه .

أقول : وكان قبوله الإسلام قبل حصار الشعب .

قوله ﷺ : «و كافرنا يحامي عن الأصل» يعني أنّ رجالاً من بني هاشم و بني المطلب وإن كانوا كافرين وعلى دين قومهم لكنهم كانوا يذبّون عن رسول الله ﷺ ويحامون عنه ويدفعون كيد القوم عنه ويحولون بينه وبين ما أرادوا من البطش به لامن حيث الحماية عن الإسلام ، بل من حيث المراعاة لأصلهم والمحافظة على نسبهم و قبيلتهم .
و كان بعض هؤلاء المحامين في حصار الشعب ولم يسلم بعد : العباس ، وعقيل

ابن أبي طالب ، و طالب بن أبي طالب ، و نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، و ابنه الحارث بن نوفل ، و أخوه أبوسفیان بن الحارث بن عبد المطلب ، و كان أبو لهب ابن عبد المطلب عمّ رسول الله ﷺ و كذلك ابنه يبغضانه ، و كانا شديديدين عليه

و نزل في أبي لهب و امرأته أمّ جميل عمّة معاوية حمالة الحطب قوله تعالى «تبست يدا أبي لهب» السورة .

و إنّما أجرينابني هاشم و بني المطلب مجرى واحداً لأنّهم كانوا يداً واحدة لم يفترقوا في جاهليّة و لإسلام، و كان من المسلمين المحصورين في الشعب هاشم ابن عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف.

قوله عليه السلام: «فأما من أسلم- إلى قوله: ماشاء الله أن يكون» يعني أن من أسلم من قريش كانوا آمنين ممّا نحن أهل البيت فيه من القتل و البلاء و الأذى و ذلك لأنّ بعضهم كانوا على حلف و عهد من الكفّار ، فمن أجل ذلك كانوا آمنين ، و بعضهم الآخر لم يكن لهم العهد ولكنّهم كانوا ذوي عشيرة تقوم دونهم و تمنعهم من الأعداء .

فالمراد أنّ البليّة إنّما كانت متوجّهة إليه عليه السلام و إلى ساير بني هاشم و بني المطلب لم يكونوا على عهد و لم يكن لهم من يقرم دونهم ، و بذلك يعلم فضيلتهم في حماية رسول الله و ذبّه عن كيد الأعداء.

قوله عليه السلام: «ثم أمر الله رسوله بالهجرة» و قد تقدّمت أنّنا طائفة من الأخبار في أنّ أبا طالب رضوان الله عليه مات في آخر السنة العاشرة من المبعث بعد الخروج من الشعب بشهرين أنّه لما توفيّ نزل جبرئيل على رسول الله صلّى الله عليه و آله فقال : يا محمد اخرج من مكّة فليس لك فيها ناصر. و قد مضى كلامنا في هجرته صلّى الله عليه و آله في شرح المختار ٢٣٤ من باب للخطب و هو قوله عليه السلام: فجعلت اتبع مأخذ رسول الله- الخ (ص ١٢٦ ج ١٥) فراجع.

قوله عليه السلام: « و أذن له بعد ذلك في قتال المشركين» قال الطبرسي في المجمع: إنّ قوله تعالى «أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا و إنّ الله على نصرهم لقدير» الذين أخرجوا من ديارهم بغير حقّ» الآية (الحجج - ٤٢ و ٤٣) هي أوّل آية نزلت في القتال، و كان المشركون يؤذون المسلمين و لا يزال يحييء مشجوج و مضروب إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله و يشكون ذلك إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله فيقول لهم

صلوات الله عليه وآله : اصبروا فإني لم أؤمر بالقتال حتى هاجر، فأنزل الله عليه هذه الآية، انتهى كلامه.

أقول: وقد مضى كلامنا في نزول الأمر لرسول الله عليه السلام في القتال في شرح المختار ٢٣٤ من باب الخطب أيضاً (ص ١٣١ ج ١٥) فراجع.

قوله عليه السلام: «فكان إذا احمر البأس - إلى قوله: حرّ الأسنّة والسيوف» بين البأس والناس جناس لاحق نحو قوله تعالى: ويل لكل همزة لمزة . والبأس : الحرب ، قال حسّان بن ثابت في قصيدة يعدد فيها أصحاب اللّواء يوم أحد:

ولي البأس منكم إذ أبيتم أسرة من بني قُصيّ صميم

واحمرار البأس كناية عن شدّة الحرب وذلك كأنما شبّهت الحرب

بمحارب تلتطّخ بالدمّ السائل من مقادير بدنه بكثرة ما ورد عليه من طعن السيوف

والأسنّة كما أنّ احمرار القنا كناية عن شدّة الحرب كأنه احمرّ من الدّم

السائل عليه لكثرة الطعن، قال سوار بن المضرب في حماسة ٢٣٣:

يدعون سواراً إذا احمرّ القنا و لكلّ يوم كريمة سوار

أو أنّ الحرب شبّهت بانسان غضبان احمرّ وجهه و يقال : موت أحمر

و مية حمراء وسنة حمراء وسنون حمراوات يراد بها الشدّة، قالت عاتكة بنت

زيد في حماسة ٣٩٣:

إذا أشرعت فيه الأسنّة خاضها إلى الموت حتى يترك الموت أحمر

أي حتى يخوض الموت بها فيتركه أحمر أي شديداً . و يقال : الحسن

أحمر، أي طلب الجمال تنجشّم فيه المشاق والشدائد ، قال بشار بن برد (ص ٢٢٥

ج ١ من البيان والتبيين للجاحظ طبع مصر ١٣٨٠ هـ) :

و خذي ملابس زينة و مصبغات فهي أفخر

وإذا دخلت تقنّعي بالجمر إن الحسن أحمر

قال الجوهري في الصحاح: و موت أحمر يوصف بالشدّة و منه الحديث

كنّا إذا احمرّ البأس.

أو أن الحرب شبهت بالنار وانتصفت بصفتها أعني حمرة النار كقوله عليه السلام
 أنفأ: وأوقدوا لنا نار الحرب .

ففي النهاية الأثيرية : وفي الحديث لو تعلمون ما في هذه الأمة من الموت
 الأحمر يعني القتل لما فيه من حمرة الدّم أو لشدّته، يقال : موت أحمر أي
 شديد، ومنه حديث عليّ كُنّا إذا احمرّ البأس اتقىنا برّسول الله عليه السلام أي إذا
 اشتدّت الحرب استقبلنا العدوّ به وجعلناه لنا وقاية ، وقيل أراد إذا اضطرت نار
 الحرب وتسعرت كما يقال في الشرّ بين القوم: اضطرت نارهم تشبيهاً بحمرة
 النار، وكثيراً ما يطلقون الحمرة على الشدّة، ومنه حديث طهفة أصابتنا سنة
 حمراء أي شديدة الجذب، لأنّ آفاق السماء تحمرّ في سني الجذب والقحط
 ومنه حديث حليلة أنّها خرجت في سنة حمراء قد برت المال انتهى كلامه.

فالمعنى أنّ الحرب إذا اشتدّت ونكص الناس عنها قدّم رسول الله صلى الله عليه وآله
 أهل بيته إلى القتال فوقى صلى الله عليه وآله بأهل بيته أصحابه من حرّ الأسنّة والسيف .
 وحرّ السيف والأسنّة كأنّه كناية عن حدّة جزّهما وشدّة وقوعهما ،
 أو كناية عن شدّة القتال من حيث إنّهما إذا حرنّ كلّاً غير مرّة وقطعت الأبدان
 والرؤوس بهما ووقعتا على المبارز كثيراً حميتا، لأنّ من شأن الحديد
 بل مطلق الجسم ذلك، أو كناية عن تعبهما، ففي النهاية الأثيرية : وفي حديث عليّ عليه السلام
 أنّه قال لفاطمة: لو أتيت النبيّ فسألته خادماً تقيمك حرّاً ما أنت فيه من العمل ،
 وفي رواية حارّ ما أنت فيه يعني التعب والمشقة من خدمة البيت لأنّ الحرارة
 مقرونة بهما كما أنّ البرد مقرون بالراحة والسكون ، والحارّ: الشاقّ
 المتعب. انتهى.

واعلم أنّ المتفق عند الكلّ أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان في جميع الشدائد
 المتوجهة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله والمسلمين أسبق وأقدم في الوقاية والحماية ،
 وكان يجاهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله فيقيه بنفسه وقد أقرّ أعداؤه بشجاعته وسبقه
 على أقرانه، وما ولّى قطّ عن أحد مع طول ملاقاته الحروب وكثرة من لاقاه

من صناديد الأعداء.

وكان كما قال ابنه الحسن المجتبي كما في تاريخ اليعقوبي (ص ١٩٠ ج ٢ طبع النجف) ومروج الذهب للمسعودي (ص ٤٢ ج ٢) والخرائج والجرائح للراوندي (ص ١٤٦ طبع ايران ١٣٠١ هـ) والإرشاد للمفيد (ص ١٧٠ طهران ١٣٧٧ هـ) في صبيحة ليلة التي قبض فيها أمير المؤمنين عليه السلام بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله صلى الله عليه وآله في خطبة خطب بها الناس :

لقد قبض في هذه الليلة رجل ما سبقه الأ ولون إلا بفضل النبوة، ولا يدركه الآخرون، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يبعثه المطبعت فيكتنفه جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فلا يرجع حتى يفتح الله عليه الخ.

قوله عليه السلام: « فقتل عبدة بن الحارث يوم بدر » قال ياقوت الحموي في كتابه المترجم بمرصد الإطلاع في معرفة الأمكنة والبقاع : بدر بالفتح ثم السكون ماء مشهور بين مكة والمدينة أسفل وادي الصفراء بينه وبين الجار وهو ساحل البحر ليلة به كانت الوقعة المشهورة بين النبي صلى الله عليه وآله وأهل مكة .

وقال الجوهري في الصحاح: بدر موضع يذكرو ويؤنث وهو اسم ماء ، وقال الشعبي: بدر بئر كانت لرجل يدعى بدرأ ومنه يوم بدر.

أقول : بدر أقرب إلى المدينة من مكة. و الظاهر أن القول بأنها ماء مشهور والآخر بأنها اسم بئر يشيران إلى معنى فارد وإنما الاختلاف في التعبير . وكانت وقعة بدر يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان من سنة اثنتين من الهجرة وهي المذكورة في القرآن الكريم حيث يقول جل اسمه في الأ نفال: « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق » الخ، والمراد بالبيت في الآية المدينة يعني خروجه صلى الله عليه وآله منها إلى بدر .

و كان سببها - كما في تاريخ اليعقوبي - أن أباسفيان بن حرب قدم من الشام بعير لقريش تحمل تجارات وأموالاً، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله يعارضه ، وجاء الصريخ إلي قريش بمكة يخبرهم الخبر ، و كان الرسول بذلك ضامم بن عمرو

الفغاري ، فخرجوا نافرين مستعدين و خالف أبو سفيان الطريق فنجى بالبعير ،
و أقبلت قريش مستعدة لقتال رسول الله عليه السلام وعدتهم ألف رجل و قيل
تسعمائة و خمسون .

« مقتل عبيدة بن الحارث رضوان الله عليه »

عبيدة بضم العين و فتح الباء هو عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد
مناف ، يكنى أبا الحارث و أبامعاوية . وكان أسن من رسول الله عليه السلام بعشر سنين ،
و كان إسلامه قبل دخول رسول الله عليه السلام دار الأرقم بن أبي الأرقم في مكة ، و كان
لعبيدة قدر و منزلة كبيرة عند رسول الله عليه السلام ، و كان عمره حين قتل ثلاثاً
و ستين سنة ، قتله شيبة بن ربيعة .

ففي الإرشاد: روى علي بن هاشم عن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع ، عن أبيه
عن جده أبي رافع مولى رسول الله عليه السلام قال :

لما أصبح الناس يوم بدر اصطفيت قريش أمامها عتبة بن ربيعة و أخوه شيبة
و ابنه الوليد ، فنادى عتبة رسول الله عليه السلام فقال: يا محمد اخرج إلينا أكفاءنا من
قريش ، فبدر إليهم ثلاثة من شبان الأنصار ، فقال لهم عتبة: من أنتم ؟ فانتسبوا له
فقال لهم : لاحاجة بنا إلى مبارزتكم إنما طلبنا بني عمنا .

فقال رسول الله عليه السلام للأنصار: ارجعوا إلى مواضعكم ثم قال: قم يا علي
قم يا حمزة قم يا عبيدة، قاتلوا على حقكم الذي بعث الله به نبيكم إذ جاؤا بباطلهم
ليطفؤا نور الله .

فقاموا فصفوا للقوم و كان عليهم البيض فلم يعرفوا فقال لهم عتبة : تكلموا
فان كنتم أكفاءنا قاتلناكم ، فقال حمزة : أنا حمزة بن عبد المطلب أسد الله و أسد رسوله
عليه السلام ، فقال عتبة : كفو كريم . و قال أمير المؤمنين عليه السلام : أنا علي بن أبي طالب
ابن عبد المطلب ، و قال عبيدة : أنا عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب .

فقال عتبة لابنه الوليد : قم يا وليد فبرز إليه أمير المؤمنين عليه السلام و كان إذ
ذاك أصغري الجماعة سنناً فاختلفا ضربتين أخطأت ضربة الوليد أمير المؤمنين عليه السلام

و اتقى بيده اليسرى ضربة أمير المؤمنين عليه السلام فأبانتها - فروي أنه عليه السلام يذكر بدرًا و قتله الوليد فقال في حديثه : كأنني أنظر إلى و ميض خاتمه في شماله ثم ضربته ضربة أخرى فصرعته و سلبته فرأيت به ردعا من خلوق فعلمت أنه قريب عهد بعرس .

ثم باززعبتة حمزة رضي الله عنه فقتله حمزة، و مشى عبيدة و كان أسن القوم إلى شيبة فاختلفا ضربتين فأصاب ذباب سيف شيبة عضلة ساق عبيدة فقطعها، واستنقذه أمير المؤمنين و حمزة ، و قتلا شيبة، و حمل عبيدة من مكانه فمات بالصفراء . و في اسد الغابة: قيل : إن عبيدة كان أسن المسلمين يوم بدر فقطعت رجله فوضع رسول الله صلى الله عليه و آله رأسه على ركبته فقال : يا رسول الله لورآني أبو طالب لعلم أني أحق بقوله منه حيث يقول :

و نسلمه حتى نصرع حوله و نذهل عن أبنائنا و الحلائل

و عاد مع رسول الله صلى الله عليه و آله من بدر فتوفي بالصفراء ..

بيان : البيض جمع بيضة يقال بالفارسية: كلاه خود. أصغري كلمة جمع اسقط نونه بالإضافة . ردعا من خلوق أي أثر منه و الخلق ضرب من الطيب . و الصفراء اسم موضع قريب من بدر .

قوله عليه السلام : « و حمزة يوم أحد » أي قتل حمزة في غزوة أحد و أحد اسم جبل في قرب المدينة .

و كان يوم أحد يوم بلاء و مصيبة و تمحيص اختبر الله المؤمنين و محن به المنافقين ممن كان يظهر الايمان بلسانه و هو مستخف بالكفر في قلبه ، و يوماً أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته حتى خلص العدو إلى رسول الله صلى الله عليه و آله فذث بالحجارة حتى وقع لشقه فأصيبت رباعيته، و كلمت شفته و شج في وجهه ، فجعل الدم يسيل على وجهه، و جعل يمسح الدم و هو يقول : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم و هو يدعوهم إلى ربهم ، فأنزل الله عز و جل في ذلك « ليس لك من الأمر شيء » الآية (آل عمران - ١٢٣) كما نقله ابن هشام في السيرة

عن ابن اسحاق و قتل في ذلك اليوم من المسلمين أحد و ثمانين رجلاً ، و من المشركين ثمانية وعشرون.

و في السيرة لابن هشام أن حمزة بن عبدالمطلب قاتل يوم أحد حتى قتل أرطاة بن عبد شربيل و كان أحد النفر الذين يحملون اللواء ، ثم مرّ به سباع بن عبد العزّي فقال له حمزة: هلمّ إليّ يا ابن مقطعة البظور.

قال ابن هشام : قال وحشي: كنت غلاماً لجببير بن مطعم و كان عمّه طعيمة ابن عديّ قد اصيب يوم بدر ، فلما سارت قريش إلى أحد قال لي جببير: إن قتلت حمزة عمّ محمّد بعدّي فأنت عتيق.

قال : وحشي : فخرجت مع الناس و كنت رجلاً حشياً أقذف بالحربة قذف الحبشة فلما أخطىء بها شيئاً ، فلما التقى الناس خرجت أنظر حمزة و أتبصره حتى رأيته في عرض الناس مثل الجمل الأورق يهدّ الناس بسيفه هدّاً ، ما يقوم له شيء فوالله إني لأتهيأ له أريده و أستتر منه بشجرة أو حجر ليدنو منّي إذ تقدّمني إليه سباع بن عبد العزّي ، فلما رآه حمزة قال له : هلمّ إليّ يا ابن مقطعة البظور قال : فضربه ضربة كأنّ ما أخطأ رأسه.

قال : و هزرت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه ف وقعت في ثنته حتى خرجت من بين رجله ، و ذهب لينوء نحوي فغلب و تركته و إياها حتى مات ثمّ أتيت فأخذت حربتي ثمّ رجعت إلى العسكر فقعدت فيه ولم يكن لي بغيره حاجة و إنّما قتلته لأعتق. فلما قدمت مكّة أعتقت.

ثمّ أقمت حتى إذا افتتح رسول الله صلى الله عليه وآله مكّة هربت إلى الطائف ، فمكثت بها ، فلما خرج وفد الطائف إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ليسلموا تعيبت عليّ المذاهب ، فقلت : ألحق بالشام ، أو اليمن ، أو ببعض البلاد.

فوالله إنّي لفي ذلك من همّي إذ قال لي رجل: و يحك إنّه والله ما يقتل أحداً من الناس دخل في دينه و تشهد شهادته ، فلما قال لي ذلك خرجت حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة ، فلم يرّعه إلاّ بي قائماً على رأسه أتشهد بشهادة الحقّ

فلما رأني قال: أو حشي؟ قلت: نعم يا رسول الله. قال: اقعد فحدّثني كيف قتلت حمزة، فحدّثته فلما فرغت من حديثي قال: ويحك غيب وجهك فلا أرينك قال: فكنت أتكتب رسول الله ﷺ حيث كان لئلا يراني حتى قبضه الله ﷻ.

«هند وتمثيلها بحمزة»

قال ابن اسحاق: و وقعت هند بنت عتبة كما حدّثني صالح بن كيسان و النسوة اللاتي معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ يجدن عن الأذان والآنف حتى اتخذت هند من آذان الرجال و آنفهم خدماً و قلائد، و أعطت خدمها و قلائدها و قرطها وحشياً غلام جبير بن مطعم، و بقرت عن كبد حمزة فلا كتبها فلم تستطع أن تسيغها، فلفظتها ثم علّت على صخرة مشرفة فصرخت بأعلى صوتها فقالت:

نحن جزيناكم بيوم بدر	و الحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان عن عتبة لي من صبر	ولا أخي و عمته وبكري
شفيت نفسي وقضيت نذري	شفيت وحشي غليل صدري
فشكر وحشي علي عمري	حتى ترم أعظمي في قبري

فأجابتها هند بنت أناة بن عبد بن المطلب فقالت:

خزيت في بدر و بعد بدر	يا بنت وقاع عظيم الكفر
صبحك الله غداة الفجر	ملها شمين الطوال الزهر
بكل قطاع حسام يفري	حمزة ليثي و علي صقري
إذ رام شيب و أبوك غدري	فخصباً منه ضواحي النحر

ونذرك السوء فشر نذر

و قال محمد بن إسحاق كما في السيرة لابن هشام: ومن الشعر الذي ارتجزت به هند بنت عتبة أيضاً يوم أحد:

شفيت من حمزة نفسي بأحد	حتى بقرت بطنه عن الكبد
أذهب عني ذلك ما كنت أجد	من لذعة الحزن الشديد المعتمد

والحرب تعلقوكم بشؤبوب برد
تقدم إقداماً عليكم كالأسد
بيان : قولها : ملهاشميين ، مخفف من الهاشميين و حذف من لكثرة
استعمالها ولا يجوز ذلك إلا فيها وحدها.

« حزن الرسول (ص) على حمزة وتوعده بالمشر كين بالمثلة »

قال ابن إسحاق- كما في السيرة لابن هشام-: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله فيما بلغني
يلتمس حمزة بن عبدالمطلب فوجده ببطن الوادي قد بقر بطنه عن كبده ومثله به
فجدع أنفه وأذناه .

قال: فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير: أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال حين رأى ما
رأى: لولا أن تحزن صفيّة و يكون سنة من بعدي لتر كتمه حتى يكون في بطون
السباع و حواصل الطير، و لئن أظهرني الله على قریش في موطن من المواطن
لا مثلنّ بثلاثين رجلاً منهم. فلما رأى المسلمون حزن رسول الله صلى الله عليه وآله و غيظه على
من فعل بعمه ما فعل قالوا: والله لئن أظفرنا الله بهم يوماً من الدهر لنمثلنّ بهم مثله لم
يمثلها أحد من العرب.

قال ابن هشام: ولما وقف رسول الله صلى الله عليه وآله على حمزة قال: لن اصاب بمثلك أبداً،
ما وقفت موقفاً قط أغيظ إليّ من هذا، ثم قال صلى الله عليه وآله: جاءني جبريل فأخبرني أن حمزة
ابن عبدالمطلب مكتوب في أهل السماوات السبع حمزة بن عبدالمطلب أسد الله وأسدرسوله.

« ما نزل في النهي عن المثلة و البحث عنها و رد بعض »

« الروايات المختلفة المنتسبة إليه (ص) »

قال ابن إسحاق- على ما في السيرة لابن هشام-: و حدثني بريدة بن سفيان
ابن فروة الأسلمي عن محمد بن كعب القرظي، و حدثني من لأئمتهم عن ابن عباس
أن الله عزّ وجلّ أنزل في ذلك من قول رسول الله صلى الله عليه وآله و قول أصحابه: «وإن عاقبتهم
فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به و لئن صبرتم لهو خير للصابرين و اصبروا ما صبرك إلا
بالله و لاتحزن عليهم و لاتك في ضيق مما يمكرون» (النحل الآية ١٢٨) فمفارق رسول
الله صلى الله عليه وآله و صبر و نهى عن المثلة.

قال ابن إسحاق: و حدثني حميد الطويل عن الحسن عن سمرة بن جندب قال:

ما قام رسول الله ﷺ في مقام قطّ ففارقه حتى يأمرنا بالصدقة وينهانا عن المثلة أقول: كل ما نقلنا عن محمد بن اسحاق منقول عن الواقدي وغيره أيضاً وقد ذكرنا في ذلك بعض الأقوال في شرح المختار ٢٣٦ من الخطب (ص ٢٤٦ ج ١٥).

و سيأتي في وصيته عليه السلام للحسن والحسين عليهما السلام لما ضربه ابن ملجم، قوله عليه السلام: ولا يمثل بالرجل فأنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إياكم و المثلة ولو بالكلب العقور.

و قال الشارح المعتزلي في شرحه: فأما المثلة فمنهي عنها أمر رسول الله ﷺ أن يمثل بهيار بن الأسود لأنه روع زينب حتى اجهضت، ثم نهى عن ذلك وقال: لامثلة المثلة حرام.

و اعلم أن القول المروي بأن رسول الله ﷺ قال: لئن أظهرني على قریش في موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم كما في السيرة، أو أمثلن سبعين رجلاً كما في تفسير الصافي للفيض - ره - ينافي مقام النبوة و عصمة النبي ﷺ.

و الصواب أن ذلك القول كان من المسلمين دون النبي ﷺ كما في كتاب مجمع البيان لأمين الاسلام الطبرسي - ره - حيث قال: قال المسلمون: لئن أمكننا الله منهم لنمثلن بالأحياء فضلاً عن الأموات، فنزلت « وإن عاقبتم فعاقبوا » الآية.

و ظاهر الآية حيث خاطب بلفظ الجمع دون المفرد يؤيده بل يدل عليه و أمّا قول ابن اسحاق المذكور آنفاً: و حدثني من لأتتهم عن ابن عباس: إن الله عز وجل أنزل في ذلك من قول رسول الله ﷺ و قول أصحابه: «وان عاقبتم» الآية، ففيه ما دريت من أن النبي ﷺ أجل و أعلا من أن يختار مالم يكن مأذوناً فيه ولم ينزل فيه حكم سماوي بعد .

قال ابن الأثير في النهاية: فيه - يعني في الحديث - أنه نهى عن المثلة يقال: مثلت بالحيوان أمثل به مثلاً إذا قطعت أطرافه وشوّهت به، ومثلت بالقتيل

إذا جذعت أنفه و أذنه أو مذا كيره أو شيئاً من أطرافه ، والاسم المثلثة فأما مثل بالتشديد فهو للمبالغة ومنه الحديث نهى أن يمثل بالدواب أي تنصب فترمي أو تقطع أطرافه وهي حيّة، زاد في رواية: و أن يؤكل الممثل بها.

و قيل : جعل بعض الأعضاء تمثيلاً باعتبار كونه مشتقاً من المثل فان الممثل يصير بسبب ما فعل الجاني به من الأمر الفظيع مشهوراً كالمثل.

ثم إن النهي عن المثلثة إنما يصح فيما لم يكن عن قصاص، و أما المثلثة قصاصاً فلا بأس فقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله مثل بالعرنيين فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم لأنهم قطعوا أيدي الرعاء و أرجلهم و سملوا أعينهم؛ و إن قيل إن ذلك كان قبل تحريم المثلثة.

و قد قال الله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأثني بالأثني - الى قوله تعالى : ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب» (البقرة ١٧٧).

و قوله تعالى : «الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم و اتقوا الله و اعلموا أن الله مع المتقين» (البقرة ١٩٢)

و قوله تعالى : « و كتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص» الآية (المائدة ٥٠) وقد أفتى الفقهاء في قصاص الطرف بذلك و فرّغوا عليه أن الأذن الصحيحة تقطع بالصماء، والأنف الشام بالأخشم، و ذكر الشاب بذكر الشيخ ، و ذكر المختون بالأغلف، والفحل بمسلول الخصيتين و كذا يقلع عين الأور بعين ذي العينين المماثلة لها، وإن عمى بذلك الأور، والأور هو ذوالعين الواحدة خلقة، أو بأفة أو قصاص أوجناية، أي لو كان الجاني بعين واحدة والمجني عليه باثنتين قلعت عين الجاني وإن استلزم عماء، فإن الحق أعماه .

كما نطق بذلك خبر عن أبان سأل عليه السلام عن أعر فقاً عين صحيح فقال عليه السلام:

تفقاً عينه ، قال : قلت : يبقى أعمى فقال : الحق أعماه . و غيرها مما حرر في كتاب القصاص :

وذهب غير واحد منهم إلى أن الجاني إذا جمع بين التمثيل والقتل بضربات يقتصُّ الوليُّ منه في الطرف ثم يقتصُّ في النفس .

ففي الكافي والتهذيب والفتاوى عن محمد بن قيس عن أحدهما عليهما السلام في رجل فُتق عيني رجل وقطع أنفه وأذنيه ثم قتلته ، فقال عليه السلام : إن كان فرَّق بين ذلك اقتصَّ منه ثم يقتل ، وإن كان ضربه واحدة ضربت عنقه ولم يقتصَّ منه .

وفي التهذيب عن حفص بن البختري قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل ضرب على رأسه فذهب سمعه وبصره واعتقل لسانه ثم مات فقال عليه السلام : إن كان ضربه ضربة بعد ضربة اقتصَّ منه ثم قتل ، وإن كان أصابه هذا من ضربة واحدة قتل ولم يقتصَّ منه .

و المراد بالطرف في القصاص مادون النفس وإن لم يتعلّق بالأطراف المشهورة من اليد والرجل والأذن والأنف وغيرها كالجرح على البطن والظهر وغيرهما .

وكما أن النهي عن المثلة لايشمل المثلة قصاصاً ، كذلك لايشملها إذا كانت عن حدٍّ مثل قطع الأصابع الأربع ما عدا الإبهام من اليد اليمنى للسارق إذا كانت سرقته أوّل مرة و قطع رجله اليسرى من مفصل القدم وترك العقب يعتمد عليه حالة المشي والصلاة لو سرق ثانياً ، قال عزّ من قائل : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله » (المائدة ٤٣) .

و نظير ما قلنا أيضاً ماورد من النهي عن تعذيب البهائم وقتلها عبثاً ومع ذلك إن جعفر بن أبي طالب في غزوة موتة إذا الحمه القتال اقتحم عن فرس له شقراء فمقرها ، فكان جعفر أوّل زجل من المسلمين عقر في الإسلام ولم يعب ذلك عليه أحد لأنّه خاف أن يأخذها العدو فيقاتل عليها المسلمين .

« صلاة الرسول (ص) على حمزة رضوان الله عليه »

في الكافي والفقيه كما في الوافي (ص ٥٢ ج ١٣) باسناد عن أبان بن تغلب قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الذي يقتل في سبيل الله أيغسل ويكفن ويحنط؟ قال: يدفن كما هو في ثيابه بدمه إلا أن يكون به رمق ثم مات فإنه يغسل ويكفن ويحنط ويصلى عليه، إن رسول الله صلى الله عليه وآله صلى على حمزة و كفته و حنطه لأنه كان جرّداً .

و في الكافي باسناده عن ابن سنان عن أبان بن تغلب قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : الذي يقتل في سبيل الله يدفن في ثيابه ولا يغسل إلا أن يسدره المسلمون و به رمق ثم يموت بعد ، فإنه يغسل ويكفن ويحنط ، إن رسول الله صلى الله عليه وآله كفن حمزة في ثيابه ولم يغسله و لكنّه صلى عليه .

و في الكافي باسناده عن إسماعيل بن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قلت له: كيف رأيت الشهيد يدفن بدمائه؟ قال . نعم في ثيابه بدمائه ولا يحنط ولا يغسل و يدفن كما هو ، ثم قال: دفن رسول الله صلى الله عليه وآله حمزة في ثيابه بدمائه التي أصيب فيها ، و رداء النبي برداء فقصر عن رجله فدعاه بأذخر فطرحه عليه وصلى عليه سبعين صلاة ، و كبر عليه سبعين تكبيرة .

و في الكافي باسناده عن مثنى بن الوليد ، عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وآله على حمزة سبعين صلاة .

و فيه باسناده عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال : كبر رسول الله صلى الله عليه وآله على حمزة سبعين تكبيرة .

و في السيرة النبوية لابن هشام قال: قال ابن إسحاق : و حدثني من آتتهم عن مقسم مولى عبد الله بن الحارث عن ابن عباس قال: أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بحمزة فسجتي بمرده ثم صلى عليه فكبر سبع تكبيرات ثم أتيت بالقتلى ، فيوضعون إلى حمزة فصلى عليهم وعليه معهم حتى صلى عليه ثنتين و سبعين صلاة .

أقول: الرواية الأولى ناطقة بأن حمزة كان جرّداً و كفته رسول الله صلى الله عليه وآله

والثالثة ناطقة بأنه ﷺ دفنه في ثيابه بدمائه التي أصيب فيها و ظاهرها أن كفته كان ثيابه والثانية تؤمي إلى أن رسول الله ﷺ كفته بثوب آخر حالكونه في ثيابه التي أصيب فيها فينا في بعضها بعضاً والتوفيق بينها أن حمزة رضوان الله عليه جرد عن بعض ثيابه أي جردده المشر كون عنه بعد قتله عن بعضها لاعتن كلفها حتى ترك عرياناً، و ما بقي عليه من الثياب لم يكن كافياً لكفته، فكفته رسول الله ﷺ بثوب آخر ولم يجردده عن ما بقي عليه من الثياب كما تؤمي إليه الثانية فصح أن رسول الله ﷺ كفته بثوب آخر كما صح أن حمزة دفن في ثيابه التي أصيب فيها أي دفن في بعض ثيابه و جرد عن بعضها.

ثم إن بين روايات الكافي الناطقة بأن رسول الله ﷺ صلى عليه سبعين صلاة و كبر عليه سبعين تكبيرة و بين ما في السيرة من أن رسول الله ﷺ صلى عليه تسعين و سبعين صلاة تنافياً ظاهرأ.

فقول: إن روايات الكافي موافقة لما بلغنا من أئمتنا عليهم السلام من أن التكبير على الميتم المؤمنين خمس تكبيرات و إنما انتهى عددها إلى سبعين تكبيرة لأن رسول الله ﷺ كبر عليه خمس تكبيرات ثم كلما صلى لسائر القتلى أشرك حمزة في صلاتهم كما في صحيفة الرضا عليه السلام على ما نقله الفيض في الوافي (ص ٦٧ ج ١٣) باسناده إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال: رأيت النبي ﷺ كبر على عمه حمزة خمس تكبيرات و كبر على الشهداء بعده خمس تكبيرات فلحق حمزة بسبعين تكبيرة و وضع يده اليمنى على اليسرى، انتهى.

فصلى رسول الله ﷺ على حمزة أربع عشرة مرة لأنه يحصل من ضرب خمسة في أربعة عشر سبعون.

نظير ذلك صلاة أمير المؤمنين عليه السلام على سهل بن حنيف فإنه عليه السلام كبر عليه خمساً و عشرين تكبيرة، ففي التهذيب باسناده إلى عمرو بن شمر قال: قلت لجعفر ابن محمد عليه السلام: جعلت فداك إنما تتحدث بالعراق أن علياً عليه السلام صلى على سهل بن حنيف، فكبر عليه ستاً ثم التفت إلى من كان خلفه فقال: إنه كان بدرياً قال:

فقال جعفر عليه السلام: إنه لم يكن كذا و لكنه صلى عليه خمسا ثم رفعه و مشى به ساعة ثم وضعه فكبر عليه خمسا ، ففعل ذلك خمس مرات حتى كبر عليه خمسا و عشرين تكبيرة.

و في الفقيه قال أبو جعفر عليه السلام: كبر خمسا خمسا كلما أدركه الناس قالوا : يا أمير المؤمنين لم ندرك الصلاة على سهل فيضعه فيكبر عليه خمسا حتى انتهى إلى قبره خمس مرات.

وأما قول ابن إسحاق من أنه صلى الله عليه وآله صلى عليه ثنتين و سبعين صلاة فلا يوافق المذهب الحق لأنه يلزم أن يكبر عليه رسول الله صلى الله عليه وآله أربع تكبيرات و كذا كبر على الشهداء بعده أربع تكبيرات فلحق حمزة بثنتين و سبعين تكبيرة أي صلى عليه ثمانين مرة و هو كما ترى مخالف لاجماعنا و الصحاح المستفيضة وغيرها المتواترة ولو معنى من أئمتنا عليهم السلام ، على أن صلاة جنازة المؤمن خمس تكبيرات فما وردت بالأربع إما متاولة بالحمل على الصلاة على المنافقين ففي الكافي و التهذيب باسنادهما عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله يكبر على قوم خمسا و على قوم آخرين أربعاً فإذا كبر على رجل أربعاً اتهم بالنفاق.

و في الكافي باسناده عن محمد بن مهاجر عن أمه أم سلمة قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا صلى على ميت كبر فتشهد ، ثم كبر فصلى على الأنبياء ودعا ، ثم كبر ودعا للمؤمنين ، ثم كبر و انصرف ، فلما نهاه الله عز وجل عن الصلاة على المنافقين كبر فتشهد ، ثم كبر فصلى على النبيين صلى الله عليهم . ثم كبر و دعا للمؤمنين ، ثم كبر الرابعة و انصرف و لم يدع للميت.

و في التهذيب عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : سألته عن الصلاة على الميت فقال : أما المؤمن فخمس تكبيرات ، و أما المنافق فأربع و لا سلام فيها ، انتهى . و لا يخفى عليك أن أهل البيت أدري بما فيه.

و إنما محمولة على التقية لأنها مذهب جميع العامة كما صرح به شيخ الطائفة قدس سره .

على أن صدر قول ابن إسحاق لا يوافق ذيله لأنه قال أو لا إنه ﷺ صلى عليه فكبر سبع تكبيرات ولا ينتهي تكرار السبع مرة بعد أخرى إلى ثنتين وسبعين . اللهم إلا أن يقال إنه صلى عليه في الدفعة الأولى سبع تكبيرات و صلى ثلاث عشرة صلاة أخرى خمس تكبيرات ، فالحق حمزة بثمانين وسبعين تكبيرة . نحو ما روى الكشي باسناده عن الحسن بن زيد أنه قال : كبر علي بن أبي طالب ﷺ على سهل بن حنيف سبع تكبيرات و كان بدرياً ، و قال : لو كبرت عليه سبعين لكان أهلاً .

و إنما كبراً عليهما سبعاً تشريفاً لهما و إنما وقع في واقعة خاصة لا يجوز التجاوز عنها فتأمل جيداً .

فان قلت: قد جاءت روايات على عدم جواز الصلاة على الميت مرتين فصاعداً ففي التهذيب باسناده عن محمد بن أحمد ، عن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن وهب بن وهب ، عن جعفر ، عن أبيه ﷺ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على جنازة فلما فرغ جاءه ناس فقالوا : يا رسول الله لم ندرك الصلاة عليها فقال : لا يصلى على جنازة مرتين ولكن ادعوا لها .

و فيه باسناده عن ابن كلوب ، عن إسحاق بن عمار ، عن أبي عبد الله ﷺ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على جنازة فلما فرغ جاء قوم فقالوا فاتتنا الصلاة عليها فقال : إن الجنازة لا يصلى عليه مرتين ادعوا له وقولوا له خيراً .

ثم إن إطلاق الخبرين أو عمومهما يقتضي عدم الفرق في المنع بين ما وصلت ثانياً جماعة أو فرادى فكيف التوفيق بين تلك الأخبار ؟

قلت : يمكن أن يقال : التعدد يختص بمن له مزيد كرامة ، أو يقال إن صلاة رسول الله ﷺ على حمزة وعلي ﷺ على سهل إنما كانت مختصة بهما فلا احتياط أن يترك التعدد في الصلاة على الجنازة .

ولم يذهب أحد منا إلى القول بحرمة الصلاة على الجنازة الواحدة مرتين فصاعداً، بل ذهب بعضهم إلى القول باستحباب التكرار على الإطلاق لها، وأفنى غير واحد بالجواز لمن لم يدرك الصلاة عليها، ولكن المشهور على كراهة الصلاة عليها مرتين فصاعداً، بل من محكي الغنية الاجماع عليها، للخبرين المنقولين في التهذيب، و لضعف سندهما حملاً على الكراهة.

وفي التهذيب باسناده عن الفطحية عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الميِّت يصلِّي عليه ما لم يوار بالتراب وإن كان قد صلِّي عليه.

وفيه عن يونس بن يعقوب عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن الجنازة لم أدركها حتى بلغت القبراً صلِّي عليها؟ قال: إن أدركتها قبل أن يدفن فإن شئت فصلِّ عليها.

وفيه عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام - في رواية - إن رسول الله صلى الله عليه وآله خرج إلى جنازة امرأة من بني النجار فصلِّي عليها فوجد الحفرة لم يمكنوا فوضعوا الجنازة فلم يجيء قوم إلا قال لهم: صلُّوا عليها. فتأمل جيداً.

وإن قلت: فما معنى الصلاة في قول أبي جعفر المروي أنفاً من الكافي عن زرارَةَ أن رسول الله صلى الله عليه وآله صلِّي على حمزة سبعين صلاة ومثله ما في السيرة حتى صلِّي عليه ثنتين وسبعين صلاة؟

قلت: الصلاة هذه بمعنى الدعاء أي دعاه سبعين مرّة بعد كل تكبيرة، ويبيِّنُه قوله الآخر المروي أنفاً أيضاً من الكافي عن إسماعيل بن جابر أنه صلى الله عليه وآله صلِّي عليه سبعين صلاة وكبّر عليه سبعين تكبيرة.

ويعبر عن الدعاء للميِّت فيما بين التكبيرات بالصلاة ففي التهذيب باسناده عن محمد بن يزيد، عن أبي بصير قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام جالساً فدخل رجل فسأله عن التكبير على الجنائز فقال له: خمس تكبيرات، ثم دخل آخر فسأله عن الصلاة على الجنائز فقال له: أربع صلوات، فقال الأقرع: جعلت فداك سألتك فقلت خمساً وسألك هذا فقلت أربعاً؟ فقال: إنك سألتني عن التكبير وسألني هذا عن الصلاة

ثم قال: إنها خمس تكبيرات بينهنّ أربع صلوات، ثمّ بسط كفه فقال: إنهنّ خمس تكبيرات بينهنّ أربع صلوات.

« حث الرسول (ص) على طلب العلم حتى في دفن القتلى »

قال ابن هشام في السيرة (ص ٨٩ ج ٢) قال ابن اسحاق: حدّثني محمد بن مسلم الزهري، عن عبدالله بن ثعلبة بن صعير العُدري حليف بني زهرة أن رسول الله ﷺ لما أشرف على القتلى يوم أحد قال: أنا شهيد على هؤلاء أنتم ما من جريح يجرح في الله إلا والله يبعثه يوم القيامة يدمي جرحه اللون لون دم والريح ريح مسك انظروا أكثر هؤلاء جمعاً للقرآن فاجعلوه أمام أصحابه في القبر، و كانوا يدفنون الاثنين والثلاثة في القبر الواحد.

قوله ﷺ: « وجعفر وزيد يوم مودة» أي قتلا في غزوة مودة وجعفر هو ابن أبي طالب بن عبدالمطلب وكان ثالث الإخوة من ولد أبي طالب أكبرهم طالب، وبعده عقيل، وبعده جعفر، وبعده عليّ أمير المؤمنين ﷺ و كل واحد منهم أكبر من الآخر بعشر سنين وأُمهم جميعاً فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف .
و كان لجعفر رضوان الله عليه فضل كثير، فقال ابن هشام في السيرة النبوية (ص ٣٥٩ ج ٢): و ذكر سفيان بن عيينة عن الأجلح، عن الشعبي: أن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه قدم على رسول الله ﷺ يوم فتح خيبر فقبل رسول الله بين عينيه والتزمه وقال: ما أدري بأيهما أنا أسرُّ: بفتح خيبر، أم بقدم جعفر .

و كفى في فضله ما قاله أمير المؤمنين ﷺ في حقه في زمرة من مدحهم في هذا الكتاب الذي نقلناه عن نصر من أن الله وليّ الاحسان إليهم والمنان عليهم بما قد أسلفوا من الصالحات، فما سمعت بأحد ولا رأيت فيهم من هو أنصح لله في طاعة رسوله ولأطوع لرسوله في طاعة ربه ولا أصبر على الأواء والضراء وحين البأس و مواطن المكروه مع النبي ﷺ من هؤلاء النفر - الخ.

و قال اليعقوبي في التاريخ (ص ٩٧ ج ٢ طبع النجف): كان المشبهون

برسول الله ﷺ جعفر بن أبي طالب ، قال رسول الله ﷺ : أشبهت خلقي

وخلقي . الخ .

وقال ابن عبدالبرقي كتاب الاستيعاب : كان سن جعفر يوم قتل إحدى وأربعين سنة وقال ابن هشام في السيرة (ص ٣٧٨ ج ٢) : وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة .

ومؤتة بالهمز وحكي أيضاً غير الهمز قرية من أرض البلقاء من الشام ، وقيل : غزوة مؤتة تسمى أيضاً غزوة جيش الأمراء لكثرة جيش المسلمين فيها وما لاقوه من الحرب الشديد مع الكفار .

وزيد هذا هو زيد بن حارثة وكان جعفر وزيد وعبدالله بن رواحة أمراء الجيش لرسول الله صلى الله عليه وآله وكان لعبدالله قصائد وأراجيز في غزوة مؤتة وتشجيع الناس على قتال الخصم وستلوا بعضها عليك .

قال ابن واضح الأخباري في كتابه المعروف بتاريخ اليعقوبي (ص ٤٩ ج ٢) : ووجه - يعني رسول الله صلى الله عليه وآله - جعفر بن أبي طالب ، وزيد بن حارثة ، وعبدالله بن رواحة في جيش إلى الشام لقتال الروم سنة ثمان وروى بعضهم أنه صلى الله عليه وآله قال : أمير الجيش زيد بن حارثة ، فان قتل زيد بن حارثة فجعفر بن أبي طالب ، فان قتل جعفر بن أبي طالب فعبدالله بن رواحة ، فان قتل عبدالله بن رواحة فليترض (١) المسلمون من أحبوا ، وقيل : بل كان جعفر المقدم . ثم زيد بن حارثة ، ثم عبدالله بن رواحة .

و صار إلى موضع يقال له مؤتة من الشام من البلقاء من أرض دمشق فأخذ زيد الراية فقاتل حتى قتل . ثم أخذها جعفر فقطعت يده اليمنى فقاتل باليسرى فقطعت يده اليسرى ثم ضرب وسطه . ثم أخذها عبدالله بن رواحة فقتل .

فرفع لرسول الله صلى الله عليه وآله كل خفض ، وخفض له كل رفع حتى رأى مصارعهم وقال : رأيت سرير جعفر المقدم فقلت يا جبريل إني كنت قد مت زيدا فقال : إن الله قدّم جعفراً لقرابتك ، و نعاها رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : أنبت الله لجعفر جناحين من

(١) و في بعض الكتب : فان قتل فليتربص المسلمون برجل من بينهم يجعلونه عليهم .

زبرجد يطير بهما في الجنة حيث يشاء، واشتدّ جزعه، وقال : على جعفر فلتبك البواكي. و تأمر خالد بن الوليد على الجيش .

قالت أسماء بنت عميس الخثعمية وكانت امرأة جعفر و أمّ ولده جميعاً: دخل عليّ رسول الله و يدي في عجين فقال: يا أسماء أين ولدك ؟ فأتيته بعبدالله و محمّد و عون فأجلسهم جميعاً في حجره و ضمّهم إليه و مسح على رؤوسهم و دعت عيناه ، فقلت: بأبي و أمّي أنت يا رسول الله لم تفعل بولدي كما تفعل بالأيتام لعلّه بلغك عن جعفر شيء ؟ فغلبته العبرة و قال: رحم الله جعفرأ ، فصحت و اويلاه و اسيداه ، فقال: لا تدعي بويل و لاحرب و كلّ ما قلت فأنت صادقة ، فصحت و اجعفرأ و سمعت صوتي فاطمة بنت رسول الله ﷺ فجاءت وهي تصيح و ابن عمّاه ، فخرج رسول الله ﷺ يجرّ رداءه ما يملك عبرته و هو يقول: على جعفر فلتبك البواكي ، ثم قال يا فاطمة اصنعي لعيال جعفر طعاماً فانّهم في شغل فصنعت لهم طعاماً ثلاثة أيّام فصارت سنة في بني هاشم .

قال ابن اسحاق كما في السيرة لابن هشام : بعث رسول الله ﷺ بعثة إلى مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمان- إلى أن قال: فتجهّز الناس ثمّ تهبّوا للخروج و هم ثلاثة آلاف، فلما حضر خروجهم ودّع الناس أمراء رسول الله ﷺ و سلّموا عليهم- يعنى بالأمرأ جعفرأ و زيدأ و عبدالله-.

فلما ودّع عبدالله بن رواحة من ودّع من أمراء رسول الله ﷺ بكى، فقالوا: ما يبكيك يا ابن رواحة ؟

فقال: أما والله ما بي حبّ الدنيا و لاصابة بكم، و لكنني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله عزّ وجلّ يذكر فيها النار و إن منكم إلاّ و اردّها كان على ربك حتماً مقضياً» (مريم - آية ٧٤) فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود .

فقال المسلمون: صحبكم الله و دفع عنكم و ردّكم إلينا صالحين فقال: عبدالله

ابن رواحة:

لكنني أسأل الرحمن مغفرةً
أو طعنة بيدي حرّان مجهزةً
حتى يقال إذا مرُّوا على جدثي
قال ابن اسحاق: ثمَّ إنَّ القوم تهيَّؤوا للخروج فأتى عبد الله بن رواحة رسول
الله صلى الله عليه وآله فودَّعه ثمَّ قال:

فنبئت الله ما آتاك من حسنٍ
إنني تفرّست فيك الخير نافلةً
أنت الرسول فمن يحرم نوافله
وهذه الأبيات في قصيدة له ثمَّ خرج القوم و خرج رسول الله صلى الله عليه وآله حتى إذا
ودَّعهم وانصرف عنهم قال عبد الله بن رواحة :
خلف السلام على امرئٍ ودَّعته
في النخل خير مُشيع وخليل

« تخوف الناس من لقاء هرقل و تشجيع ابن رواحة الناس على القتال »

ثمَّ مضوا حتى نزلوا معان من أرض الشام فبلغ الناس أنَّ هرقل قد نزل
مآب من أرض البلقاء في مائة ألف من الرُّوم و انضمَّ اليهم من لخم و جذام و القين
و بهراء و بلي مائة ألف منهم عليهم رجل من بلي ثمَّ أحد إراشة يقال له مالك بن زافلة
فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين يفكِّرون في أمرهم، و قالوا: نكتب
إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فنخبره بعدد عدوِّنا فأما أن يمدَّنا بالرجال وإمَّا أن يأمرنا
بأمره فنهضي له.

فشجّع الناس عبد الله بن رواحة و قال : يا قوم والله إنَّ التي تكرهون
لتي خرجتم تطلبون الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا قوَّة ولا كثرة ما نقاتلهم إلاَّ
بهذا الدِّين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فانما هي إحدى الحسينين إمَّا ظهور ،
و إمَّا شهادة.

(١) فالمصراع الثاني في رواية : في المرسلين و نصرأ كالذي نصرؤا .

(٢) والمصراع الثاني في رواية : فراسة خالفت فيك الذي نظروا . يعنى المشركين .

فقال الناس : قد والله صدق ابن رواحة ، فمضى الناس حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هـِرقل من الرُّوم و العرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف ثم دنا العدو و انحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مَوْتة ، فالتقى الناس عندها فتعباً لهم المسلمون فجعلوا على ميمنتهم رجلاً من بني عُدرة يقال له قطبة بن قتادة ، و على ميسرتهم رجلاً من الأنصار يقال له عباية (عبادة-خل) بن مالك . ثم التقى الناس و اقتتلوا فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله ﷺ حتى شاط في رماح القوم .

ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى إذا ألحمه القتال اقتحم عن فرس له شقراء فقهرها ، ثم قاتل حتى قتل ، فكان جعفر أوّل رجل من المسلمين عقر في الإسلام . أقول : وقد مضى كلامنا في البحث عن المثلة آنفاً من أن جعفر أرضوان الله عليه لما ذا عقرها .

قال ابن اسحاق : و حدثني يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير ، عن أبيه عباد قال : حدثني أبي الذي أرضعني و كان أحد بني مرّة بن عوف و كان في تلك الغزوة غزوة مَوْتة قال : والله لكانني أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء ثم عقرها ثم قاتل حتى قتل و هو يقول :

ياحبذا الجنة و اقترابها طيبة و بارداً شرابها

والروم روم قد دنى عذابها كافرة بعيدة أنسابها

علي إذ لاقيتها ضرابها

قال ابن هشام : و حدثني من أثق به من أهل العلم : أن جعفر بن أبيطالب أخذ اللّواء بيمينه فقطعت ، فأخذه بشماله فقطعت ، فاحتضنه بعضديه حتى قتل رضي الله عنه و هو ابن ثلاث و ثلاثين سنة ، فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء .

فلما قتل جعفر أخذ عبدالله بن رواحة الراية ثم تقدّم بها و هو على فرسه فجعل يستنزل نفسه و يتردد بعض التردد ثم قال :

أقسمت يا نفس لتنزلني
 إن أجلب الناس وشدوا الرنة
 لتنزلن أو لتكرهه
 مالي أراك تكرهين الجنة
 قد طال ما قد كنت مطمئنة
 هل أنت إلا نطفة في شنة
 و قال أيضاً :

يا نفس إلا تقتلي تموتي
 و ما تمنيت فقد أعطيت
 هذا حمام الموت قد صليت
 إن تفعلي فعلمها هديت
 يريد بقوله فعلمها صاحبيه جعفرأ و زيداً.

ثم نزل فلما نزل أتاه ابن عم له بعرق من لحم فقال: شد بهذا صلبك فانك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت، فأخذه من يده ثم انتهم منه نهسة ثم سمع الحطمة في ناحية الناس فقال: و أنت في الدنيا، ثم ألقاه من يده ثم أخذ سيفه فتقدم فقاتل حتى قتل .

والعرق بالفتح ثم السكون : العظم الذي عليه بعض اللحم .

ثم أخذ الراية ثابت بن أقران أخو بني العجلان فقال : يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم . قالوا : أنت ، قال : ما أنا بفاعل فاصطالح الناس على خالد بن الوليد، فلما أخذ الراية دافع القوم وحاشى بهم ، ثم انحاز وانحيز عنه حتى انصرف بالناس .

« تنبؤ الرسول (ص) بما حدث للمسلمين مع الروم »

قال ابن هشام في السيرة: قال ابن إسحاق : و لما أصيب القوم قال رسول الله صلى الله عليه وآله فيما بلغني: أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قتل شهيداً . ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قتل شهيداً ، قال : ثم صمت رسول الله صلى الله عليه وآله حتى تغيرت وجوه الأنصار وظنوا أنه قد كان في عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون ، ثم قال : ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيداً ، ثم قال : لقد رفعوا إلي في الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب فرأيت في سرير عبد الله بن رواحة أزوراراً عن سريري صاحبيه، فقلت : عم هذا ؟ فقيل لي : مضيا و تردّد عبد الله بعض التردّد

ثم مضى .

ثم نقل ابن إسحاق رواية أسماء بنت عميس التي نقلناها عن تاريخ اليعقوبي والروايتان تختلفان في بعض الألفاظ - إلى أن قال: فقال ﷺ: لا تغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاماً فانهم قد شغلوا بأمر صاحبهم .

ثم نقل رجوع الجيش إلى المدينة وتلقى الرسول لهم و غضب المسلمين عليهم فقال: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير قال: لما دنوا من حول المدينة تلقاهم رسول الله ﷺ والمسلمون ، قال : ولقيهم الصبيان يشتدون و رسول الله ﷺ مقبل مع القوم على دابة ، فقال: خذوا الصبيان فاحملوهم واعطوني ابن جعفر فأتي بعد الله فأخذه فحمله بين يديه قال: و جعل الناس يحشون على الجيش التراب و يقولون يا فرار فررتم في سبيل الله قال : فيقول رسول الله ﷺ ليسوا بالفرار ولكنهم الكفرار إن شاء الله تعالى .

قال ابن إسحاق: و حدثني عبد الله بن أبي بكر عن عامر بن عبد الله بن الزبير ، عن بعض آل الحارث بن هاشم وهم أخواله ، عن أم سلمة زوج النبي ﷺ قال: قالت أم سلمة لامرأة سلمة بن هشام بن العاص بن المغيرة: مالي لأزى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله ﷺ و مع المسلمين؟ قالت: والله ما يستطيع أن يخرج كلما خرج صاح به الناس يا فرار فررتم في سبيل الله حتى قعد في بيته فما يخرج .

و سمى ابن هشام في السيرة من استشهد يوم مؤتة من المسلمين اثني عشر رجلاً منهم جعفر بن أبي طالب ، و زيد بن حارثة من بني هاشم ، و عبد الله بن رواحة ، و عباد بن قيس من الأنصار ، ثم من بني الحارث بن الخزرج .

قوله ﷺ: « و أراد الله من لوشئت ذكرت اسمه مثل الذي أرادوا من الشهادة مع النبي غير مرة ولكن آجالهم عجلت ، و منيته أجلت » أراد ﷺ: بقوله: « من لوشئت ذكرت اسمه » نفسه، و قوله: غير مرة متعلق بقوله أراد، و بين عجلت و أجلت جناس مضارع نحو بيني و بين كنى ليل دامس و طريق طامس .

و المراد أنه ﷺ أخبر عن نفسه بأني أردت لله تعالى الشهادة في سبيله مع

النبي عليه السلام غير مرّة أي في غزوات عديدة مثل هؤلاء النفر الذين رزقوها لكن آجالهم عجلت، أي جاء أجلهم وقضوا نحبهم، ومنيّتي أُجِلت، أي أُخِرت فإنّ الآجال بيد الله تعالى قال عزّ من قائل « ما تسبق من أُمَّة أُجِلها وما يستأخرون » (الحجر- ٧) .

و روى الشيخ الجليل أبو الفتح الكراچكي في كنز الفوائد (ص ١٣٧ طبع ايران ١٣٢٢ هـ) باسناده عن خالد بن يزيد، عن أبي جعفر محمد بن عليّ، عن أبيه، عن الحسين بن عليّ، عن أبيه عليه السلام قال: قال رسول الله عليه السلام يوم الأَحزاب: اللّهم إنّك أخذت منّي عبيدة بن الحارث يوم بدر، و حمزة بن عبدالمطلب يوم أحد وهذا أخي عليّ بن أبيطالب، ربّ لا تذرني فرداً و أنت خير الوارثين .

قوله عليه السلام: « فإعجاباً للدّهْر إذ صرت يقربني بي من لم يسع بقدمي ولم تكن له كسابقتي التي لا يدلي أحد بمثلها » لمّا ذكر طائفة مما يدلّ على سابقته في الإسلام و تقدّمه و أفضليته على من سواه أردفه بالتعجب من الدّهْر حيث أنزله ثمّ أنزله حتّى قرنه بمن لم يكن له سعي في الدفاع عن الدّين، و حماية بيضة الإسلام بقدم مثل قدمه عليه السلام، ولم يكن له سابقة كسابقته التي ليس لأحد أن يتوسّل بمثلها، و يحتجّ به .
وقد قدّمنا في صدر شرح هذا الكتاب أنّ الأشياء التي استحقّ بها أصحاب رسول الله عليه السلام الفضل هي السبق إلى الإيمان، والهجرة، والنصرة لرسول الله عليه السلام والقربى منه، والقناعة، وبذل النفس له، والعلم بالكتاب والتنزيل، و الجهاد في سبيل الله، والورع، والزهد، والقضاء، والحكم، والعفة، والعلم، و كل ذلك كان لعلّي عليه السلام منه النصيب الأوفر، والحظّ الأكبر، فأين لابن آكلة الأكبّاد أن يوازيه ويوازيه ويقرن به؟! .

ثمّ إذا كان له عليه السلام في جميع ما يستحقّ أصحاب رسول الله عليه السلام فضلاً النصيب الأوفر والسبق على من سواه بحيث لا يدلي أحد بمثلها فأنّى لغيره عليه السلام أن يتقدّمه في الخلافة؟ فهل هذا إلا زوراً عن الحق؟! .

فما ذكرنا دريت أنّه عليه السلام أشار بقوله: من لم يسع بقدمي - الخ، إلى معاوية

ظاهراً، وإلى من تقدّم عليه من الخلفاء تلويحاً وقد قال عليه السلام في الشقشقية : فيالله و للشورى متى اعترض الرّيب فيّ مع الأوّل منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر؟

وفي الكافي باسناده عن السّراد عن عبدالله بن سنان قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: ثلاثة هم شرار الخلق ابتلى بهم خيار الخلق: أبو سفيان بن حرب أحدهم قاتل رسول الله صلى الله عليه وآله و عاداه، و معاوية قاتل علياً و عاداه، و يزيد بن معاوية لعنه الله قاتل الحسين بن علي عليه السلام و عاداه حتى قتله . (الوافي ص ٥٨ ج ٢) .

« كلام معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان في جده وأبيه »

و يعجبني أن نذكر في المقام ما وصف معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان في خلافته جدّه و أباه، فانه كان أدري بما فيهما. نقل كلامه اليعقوبي في التاريخ (ص ٢٢٦ ج ٢ طبع النجف) والعلامة الشيخ بهاء الدين العاملي في الكشكول و نحن نقل عن اليعقوبي.

قال : ثمّ ملك معاوية بن يزيد بن معاوية وأمه أمّ هاشم بنت أبي هاشم ابن عتبة بن ربيعة أربعين يوماً و قيل بل أربعة أشهر ، و كان له مذهب جميل فخطب الناس فقال :

أمّا بعد حمد الله والثناء عليه أيّها الناس إنّنا بلينا بكم و بليتم بنا، فما نجعل كراهتكم لنا و طعنكم علينا، ألا و إنّ جدّي معاوية بن أبي سفيان نازع الأمر من كان أولى به منه في القرابة برسول الله صلى الله عليه وآله و أحقّ في الإسلام، سابق المسلمين ، و أوّل المؤمنين ، و ابن عمّ رسول ربّ العالمين ، و أبا بقية خاتم المرسلين ، فركب منكم ما تعلمون ، و ركبتهم منه ما لا تنكرون حتى أتته منيته، و صار رهناً بعمله . ثمّ قلّد أبي و كان غير خليق للخير، فركب هواه ، و استحسّن خطاه ، و عظم رجاؤه فأخلفه الأمل و قصر عنه الأجل، فقلّت منعه ، و انقطعت مدّته ، و صار في حفرته رهناً بذنبه، و أسيراً بجرمه، ثمّ بكى و قال : إنّ أعظم الأمور علينا علمنا بسوء مصرعه ، و قبح منقلبه، و قد قتل عمرة الرسول صلى الله عليه وآله ، و أباح الحرمه ، و حرّق الكعبة

و ما أنا المتقلدُ أموركم، ولا المتحملُ تبعاتكم ، فشأنكم أمركم، فوالله لئن كانت الدنيا مغنماً لقد نلنا منها حظاً. وإن تكن شرّاً فحسب آل سفيان ما أصابوا منها .
قوله عليه السلام: « إلا أن يدّعي مدّع ما لأعرفه ولا أظنّ الله يعرفه » يعني أن من يدّعي خلاف ما ذكرته فهو كاذب مختلق، و دعواه باطلة زاهقة.
ولمّا كان عليه السلام أفضل الصحابة في جميع الصفات الكمالية فما لا يعرفها فهي داخضة ، فأشار بقوله: إلا أن يدّعي مدّع ما لأعرفه، إلى أن ما ادّعاه مما لا يعرفه باطل.

و ضمير يعرفه يرجع إلى ما كضمير أعرفه ، والمراد أن ما ادّعاه مدّع خلاف ما ذكرته غير موجودة و ما ليس بموجود لا تتعلق المعرفة بوجوده والظن بمعنى العلم والغرض العلم بالسلب أي الله يعلم أن ما ادّعاه مدّع مما لا أعرفه ليس بموجود.

قوله عليه السلام: « والحمد لله على كلِّ حال » تأسى عليه السلام في كلامه هذا برسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا القول يؤمّي إلى اغتمامه عليه السلام، وذلك أن ثقة الاسلام الكليني رضوان الله عليه روى في الكافي بإسناده عن محمد، عن ابن عيسى، عن القاسم، عن جدّه، عن مثنى الحنّاط عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا ورد عليه أمر يسره قال : الحمد لله على هذه النعمة ، وإذا ورد عليه أمر يغمّ به قال: الحمد لله على كلِّ حال.
وروى هذه الرواية الفيض قدّس سرّه في باب الشكر من أبواب جنود الايمان من الوافي (ص ٦٨ ج ٣) عن الكافي أيضاً.

قوله عليه السلام: « و ذكرت حسدي الخلفاء وإبطائي عنهم ، و بغيي عليهم، فأما البغي فمعاذ الله أن يكون » كلامه هذا إلى قوله: إن حقي هو المأخوذ وقد تر كنه لهم تجاوز الله عنهم، جواب عن قول معاوية في كتابه: فكلمهم حسدت و على كلمهم بغيته - إلى قوله: و في إبطائك عن الخلفاء.

وقد مضى كلامنا في البحث عن الإمامة في المختار ٢٣٧ أن الامام أجلُّ شأناً من أن يكون باغياً، فإن البغي من الذنوب العظيمة و جميع الذنوب أربعة

أوجه لاخامس لها: الحرص، والحسد، والغضب، والشهوة، فهذه منقبة عنه، فراجع إلى (ص ٤٤ من ج ١٥).

وأما اجتماع الناس في سقيفة بني ساعدة و اختلاف المهاجرين والأَنْصار في البيعة و لم يغسل رسول الله ﷺ بعد حتى غضبوا أمير المؤمنين علياً عليه السلام حقه فقد ذكره الشارح الخوئي قدس سره في المباحث السالفة، و نحن أشرنا إلى شرح ذمة منه في المجلد السادس عشر (ص ٣٨٢).

واليعقوبي في التاريخ في خبر السقيفة (ص ١٠٢ ج ٢) بعد ما نقل كلام عبدالرحمن بن عوف في فضل الأَنْصار قال: و قام المنذر بن الأرقم فقال: ما ندفع فضل من ذكرت و إنَّ فيهم لرجلاً لو طلب هذا الأمر لم ينازعه فيه أحد - يعني علياً بن أبي طالب عليه السلام. إلى أن قال:

و جاء البراء بن عازب ضرب الباب على بني هاشم و قال: يا معشر بني هاشم بويع أبو بكر، فقال بعضهم: ما كان المسلمون يحدثون حدثاً نغيب عنه و نحن أولى بمحمد ﷺ، فقال العباس: فعلوها و ربَّ الكعبة. و كان المهاجرون والأَنْصار لا يشكون في علياً عليه السلام فلمّا أخرجوا من الدار قام الفضل بن العباس، و كان لسان قريش فقال: يا معشر قريش إنه ما حقت لكم الخلافة بالتمويه و نحن أهلها دونكم، و صاحبنا أولى بها منكم، و قام عتبة بن أبي لهب فقال: - ما كنت أحسب أن الأمر منصرف - إلى آخر الأبياب التي نقلنا في (ج ١٦ ص ٣٨٣) عن خزيمه بن ثابت الأنصاري. ثم قال اليعقوبي: و تخلف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والأَنْصار و مالوا مع علياً بن أبي طالب منهم: العباس بن عبدالمطلب، و الفضل بن العباس و الزبير بن العوام بن العاص، و خالد بن سعيد، و المقداد بن عمرو، و سلمان الفارسي، و أبوزر الغفاري، و عمار بن ياسر، و البراء بن عازب، و أبي ابن كعب.

قال: و كان خالد بن سعيد غائباً فأتى علياً فقال: هلمَّ أبايعك فوالله ما في الناس أحد أولى بمقام محمد منك.

قال: فأرسل أبو بكر إلى عمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح والمغيرة ابن شعبة فقال: ما الرأي؟ قالوا: الرأي أن تلقى العباس بن عبدالمطلب، فتجعل له في هذا الأمر نصيباً يكون له ولعقبه من بعده، فتقطعون به ناحية علي بن أبي طالب حجة لكم على علي إذا مال معكم، فانطلق أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح والمغيرة حتى دخلوا على العباس ليلاً.

فحمد أبو بكر الله وأثنى عليه ثم قال:

إن الله بعث محمداً نبياً، وللمؤمنين ولياً، فمن عليهم بكونه بين أظهرهم حتى اختار له ما عنده، فخلى على الناس أموراً ليختاروا ولا تقسم في مصالحهم مشفقين فاختاروني عليهم والياً، ولا مؤرمهم راعياً، فوليت ذلك وما أخاف بعون الله وتسديده وهناً ولا حيرة ولا حيناً، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب. وما أنفك يبلغني عن طاعن يقول الخلاف على عامة المسلمين يتخذكم لجاجاً فتكون حصنه المنيع وخطبه البديع، فإما دخلتم مع الناس فيما اجتمعوا عليه، وإما صرفتموهم عما مالوا إليه، ولقد جنناك ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيباً يكون لك ويكون لمن بعدك من عقبك، إذ كنت عم رسول الله عليه السلام، وإن كان الناس قد رأوا مكانك ومكان صاحبك فعدوا بالأمر عنكم على رسلكم بني هاشم فإن رسول الله منا ومنكم.

فقال عمر بن الخطاب: إي والله، وأخرى إننا لم نأتكم لحاجة إليكم ولكن كرهاً أن يكون الطعن في ما اجتمع عليه المسلمون منكم، فيتفاقم الخطب بكم وبهم فانظروا لأنفسكم.

« احتجاج العباس عم رسول الله (ص) على أبي بكر وعمر في أمر البيعة »

قال اليعقوبي: فحمد العباس الله وأثنى عليه وقال:

إن الله بعث محمداً عليه السلام كما وصفت نبياً، وللمؤمنين ولياً، فمن على أمته به حتى قبض الله إليه واختار له ما عنده، فخلى على المسلمين أمورهم ليختاروا لأنفسهم مصيبين الحق، لأمائلين بزيغ الهوى، فإن كنت برسول الله فحقاً أخذت

و إن كنت بالمؤمنین فنحن منهم، فما تقدمنا في أمرک فرطاً، ولا حللنا وسطاً، ولا برحنا سخطاً، و إن كان هذا الأمر إنما وجب لك بالمؤمنین، فما وجب إذ كنتا كارهین، ما أبعء قولك من أنهم طعنوا عليك من قولك إنهم اختاروك وما لوا إليك و ما أبعء تسميتك خليفة رسول الله ﷺ من قولك خلی علی الناس أمورهم لیختاروا فاختاروك، فأما ما قلت إنك تجعله لي فإن كان حقاً للمؤمنین فليس لك أن تحکم فيه، و إن كان لنا فلم نرض ببعضه دون بعض، و علی رسلك فإن رسول الله ﷺ من شجرة نحن أغصانها و أنتم جيرانها، فخرجوا من عنده.

وفي الجمل للمفيد قدس سره (ص ٤٥ طبع النجف) وقد عرفت الخاصة والعامة ما أظهره أمير المؤمنین عليه السلام من كراهته من تقدم عليه و تظلمه منهم، فقال في مقام بعد مقام: اللهم إنني أستعذك « أستعديك. ظ » علی قريش فانهم ظلموني حققي ومنعوني إرثي و تمالوا علي. وقال عليه السلام: لم أزل مظلوماً منذ قبض رسول الله ﷺ، و قال: وقد عهد إلي رسول الله ﷺ أن الأمة ستعذر بي من بعده، وقال: يا عمر لقد ظلمت الحجر والمدر. و قال: اللهم اجز قريشاً عني الجوازي فقد قطعت رحمي و دفعتني عن حققي وأغررت بي سفهاء الناس و خاطرت بدمي.

قوله عليه السلام: « و أمّا ما ذكرت من أمر عثمان و قطيعتي رحمه و تألبي علي - إلى قوله: إلا أن تتجنّی فتجنّ ما بدالك » هذا الفصل جواب عن قول معاوية في كتابه إليه عليه السلام مخاطباً له بقوله: ثم لم تكن لأحد منهم بأعظم حسداً منك لابن عمك عثمان - إلى قوله: وقد ذكر لي أنك تنصل من دمه.

وقد ذكرنا في شرح المختار الأوّل من كتبه و رسائله عليه السلام الأحداث التي أحدثها عثمان ممّا نقمها الناس منه و طعنوا عليه و صارت أسباب قتله (ص ٢٠٣ ج ١٦) ، و نصح أمير المؤمنین عليه السلام عثمان في ص (٣١١ ج ١٦ من) الواقدي وغيره ، و كذا قوله عليه السلام « ما زلت أذب عن عثمان حتى أني لأستحي » المنقول من الطبري وغيره في شرح المختار ٢٣٨ من كلامه في باب الخطب (ص ١٨٣ ج ١٦) وقوله عليه السلام: والله لقد دفعت عنه حتى خشيت أن أكون آثماً.

وقد أشرنا في (ص ٣٥١ ج ١٦) إلى أن عثمان قتل نفسه بأحداثه التي أحدثها وأن أمير المؤمنين عليه السلام قال: الله قتله، وأنه عليه السلام كان في عزلة عن قتله، وأنه عليه السلام نصحه و نصره غير مرّة وما أراد عثمان منه نصحاً وإلّا لتاب من قوادحه حقيقة ولما خدع الناس مرّة بعد مرّة، وأن أهل البصرة اتهموا علياً عليه السلام بدم عثمان اتباعاً لتسويلات شيطانية، وأن اسناد دم عثمان إليه تهمة وبهتان ليس إلاً وغيرها ممّا أشرنا إليها فراجع .

وقال ابن الأثير في مادة عفو من النهاية: قالت أم سلمة لعثمان: لا تعف سبيلاً كان رسول الله صلى الله عليه وآله لحبها، أي لا تطمسها.
ثم قد بينّا تفسير قوله عليه السلام: «إلا أن تتجنّى فتجنّ ما بدالك» في شرح الكتاب السادس، فراجع .

هنا انتهى المجلد السابع عشر من هذه الطبعة النفيسة
في اليوم الرابع والعشرين من شهر جمادى الثانية
سنة - ١٣٨٥ - بتصحيح و ترتيب من العبد :
- السيد ابراهيم الميانجي - عفى عنه
و عن والديه ، و ذلك في المطبعة
المباركة الاسلامية بطهران .
ويليه ان شاء الله المجلد
الثامن عشر في شرح
بقية الكتاب
و الحمد
لله .

☆ (فهارس طائفة من مطالب الكتاب) ☆

- ١ كلام الشارح في النهج و شرحه عليه
- ٥ تمة المختار الاول من كتبه (ع)
- ٨ ترجمة المختار الاول من كتبه (ع)
- الكتاب الثاني
- ١٠ سنده ونقل صورته الكاملة ونسخ اخرى منه ورد من طعن على الرضى بأن النهج مما وضعه
- ١٦ كتابان آخران له (ع) ليسا بمذكورين في النهج
- ١٨ كتاب هاشم بن عتبة اليه (ع) من الكوفة
- ١٩ كتاب على (ع) الى ابي موسى الاشعري ولم يذكر في النهج
- ٢١ خطبة الحسن بن على (ع) في الكوفة يستنفر الناس الى ابيه (ع)
- ٢٤ اشعار الصحابة و التابعين في أنه وصى رسول الله (ص)
- ٢٦ معجزته (ع) باخياره بالغيب
- عدة خطب خطب بها الامير (ع) في ذى قار وسند طائفة من خطب النهج و بيان اصلها ولم شعنها
- ٢٨ دخول الناكثين في البصرة والحرب بينهم وبين عثمان بن حنيف عامل الامير (ع)
- ٣٧ تنازع طلحة والزبير لاما متهمهما الناس في الصلاة
- ٤٠ تعجب ابي الاسود الدئلي من طلحة والزبير لما دخلا بيت مال البصرة ومن الامير عليه السلام لما دخله
- ٤١ كتابه عليه السلام الى طلحة والزبير و عائشة والكتاب ليس بمذكور في النهج
- ٤٢ من كلامه (ع) لما نفر من ذى قار متوجها الى البصرة والبحث عن سند عدة من خطب النهج
- ٤٥ كلام المسعودي في مروج الذهب في ورود مواكب على (ع) في البصرة و نقل دعائه عليه السلام المقتبس من رسول الله (ص) و تقديم فوائده اخرى
- ٤٩ خطبة الامير (ع) في البصرة و خطبته الاخرى في تحريض اصحابه على الجهاد
- ٥١ اخذ (ع) مصحفاً وندائه في اصحابه بقوله من يأخذ هذا المصحف ويدعو القوم اليه الخ
- ٥٤ سؤال رجل الامير (ع) عن مقاتلته القوم وهم يكبرون و يهللون وسند بعض الخطب و انه (ع) أمر جنده أن لا يبدأوا بالقتال
- ٥٦ كلام عامر بن ياسر في الناكثين
- ٥٩ قول عائشة لعلى (ع) ملكت فاسمح و ذكر مدارك بعض الابيات المذكورة الى الديوان المنسوب اليه (ع) بأنها اسندت اليه و ليست منه
- ٦١

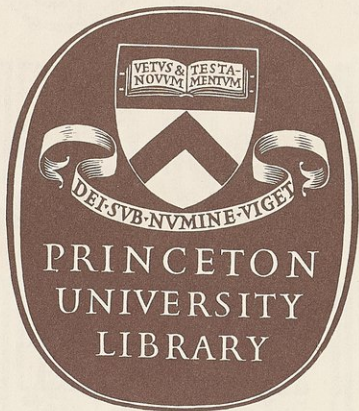
- ٦٦ خطبته (ع) في اثناء حرب الجمل
- ٦٧ عدم مبالاته (ع) بالموت و وقائع اخرى منه (ع)
- ٦٩ قتل الزبير بن العوام
- ٧١ قتل طلحة و احتجاج الامير عليه بقول رسول الله (ص) اللهم وال من والاه الخ
- ٧٣ بيان قولهم: ندامة الكسبي
- بحث كلامي في أن محاربي على (ع) كفره و في توبة طلحة و الزبير و اعتراضات القاضي
- ٧٦ عبد الجبار و رد علم الهدى اياها في الشافي و ما رتب اخرى
- ٨٠ كلامه (ع) حين قتل طلحة و تفرق الناس
- ٨١ كلام (ع) عند تطوفه على القتلى و تكليمه اياهم
- ٨٤ خطبته (ع) في البصرة بعد ما كتب الى المدينة و الكوفة بالفتح
- ٨٥ عدله (ع) و زهده
- ٨٦ خطبتان له (ع) بعد قسمة المال و لما خرج من البصرة
- ٨٨ سند بعض الخطب المذكورة في النهج
- ٩٠ فيما جرى بينه و بين الحسن البصري و رجل آخر
- سيرته (ع) في أهل البصرة و تجهيزه عائشة من البصرة الى المدينة و ما ورد من
- ٩٣ أنه (ع) بمثمعها أربعين امرأة و التوفيق في ذلك
- ٩٥ تأميره (ع) ابن العباس على البصرة و وصيته له و خطبته الناس
- ٩٧ اشارة اجمالية الى ما عند الائمة من سلاح رسول الله (ص) و غيرها
- ٩٩ شرح جمل الكتاب الثاني
- ١٠٠ ترجمته بالفارسية
- ١٠١ **الكتاب الرابع لشريح بن الحارث**
- سند الكتاب و رجم وهم الحافظ أبي نعيم الاصفهاني في حلية الاولياء حيث اسند
- ١٠٢ ذلك الكتاب الى الفضيل بن عياض
- ١٠٩ بيان لفه الكتاب
- ١٢٠ بيان اعرابه
- ١٢٤ ما الذي اوجب سخط الامير (ع) على عمل شريح؟
- ١٢٦ بيان جمل الكتاب و أن غضب اولياء الله لا يكون الا لله
- ١٢٩ تفسير قوله (ع) بدرهم فما فوقه و وجه خاص تفرد الشارح به
- بيان الشارح البحراني و الاعتراض عليه و الافتتاح بالبسملة و أن اول كل كتاب نزل
- من السماء بسم الله الرحمن الرحيم
- ١٣١ الهلاك يستعجل غالباً في ميمة السوء
- ١٣٣ الانبياء لا يأمرون بالذل و السؤال
- ١٣٥

١٣٧	الإشارة إلى بعض أحكام النصب
١٣٨	كلام المجلسى فى شرح الكتاب والاعتراض عليه
١٤١	دقيقة فى قوله (ع) شهد على ذلك العقل الخ
١٤٢	إشارة إلى ما أتى به العلامة بهاء الدين العاملى فى كتابه الاربعين فى المقام وكلام الشارح فيه
١٤٤	القضاء والقاضى فى الاسلام
١٥٤	شريح و نسبه و خبره
١٦٧	ترجمة الكتاب بالفارسية
١٦٨	الكتاب الرابع و لغته و اعرابه و معناه
١٧١	معنى السلطان ظل الله فى الارض
١٧٢	رد الشارح البحرانى والمولى فتح الله القاسانى و ترجمة الكتاب
١٧٣	الكتاب الخامس
١٧٥	أول خطبته (ع) لما قدم من البصرة
١٧٩	خطبته (ع) فى الجمعة والإشارة إلى مسألة فقهية
١٨١	صورة الكتاب الكاملة وسنده
١٨٤	فى من و صفوه (ع) بالوصى
١٨٧	ترجمة الكتاب بالفارسية
١٨٨	الكتاب السادس
١٩٠	كتابه (ع) إلى جرير
١٩٣	فى من و صفوه بالوصى
١٩٤	صورة الكتاب كاملة و سند
٢٠١	بحث كلامى فى نقل كلام الشارح المعتزلى و رده
٢٠٤	ترجمة الكتاب
٢٠٦	الكتاب السابع
٢١٠	اسناده و نقل صورته الكاملة و اختلاف الآراء فيه والتوفيق بينها
٢١٦	كتاب الامير (ع) إلى معاوية
٢١٨	كلام الشارح فى هوان الدهر
٢٢٢	كتابه (ع) إلى معاوية
٢٢٤	بيان جمل الكتاب
٢٢٥	بحث حكمى روائى فى العقل و النكراء
٢٣٠	ترجمة الكتاب
٢٣٣	الكتاب الثامن
٢٣٥	سنده

- ٢٣٦ بيان جمل الكتاب
- ٢٣٩ جرير بن عبدالله من هو ؟
- ٢٤٢ بحث حكيمى فى ابطال رؤيته تعالى بالابصار
- ٢٥٢ شرائط الابصار بالعين و الاقوال فى الرؤية
- ٢٥٤ معنى الى ربها ناظرة
- ٢٥٨ الرؤية عند الاشعري و كلام الفخر الرازي
- ٢٦٤ كلام الامام الصادق (ع): كلما ميزتموه بأوهامكم- الخ
- ٢٦٥ شرح الحديث المنقول من الكافي فى المقام
- ٢٦٩ لا بد فى الابصار من توسط الجسم الشفاف
- ٢٧٢ الموحّد يرى أن ما سواه تعالى مستخرات بأمره
- ٢٧٣ شرح الحديث الثانى فى عدم رؤيته تعالى بالابصار
- ٢٨٠ معنى الادراك
- ٢٨١ معنى الحديث: ان الله تعالى خلق آدم على صورته
- ٢٨٦ البحث عن الجن و أنهم مكلفون
- ٢٩٣ ابليس كان من الجن لا أنه كان ملكاً
- ٢٩٤ البحث عن أن انبياء الانس كيف بعثوا الى الجن وليسوا من جنس واحد
- ٢٩٥ ان القرآن يفسر بعضه بعضاً وأنه نزل تبياً ناكلاً لكل شىء
- ٢٩٦ الاشارة الى بعض الفروق بين المجتهدين والاعرابيين
- ٢٩٧ القرآن هو المعيار فاذا كانت رواية لم يمضها القرآن لا يجوز الاخذ بها وفى الاشارة
- ٢٩٩ الى حجية الاجماع وشرح الحديث الثالث فى عدم رؤيته تعالى بالابصار
- ٣٠٠ الفرق بين الوهم فى لسان الحديث و فى اصطلاح الفلاسفة
- ٣٠٠ شرائط ادراك ما هو مبصر و ما هو معقول.
- ٣٠٠ روايات تشير الى تجرد الروح
- ٣٠٢ شرح الحديث الرابع فى عدم رؤيته تعالى بالابصار
- ٣٠٣ قتل المتوكل ابن السكيت لاجل تشييمه
- ٣٠٤ البحث عن الفرق بين يعقوب بن اسحاق السكيت و يعقوب بن اسحاق الكندى
- ٣٠٤ حكيم العرب و أن المراد فى الرواية أيهما كان؟
- ٣٠٥ تأليف الكندى فى تناقض القرآن على زعمه وكفه من عمله بنصح الامام العسكري (ع) له
- ٣٠٧ الفرق بين الرؤية بالعين والرؤية بالعقل كالفرق بين المدركين شرفاً و رتبة
- الحديث الخامس سؤال ذعلب علياً (ع) هل رأيت ربك حين عبدته؟ وجوابه (ع)
- ٣٠٨ واختلاف الروايات فى ذلك كما
- ٣١٥ عدة خطب من النهج كانت واحدة فتفرقت فى النهج

- ٣١٧ مراتب حقائق الايمان
- ٣١٨ فكتة في أن الابصار عاجزة عن أن تملأها من نور الشمس فما ظنك برؤية الله تعالى
- ٣١٩ المراد من الرؤية القلبية الكشف التام الحضورى وبيان
- ٣٢٢ رد النوامى من العامة حيث قال ان الله جعل بصر الرسول فى قلبه. أو توجيهه
- ٣٢٤ ترجمة الكتاب الثامن بالفارسية
- ٣٢٤** **الكتاب التاسع**
- ٣٣٥ بيان جمل الكتاب
- كلام المسعودى فى المروج أن الاشياء التى استحقق بها اصحاب الرسول (ص) الفضل كان كل ذلك لعلى منه النصيب الاوفروالكلام فى أنه (ع) كان أول من أسلم
- ٣٣٨
- ٣٤٠ صرف رسول الله (ص) عن بيت المقدس الى القبلة
- ٣٤٤ دعوة النبى خاصة أهله الى الاسلام واجابة الامير (ع) وما جرى فى ذلك بين النبى والوصى
- ٣٤٦ اسلامه (ع) وهو ابن عشرين وما ذكر فى المقام من الايات القرآنية فى يحيى وعيسى عليهما السلام
- ٣٤٨ المسعودى صاحب مروج الذهب كان من الامامية
- ٣٤٩ عدوان المشركين على من أسلم و على النبى خاصة
- ٣٥٠ هجرة المسلمين الى أرض الحبشة
- ٣٥١ اجتماع القرش على كتابة الصحيفة و حصر الرسول (ص) وأصحابه فى الشعب
- ٣٥٢ ما فعلت الارضة بالصحيفة
- ٣٥٣ اسلام أبى طالب والسبب فى عدم اظهاره الاسلام
- ٣٦٤ سبب اسلام حمزة
- ٣٦٩ كلام الامام المجتبى فى أبيه (ع)
- ٣٧٠ مقتل عبيدة بن الحارث
- ٣٧١ يوم احد و شهادة حمزة رضوان الله عليه
- ٣٧٣ هند و تمثيلها بحمزة
- حزن الرسول (ص) على حمزة و توعده بالمشركين بالمثلثة وما نزل فى النهى عن
- ٣٧٤ المثلثة والكلام فيها .
- ٣٧٧ النهى عن المثلثة لايشمل المثلثة قصاصاً
- ٣٧٨ صلاة الرسول على حمزة و الكلام فى تكبيرات الصلاة على الميت
- ٣٨٣ حث الرسول على طلب العلم حتى فى دفن القتلى
- ٣٨٣ غزوة موتة و شهادة جعفر و زيد
- ٣٨٨ اخبار رسول الله (ص) بما جرى على المسلمين فى موتة
- ٣٩١ كلام معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان فى الطعن على أبيه و جده
- ٣٩٢ لم قال الامير (ع) والحمد لله على كل حال ورواية الكلينى فيه والاشارة الى أوصاف الامام
- ٣٩٤ احتجاج العباس عم رسول الله (ص) على أبى بكر و عمر فى أمر البيمة





PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

